كلية التربية – ابن رشد
قسم اللغة العربية

الإجمالُ والتَّفصيلُ
في نهج البلاغة
دراسة تحليلية

أطروحة تقدم بها

سهيل محمد حسين جعفر الأرناؤوطي

إلى مجلس كلية التربية – ابن رشد للعلوم الإنسانية – جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها/بلاغة

بإشراف الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن عذاب الأمي

١٤٣٥هـ ٢٠١٤م

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

[وكلَّ شيءٍ أحصيناهُ في

إمامٍ مبين]

صدق الله العليّ العظيم

(يس ١٢)

(ب)

الإهداء

إلى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا ، إلى أمين الله علىالرسالة وخازن الوحي ومنصور الملائكة ،إلى باب مدينة علم رسول الله ، أُهدي هذا الجهد المتواضع .

شكر وعرفان

لا يسعني بعد أن أنهيت هذا البحث إلاّ أن أشكر البارئ جلّ وعلا المنعم الأوّل الذي يعجز العقل عن إحصاء نعمه ، ويكل اللسان عن شكره عليها بما هو أهل له

وأتقدّم بشكري الجزيل إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الرحمن اللامي ، الذي كان له الفضل الكبير في تقويم ما أعوجّ من هذا البحث ، بما قدّمه من آراء قيّمة وأفكار بنّاءة ، كانت لي بمنزلة مشاعل النور التي استضيء بها ، وأسير على هداها .

وأتقدّم بفاضل الشكر والعرفان إلى مقتداي في مسيرتي العلمية ابن عمي العزيز الأستاذ المساعد الدكتور(إياد محمد علي الأرناؤوطي) إذ كان السراج الذي استضيءَ منه ، والمصدر الذي استمدّ منه عزيمتي ، أسأل الله أن يمدّ في عمره، ويوفقّه لما فيه الخير والصلاح في الدنيا، والآخرة .

وأتقدّم بالشكر والامتنان إلى الأخ العزيز الأستاذ المساعد الدكتور(سيروان الجنابي) الذي آزرني وشدّ على يدّي ، ولم يبخل عليَّ بآرائه السديدة التي خدمت البحث ، وأقدّم شكري كذلك إلى الإخوة الأساتيذ، الدكتور(محمد الواضح)،والدكتور(إدريس الموسوي)، والدكتور(كريم حمزة حميدي)، وإلى كلّ مَن مدّ لي يد العون من الأهل والأصدقاء .

ولا أنسى أن أقدّم الشكر والعرفان إلى الأيدي التي سعت في إيصال مصادر البحث إلى متناول يديَّ ، أسأل الله أن يوفقّهم لما فيه صلاحهم آمين ربّ العالمين.

وأخيراً أتقدّم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية ، وكذلك السادة رئيس لجنة المناقشة وأعضائها ، راجياً من الله أن يوفّق الجميع لما يحبّه ويرضاه إنّه سميع عليم .

الباحث:سهيل محمد حسين جعفر الأرناؤوطي

ثبت المحتويات

الموضوع الصفحة
المقدمـــة : .... ١ ــ ٥
التمهيـــد : .مفهوم الإجمال والتَّفصيل.............................. ٦ـ٤٩
الفصل الأول: دلالة أسلوب الإجمال في (اللفظ) المفرد.٥٠ـ ١٤٨

المبحث الأول:دلالة أسلوب الإجمال في النكرة............................. ٥١ـ ٦١

الثاني:دلالة أسلوب الإجمال في المعرف ب(ال)........................ ٦٢ ـ ٧٠

المبحث الثالث:دلالة أسلوب الإجمال في المعرّف بالإضافة.......... ٧١ ـ ٧٩

المبحث الرابع:دلالة أسلوب الإجمال في الاسم الموصول............ ٨٠ ـ ٨٧

المبحث الخامس:دلالة أسلوب الإجمال في ضميرَي(الغيبَة، والشأن)... ٨٨ ـ ١٠٤

أولاً: دلالة أسلوب الإجمال في ضمير الغيبة......................... ٨٨ ـ ٩٧

ثانياً : دلالة أسلوب الإجمال في ضمير الشأن .... ٩٨ ـ ١٠٤

المبحث السادس:دلالة أسلوب الإجمال في أفعل التفضيل......... ١٠٥ ـ ١١٤

المبحث السابع:دلالة أسلوب الإجمال في الأفعال .... ١١٥ ـ ١٢٧

المبحث الثامن:دلالة أسلوب الإجمال في الاستثناء............... ١٢٨ ـ ١٣٢

المبحث التاسع:دلالة أسلوب الإجمال في الألفاظ الإسلامية..... ١٣٣ ـ ١٤٦

المبحث العاشر:دلالة أسلوب الإجمال في الاستفهام المجازي التعجّبي .. ١٤٧ ـ ١٤٨

الفصل الثاني: دلالة أسلوب الإجمال في (التركيب) الجملة.. ١٤٩ ـ ١٨٦

المبحث الأول: دلالة أسلوب الإجمال في (الجملة دون نسبتها).... ١٥١ ـ ١٦٢

المبحث الثاني: دلالة أسلوب الإجمال في (نسبة الجملة)........... ١٦٣ ـ ١٦٨

المبحث الثالث: دلالة أسلوب الإجمال في (حذف جملة جواب الشرط).... ١٦٩ ـ ١٧٦

المبحث الرابع: دلالة أسلوب الإجمال في (الجملة إخباراً وإنشاءً)........١٧٧ ـ١٨٢

المبحث الخامس: دلالة أسلوب الإجمال في (جملة الاستفهام المجازي: الإنكاريّ ، والتعجبيّ)... ١٨٣ـ ١٨٦

الفصل الثالث: دلالة أسلوب التفصيل في (اللفظ المفرد)................................. ١٨٧ ـ ٢٥٤

المبحث الأول: دلالة أسلوب التفصيل بـ (أنْ المخفّفة)................١٨٧ ـ ١٩٨

المبحث الثاني: دلالة أسلوب التفصيل بـ (مِن البيانية)............١٩٩ ـ٢٠٥

المبحث الثالث: دلالة أسلوب التفصيل بـ (ضمير الفصل)........٢٠٦ ـ ٢١٥

المبحث الرابع: دلالة أسلوب التفصيل بـ (أمَّا التفصيلية)..........٢١٦ ـ ٢٢٦

المبحث الخامس: دلالة أسلوب التفصيل بـ (التمييز ويضم قسمين: تميز المفرد، وتميز النسبة).. ٢٢٧ ـ ٢٣٩

المبحث السادس: دلالة أسلوب التفصيل بـ (البدل ويضم قسمين: بدل الكلّ، بدل الاشتمال)... ٢٤٠ ـ ٢٥٣

الفصل الرابع: دلالة أسلوب التفصيل في (التركيب الجملة).. ٢٥٤ ـ ٣١٠

المبحث الأول: دلالة أسلوب التفصيل بـ (جملة الصلة)........ ٢٥٥ ـ ٢٦٥

المبحث الثاني: دلالة أسلوب التفصيل بـ (جملة بدل الكلّ).......... ٢٦٦ ـ ٢٨٥

المبحث الثالث: دلالة أسلوب التفصيل بـ (جملة جواب الشرط)... ٢٨٦ ـ ٣٠٠

المبحث الرابع: دلالة أسلوب التفصيل بـ (النصّ التركيبيّ منفصل).. ٣٠١ ـ ٣١٠

الفصل الخامس: دلالة أسلوبي الإجمال والتفصيل في بعض (المباحث البلاغية).. ٣١١ ـ ٣٩٢

المبحث الأول: دلالة أسلوب الإجمال والتفصيل في (الجمع والتفريق والتقسيم)... ٣١١ ـ ٣٣٤

المبحث الثاني: دلالة أسلوب الإجمال والتفصيل في (التشبيه المجمل)... . ...٣٣٥ ـ ٣٤٧

المبحث الثالث: دلالة أسلوب الإجمال والتفصيل في (التشبيه البليغ)٣٤٨ـ ٣٦٨

المبحث الرابع: دلالة أسلوب الإجمال والتفصيل في (اللفّ والطيّ والنشر).. ٣٦٩ ـ ٣٨٥

المبحث الخامس: دلالة أسلوب الإجمال والتفصيل في (التورية أو الإيهام).. ٣٨٦ ـ ٣٩٢

الخاتمة.. ٣٩٣ ـ ٣٩٨

ثبت مصادر البحث ومراجعه........................... ٣٩٩ ـ ٤٢٩

الملخص باللغة الإنجليزية.................................. A-g

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمدُ لله ربِ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين ، وخاتم النبييّن محمدٍ وعلى آله الطيبيّن الطاهرين وصحبه الكرام المنتجبين.

أما بعد........

فيُعدُّ كتاب (نهج البلاغة) رافداً ثراً للعربية واكتسب هذه الخصوصيّة من صاحبه أمير البلاغة وفارسها أمير المؤمنين(عليّ بن أبي طالب) (عليه السلام) قال ميخائيل نعيمة: (إنّه ليستحيل على أيّ مؤرخ أو كاتب، ومهما بلغ من الفطنة والعبقرية، أن يأتيك حتى في ألف صفحة بصورة كاملة لعظيم من عيار الإمام علي، ولحقبة حافلة بالأحداث الجسام كالحقبة التي عاشها، فالذي فكّره وتأمّله وقاله وعمله ذلك العملاق العربي بينه وبين نفسه وربه لمّما لم تسمعه أذن ولم تبصره عين، وهو أكثر بكثير مّما عمله بيده أو أذاعه بلسانه وقلمه، وإذا ذاك فكلّ صورة نرسمها له هي صورة ناقصة لا محالة، وقصارى ما نرجو منها أن تنبض بالحياة)[١].

ومنذ صغر سني وحداثة عهدي جذبني كتاب نهج البلاغة ، ذلك الكتاب الذي زخر بألفاظ القرآن الكريم ، ووُشّيَ بمفرداته فكنت كلّما ازدت منه قراءةً ازدَّت انتفاعاً منه فهو أثر لغويّ لا تملّه الأسماع مهما تردّد ذكره ، وسرُّ هذه الديمومة ونبض الحياة في نهج البلاغة هو القرآن الكريم فثمّة ثوب شفيف يغطي كلمات نهج البلاغة وصياغاته ومعانيه ، نسيجه بلحمته وسداه من كلمات ومعاني الكتاب العزيز، فضلاً عن أنه (يتضمن من عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ولا في مجموع الأطراف في كتاب، إذ كان أمير المؤمنين(عليه السلام) مشرّع الفصاحة وموردها، ومنه (عليه السلام) ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته حدا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ)[٢]، الأمر الذي كان مدعاة لأن تكون نصوص نهج البلاغة موضعاً يستشهد به لدراسة **(ظاهرة الإجمالُ والتَّفصيل)** التي تعد واحدة من الظواهر اللاتي لفتت أنظار الباحثين ومتذوقي النص، وتأتي أهمية الموضوع أيضاً من :

١ـ كونه دراسة لظاهرة نصية في نصوص نهج البلاغة لم تدرس من قبل فشجعني ذلك على اختيار هذا الموضوع.

---

[١] الإمام علي(عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية: ١٨/١.
[٢] مقدمة الشريف الرضي لنهج البلاغة: ٦٧/١.

٢ـ بيَّنت هذه الظاهرة روعة وجمالاً في صياغة أساليب نهج البلاغة مما يدل على ذوق صاحبها الذي له من روائع البلاغة والبيان ما أذهل كل من نطق بلغة الضاد وألم بها وبرع فيها.[١]

٣ـ الكشف عن بلاغة هذه الظاهرة ودلالاتها الفنية والنفسية على وفق منهج تحليلي خاص يقوم على تحليل تراكيب جمل عدة في النص نفسه مع التركيز على اللفظ الأساس ، أو الجملة المركزية التي ورد فيها الموضوع، فالرابط الحقيقي بين الجمل في النص يكمن في نظم الجمل بالنظر إلى وشائج المعنى أولاً، والفن ثانياً، وتمسك كل واحدة من هذه المعاني بناصية الأخرى فيقوى الترابط ويؤول إلى بناء محكم اللبنات كي يفي بالغرض المقصود فكان التحليل يقوم على المزاوجة بين الدراسة النحوية ، والبلاغية، والدلالية. في محاولة لاستقصاء دلالات هذه الظاهرة على مستوى اللفظ(المفرد)، أو التركيب(الجملة) ، أو في نطاق (المباحث البلاغية)، في أفصح نص وأبلغه بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

٤ـ لهذه الظاهرة أثر بالغ بما تكشفه من نواحي الكلام وبيان دلالاته بدقة، إذ تعد من وسائل بيان الكلام، فهي تضيء الإبهام والغموض الذي قد يقع في النص وتزيح الإشكال والتردد الذي فيه، ثم تخصصه وتوضحه بدقة للمتلقي ليكون على بينة من ذلك الإبهام، ولهذا تترك هذه الظاهرة بصمات بلاغية واضحة بما تتركه من أثر بالغ في النفوس، وعلى الرغم من أهمية نصوص نهج البلاغة وعلو مكانتها فهي (فوق كلام المخلوق ، ودون كلام الخالق)[٢]، فأنه لم يأخذ مكانه الحقيقي من حيث دراسة هذه الظاهرة على أهميتها في الكشف عن المعنى كما أوضحنا قبل ذلك.

فاجتمعت الدواعي والدوافع لهذا كله لاختيار موضوع **(الإجمال والتَّفصيل في نهج البلاغة)**دراسة تحليلية؛عنواناً لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها/بلاغةفي كلية التربية ـ ابن رشد للعلوم الإنسانية/ جامعة بغداد.

كان اعتمادي في استقراء مادة البحث والاستشهاد بالأمثلة وتحليلها علىنسخة(شرح نهج البلاغة محمد عبده)، وعدة شروح لكتاب (نهج البلاغة) قديمة، وحديثة حسب تسلسلها الزمني وأهميتها فقد استعنت بخمسة شروح مهمة هي : شرح نهج البلاغة لـ (ابن أبي الحديدالمعتزليّ)، وشرحنهج البلاغة لـ(البحرانيّ)، وشرح نهج البلاغة(لناصر مكارم الشيرازي) ، وشرح (منهاج البراعة) للخوئيّ ،وشرحلـ(في ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية)، فضلاً عن اعتمادي الكثير من البحوث والدراسات العلمية التي تناولت جوانب من نهج البلاغة.

---

[١]ينظر: البلاغة والبيان:٩٣.
[٢]شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٧/١.

واقتضت طبيعة الدراسة أن تكون على خمسة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد، وتتلوها خاتمة ثم ثبت بأهم مصادر البحث ومراجعه.

أمّا الفصل الأول : فكان بعنوان (دلالة أسلوب الإجمال في اللفظ) ، وانفتح على عشرة مباحث وكانت الدراسة فيه تقوم على اللفظ المفرد وتضم:-

المبحث الأول : دلالة أسلوبالإجمال في النكرة.

المبحث الثاني: دلالة أسلوبالإجمال فيالمعرف بـ(ال).

المبحث الثالث: دلالةأسلوب الإجمال في المعرف بالإضافة.

المبحث الرابع:دلالة أسلوبالإجمال في الاسم الموصول.

المبحث الخامس:دلالةأسلوب الإجمال في ضميري الغيبة،والشأن أو القصة.

المبحث السادس:دلالةأسلوب الإجمال فيأفعل التفضيل.

المبحث السابع:دلالة أسلوبالإجمال فيالأفعال.

المبحث الثامن:دلالة أسلوبالإجمال في الاستثناء.

المبحث التاسع:دلالةأسلوب الإجمال في الألفاظ الإسلامية

المبحث العاشر:دلالة أسلوبالإجمال في الاستفهام المجازي التعجبي.

وانعقد الفصل الثاني: لدراسة أسلوبالإجمال في(نطاق التركيب الجملة)، فتوزع على خمسة مباحث منها:

المبحث الأول: دلالة أسلوبالإجمال في (الجملة دون نسبتها).

المبحث الثاني: دلالةأسلوب الإجمال في(نسبة الجملة).

المبحث الثالث: دلالة أسلوبالإجمال في(حذف جملة جواب الشرط).

المبحث الرابع:دلالة أسلوبالإجمال في (الجملة إخباراًوإنشاءً).

المبحث الخامس:دلالةأسلوب الإجمال في (جملة الاستفهامين: الإنكاري ، والتعجبي).

أما الفصل الثالث: فقد خصص لدراسةأسلوب (التَّفصيل في اللفظ المفرد)، وتضمن ستة مباحث منها:

المبحث الأول: دلالةأسلوبالتَّفصيلبـ (أنْ المخففة).

المبحث الثاني: دلالةأسلوبالتَّفصيلبـ(من البيانية).

المبحث الثالث: دلالةأسلوبالتَّفصيلبـ (ضمير الفصل).

المبحث الرابع:دلالةأسلوبالتَّفصيلبـ (أما التفصيلية).

المبحث الخامس:دلالةأسلوبالتَّفصيلبـ(التمييز ويضم قسمين: تميز المفرد، وتميز النسبة).

المبحث السادس:دلالةأسلوبالتَّفصيل بـ (البدل ويضم قسمين: بدل الكل، بدل الاشتمال).

وجاء الفصل الرابع في (دلالة أسلوبالتَّفصيل في التركيب الجملة) ، وقد قُسّمَ على أربعة مباحث منها:

المبحث الأول: دلالة أسلوبالتَّفصيل بـ (جملة الصلة).

المبحث الثاني: دلالةأسلوبالتَّفصيل بـ(جملة بدل الكل).

المبحث الثالث: دلالةأسلوبالتَّفصيل بـ (جملة جواب الشرط).

المبحث الرابع: دلالةأسلوبالتَّفصيل بـ (نص تركيبي منفصل).

وتعلقالفصلالخامس: بالحديثعندلالةأسلوبالإجمالُوالتَّفصيل في بعض (المباحثالبلاغية) وقُسمعلىخمسةمباحثمنها:

المبحثالأول: دلالةأسلوب الإجمالوالتَّفصيلفي (الجمعوالتفريقوالتقسيم).

المبحثالثاني: دلالةالإجمالوالتفصيلفي (التشبيهالمجمل).

المبحثالثالث: دلالةالإجمالوالتَّفصيل في (التشبيهالبليغ).

المبحثالرابع: دلالةالإجمالوالتَّفصيلفي (اللفوالطيوالنشر).

المبحثالخامس: دلالةالإجمالالتَّفصيل في (التوريةأوالإيهام).

وانتهت الدراسة بخلاصة وقفت فيها على أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم ثبت بمصادر البحث ومراجعه، وملخصّ الدراسة باللغة الإنكليزية.

وقبل الدخول إلى متن الأطروحة، لابد أن أتقدم بشكرٍ يعجز عنه الشكر ويعجز عنه الثناء إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور (عبد الرحمن اللامي)، الذي تقبّل الأشراف على هذه الأطروحة ، وأخذ بيدي في أحلك الظروف ، وفي أمرّ أيام الشدة، ممهداً لي طريق البحث ،ومسدداً لي بتوجيهاته التي كان لها الدور الأول والفاعل في إظهار ما حسن من البحث فجزاه الله عني خير الجزاء وأوفاه.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من الأستاذين الفاضلين : الدكتور (سيروان عبد الزهرة الجنابي) ، والدكتور(إياد الأرناؤوطي) ، اللذين أخذا بيدي منذ اللحظة الأولى لاختيار الموضوع وإلى آخر كلمة كتبت في هذا البحث، أرجو من الله ـ سبحانه ـ أن يوفيهما أجر العاملين المحسنين لما بذلاه معي من جهدٍ وتصويب ومتابعة، سائلاً إياه ـ دِوام الصحة والعافية والعطاء لهما.

وأخص بالشكر أساتذة قسم اللغة العربية جميعاً لما قدموه من علم كان له الأثر الأكبر في الأخذ بيدي إلى حيث الصواب .

والشكر الجزيل للأساتذة المناقشين الذين وافقوا على أن تتزين الأطروحة بأسمائهم وينتفع الباحث من علمهم ، متجشمين عناء قراءة الأطروحة، جزاهم الله جزاء الخير الأوفى.

اللهم تقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم، واجعلني عندك من المذكورين، آمين ربَّ العالمين.

وبعد فهذا ما اجتهدت به ، و الكمال لله وحده فإن أصبت فالفضل له سبحانه وتعالى، وإن أخطأت فالنقص من سمات البشر، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِ العالمين وصلى الله على محمدٍ وآله الطاهرين.

الباحث

توطئة:-

لكلِّ لغة من لغات العالم بريق واشعاع يميزّها عن غيرها من اللغات ، ويجعلها أكثر تألقاً وجمالاً، ولعل(الإجمال والتَّفصيل) من أبرز ما تميزت به العربية ، وهو سرٌ من أسرارها وطاقة كامنة فيها. لقد وضع الله سبحانه وتعالى (المجمل والمفصل) في كتابه العزيز بحكمٍ عظيمةٍ نعلم بعضها ونجهل أكثرها، فمنها ما يكون إجماله تمهيداً للنفس على قبول ما يتعقبه من البيان [١]، ومنها ما يكون إثباتاً للإعجاز القرآني في العلوم المتنوعة للدلالة على صدق القرآن وصدق الرسول ورسالته، فضلاً عن أن الله سبحانه وتعالى جعل بعض الأحكام جليةً، وبعضها خفيةً؛ ليتفاضل الناس في العمل بها ويثابوا على استنباطها وهذا هو منوط العلماء [٢].

ولأن (نهج البلاغة) من وحي القرآن الكريم؛ فقد تميّز كلام أمير المؤمنين(علي بن أبي طالب) (عليه السلام) باحتوائه الألفاظ الإسلامية المختلفة التي جاء بها القرآن، ويكفينا أن ننظر في المعاجم التي أُحصت ألفاظ القرآن الكريم ، وألفاظ نهج البلاغة؛ للكشف عن الأثر العظيم للقرآن الكريم في هذا الباب [٣]، فشكل بذلك كلام الإمام علي(عليه السلام) تراثاً جماً يمثل قدرة الأمة العظيمة على الخلق والإبداع متمثلة بقابلية الإمام البلاغية وقدرته على التعبير عن شتى المعاني بأسلوب رائع ومؤثر ولاسيما أنه (عليه السلام) نهل من أدب القرآن العظيم ،وارتوى من آياته العظام التي لها القدرة على الإحاطة بالمعنى ، وبُعدها عن الغرابة والتقعُّر.[٤] فضلاً عن أسلوبه المشوق في مبناه المؤكد في معناه ،الموضح لكثير من مغزاه، المفخم لحاله، المعظم لما يستحق من تعظيم ذلك الأسلوب الشائق المتمثل بظاهرة(الإجمال والتَّفصيل).فالنفس إذا جاء الإجمالُ ترقبت وتشوقت لمعرفة تَّفصيله.[٥]

---

[١] ينظر: إرشاد الفحول:١٦٨/١.

[٢] ينظر:م.ن:١٦٨/١.

[٣]ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي. ، والكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة في شروحه :جواد المصطفوي الخرساني .، ونهج البلاغة تعليق وفهرسة. :صبحي الصالح.

[٤] ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة: ٣٠-٤٨.

[٥] ينظر: أطروحة أسلوب التَّفصيل بعد الإجمال وأغراضه في القرآن الكريم، هاني خضر مصطفى، نابلس/ فلسطين: ٢٠١٢م: ١.

ولذة الفهم تلك تكمن في الغوص في معاني النص ومعرفة أسراره ومبانيه ،وكل ذلك مرتبط بإدراك الأساليب البلاغية وفهم مراميها،وأغراضها؛ ليتضح المعنى وتُزال الإشكالات،فتظهر الأشياء روعتها ويصورها بما يستحق من تصوير وتزول الأفهام المخطئة ،ويزول اللثام ،ويتضح المعنى بالتمام.

ولابد في البدء من بسط الحديث عن الإجمال والتَّفصيل ،انطلاقاً من الرغبة في تحديد معناه اللغوي والاصطلاحي، ولا يتم ذلك إلا بتناول الجزيئات تمثيلاً وتعريفاً ليكون واضح الفهم، سهل المخرج،مجلياً عن نفسه.

وبعد استقراء ما ورد عن(الإجمال والتَّفصيل)،فيما راجعت من مظان، كانت الخلاصة على الوجه الآتي:-

الإجمال لغةً:-

قال الخليل (ت١٧٥هـ):أجملت له الحساب ، وأجملت له الكلام، وأجملت في الطلب أي جمعته [١].

وعدَّ ابن فارس(ت٣٩٥هـ): (جَمَلَ) من أجملته: أي حصلته مجتمعاً، وقال تعالى :(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)[٢].

أما ابن سيدة (ت٤٥٨هـ) فقد قال في المجمل: وأجمل في طلب الشيء: اتَّاد واعتدل فلم يفرط، وجمل الشيء: جمعه والجميل:الشحم يذاب ثم يجمل، أي يجمع، وقيل الجميل الشحم يذاب كلما قطر وكف على الخبز ثم أعيد، والجملة: جماعة الشيء، وأجمل الشيء:جمعه عن تفرقة، وأجمل له الحساب ،والجمل :جماعة من الناس.[٣]

من هنا نجد أنّ أصحاب المعجمات قد عبّروا عن لفظة(المجمل) بلفظة الجملة:وهو من الضم ومن الجمع.

---

[١] ينظر:العين:١٤٦/٦.و ينظر :الصحاح:١٦٦١/٤.

[٢] الفرقان:٣٢.

[٣] ينظر : المحكم:٤٥١/٧ـ٤٥٢.، وينظر: المفردات في غريب القرآن:١٢٧/١.، ، وينظر:النهاية في غريب الحديث والأثر:١٦٥.، وينظر: مجمع البحرين:٣٤٢/٥. و ينظر: لسان العرب: ٣٣/١٣ـ٣٥ وينظر: مختار الصحاح:٤٧/١..

ونستخلص ممّا سبق: أنَّ المجمل في اللغة يطلق على الجمع، والضم والتحصيل،وعظم الخلق والقوة،ومنه أجملت الشيء :أي جمعته وهذه جملة الشيء: أي جماعته وأجمله أي حصلته مجتمعاً، وقال تعالى(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)[١]، أي مجتمعاً لا متفرقاً ، وأجمل الشحم أذابه وجمعه ومثله أجمل وأجمله وأجملته ،وأجمل الشيء: جمعه عن تفرقة، وأجتملته حصلته مجتمعاً،وأجملت الحساب جمعت آحاده وكملت أفراده ،وأجمل الحساب: رده إلى الجملة.

الإجمال اصطلاحاً:

الأول: (المُجمل) عند اللغويين:-

لعل المتتبع دلالة المجمل الاصطلاحية يرى أنها لا تخرج عن معنى العموم والإطلاق وينبئ عن حقائق نسبية عامة إذ يرى ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) تحت مصطلح (المشكل) ويقول فيه : هو الذي (لا يمد في نفس الخطاب)[٢]، أي الذي لم يبين (يوضح) في نفس الخطاب، ولكون المجمل غير مبيّن (موضح) لا يفهمه السامع، فقد اندرج عنده تحت باب (المشكل) الذي لا يفهم معناه، وغير موضح فالإجمال عند اللغويين سبب من أسباب الإشكال مَثَلُه مَثَلَ (الاشتراك والغرابة والإيحاء) فهي كلها أسباب إشكال[٣] ،مثل قوله تعالى (أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ)[٤]، فهو مجمل غير مفصل حتى فسره النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بفعله وقوله وتقريره.

---

[١] الفرقان:٣٢.

[٢] - الصاحبي في فقه اللغة: ابن فارس: ٤٢.

[٣] ينظر: م.ن: ١٩١ – ٢٠٧.

[٤]- الانعام : ٧٢.

ويقول ابن فارس في المجمل: هو (الكلام الذي لم يفسر بعد)[١]، ومثَّل له ببيت أبي ذؤيب:

صَخِبُ الشوارب لا يزال كأنه عبد لآل أبي رَبيعَةَ مُسبَعُ[٢].

((فقوله: مَسبعُ ما فسر حتى الآن تفسيراً شافياً))[٣]، وبهذا دخلت اللفظة الإبهام؛ لأنها لم تفسر، فتعد بذلك مجملة على السامع.

ويذكر ابن فارس في الباب نفسه مفهوم المجمل تحت مصطلح (المشتبه)فهو الذي (لا يقال فيه اليوم إلاَّ بالتقريب والاحتمال، وما هو بغريب اللفظ، لكن الوقوف على كنهه مُعتاصٌ، قولنا "الحين" و"الزمان" و"الدهر" و"الأوان"، إذا قال القائل أو حلف الحالف والله لا كلمته حيناً ولا كلمته زماناً أو دهراً، وكذلك قولنا "بضع سنين" مشتبه، وأكثر هذا مُشكل لا يقصر بشيء منه على حد معلوم)[٤].

وعدَّ ابن فارس المجمل في موضع آخر بأنه من جنس المشترك، إذ يقول فيه:(أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر)[٥]، وساق لنا أمثلة كقوله تعالى :(أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ)[٦]، فقوله:(فَلْيُلْقِهِ)مشترك بين الخبر، والأمر، كأنه قال: فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ،(يُلقهِ اليم، ومحتمل أن يكون اليمُّ أمر بإلقائه)[٧].

---

(١)-الصاحبي في فقه اللغة: ٣٧.

(٢)-المفضليات: المفضل الضبي: ٤٢٢/١.

(٣)-الصاحبي في فقه اللغة: ٣٧.

(٤)-م.ن: ٣٦.

(٥)- م.ن: ٢٠٧.

(٦)- طه : ٣٩.

(٧)-الصاحبي في فقه اللغة : ٢٠٧.

وقوله تعالى :(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا)[١]، فهذا مشترك محتمل (أن يكون لله جلَّ ثناؤه ؛لأنه انفرد بخلقهِ، ومحتمل أن يكون خلقتُه وحيداً فريداً من ماله وولده)[٢]. نلحظ من كلام ابن فارس أنه عبّر عن المجمل بـ (المشكل) تارة وبـ(المشتبه) تارة أخرى وبـ(المشترك) تارة ثالثة، وكل هذه الاصطلاحات تعطي فكر ة الإبهام الذي هو أساس المجمل ومعناه. لبيان الشيء المبهم.

وإلى ذلك ذهب أبو هلال العسكري بقوله :(المجمل ما يتناول جملة الأشياء أو ينبئ عن الشيء على وجه الجملة دون التفصيل)[٣]، و (هو ما لا يمكن أن يعرف المراد به خلاف المفسر)[٤].

والناظر لدلالة المجمل عند الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) يجد أنه أكثر وضوحاً وتقنيناً واتصالاً بما هو عليه مدار البحث إذ أنه يرى: (المجمل: هو الكلام الذي لم يبين تفصيله)[٥]، ثم قال: وهو يتحدث عن وضع حد للمجمل : ((الشيء يجب أن تبين حقيقته في نفسه التي بها يتميز))[٦] ، ثم خلص الى حقيقة المجمل هو :((المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير مخلصّة))[٧].

وعرّفه الجرجاني(ت٨١٦هـ): هو (ما خفي المراد منه بحيث لا يدرك بنفس اللفظ إلاَّ ببيان من المُجمِل)[٨]، وأورد السيوطي(ت٩١١هـ) مفهوم المجمل تحت

(١)- المدثر : ٧.

(٢)-الصاحبي في فقه اللغة: ٢٠٨.

(٣)-الفروق اللغوية: ٤٩.

(٤)- م. ن: ٤٩.

(٥)-مفردات غريب القرآن الكريم: ١/ ٢٧.

(٦)-م.ن:: ١/ ٢٧.

(٧)- م. ن: ١/ ٢٧.

(٨)-التعريفات: الجرجاني: ٢٦١.

مفهوم (الألفاظ المشتركة)، اذ يرى (أن الألفاظ تنقسم إلى مشتركة وإلى عامة مطلقة وتسمى متفرقة، وإلى ما هو مفرد بإزاء مفرد)[١]، ويقول السيوطي في موضع آخر: (وضعوا الأسماء المشتركة، فجعلوا عبارة واحدة لمسميات عدة، كالعين والجون واللون)[٢]، وبهذا يضع السيوطي المجمل تحت مفهوم (الأسماء المشتركة). وعرفه الكفوي (ت١٠٩٤هـ): (المجمل لا يوقف على المراد منه إلاّ ببيان من جهة المتكلم)[٣]، وذلك إن الإجمال متحقق بـ (إيراد الكلام على وجه يحتمل أموراً متعددة)[٤]، فلزم إبهام الكلام؛ لأنه متضمن أموراً عديدة فاحتاج إلى تفصيل.

يتبين مما سبق أنَّ (المجمل) عند اللغويين لفظ (مشكل) غير واضح وأنَّ(الإجمال)هو سبب من أسباب (الإشكال)، و هو لفظ لم يفسر ويحتاج إلى تفصيل، ويرى الباحث أنَّ أقرب التعريفات لمفهوم المجمل هو تعريف الكفوي لكونه؛ يحمل على المعنيين اللغويين على سواء، الإبهام أو الاختصار.

الثاني (المُجمَل) عند النحويين:- وجاء المجمل عند النحويين في صدد حديثهم عن التميز.

وحدّه سيبويه(ت١٨٠هـ) بأنه (مبهم يقع على أنواع)[٥]، أي على معانٍ مبهمة عديدة، والتمييز يقال له : المميز، والتبيين، والمبين، والتفسير، والمفسر[٦]. قال الزملكاني (ت ٦٥١ هـ) :((وليس يخفى عليك فائدة التمييز، والقصد به التفرقة بين الأجناس وكشف الاحتمالات كما يفرق الحال بين الهيئات التي وقع عليها الفعل، وله

---

(١)-المزهر في علوم اللغة وانواعها: السيوطي: ٣٨/١.

(٢)- م. ن: ٣٨/١.

(٣)-الكليات: الكفوي:: ١/ ٠٤٢.

(٤)- م. ن: ١/ ٤٢.

(٥)- الكتاب: ٢/ ١٧٢.

(٦)- ينظر: همع الهوامع: السيوطي: ٤/ ٦٢.

من الفخامة في الجملة ما لا يدفع وضوحه، ومما تلائم حسنه من جهة النظم والتأليف)) [١].وعرفه السيوطي بقوله: التميز (هو نكرة بمعنى "مِنْ"، رافع الإبهام جملة أو مفرد عدداً أو مبهم مقدراً)[٢].

فالتمييز إذن يزيل إبهام الجملة وغموضها ويفسرها، ويفيد قطع الاحتمال كما جاء عند قسم عدد من النحاة [٣]، التمييز على قسمين هما:

١- المبين إبهام ذات: وهو الواقع بعد المقادير وشبهها وبعد الأعداد و ما هو فرع له (والمقادير هي الوزن والمساحة والكيل، تقول (اشتريت آقة عسلاً) و (زرعت فداناً شعيراً).

٢- المبين إبهام نسبة: وهو ما يبين إجمال نسبة شيء الى شيء وذلك نحو (حسن محمد خلقاً) و(غزر أخوك علماً) و(الفضة أنقى بياضاً) و(الذهب أغلى ثمناً).

والتمييز للذات أو المفرد يزيل إبهاماً وقع في ذات أو مفرد كقولك: (عندي مثقال ذهباً) فأزالت كلمة (ذهب) الإبهام عن الوزن وحده، أما قولك (حَسُنَ مُحَمَّدٌ خلقاً) فلا يزيل إبهاماً وقع في كلمة وإنما يزيل الإبهام عن (حَسُنَ مُحَمَّدٌ) فهذا يسمى تمييز نسبة[٤].

وقد جاء مصطلح (البدل) في مصنفات النحويّن لتبيين مفهوم الإجمال في المبدل منه المبهم وتفصيله، مما يجنب المخاطب الوقوع في الغموض، فالغرض من البدل هو إيضاح المعنى وإزالة الالتباس عن ذهن المخاطب[٥]؛ (لأن البدل المقصود

---

(١)- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن: ١٢٧.و ينظر: معاني النحو: ٢/ ٧٤٩-٧٥٠.

(٢)-همع الهوامع: ٤/ ٦٢، وينظر: يس: حاشية يس على التصريح: ٣٩٤/١.

(٣)- ينظر: شرح المفصل: ٣٦. وشرح قطر الندى وبل الصدى: ٣٣٤، وجامع الدروس العربية: ٤٦٢،.

(٤)- ينظر: شرح المفصل: ٣٦.

(٥)- ينظر: البرهان في علوم القرآن : الزركشي: ٢/ ٤٦٧،و الاتقان في علوم القرآن: السيوطي: ٢٠.

بالحكم بعد إبهام)[١]، ويؤتى بالبدل قيداً لأحد ركني الجملة أو كليهما لأغراض يروم المتكلم أو المنشئ، قصدها وإيصالها إلى نفس المتلقي.

والبدل على أربعة أقسام[٢]. بدل كل من كل أو ما يسمى بـ"بدل المطابقة"، وبدل بعض من كل وهو بدل تخصيص العام، وبدل الاشتمال، وبدل الغلط و الإضراب أو النسيان أو ما يسمى بـ(المغايرة)، وجاء في حديث النحاة عن (مفهوم الإجمال) أنه (بدل الاشتمال وقولهم هو (بدل شيء من شيء، يشتمل عامله على معناه بطريق الإجمال كأعجبني زيد علمُهُ، أو حسنه، أو كلامهُ)[٣].

وجاء في (شرح الرضي على الكافية): (والفائدة في بدل البعض والاشتمال: البيان بعد الإجمال، والتفسير بعد الإبهام لما فيه من التأثير في النفس، وذلك إن المتكلم يحقق بالثاني بعد التجوز والمسامحة بالأول تقول:(أكلت الرغيف ثلثه) فتقصد بالرغيف ثلث الرغيف ثم تبين ذلك بقوله (ثلثه)، وكذا في بدل الاشتمال، فإن الأول فيه يجب أن يكون بحيث يجوز أن يطلق ويراد به الثاني نحو (اعجبني زيد علمه) و(سلب زيد ثوبه)، فإنك قد تقول (وأعجبني زيد) إذا أعجبك علمه و(سلب زيد) إذا سلب ثوبه على حذف المضاف ولا يجوز أن تقول (ضربت زيداً) وقد ضرب غلامه)[٤].

وأوافق الباحث (سيروان الجنابي)[٥]، في تقسيمه للنسب التي يقع فيها الإجمال وهي (بدل الاشتمال)، و(بدل الكل من الكل).

---

(١)-جواهر البلاغة: ١٦١.

(٢)- ينظر: اللمع في العربية: ١٦٩، وشرح المفصل: ٣/ ٦٢٨، ٦٣١. وشرح جمل الزجاجي: ١/ ٢٥٢ – ٢٥٤، وهمع الهوامع: ٣/ ١٤٧-١٤٩.

(٣)- حاشية الصبان: ٣/ ١٢٥.

(٤)- شرح الرضي على الكافية: ٢/ ٣٨٣.

(٥)- ينظر: الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني، دراسة في الدلالة القرآنية، سيروان عبد الزهرة الجنابي، ديوان الوقف الشيعي، المركز الوطني لعلوم القرآن، ط١، ١٤٢١هـ: ٢٦-٢٧.

أما بدل بعض من الكل فهو من باب تخصيص العام لا من باب تفصيل المجمل؛ لأنه يؤدي وظيفة إخراج بعض ما وقع عليه الحكم من الكل المحكوم ابتداء، فإذا قلت أكلت الرغيف ثلثه، فان لفظة (ثلثه) التي هي بدل بعض قد أخرجت الثلثين الباقيين من الرغيف، وأثبتت الحكم على الثلث المأكول فحسب، وبهذا خصصت بعضاً من العام (الرغيف).

وإلى هذا الوهم ذهب العديد من الباحثين[1]،حينما عدَّوا بدل (البعض من الكل) من الإجمال، وساقوا العديد من الامثلة على ذلك تخصص منها قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)[2].

فنجد إن لفظة (الليل) دالة على العموم لدخول (ال) الجنسية عليها الدالة على الاستغراق والشمول لجنس الليل، فنلاحظ أن هذا العموم مشخص من اللفظ نفسه، وما يعضد كونه عموماً هو مجيء الاستثناء بعد هذه اللفظة وهو من أدوات التخصيص العام فخصص القليل من عموم لفظة (الليل) فهذه اللفظة دلت على العموم بنفسها فاستغرقت جنس الليل دفعة واحدة، من هنا كانت لفظة (قليلاً) وهي مستثنى قد أخرجت من جنس الليل، وأثبتت الحكم على القليل فجنس (النصف أو أنقص من النصف أو زيادة على النصف)، وبهذا خصصت بعض من جنس العام (الليل) ودلالته واضحة في اللفظ فكان العام أوضح من المجمل والمطلق معاً؛ لأنه أقل خفاءً منهما من ناحيةٍ، ويستدل عليه باللفظ العام نفسه من ناحية أخرى.

([1])- ينظر: أسلوب التفصيل بعد الإجمال وأغراضه في القرآن الكريم، هاني خضر مصطفى ابو خضر، اطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين ، ٢٠١٢: ٤٢.

([2])- المزمل: ١- ٤.

الثالث: مفهوم (المُجمَل) عند البلاغيين:-

أشار البلاغيون إلى مفهوم المجمل في مصنفاتهم تحت عنوان "التوجيه والإيهام" ومنهم العلوي في طرازه[١]، ومثاله قول الشاعر[٢]:

يُذكّرُنيك الخيرَ والشرَّ كله   وفيك الحيا والعلم والحلم والجهلُ

فألفاكَ عن مكروهها متنزهاً   وألقاك في محبوبها ولك الفضلُ

فالبيت الأول دال على التوجيه بمعنى أنه يحتمل أن يريد مدحه وأن يريد ذمه ؛لأنّه صرّح بأن فيه الخير والشر وفيه الحلم والجهل، فيحتمل أن يكون المراد مدحه، و ذمه، فلمّا قال بعد ذلك في البيت الثاني وأنه بريء من مكروهها ومنزه عنه، وإنه في محبوبها له الزيادة على غيره من الصفات المحمودة، أزال ما يحتمله الأول من الذم، وأزال توجيهه الذي يحتمله[٣].

وعلى هذا يُعرف التوجيه أنّه :((أن يؤتى بكلامٍ يحتمل معنيين متضادين على السواء كهجاء ومديح ودعاء للمخاطب أم دعاء عليه ليبلغ القائل غرضه بما لا يمسك عليه))[٤].

أما الإيهام الذي يسمى أيضا التورية: فهو (أن يكون للفظ استعمالان قريب وبعيد، فيذكر الإيهام القريب في الحال إلى أن يظهر المراد به البعيد)[٥]، وبهذا يدخل الإبهام في الكلام لدى المتلقي، كقوله تعالى :(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

---

(١)-ينظر :التلخيص في علوم البلاغة: ٣٨٤ ،و ينظر : الطراز ٣/ ٥٦،.

(٢)- ديوان مسلم بن الوليد: ١١٧

(٣)- ينظر: الطراز: ٣/ ٥٧.

(٤)- جواهر البلاغة: ٢٩٤، وينظر: علوم البلاغة: ٤٠٥، وشرح التلخيص: ٤/ ٤ .

(٥)- مفتاح العلوم: ٢٠١، وينظر: عروس الافراح: ٢/ ٢٤٣.

اسْتَوَى)[١]، فللاستواء معنيان أحدهما: الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المؤدى به وهو غير مقصود؛ لأن الحق تعالى منزه عن ذلك، والآخر: الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي وري عنه بالقريب المذكور[٢] ،وبهذا كان في إطلاق البلاغيين لتلك التسميات نصيبٌ من المجمل.

ولعلك تجد مفهوم(المجمل) أكثر وضوحاً واتصالاً بدلالته موازنة بغيره من العلماء وهو ما يراه العلوي بوضعه مفهوم (المجمل) تحت مصطلح الإبهام، فيقول عنه: (ما يرد مبهماً من غير تفسير ووروده في القرآن كثير.. كقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)[٣]، فأبهمه أولاً ثم فسره بقوله : (بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)، ففي إبهامه في أول الأمر وهلة، ثم تفسيره بغير ذلك تفخيم للأمر وتعظيم لشأنه، وقوله تعالى :(وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ)[٤]، ثم فسره بقوله (أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ).

وبهذا ساق العلوي العديد من الأمثلة القرآنية، وأحاديث السنة النبوية الشريفة، فضلاً عن كلامٍ لأمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) (عليه السلام) وقد استحسن بلاغة الإمام وأثارت إعجابه في الإبهام، مبيناً ذلك بقوله :(هذا الكلام من الإعجاب ما لا يطلع عليه إلاَّ الخواص، ولا يحيط بأسراره إلاَّ كل غواص وبحار، السامع له من أي شيء يعجب منه، هل من فصاحة لفظه، أو بلاغة معناه، أو من حسن سبكه، أو من دقة مغزاه)[٥]، وتنبه العلوي على أنّ من المجمل ما يبقى على إجماله دون تفصيله، كقوله تعالى :(فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ)[٦]، فإن الله عزَّ وجل أبهم فيها

---

(١)- طه: ٥.

(٢)- ينظر: علوم البلاغة: ٣٨٣، ومواهب المفتاح: ٢/ ٥٨٩.

(٣)- البقرة: ٢٦.

(٤)- الحجر: ٦٦.

(٥)- الطراز: ٢/ ٤٢.

(٦)- طه: ٧٨.

الأمر غشيها، ولم يخصه بجهة دون جهة، وهذا لا محالة يكون أبلغ؛ لأن الإنسان يرمي به خاطره فيه كل مرمى، ويذهب به كل مذهب، ذلك أنّ (الإبهام) ـ أولاً ـ يوقع السامع في حيرة واستفهام لما قرع سمعه فلا تزال نفسه تنزع إليه وتشتاق إلى معرفته والاطلاع على كنه حقيقته، ألاَّ ترى أنك إذا قلت: هل أدلك على أكرم الناس أباً، وأفضلهم فعلاً ،وحسباً، وأمضاهم عزيمةً، وأنفذهم رأياً ثم تقول: فلان، فإنّ هذا وأمثاله يكون أدخل في مدحته مما لو قلت: فلان الأكرم الأفضل الأنبل [١]، وكل ذلك يؤكد في نفسك أعظم البلاغة في الكلام إذا أبهم أولاً ،ثم أنه فسر ثانياً[٢].

وقد عد العلوي الإجمال من (الألفاظ المشتركة) وهي (اللفظة الواحدة الدالة على أزيد من معنى واحد مختلفة في حقائقها على الظهور وبوضع واحد)[٣]، وبهذا يكون المجمل هو اللفظ الدال على أكثر من معنى مع تباين المعنى ووحدة اللفظ.

ونجد ذكر مصطلح المُجمل في تقسيم البلاغيين للتشبيه على أساس الشبه ووجهه فكان (التشبيه المفصل: وهو التشبيه الذي ذكر فيه وجه الشبه)، و(المجمل: وهو التشبيه الذي حذف فيه وجه الشبه)[٤]، حيث حذف وجه الشبه في التشبيه المُجمل (يدعو المرء الى التفكير في الصفة أو في الصفات المشتركة التي جعلت المشبه مماثلاً للمشبه به مما يضفي على الصورة لوناً من الغموض والإيحاء يبعدها عن مدى الظاهر ويفسح المجال للتخييل والتصور)[٥]، ولا سيما إذا كان المشبه به ذا صفات متعددة يقتضي اكتشاف المشترك منها مع المشبه، أو أن الشبه بينهما غير بيّن لا يتحصل إلاَّ بضربٍ من التأول[٦].

---

(١)-ينظر: الطراز: ٢/ ٤٢.

(٢)- ينظر: م. ن: ٢/ ٤٢

(٣)- الطراز: ٢/ ٨٣.

(٤)- علم أساليب البيان: ١٤٧.

(٥)- ينظر: م.ن: ١٤٧.

(٦)- ينظر: علم اساليب البيان: ١٥٠.

وقد آثر علماء البلاغة القدماء والمحدثون التشبيه(البليغ) المحذوف الأداة والوجه معاً ؛ لأنه (أبلغ من التشبيه المظهر وأوجز)[١]، وجعله السكاكي في المرتبة الثالثة من مراتب التشبيه قائلاً : (وثالثها: ترك علمه التشبيه كقولك : زيد أسد في الشجاعة، وفيها نوع قوة)[٢].

ومضى المحدثون مع ما مضى إليه القدماء فذهبوا إلى أن التشبيه المحذوف الأداة أقوى وأشد تمكناً ؛لأن الأداة توحي بوجود طرفين أحدهما يُشبه الآخر في بعض الأوجه، أما حذف الأداة فيوحي بأنّ الطرفين قد بلغا درجة التعادل في التشابه في العلاقة وكأن الأداة عائق أمام هذا التواشج والاتصال[٣]. وبهذا تكون (الجملة أسبق دائماً إلى النفس من التفصيل)[٤]، ألا ترى أنّ الرؤية لا تصل في أول أمرها إلى الوصف على التفصيل لكن على الجملة ثم على التفصيل؟ ولذلك قيل النظرة الأولى حمقاء وفلان لم ينعم النظر، وكذلك الشأن لسائر الحواس، فإنه يُدرك من تفاصيل الصوت والذوق والشم واللمس في المرة الثانية ما لم يُدرك في المرة الأولى فترى الشيء يسبق دائماً إلى الذهن إجمالاً أمَّا التفاصيل فمغمورة في الإجمال لا تحضر ولاتنكشف إلاَّ بعد إعمال الرؤية[٥].

أما القزويني فقد ذكر أنَّ المجمل بأنّه (هو ما لم يذكر وجهه)[٦]، فمنه ما هو ظاهر يفهمه كل أحد حتى العامة كقولنا: زيد أسد إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها، ومنه ما هو خفي لا يدركها إلاَّ من له ذهن يرتفع

---

(١)- المثل السائر: ١/ ٣٧٧.

(٢)- مفتاح العلوم: ١٦٨

(٣)- ينظر: علم أساليب البيان: ١٥٤، وينظر: فلسفة البلاغة: ٤٥.

(٤)- علم البيان: ٧٠.

(٥)- ينظر: م. ن: ٦٩.

(٦)-الايضاح(القزويني): ١٤٢.

عن طبقة العامة[١]، كقول فاطمة بنت الخرشب عندما سُئلت عن بنيها أيهم أفضل؟ فقالت: "عمارة"، لا بل فلان، لا بل فلان، ثم قالت: ثكلتهم أن كنت أعلم أيهم أفضل، هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها، فمعنى ذلك أن أبناءَها لتناسب أصولهم وفروعهم وتساويهم في الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلاً وبعضهم أفضل منه، وبسبب تناسب أجزاء الحلقة المفرغة وتساويها يمتنع تعيين بعضها طرفاً وبعضها وسطاً، إذن تشبيه أبناء الخرشب بالحلقة المفرغة تشبيه مجمل ووجه الشبه محذوف هو تعذر بل (استحالة تعيين أولية ،أو أفضلية، أو أشياء متناسبة متساوية، أو هو التناسب المانع من تمييز يصح معه التفاوت)[٢].

أما ما ذكره الطيبي في معرض كلامه عن المجمل فهو :(نوع توهم للتجوز فيؤتى بكلام آخر وفقاً له وتقريراً للمراد)[٣]، ويقصد بـ(التجوز) قابلية الكلام على الانفتاح على أكثر من معنى، أو هو عبارة عن (نوع خفاء فيقصد إلى إيضاحه)[٤]، وقد يكون في الكلام الذي فيه (نوع تقصير فيها بنظم أوفى منه)[٥]، أي معنى واسع التعبير عن دلالته المبتغاة. وأخلص مما تقدم أنَّ (المُجمل) عند البلاغيين قسمان: منه ما هو ظاهر يفهمه كل أحد حتى العامة، ومنه ما هو خفي لا يدركه إلاَّ من أرتفع عن طبقة العامة وهذا ما جاء في ضوء تقسيمهم للتشبيه المُجمل المحذوف الأداة.

---

(١)- ينظر: علم البيان :عتيق: ٦٩.

(٢)-ينظر:م.ن: ٦٩.

(٣)-التبيان :الطيبي: ١٣٧.

(٤)-ينظر: م.ن: ١٣٧.

(٥)- م. ن: ١٣٨.

الرابع: (المُجمل) في اصطلاح المفسرين:-

عرفه الجصّاص الحنفي (ت ٣٧٠ هـ) بأنّه (هو الذي لا يلزم استعماله بورود اللفظ)[١]، وعرفه الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، وهو (ما لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلاً)[٢]، ونظير ذلك نجده عند الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)[٣].

أما الراغب الأصفهاني فقد عرّفه بقوله :(إنّ حقيقة المُجمل هو المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير مخلصة)[٤]، فهو من جنس الكلام الذي خفي بيانه وتفصيله للمتلقي لتشابك المعاني فيه دون قدرة على تخليص معنى دون آخر. وعرّفه القطب الراوندي (ت ٥٧٣هـ) بأنه (ما لا يفهم المراد بعينه بظاهره)[٥]. وقد خلط الرازي (ت ٦٠٦هـ) بين مصطلح(المجمل) و(المتشابه) فالمجمل هو :(اللفظ الذي جعل موضوعاً لمعنى، وكان محتملاً لمعنى آخر وتساوى الاحتمالان فهذا هو المجمل)[٦].أما المتشابه فيقول عنه:(أما المتشابه وهو الذي أسميناه المُجمل وهو ما يكون دلالة اللفظ بالنسبة إليه وإلى غيره على السوية، فإن دلالة هذه الألفاظ على جميع الوجوه التي تفسر هذه الألفاظ بها على السوية)[٧]، إنّ المُجمل يختلف عن المتشابه في جملة وجوه، وأن اتفقا في أنهّما من جنس اللفظ المبهم، فالمتشابه هو

---

(١)-أحكام القرآن: ١/ ٣٣٣.

(٢)التبيان: الطوسي: ١/ ٥.

(٣)- الطبرسي: مجمع البيان: ١/ ٤٠.

(٤)-المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصبهاني: ١/ ٩٨.

(٥)فقه القرآن: الراوندي: ٢/ ٨٢.

(٦)-التفسير الكبير: الرازي: ٧/ ١٤٦.

(٧)- م. ن: ٧/ ١٤٧.

(لفظ خُفيت دلالتهُ وتعذرت معرفته، ولم تقم قرائنُ تدل عليه، أي لا يظهر له معنى من اللفظ، ومن أي طريق آخر من طرق الدلالة)[١].

ومن المُتشابه قوله تعالى :(الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)[٢]، فنجد أنّ (الم) من الألفاظ المتشابهة التي اختلف العلماء في معانيها كما اختلفوا في معاني الحروف المناظرة لها في أوائل السور.

ويتفق القرطبي (ت٦٧١هـ) مع السابقين في تعريفه للمجمل فيقول:(ما لا يفهم المراد منه)[٣]. وأنه (ما كان يفتقر إلى البيان)[٤].

ويساير السيوطي (ت ٩١١هـ) القرطبي في ظاهر قبوله (الغموض وعدم الوضوح) فيعرف المُجمل بأنه: (ما لم تتضح دلالته)[٥]، ونسب السيوطي إلى أحدهم أن المُجمل (هو اللفظ الذي لا يفهم المراد منه)[٦]، وعرفَّ السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) إجمال اللفظ :(هو كونه بحيث يختلطُ، ويندمج بعض جهات معناه ببعض، فلا ينفصل الجهة المرادة عن غيرها ويوجب ذلك تحير المخاطب، أو السامع عن تشخيص المراد)[٧].أما المحدثون فالدكتور صبحي الصالح [٨].

([١])-التصور اللغوي عند الاصوليين :لعبد الغفار(النحوي): ١٦٢.

([٢])- البقرة: ١-٢.

([٣])- الجامع لأحكام القرآن: ٢/ ٢١٧.

([٤])- م. ن: ١/ ١٧٣.

([٥])- الإتقان: ٢/ ١٨.

([٦])- م. ن: ٢/ ١٨.

([٧])- الميزان: ٣/ ٣٣-٣٤.

([٨])- ينظر: مباحث في علوم القرآن: ٣٠٨.

تابع السيوطي في تعريفه [١].قائلاً: (هو بعبارة أوضح ما له دلالة على أحد أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه)[٢]، وهذا التعريف للآمُدي أيضاً[٣].وزاد الصالح في موضع آخر من كتابه رأياً آخر في المجمل :(وفي إجمال النص ضرب من الغموض الناشئ عن تردد المجمل بين أمرين. لا يلبثُ أن يزول)[٤].

ويذهب الدكتور نصر حامد أبو زيد إلى أن المُجمل هو (الذي يتساوى فيه معنيان يصعب ترجيح أحدهما)[٥].

يستنتج الباحث مما تقدم من تعريفاتٍ للمفسرين أن المُجمل هو ما لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلاً، فهو مشتمل على جملة أشياء كثيرة غير مخلصة، ولهذا فهو مبهم لا يفهم المراد منه ويحتاج إلى توضيح المتكلم وإفهامه السامع ليبدو واضحاً مبيناً لمعناه.

الخامس: (المُجمل) عند الأصوليين:-

لقد كان علماء الأصول أكثر أتساعاً وأوفر حظاً لمفهوم المجمل وذلك لشدة عنايتهم بدلالة الألفاظ، قال عنه ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) :(لفظ يقتضي تفسيراً فيؤخذ من لفظ آخر)[٦].

أما عند الباجي فهو (ت٤٧٤هـ):(ما لا يفهم المراد من لفظه لوقوعه على أجناس متباينة مختلفة، فلا يمكن امتثال الأمر به إلاّ بعد بيانه)[٧]، وحدّه

(١)- ينظر الإتقان: ٢: ١٨.

(٢)- مباحث في علوم القرآن: ٣٠٨.

(٣)- الإحكام في أصول الأحكام: ٣/ ٨.

(٤)- مباحث في علوم القرآن: ٣٠٩.

(٥)- مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن: ١٨٠.

(٦)- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم: ١/ ٣٩.

(٧)- الحدود في الأصول: ٤٥.

السرخسي(٤٩٠هـ): (هو لفظ لا يفهم المراد منه إلاَّ بالاستفسار من المُجمِل وبيان من جهته يعرف به)[١]، وهذا الشرط يعد أساساً لبيان مفهوم المُجمل.

وهذا التعريف يقترب كثيراً من مفهوم المُجمل، على حين حدّه الغزالي(ت٥٠٥هـ) بأنه :(اللفظ الصالح لأحد معنيين الذي لا يتعين معناه إلاَّ بوضع اللغة ولا بعرف الاستعمال)[٢]. و هذا التعريف قيّد المُجمل على أحد معنيين، في حين أنّه يدّل على معانٍ عدة.

وقال الرازي(٦٠٦هـ)عن المُجمل :(وهو ما أفاد شيئاً من جملة أشياء وهو متعين في نفسه، واللفظ لا بعينه، ولا يلزم عليه قولك "اضرب رجلاً" ؛لأن هذا اللفظ أفاد ضرب رجل، وهو ليس متعيناً في نفسه، فأي رجل ضربته جاز، وليس كذلك اسم "القرء" ؛لأنه يفيد إما الطهر، وإما الحيض – وحده – واللفظ لا يعينه، وقوله تعالى :(وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ)[٣]، يفيد وجوب فعل متعين في نفسه غير متعين بحسب اللفظ)[٤].

وفي المثال الذي ساقه الرازي "اضرب رجلاً" فإنّ لفظة "رجل" تحتمل الإجمال والإطلاق؛ لأنّها تدل على ماهية شائعة بين أفراد جنسها مبهمة لا حدود واضحة فيها تميزها وتحددها وتفردها عن غيرها، وإنما هي متعينة بنفسها من حيث التطبيق فحينما يقوم المخاطب بضرب رجلٍ سوف يتعين الرجل الذي ضربه تحديداً، وبذلك ستكون لفظة "رجل" متعينة بـ"التطبيق" لا باللفظ، وكذا بالنسبة للفظة "الصلاة" فهي غير متعينة من حيث اللفظ؛ لأنها عند العرب تدل على معنى الدعاء، غير أن ملامح هذا الدعاء وأصوله التطبيقية التي يبتغيها سبحانه من هذه اللفظة

---

(١)- أصول السرخسي: ١/ ١٦٨.ومفهوم النص، دراسة في علوم القرآن: ١٨٠.و أصول الشاشي: ١/ ٨١.

(٢)- المستصفى في علم الأصول: ٢٦٩-٢٧٠. وينظر: الإحكام في أصول الأحكام للامدي: ٣/ ١٣، وينظر: إرشاد الفحول: ١٦٧.

(٣)- البقرة: ٤٣.

(٤)- المحصول في علم الاصول: ٣/ ١٥٣.

غير واضحة لديهم في اللفظ نفسه وإنما هي معروفة من (الأداء) أي تطبيق الصلاة نفسها، فلا يسع المرء معرفة أي نوع من أنواع الدعاء هو الذي يريده سبحانه إلاَّ بالتطبيق فمعنى الحدث العام وهو (الدعاء) والأداء مجهول فصله الرسول محمد "صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله : بعد أن أدى الصلاة أمام الناس: (صلوا كما رأيتموني اصلي)[١]، وكذا لفظة (رجل) فالمعنى العام لها مفهوم لكنها غير متعينة باللفظ[٢]. ومن الآيات المجملة التي تناولها الأصوليون قوله تعالى :(أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ)[٣]، فالآية مجملة بسبب حمل (الذي بيده عقدة النكاح) على (الزوج ،أو الولي)[٤].

وقال عنه السيد ابو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ) إنه :(اسم لما يكون معناه مشتبهاً، وغير ظاهر فيه)[٥]، أي كل لفظ غير ظاهر في معناه ولا كاشف عنه بالذات أو الغرض فهو مُجمل، وحدّه البزدوي المُجمل بأنه :(ما ازدحمت فيه المعاني واشتبه المراد اشتباهاً لا يدرك بنفس العبارة بل بالرجوع إلى الاستفسار ثم الطلب ثم التأمل)[٦].

ويبدو مما تقدم: أن الأصوليين قد تعمقوا في بسطهم لمفهوم المُجمل وجاءت تعريفاتهم متقاربة، فقد عرّفه بعضهم: بأنه ما احتمل وجوها لا يعرف إلاَّ ببيان من قبل المتكلم[٧]، ومنهم من عرفه أنه لفظ يقتضي تفسيراً فيؤخذ من لفظ آخر[٨]، وقيل

---

(١)-صحيح البخاري :البخاري: ١/ ٢٢٦.

(٢)- ينظر: الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني: ٣٩.

(٣)- البقرة: ٢٣٧.

(٤)- اثر الإجمال والبيان: ٥٠/١.

(٥)- محاضرات في الأصول: ٥/ ٣٦٨.

(٦)- كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام: ٣/ ٨٦.

(٧) ينظر: أصول الشاشي: ٨١/١.

(٨) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام الآمدي: ٣٩/١.

ما عرف معناه من غيره، ومع هذه الترددات في حدّ المجمل، فإننا لا ننسى دورهم وجهدهم الذي بذلوه في تحديد هذا المصطلح، فضلاً عن فهمهم النصوص القرآنية المجملة لأحكام المعاملات الدينية ، وتنزيل حكمها على وفق أُسس الشريعة ومقاصدها.

السادس: (المجمل) عند أهل المناطق:-

وضع علماء المنطق مفهوم (المُجمل) تحت مصطلحي (الاشتراك والمنقول)،فنجد عبد الهادي الفضلي يعرف المشترك بقوله :(اللفظ الذي له عدة معاني مثل عين وجون)[١].وأما المنقول فقد حدّه بقوله :(اللفظ الذي وضع لمعنى ثم استعمل في معنى آخر لوجود مناسبة بين المعنيين، وهجر استعماله في المعنى الأول الذي وضع له مثل الصلاة)[٢].

أما السيد رائد الحيدري فقد قال في المشترك :(هو اللفظ الذي تعدد معناه وقد وضع للجميع كلاً على حده، ولكن من دون أن يسبق وضعه لبعضها على وضعه للآخر مثل (عين) الموضوع لحاسة النظر وينبوع الماء والذهب وغيرها، مثل (الجون) الموضوع للأسود والأبيض، والمشترك كثير في اللغة العربية)[٣]، ويقول في المنقول هو اللفظ الذي تعدد معناه وقد وضع للجميع كالمشترك ولكن يفترق عنه بأن الوضع لأحدهما مسبوق بالوضع الآخر مع ملاحظة المناسبة بين المعنيين في الوضع اللاحق مثل لفظة (الصلاة) الموضوع الأول للدعاء ثم نقل في الشرع الإسلامي لهذه الأفعال المخصوصة، من قيام و ركوع وسجود ونحوها، ومثل لفظة (الحَجُّ) الموضوع أولاً للقصد مطلقاً، ثم نقل لقصد مكة المكرمة بالأفعال المخصوصة والأوقات المعينة.. وهكذا أكثر المنقولات في عرف الشرع وأرباب

---

(١) خلاصة المنطق: ٢٠.

(٢) - م. ن: ٢٠.

(٣) - المقرر في شرح منطق المظفر: ١/ ٥٩، وينظر: تقريب التهذيب: ٣٩- ٣٨.

العلوم والفنون، ومنها لفظة السيارة والطائرة والهاتف والمذياع ونحوها من مصطلحات هذا العصر [١].

وقيل المشترك ما يحتاج إلى قرينة؛ لأنه وضع لجميع المعاني بنسبة واحدة، ومرتبة واحدة، كالقرء للحيض والطهر، والعجوز للمسن من الرجل والمرأة، أما المنقول فهو لا يحتاج إلى قرينة إلاَّ إذا هجر معناه الأول؛ لأن هذا الهجر وحده يشكل قرينة على إرادة المعنى الثاني، ومعظم العلماء يشترط هجر المعنى الأول في المنقول فلا يحتاج إلى القرينة أصلاً كالخمس في علم الفقه، والفعل في النحو، والمنطق في علم المنطق[٢].

ويتضّح ممّا سبق أن (المشترك والمنقول) هما مصطلحان يعنيان بالأصل (المُجمل) عند المناطقة، فالمشترك هو ما وضع لكل معنى من معانيه بوضع خاص كلفظة (عين)* التي تصل إلى أربعين معنى، وأمّا غير المشترك فهو ما لم يوضع لكل واحد من المعاني بل وضع لواحد منها واستعمل في غير ذلك المعنى الموضوع له وبهذا صار متكثراً لمعنى كالحقيقة والمجاز، والمنقول هو ما كان متكثر المعنى وغير مشترك وقد وضع لواحد من المعاني ثم استعمل في معنى آخر، واشتهر في المعنى الثاني غير الموضوع وهو على ثلاثة انواع[٣].

١- المنقول الشرعي: وهو ما كان ناقله الشرع كالصلاة وضعت أولاً للدعاء ثم نقلها الشرع للعبادة.

---

(١)-ينظر: المقرر في شرح منطق المظفر: ٥٩، وينظر: المنطق التوجيهي: ١٣.

(٢)- ينظر: علم المنطق بين السائل والمجيب: ١٢٩.

* (عين): وضعت للباصرة ، وللنابغة وللركبة وللذهب والفضة وغير ذلك. ينظر لسان العرب: ١٧/ ١٧٥ـ ١٨٥.

(٣)- ينظر: م. ن: ١٣٥.

٢- المنقول العرفي: هو ما كان ناقلة أهل العرف – عامة الناس – مثل (دابة) فإنها و ضعت لغة "كل ما يدب على(الأرض) ثم استعملها الناس في الحجاز واشتهرت وترك المعنى الأصلي لها.

٣- المنقول الإصطلاحي: هو ما كان الناقل جماعة خاصة كالنحاة أو المناطقة أو الفقهاء وامثالهم ويسمى ذلك بالعرف الخاص مثل الطهارة، فإنها وضعت لغة للنظافة، ونقلها الفقهاء إلى الوضوء والغسل والتيمم[١].

المفهوم المتكامل للمجمل:-

بعد أن عرضت ما امكنني الوقوف عليه من التعريفات الاصطلاحية لمفهوم المجمل، نخرج بمفهوم نحسبه جامعاً.

المجمل باللفظ:

هو لفظ غير واضح مبهم تتردد فيه جملة من المعاني تحتاج إلى ما يفصل تلك المعاني ويفسرها إلى السامع.

مفهوم المجمل بالتركيب:

وهو ما أُبهمت فيه النسبة بين المسند والمسند اليه أو ما خفي القصد منه، وكانت دلالته مترددة بين جملة معانٍ تحتاج الى ما يفصلها ويفسرها إلى السامع.

وتنقسم إلى:

١- مفهوم الإجمال في النسبة: وهو ما يبين إجمال نسبة شيء إلى شيء، كقوله تعالى :(وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا)[٢]، فنجد أنّ النسبة في التفجير مبهمة، وإن كانت واضحة من حيث تسلط حدث التفجير على الأرض، إلاَّ أنّ جهة هذا التفجير هي المجملة،

---

(١)- ينظر: تجديد علم المنطق: ٢٩ .

(٢)- القمر: ١٢.

فتحتمل دلالات كثيرة، لذا جاء سبحانه بـ (عُيُونًا) فأوضح مسألة التفجير (عُيُونًا نصب على التمييز) ، وهذا فيما يخص التمييز.

٢ـ أما الإجمال في بدل الاشتمال فهو (بدل شيء من شيء يشتمل عامله على معناه بطريقة الإجمال (كأعجبني زيد علمه) أو(حسنه أوكلامه) أو (سرق زيد ثوبه) فيبقى (أعجبني زيد) و(سرق زيد) مجملاً من نسبة الإعجاب والسرقة إلى زيد فيتضح الإجمال وينكشف تفصيلاً بمجيء البدل)(١).

٣ ـ مفهوم الإجمال في مضمون الجملة:ـ

وهي الجملة الاسمية والفعلية أو ما قام مقامها مع قيود الجملة وتبدو كلها غامضة مبهمة مجملة فتحتاج إلى ما يفسرها ويفصلها إلى السامع كقوله تعالى :

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)(٢).

فالجملة المبهمة هي (يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ)، وبيّن الله تعالى هذا الإجمال وفسره بقوله :(فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ)، وبذلك فصَّل الله سبحانه وتعالى معنى (يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) وهي العبادة المشروطة بالعوض الدنيوي السريع، فإن لم يتحقّق العوض على وجه السرعة يحدث الارتداد عن العبادة إلى الكفر بها(٣)، فكانت العبادة من هنا قائمة على أساس الربح والخسارة، فالاستمرار عند الإفادة، والهجران عند فقدان الإفادة.

ولا بد من الإشارة إلى أنَّ المجمل يلتقي مع المطلق والعام من حيث دلالة الإبهام التي تعد الأساس الأمثل والقاسم المضموني المشترك بين هذه الظواهر اللغوية

---

(١)- حاشية الصبان:٣/١٢٥.

(٢)- الحج:١١.

(٣)- ينظر: الكاشف: ٥/ ٣١٤

جميعاً، سواء أكان ذلك على مستوى الخطاب الإلهي المعجز، أم على مستوى الخطاب البشري المتداول، ويتوافق المجمل أيضاً مع المطلق والعام في تعبيرهم عن المعاني الكلية، لا الجزئية وبهذا تحمل هذه الأصناف الثلاثة مشروعية(الاستغراق) فضلاً عن حاجة كل منهم إلى (البيان) والوضوح سواء على مستوى الإفراد أو التركيب، ولهذا وجب علينا أن نفرق بين كل واحد منهم على حدة لتعرف دلالة المعنى المقصود لكل لفظ وكيفية العمل به

الافتراق بين الإجمال والإطلاق والعموم:

المجمل: هو اللفظ المبهم الذي خفي القصد منه فترددت فيه جملة معانٍ متباينة تتكافأ في الدلالة عليه على حدٍ سواء فلا مزية لإحداها على الأخرى.[١] كقوله تعالى: (لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ)[٢]، وجاءت هنا لفظة (نَصِيبٌ) مجملة فأبهم المراد منها ولم يستطع المفسرون أن يُفصلوا هذا المجمل بأكثر من عبارة ترددت لديهم وهي(أن النصيب هو الحظ والسهم)[٣]، وهذا لا يشفي غليلاً ولا يزيل الغموض الكامن في هذه اللفظة المجملة قد دخلت في الإبهام من حيث المعنى أصالة، ومن حيث اللفظ تبعاً لعدم وجود ما يوضح مفهوم لفظة(نَصِيبٌ) في النص، فهي لا يراد بها ماهية شائعة حتى يصلح أن يعطى الرجل أو المرأة أي شيء يمكن أن يطلق عليه لفظة(نَصِيبٌ)، ولا تدل على مجموعة ماهيات تدفع مرة واحدة حتى يكون اللفظ عاماً، لذا بقيت هذه اللفظة مجملة حتى جاء قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)[٤]، وبذلك (ذكر عقيب هذا المجمل هذا المفصل)[٥]، ليدفع به إبهام المجمل.

---

[١] ينظر: مختصر المنتهى الأصولي: ١٠٣ ـ ١٠٤. وإرشاد الفحول: ١١٣، والصاحبي في فقه اللغة: ٢٠٩.

[٢] النساء:٧.

[٣] الميزان: ١٢/٤.

[٤] النساء:١١.

[٥] التفسير الكبير: ١٦٥/٩.

أما مفهوم المطلق: فهو لفظ دال على ماهية شائعة في جنسها، ومشتركة بين عدة أنواع، يصلح لأن يفهم منه أي واحد منها على سبيل(الانطباق) البدلي، ما لم يرد عليه قيدُ يقلل من شيوعه ويحددُ المعنى المراد من المتكلم.[(١)] فمثلاً في قوله تعالى: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا)[(٢)]، نجد أن اللفظ المطلق فيه هو قوله(رَقَبَةٍ) وهذه اللفظة من حيث المفهوم واضحة؛ لأن الرقبة لفظة معروفة، بيد أنها وردت مطلقة المعنى في الآية المباركة وجاءت نكرة في سياق الإثبات فدلت على (البدلية)، فالإطلاق دخل في معنى هذه اللفظة من حيث إن لك أن تحرر أيَّ رقبة شئت بدل الأخرى؛ لأنها ستفي بأداء الحكم، فواحدة من ماهيات الرقاب تجزي عنك، وليس عليك تحرير الرقاب بالاستغراق جميعاً، فإذا أعتقت رقبة لا تعتق معها غيرها ومن هنا كان الإطلاق في المعنى لا باللفظ.

أما العام: فهو اللفظ الموضوع وضعاً واحداً للدلالة على جميع ما يصلح له من الأفراد على سبيل الشمول والاستغراق من غير حصر في كمية محددة منها.[(٣)] وقيل: ما دل على أكثر من واحد[(٤)]. ومنه قوله تعالى: **(وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)[(٥)].** فنجد أن لفظة(الإنسان) دالة على العموم لدخول (ال) الجنسية عليها الدالة على الاستغراق والشمول للجنس، فنلحظ أن هذا العموم مشخص من اللفظ نفسه، وما يعضد كونه عموماً هو مجيء الاستثناء بعد هذه اللفظة وهو من أدوات التخصيص للعام فخصص به غير الخاسر من عموم لفظة(الإنسان) فهذه اللفظة دلَّت على العموم بنفسها فاستغرقت جنس الإنسان دفعةً واحدة، فهي تتناول كل الإنسان بالاستغراق الشمولي لا البدلي أو التكافئي. ومن هنا كانت دلالة العموم واضحة في

(١) ينظر: منهاج الوصول إلى علم الأصول: ١٢٧/٢.، وميزان الأصول: ٥٦٣/١.

(٢) القصص:٣.

(٣) ينظر: مختصر المنتهى الأصولي:١٠٣ـ ١٠٤. والصاحبي في فقه اللغة: ١٢٧.

(٤) ينظر: المستصفى في علم الأصول:١١/٢ـ ١٢.

(٥) العصر: ١-٣.

اللفظ فكان العام أوضح من المجمل والمطلق معاً؛ لأنه أقلُ خفاءً منهما من ناحية، ويستدل عليه باللفظ العام نفسه من ناحية أخرى.

وتأسيساً على هذا المفهوم يدل على أن المجمل تكافئي في تحمله للمعاني دون تمييز أو ترجيح، والمطلق بدلي يتلقى ماهية واحدة شائعة في أفرادها، والعام شمولي لجميع الماهيات.

التفصيل لغة:-

قال الخليل (ت ١٧٥هـ) الفصل: (البون بين الشيئين) [١]. وقال الجوهري (ت ٣٩٣ هـ):(فصلت الشيء، فانقطع أي قطعته فانقطع ، وعقدٌ (مُفَصلٌ): أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة، و(التفصيل): التبيين)[٢]. وقال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) (الفصل) :(تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه يقال: فصلت الشيء فصلاً، أي ميزته وابنته وسمي اللسان (مفصلاً)؛ لأنه به تُفَصل الأمور وتميَّز)[٣].

استنتج مما سبق إن (المفصل) في اللغة: هو إبانة أحد الشيئين من الآخر وهو مأخوذ من (التبيين) وهو من باب (ضرب – يضرب) ومعناه قطع، وأيضاً من باب (جلس – يجلس) ومعناه خرج، كقوله تعالى (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ)[٤]، أي يوم يفصل فيه بين المحسن والمسيء ويجازي كل بعمله وبما يتفضل الله به على عبده المسلم، وقوله تعالى :(إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ)[٥]، أي قول فيه قطع الحق فيه من الباطل وابانته، وقوله تعالى :(آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ)[٦]، أي: مبينات، وقوله تعالى :(وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ

---

(١)- العين: ١/ ٤٩٢.

(٢)- الصحاح: ٤/ ١٧٩١.

(٣)-ينظر : معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٥٠٥. وينظر: المحكم: ٨/ ٣٢٩-٣٣٠.، و ينظر: مفردات غريب القرآن الكريم: ٢/ ٤٩٢. ،و ينظر: مختار الصحاح: ٤/ ١٧٩١.،و لسان العرب: ٤/ ٣٥. وينظر: القاموس المحيط: ٩٩١ – ٩٩٢.

(٤)- الصافات: ٢١.

(٥)- الطارق: ١٣.

(٦)- الاعراف: ١٣٣.

تَفْصِيلاً)[١]، أي كل شيء بينه الله عزَّ وجلَّ وفصله في كتابه العزيز. وبهذا يكون المفصل معناه التبيين، أو القطع والظاهر، والتفريق والحجز والإبانة والتمييز والخروج، والفصل، واللسان.. وغيرها من الألفاظ التي تدل على الإبانة، والقطع، والكشف.

التفصيلُ اصطلاحاً:-

الأول: (المفصل) عند اللغويين:-

لقد كان للغويين مقولات في مفهوم التفصيل ومنهم ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) فيقول: وإما "التفسير، فأنه "التفصيل" كذا قال ابن عباس في قوله جلَّ ثناؤه : (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)[٢]، أي: تفصيلاً، فكان التفصيل هنا وجهاً من وجوه التفسير؛ لإزالة إبهام المجمل، فيكون كل تفصيل تفسيراً وليس كل تفسير تفصيلاً[٣]؛ لأن التفسير مصطلحه أوسع من التفصيل، ولهذا يعد التفصيل باباً من أبواب التفسير.

يتابع ابن فارس كلامَه عن التفسير ناقلاً عن الخليل: الفسر: البيان، واشتقاقه من فسر الطبيب للماء إذا نظر إليه، ويقال لذلك :"التفسرة" أيضاً[٤]، ولأنَّ ابن فارس قد وضع المجمل تحت مصطلح المشكل فإن (المفصل) وضعه تحت باب (واضح الكلام)، وعرّفه أنه (الكلام الذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب)[٥]، ونلاحظ أن ابن فارس ذكر في باب ما يكون بيانه منفصلاً منه وتجيء في السورة معها، أو في غيرها مستشهداً بالكثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى :(وَأَوْفُواْ

---

(١)- الاسراء: ١٢.

(٢)- الفرقان: ٤٩.

(٣)- ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ١٤٥.

(٤)- ينظر: م. ن: ١٤٥.

(٥)-ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ٤٠.

بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ)[1]، نجد أن تفسير قوله :(بِعَهْدِي) هو التركيب البياني (لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي)[2]، أما تفسير قوله تعالى :(عَهْدِكُمْ) فإنه يكمن في قوله تعالى :(لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ)[3].وبهذا أثبت ابن فارس أن (التفصيل) و(المفصل) قد لا يرد في النصّ الذي حّل فيه (المجمل)، وإنما يأتي في نص منفصل، فكانت هنا وظيفة التفصيل هو إيضاح المعنى وتفصيله للسامع.

أما العسكري فيقول:(التفصيل هو ذكر ما تضمنته الجملة على سبيل الإفراد)[4]، وقوله :(إن التفصيل وصف آحاد الجنس وذكرها معاً)[5]، أي تفريق المعاني ثم تفصيلها وشرحها وإخراجها من وجه الإشكال إلى التجلي والظهور.

وفي موضع آخر يقول العسكري: (إن في التفصيل معنى لبيان عن كل قسم بما يزيد عن ذكره)[6]، وبيانه، وبهذا التعريف يبدو أن العسكري كان أكثر دقة في تحديده التعريف الاصطلاحي للمفصل.

أما الجرجاني فقد وضع (المفصل) تحت مصطلح (البيان): وهو عبارة عن إظهار مراد المتكلم للسامع، ثم بيَّن مفهوم المفصل بشكلٍ أوضح عندما وضعه تحت مصطلح (بيان التفسير)[7]: وهو بيان ما فيه خفاء من المشترك، أو المشكل، أو المجمل، أو الخفي، وقيل: هو الإخراج عن حد الإشكال.[8] كقوله تعالى :(وَأَقِيمُواْ

([1])- البقرة: ٤٠.

([2])- المائدة: ١٢.

([3])- ال عمران: ١٩٥.

([4])- الفروق اللغوية: ٤٩.

([5])- م. ن: ٤٩.

([6])- م. ن: ٤٩.

([7])- ينظر: التعريفات: ٣٦.

([8])- ينظر: م. ن: ٣٦.

الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ)[١]، فيقول: (فإن الصلاة مجمل فلحقه البيان بالسنة، والزكاة مجمل في حق النصاب والقدر فلحقه البيان بالسنة)[٢]. ولما كان الإجمال عند الكفوي هو: (إيراد الكلام على وجه يحتمل أمور كثيرة)[٣]، فالتفصيل عنده هو (تعيين تلك المحتملات)[٤]، المشوبة بالغموض ثم انفتاحها من طريق التفصيل الذي يورده المتكلم.

استخلص مّما سبق أنّ (المفصل) عند اللغويّن: هو البيان والتفسير، والواضح، ومن التفصيل ما يجيء متصلاً في النص، ومنه ما يجيء منفصلاً في نصّ آخر، وكل تفصيل يهدف إلى إبانة المجمل وتفسيره وتعيين محتملاته وغموضه.

الثاني: (المُفَصَّل) عند النحويين:-

ذكر النحاة مفهوم التفصيل تحت مصطلح (التمييز) و(البدل) فجملة التمييز أن (يحتمل الشيء وجوها فتبينه بأحدها)[٥]، وبهذا يقال للتمييز: التبيين، والتفسير، وهو (رفع الإبهام في جملة، أو مفرد بالنص على أحد محتملاته)[٦]، وبهذا يتضح أن التمييز قسمان: مبين إبهام ذات، ومبيّن إبهام نسبة[٧]. وأكثر ما يكون تمييز النسبة محولاً عن فاعل ، أو عن مفعول وقيل عن غيرهما أيضاً، وأنه يعدل من الفاعل، أو المفعول إلى التمييز لقصد الأتساع والشمول والمبالغة كقوله تعالى :(واشتعل الرأس

---

(١)- البقرة: ١١٠.

(٢)- التعريفات: ٦٧.

(٣)- الكليات:٤٢٠.

(٤)- م. ن: ٤٢٠.

(٥)- كتاب الايضاح لعبد الغفار النحوي: ١٧٣.

(٦)- المفصل في علم العربية: ٦٥.

(٧)- ينظر: شرح المفصل: ٣٥.

شيبا)[١]، قالوا أصله: اشتعل شيب الرأس، وهذا ما معناه أنّ هناك شيباً في الرأس متفرقاً اشتعل وأما قوله تعالى :(وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) فيكون المعنى أن الرأس قد امتلأ بالشيب، أي معناه الشمول والمبالغة في ظهور الشيب[٢].

ويندرج تحت مفهوم التفصيل مصطلح (البدل) وهو (التابع المقصود بالحكم بلا واسطة) ، وهو مصطلح بصري[٣].

ويسميه الكوفيون (الترجمة والتبيين)[٤]، يقوم البدل على تبيين الإجمال في المبدل منه وتفصيله مما يجنّب المخاطب الوقوع في اللبس والغموض، وتحديداً في (بدل الاشتمال) فهو (بدل شيء من شيء يشتمل عامله على معناها بطريق الإجمال كأعجبني زيد علمه أو حسنه أو كلامه)[٥]، وبهذا يتحقق بدل الاشتمال (البيان بعد الإجمال والتفسير بعد الإبهام، لما فيه من التأثير في النفس)[٦].

وتنبه النحاة إلى أنّ التفصيل كما يكون في المفرد يكون أيضاً بالتركيب (الجملة)، واصطلحوا عليها (الجملة التفسيرية)[٧].

وقد قسم النحاة الجملة التفسيرية على ثلاث أقسام[٨]:-

---

(١)- مريم: ٤.

(٢)-ينظر: معاني النحو: ٢/ ٧٥١.

(٣)-ينظر: الكتاب: ١/ ٤٣٢.وشرح الحدود النحوية: ٢٥، وينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ٢٠٣.

(٤)- معاني القرآن: ١/ ٧، وينظر: همع الهوامع: ٣/ ١٤٧.

(٥)- حاشية الصبان: ٣٠/ ١٢٥.

(٦)- شرح الكافية: ٢/ ٣٨٣ .

(٧)- مغني اللبيب: ٢/ ٦١.

(٨)- ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١١٣.وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: ١/ ٦٠، وجامع الدروس العربية: ٥٨٢.

١- مجرّدة من حرف التفسير، كقوله تعالى (وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)[١]، وقوله تعالى :(هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)[٢].

٢- أن تكون الجملة التفسيرية مقرونة بأي نحو: أشرت إليه أي أذهب.

٣- أن تكون مقرونة بأن نحو :(كتبت إليه: أن وافنا". ومنه قوله تعالى :(فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا)[٣].

اخلص مّما تقدم أنّ النحويين أبانوا مفهوم المُجمل عن طريق التفصيل بالمفردة والذي يشمل (التمييز، والبدل) فضلاً عن تمييزهم المجمل وإبانته (بالتركيب الجملي) ؛ليتضح المعنى الغامض ويزول الإبهام لدى المتلقي.

الثالث: (المُفَصَّل) عند البلاغيين:-

لقد كان للبلاغيين أثرٌ واضحٌ في توضيح مفهوم التفصيل وكشفه ومن ذلك قول الزملكاني فقد ذكر (التَّفصيل) تحت مصطلح (التفسير) وهو: (أن تذكر شيئاً ثم تقصد تخصيصهُ فتعيده مع ذلك المخصص)[٤]. كقوله تعالى :(فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ)[٥]. وجاء أيضاً ذكر التفسير عند الزملكاني في باب اللف والنشر وهو(أن تذكر شيئين ثم ترمي بتفسيرهما

(١)- الانبياء: ٣.

(٢)- الصف: ١٠-١١.

(٣)- المؤمنون: ٢٧.

(٤)- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن: ١٧٦.

(٥)- هود : ١٠٥ – ١٠٨.

جملة ،ثقة بأن السامع يرّد كلّ تفسير الى اللائق به)[١]، كقوله تعالى :(وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ)[٢].

وقوله تعالى :(وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى)[٣]، بل قالت اليهود لن يدخل الجنة إلاَّ من كان هوداً أو قالت النصارى لن يدخل الجنة إلاَّ النصارى.

وقيل التفصيل هو (صياغة الموضوع أو الفكرة بنحو يتبين من خلاله معالم الموضع أو الفكرة بحيث تتضح أجزاؤه ومستوياته وحدوده بشكل مفصل)[٤]، ومنها قوله تعالى :(وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ)[٥]، وفي إبهام الأمر وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له[٦]. وفسر ذلك الأمر بقوله :(أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ) وفي الإجمال بعد التفصيل زيادة اهتمام بالأمر المتحدث عنه.

على حين عرف البلاغيون مفهوم (المُفصل) تحت مصطلح (الإطناب) ومن أهم أنواعه (الإيضاح بعد الابهام) حيث يؤتى بهذا النوع من الإطناب ليرى المعنى في صورتين مختلفتين ،أو ليتمكن في النفس فضل تمكن، فإنّ المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال أو الإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا أُلقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن، وكان شعورها به أتم[٧].

---

(١)- التبيان في علم البيان: ١٧٧.

(٢)- القصص: ٧٣.

(٣)- البقرة: ١١١.

(٤)- القواعد البلاغية في ضوء المنهج الاسلامي: ١٠٤.

(٥)- الحجر: ٦٦.

(٦)- ينظر: الطراز: ٢/ ٤٤.

(٧)- ينظر: تحرير التحبير: ٥٥٩ – ٥٦٢، والجامع الكبير: ١٧٢، والايضاح: ١٠٢، والتلخيص: ٢٢١-٢٢٢، والاتقان: ٢/ ٧٢، ومعترك الاقران: ١/ ٢٥٩.

ويأتي الإجمال لتشويق السامع إلى معرفة المعنى الغامض هذا من جهة ثم تفصيله من جهة أخرى؛ لمعرفة ذلك الإبهام وشرحه وبيان ما يقدمه من نكت بلاغية ودلالية وهذا ما يؤديه (الإيضاح بعد الإبهام)، فالشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم ،وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي ألم ،ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم، أو لتفخيم الأمر وتعظيمه [1].

أما العلوي(ت٧٤٩هـ) فقد كان (الإيضاح) يقابل مصطلح (التَّفصيل) ، عنده لما كان الإيهام والتوجيه يماثل مصطلح (المُجمل) عنده، وقد حد العلوي مصطلح (الإيضاح) بقوله :(عبارة عن أن يُرى في كلامك لبساً يكون موجهاً، أو خفي الحكم فتردفه بكلام يوضح توجيهه ويظهر المراد منه)[2].

وأما (التفصيل) عند عتيق فقد قال فيه:(فمن يروم التفصيل كمن يبتغي الشيء من بين أشياء يريد تمييزه مما اختلط به)[3]

وذكر قسمي التشبيه من حيث بيان وجه الشبه وإخفاؤه حيث (التشبيه المُجمل) و(التشبيه المُفصل)[4].

والتشبيه المُفصل: (هو ما ذكر وجه الشبه أو ملزومه)[5]، نحو: طبع فريد كالنسيم رقةً، ويده كالبحر جوداً، وكلامه كالدر حسناً، وألفاظه كالعسل حلاوةً، وهذا ما يقال (التفصيل)، أو (المُفصل).

---

(١)- ينظر: الايضاح: ١١٢.

(٢)- الطراز: ٣/ ٥٦.

(٣)- علم البيان: ٧٠.

(٤)- ينظر: علم البيان: ٧٠.

(٥)- جواهر البلاغة: ٢٦٢.

أما التشبيه (المُجمل) فهو :(ما لم يذكر فيه وجه الشبه ولا ما يستلزمه)[١]، نحو (النحو في الكلام كالملح في الطعام)، فوجه الشبه هو الاصلاح في كل وبهذا يكون التشبيه (المجمل) عند البلاغيين يقابل مصطلح (الإجمال) و(الإبهام).

استخلص مما سبق: أن التفصيل عند البلاغيين هو(الإيضاح، والتفسير، والبيان)، وكل هذه المصطلحات تبين المُجمل وتفسره في إبهام الأمر أولاً، ثم تفسيره ثانياً؛ تفخيم للأمر وتعظيم لشأنه وفي هذا تتحقق اللذة والتشويق لدى السامع عند تفصيل الأمر المبهم وتوضيحه للسامع.

الرابع: (المُفصل) عند المفسرين:-

أسهم المفسرون إسهاماً كبيراً في إثراء مفهوم التفصيل ومنهم الثعالبي(ت١٦١هـ) فيقول في التفصيل :(إذا استعمل في المعاني فيراد أنه فرق بينها وأزال اشتراكها وإشكالها فيجيء من ذلك بيانها)[٢]، وهنا نلحظ الدقة في التعريف ؛لأن المفصل بالفعل يزيل اشتراك وإشكال المعنى المبهم.

أما الطبري(ت٣١٠هـ) فعرف المفصل بقوله :(تمييز المعاني بعضها من بعض بالبيان عما فيها)[٣]، أما الطوسي (ت ٤٦٠هـ) فقد حد المُفصل بأنه (هو ما ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلاً)[٤]، وأورد الطوسي العديد من الآيات القرآنية منها قوله تعالى :(وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)[٥]، وقوله تعالى :(وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)[٦]،

---

(١)-م.ن: ٢٦٢.

(٢)- تفسير الثعالبي: ٢/ ٤٨.

(٣)- جامع البيان: ١١/ ١٨٠.

(٤)- التبيان: ١/ ٥.

(٥)- البقرة: ١١٠.

(٦)- الانعام: ١٤١.

وقوله تعالى :(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)[1]، وبين أن تفصيل اعداد الصلاة وعدد ركعاتها وتفصيل مناسك الحج، وشروط النصاب ومقاديره في الزكاة لا يمكن استخراجه إلاَّ ببيان من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ووحي من جهة

الله تعالى[2].وتكلف القول في ذلك خطأ ممنوع منه[3].

وقال الطوسي: أيضاً في المفصل إنه (يميز المعاني على وجه يزول معه اللبس)[4].

وعرّفه الرازي(ت٦٠٦هـ) أنه: (إفراد الشيء وحده حتى لا يكون مختلطاً بغيره، لتستكمل بذلك الفائدة منه)[5]، وبهذا نجد الرازي يتابع الثعالبي في تعريفه للمفصل إذ يزيل المفصل اختلاط المعاني مع بعضها ومن ثم بيانها للمتلقي. وعرفه المقداد السيوري (ت ٨٢٦ هـ) بأنه :(ورد لفظ أو فعل لأحد محتملات المُجمل)[6].

ونجد الطبرسي يؤيد ما ذكره الطوسي بقوله: إن التفصيل يعمل على (تبيين المعاني المُجملة)[7]، أما الطباطبائي(ت١٤٠٢هـ) فهو الآخر أيضاً يؤيد كلام الطبرسي بقوله في التفصيل وغايته (تمييز أبعاضه بعضها عن بعض بإنزاله إلى مرتبة البيان)[8].

---

(١)- ال عمران: ٩١.

(٢)- ينظر: التبيان: ٦/١.

(٣)- ينظر: م. ن: ١/ ٦.

(٤)- التبيان: ٤/ ٤١٨.

(٥)- التفسير الكبير ١٧/ ١٤٣.

(٦)- كنز العرفان: ١/ ٤٨ – ٤٩.

(٧)- مجمع البيان: ٣/ ١١٠.

(٨)- الميزان: ١٧/ ٣٨١.

أما صبحي الصالح فيقول : إن المُجمل (إذا ورد عليه بيان سمي مفصلاً أو مفسراً، أو مبيناً)[١]، في حين قال باحث آخر في المفصل هو :(كل لفظ، أو فعل له ظاهر يدل على مراد المتكلم، أو قصد الفاعل)[٢]، وبهذا حدد هذا الباحث القصد من التفصيل الذي هو بالضبط لا يُزال إبهامه وتفسيرهُ إلاَّ من قبل المتكلم وإيراده إلى السامع واضحاً مفهوماً.

مما تقدم يتضح لنا أن المفسرين قدموا لنا تعريفات للمفصل توضّح أنه بيان للمجمل، ليبين أحد محتملاته فضلاً عن تمييزه المعاني على وجه يزول معه اللبس، فيبدو بذلك المعنى للسامع وبهذا يوافق مفهوم المُفصل عند المفسرين مفهومه عند (اللغويين ،والنحويين،والبلاغيين).

الخامس: (المُفصل) عند الأصوليين:ـ

لعلماء الأصول اهتمام بالغ في تحديد مفهوم التفصيل وذلك لأن نطاق عملهم يتطلب تشخيص دلالات الألفاظ والتراكيب في النص ليبنى على تلك الدلالة حكم شرعي ولهذا نجدهم قد أفاضوا لمفهوم التفصيل ومنهم الشاشي(ت٣٤٤هـ) فقد عرفه :(فهو ما ظهر المراد به من اللفظ ببيان من قبل المتكلم بحيث لا يبقى معه احتمال التأويل والتخصيص)[٣].

أما السرخسي(ت٤٩٠هـ) فيقول:(المُفسر هو اسم للمكشوف الذي يعرف المراد به مكشوفاً على وجه لا يبقى معه احتمال التأويل فيكون فوق الظاهر والنص؛ لأن

(١)- مباحث في علوم الحديث: ٣٠٨.

(٢)- ثامر هاشم العميدي/ دور الشيخ الطوسي في علوم الشريعة، بحث منشور في مجلة تراثنا، مؤسسة اهل البيت (عليهم السلام)، ع: ٥٥/ ١٢٥.

(٣) أصول الشاشي:١٢٧/١.

احتمال التأويل قائم فيهما منقطع في المُفسر)[١]، فنفهم من هذا التعريف أن المفصل على درجة عالية من الوضوح لا يقبل احتمال التأويل فيه.

وأوجز بعض الأصوليين فقال: المبين بنفسه يرجع أما إلى اللغة كقوله تعالى :(إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)[٢]. وإما راجع إلى العقل كقوله تعالى :(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)[٣]، أي (وَاسْأَلِ أهل الْقَرْيَةَ) [٤]، وما افتقر في معناه إلى غيره للدلالة عليه، عبر عنه الأسنوي في تعريفه حيث قال :(هو ما يتوقف فهم المعنى منه على انضمام غيره إليه، وهذا الغير وهو الدليل الذي حصل به الإيضاح يسمى مبيناً (بكسر الياء)، فمثلاً قول (صلى الله عليه وآله وسلم)،فيما سقت السماء والعيون وكان عشريا العشر) [٥]، للمراد من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم):(وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)[٦]))[٧].

وأخيراً نجد السيد أبا القاسم الخوئي (ت ١٤١٣ هـ) يقول فيه :(اسم لما يكون معناه واضحاً وغير مشتبهٍ)[٨].

يتضح مما تقدم: أنّ الأصوليين اهتموا بالتفصيل واصطلحوا عليه مصطلحات و خاصة فهو عندهم (المُفسر) أو (المُبيَّن) والاختلاف باللفظ والمضمون واحد وهو غير قابل للتأويل إن كان خاصاً ،وغير قابل للتخصيص إن كان عاماً، إذن دلالة المفَّسر على الحكم لديهم قطعية، ونرى قسماً آخر منهم نظر إليه على أنه بيان للمجمل فهو

[١] ينظر: أصول اليزدوي: ١/ ٨، وأصول السرخسي: ١/ ١٦٥، وأصول الشاشي/:١/ ٧٦.

[٢] - المائدة : ٩٧.

[٣] - يوسف: ٦٢.

[٤] - الحاصل والمحصول: ٣٩٥.

([٥])- صحيح البخاري: ٢/ ١٥٥.

([٦])- الانعام: ١٤١.

([٧])- نهاية السؤل: ٢/ ١٤٩.

([٨])- محاضرات في اصول الفقه: ٥.

أي: المفصل – من أضرُب البيان (بيان المُجمل) فهو بيان يرد على المُجمل ويفهم منه معنى المُجمل، فهو معنى خاص غير مشتبه واضح ويعرف مراده من قبل المتكلم إلى السامع وبهذا المعنى جاء مفهوم الأصوليين للمُجمل موافقاً لما عند (اللغويين، والبلاغيين ،والمفسرين).

السادس: (المُفصل) عند أهل المنطق:-

أورد المناطقة مصطلحات عدة (للمفصل) منها (القول الشارح والمعرف والتعريف).

فقد عرفه عبد الهادي الفضلي (التعريف) بقوله :(بيان حقيقة الشيء، أو إيضاح معناه)[١]. ويقسم التعريف على(الحد التام، والحد الناقص، والرسم التام، والرسم الناقص)، ويورد عبد الهادي الفضلي شروطاً للتعريف منها أن يكون التعريف مساوياً للشيء المعرف في الانطباق على مصاديقه[٢].

أما إبراهيم سرور فقد حدَّ التعريف بقوله :(هو ما يكون تصوره سبباً؛ لاكتساب تصور الشيء إما بكنهه أو بوجه يميزه عما عداه)[٣].

وأورد السيد رائد الحيدري مفهوم التعريف بقوله: إن الأصل في التعريف هو الحد التام، والحد لغةً: هو الحاجز بين الشيئين.[٤]، واصطلاحاً: هو قول دال على

---

(١)- خلاصة المنطق : ٤٠.

(٢)-خلاصة المنطق: ٤٣.

(٣)- علم المنطق بين السائل والمجيب: ٤٠.

(٤) ينظر: لسان العرب: ١٤/ ٣٦.

ماهية الشيء.[١]، وسمي الحد التام تاماً لكونه مانعاً من دخول أفراد غير المعّرف فيه وعن خروج أفراده منه .[٢] و المقصود الأصلي من التعريف أمران:

الأول: تصور المعرفة بحقيقته، لتتكون له في النفس صورة تفصيلية واضحة.

والآخر: تمييزه في الذهن من غيره تمييزاً تاماً، ولا يؤدي هذان الأمران إلاّ بالحد التام، وعلى من أراد التعريف أن يختار الخاصة اللازمة البينة بالمعنى الأخص؛ لأنها أدل على حقيقة المعرف وأشبه بالفصل[٣].

أما السيد علاء الجعفري فقد قال في التعريف هو: (بيان الشيء بحيث ننتقل منه إلى ذلك الشيء)[٤]، أو هو :(بيان الشيء وإيضاح معناه)(

والتمييز يكون بأحد أمرين[٥]:

١- الفصل ويسمى (التعريف) به حداً.

٢- الخاصة: ويسمى (التعريف) به رسماً. فالملاك في كون المعرف حداً، أو رسماً هو كون مميز ذاتياً ،أو عرضياً[٦].

ونرى أيضاً مفهوم (المُفصل) من خلال تقسيم المناطقة لمباحث الكليات ومن حيث تعدد جهاته وهي (الذاتي ،والعرضي) ومن جهة كونه يقوم حقيقة ما يقع عليه أو،لا يقومها، وأما من جهة كونه ينطبق على أفراده بالسوية، أو بالتفاوت فينقسم على

---

(١) ينظر:علم المنطق بين السائل والمجيب: ٤١.

(٢) ينظر: م.ن: ٤٣.

(٣) ينظر: المقرر في شرح منطق المظفر: ١٧٧.

(٤)- المدخل الى علم المنطق: ١٠٦.

(٥)- ينظر: المدخل الى علم المنطق: ١٠٧.

(٦)-المدخل الى علم المنطق: ١٠٧.

* حداً: وإنما سمي حداً؛ لأن التحديد في اللغة هو التمييز والتبيين، يقال: حد الشيء عن الشيء إذا ميزه وحد الأمر إذا بينه.

متواطئ ومشكك، وأخيراً تقسيمه من جهة أنه يكون جواباً عن سؤال بـ(ما هو)، أو (أي شيء هو في ذاته) فينقسم إلى (الجنس) و(النوع) و(الفصل) و(الخاصة) و(العرض العام) ويسمى ببحث الكليات الخمسة[١].

ويمكن تعريف كل منهم بما يأتي:

ـ الجنس: هو تمام الحقيقة المشتركة بين الجزئيات المتكثرة بالحقيقة في جواب (ما هو)[٢] ؟.

- النوع: هو "كلي منطبق على كثيرين مختلفين بالعدد دون الحقيقة في جواب (ما هو)[٣].

- الفصل: هو "كلي يقال على الشيء في جواب أي شيء هو في ذاته"[٤].

وبذلك استخلص من جميع تلك الألفاظ بأنها تشترك في حقيقة واحدة وهي (التفصيل) للشيء المُبهم و توضيحه. فالجنس؛ لتوضيح ماهية المطلق المبهم، وأما النوع فهو ؛ لبيان ماهية اللفظ العام، وأما (الفصل) فهو؛ لتوضيح وبيان الشيء المُبهم في اللفظ (المُجمل).

---

(١)- ينظر: م. ن: ٧٤.

(٢)- المقرر في شرح منطق المظفر: ١٢٧.

(٣)- علم المنطق بين السائل والمجيب: ٣٤.

(٤)-علم المنطق بين السائل والمجيب: ٣٥.

المفهوم المتكامل للمفصل:-

بعد إن عرضت ما أمكنني الوقوف عليه من التعريفات الاصطلاحية، نخرج بمفهوم نحسبه متكاملاً:

١- المفصلّ المفرد:-

هو كل لفظ أو فعل يُزيل محتملات اللفظ المُجمل بمتعين من قبل المتكلم وإفهامه إلى المتلقي، وهو حكم يظهر فيه معنى (التبيين، والقطع، والإبانة، والتفريق، والفصل، والكشف)، وهذا ما أجمع عليه علماء اللغة والاصطلاح.كقوله تعالى:(فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَبًا)[١]، فنلحظ إن لفظة (ذَهَبًا) تمييز مفصل لمفرد مُجمل بالإضافة وهو (مِّلْءُ الأرْضِ).

٢- مفهوم المفصل بالتركيب: (النسبة)

وهو اللفظ المجمل الذي يزيل المعنى المبهم للجملة النسبة وهي (المسند والمسند إليه) ويخرجها من حيز الإبهام إلى حيز الإبانة والوضوح في المعنى كقوله تعالى :

(أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)[٢]، و(الكثرة) لا يمكن إسنادها ونسبتها إلاَّ إلى شيء متعدد: إلى المال مثلاً، أو إلى الحبوب، أو إلى الأولاد.. الخ، فإذا نسبت الكثرة إلى نفسي فقلت:(أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ) كانت النسبة غامضةً؛ لأن فرد واحد لا يمكن أن يتعدد وبالتالي لا يمكن أن أكون كثيراً ولا قليلاً، وهنا يأتي التمييز ليزيل الغموض في النسبة (أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا) وليس المال إلا الشيء المتعدد القابل لان تنسب إليه الكثرة.

---

(١)- آل عمران: ٩١.

(٢)- الكهف: ٣٤.

٣ـ مفهوم المفصل في مضمون الجملة: (دون النسبة):

الجملة هي التي تفيد معني يحسن السكوت عليه[١]، ولا تكون كذلك إلاَّ إذا احتوت على ركنيها الأساسيين وهما :المسند إليه والمسند[٢]. وسوى المسند والمسند إليه فهي متعلقات في الجملة، وهذه المتعلقات ذات أثر بارز في أداء الجملة، إذ إن زيادة أي متعلق على البنية الأساسية تكمن وراءَها زيادة في الفائدة تضاف إلى جزأي الجملة الرئيسة علاوةً على أنه يخرج بالجملة إلى معنى غير الذي كان قبل دخول هذه المتعلقات عليها[٣]. والمفصل هو كل بيان يرد على مفهوم الجملة الموضح أعلاه ويزيل إبهامها، ويجعل مفهوم الجملة واضحاً بيناً لدى السامع وقد يرد هذا النوع من (المُفصل) بتركيب متصل يقع في النص نفسه، كقوله تعالى :(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ)[٤]، فجملة (قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) بدل تفصيلي من الجملة المجملة (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ)، جاء لبيان دلالة الإجمال في الجملة قبلها دون نسبتها وهو نص تركيبي متصل. وإن منه ما يرد منفصلاً، إذ يتحقق بيان المُجمل في نص منفصل عن النص الموجود فيه ذلك المُجمل، وذلك كقوله تعالى (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا)[٥]، فالبشرى قوله جلَّ ثناؤه في موضع آخر : (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ)[٦]، فاتضح المراد بالبشرى في سورة يونس في سورة فصلت.

ولا بد من الإشارة إلى أن التَّفصيل يتفق مع التقيد والتخصيص من حيث أنها من جنس(الجزئيات) ، وهي أدوات بيان تردُ في النص لإزالة الإبهام، أو تتفق فيما

---

(١)- ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ١/ ٧.

(٢)- ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ١٠٣.

(٣)- ينظر: البلاغة والأسلوبية: ٤٣.

(٤)- المائدة: ٤.

(٥)- يونس: ٦٤.

(٦)- فصلت: ٣٠

بينها في أن الإيضاح بها يمكن أن يأتي بالمفردة اللغوية مرةً، وبالتركيب الجملي مرةً أخرى، ولهذا وجب علينا أن نفرق بين كل واحد منهم على حدة لنعرف دلالة المعنى المقصود لكل لفظ وليتسنى للمتلقي كيفية التعامل به وتحديد دلالته

الافتراق بين التفصيل والتقيد والتخصيص:

التفصيل: هو عملية إيضاح وتحديد لما أُبهم في المجمل من محتملات مشتبهة متباينة فيما بينها متكافئة فيه على حدّ سواء بتشخيص معنى واحد بيَّن له يقرُّ عليه ذهن السامع دون أن يترك في تداخل واختلاط، **كقوله تعالى:(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا)**[١]، فنجد لفظة(هلوعا) في الآيةالكريمة قد وردت مجملة الدلالة لذا فصلها سبحانه بقوله: (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا)، فإن هذه العبارة هي البيان للفظة (هلوعا)[٢].

أما التقييد: فهو **عبارة** عن تشخيص للماهية المرادة عن طريق تضييق نطاق اللفظ المطلق بالنصَّ على مُتعين من الماهيات الحرة التي يستوعبها الإطلاق على سبيل البدلية[٣]. ومن ذلك التقييد قوله تعالى: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ)[٤]، إذ جاءت لفظة(رَقَبَةٍ) ماهية شائعة فهي مطلقة ينطبق على أية رقبة لكن التعبير القرآني قيدها بالصفة(مُّؤْمِنَةٍ) فحدد الماهية المرادة دون غيرها فعُرف بذلك نوع الرقبة المجزية للامتثال.

---

(١) المعارج:١٩ـ ٢١.

(٢) ينظر: أصول الفقه الإسلامي: ٣٠٩.

(٣) ينظر : روضة الناظر وجنة المناظر: ١٣٦/١.

(٤) النساء:٩٢.

أما التخصيص: فهو عبارة عن إخراج البعض المقصود من الجمع المستغرق بالشمول.[١] أي إخراج جزء من أفراد العام من حكم النص كقوله تعالى: (إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)[٢]، فأخرج (الَّذِينَ آمَنُوا) من مجموع الخاسرين.

وتأسيساً على هذا المفهوم فالتفصيل يقوم بتشخيص معنى للمجمل ليس بماهية، والتخصيص يقوم بعملية اجتزاء بعض أفراد العام(الماهيات) من حكم المجموع، على حين التقييد يقوم بعملية تحديد المراد من الشيوع للماهية بالنص عليها حصراً.

---

[١] ينظر: الحدود في الأصول:٤٤.

[٢] العصر: ٢ـ ٣.

الفصل الأول :دلالة الإجمال في (اللفظ)المفرد:

لظاهرة الإجمال والتَّفصيل أدوات لغوية ، ونحوية خاصة.[١] تحدد وجودها في النص لتعطي سمة الترقب للمتلقي المقبل على الكلام وحمل ذهنه على فهم المعنى المترقب وإدراكه ليكشف عن مضمون النص ويفسره، وكل هذا العمل يحتاج إلى مبدع يكشف عن مواطن الإبداع في النص ، ويضفي مسحة من الجمال والتأمل والخيال ، والذي يقف عند مضامين الإبداع في الكلام العلوي الذي استقى ألفاظه من معين القرآن الكريم ، وسحر البيان النبوي يجد قدرة فريدة في التعبير عن ألفاظ تبدو مبهمة في النص تتجسد من خلالها أعلى قممالبلاغة، وعبقرية فذّة في رسم تلك الألفاظ ، فتعمل على اشغال ذهن المخاطب في التفكير في تلك الألفاظ، وبالتالي فإن الأثر الأدبي في نصوص نهج البلاغة لم يكن مجرد عبارات للقارئ، وإنما لمعنى أدبي هادف باقٍ في قرارة النفس، يستوجبها الخاطر ويستنطقها العقل، وهذا ما امتاز به الأدب العلوي في نصوصه.

وبهذا المدخل سيكون النفاذ إلى دراسة الأدوات(الأساليب)اللغوية، والنحوية للإجمال في نصوص نهج البلاغة ودلالاتها.

[١]يعود قصب السبق في تحديد تلك الأدوات للباحث (سيروان الجنابي) في أطروحته الموسومة(الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني دراسة في الدلالة القرآنية):٩٣.

المبحث الأول:دلالة أسلوب الإجمال في النكرة

النكرة :- هي لفظةٌ مبهمة الدلالة غير محددة في العالم الواقعي (الخارجي)،إذ لا تدلّ على شيء بعينه.[١]وهي: (ما شاع في جنس موجود في الخارج تعدده،أو مقدار وجود تعدده فيه)[٢].

وللتنكير دلالةلا تقلُأهميَّةً عن التعريف في إبراز مواطن الجمال في اللغة الإبداعية، إذ قد(يظن ظان أن المعرفة أجلى فهي من النكرة أولى، ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليقة ، وأن سلوك الإيضاح ليس سلوكاً للطريق ولاسيما في موارد الوعد والوعيد ، والمدح ، والذم اللذين من شأنهما التشديد، وعلة ذلك أن مطامح الفكر متعددة المصادر بتعدد الموارد ،والنكرةمتكثرة الأشخاص يتقاذف الذهن من مطالعها إلى مغاربها وينظرها بالبصيرة من منسمها إلى غاربهافيحصل في النفس لها فخامة وتكتسي منها وسامة ، وهذا فيما ليس لمفرده مقدار محصور بخلاف المعرفة، إنه لواحد بعينه يثبت الذهن عنده ويسكن إليه)[٣]، وقد التفت إلى هذه الحقيقة النفسية السكاكيبقوله:(إنَّ احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في تعريفه أقوى، ومتى كان أقرب كانت أضعف، وبعد تحقق الحكم بحسب تخصيص المسند إليه،كلماأزداد تخصصاً أزداد الحكم بعداً،وكلما أزداد عموماً أزداد الحكم قرباً)[٤]،

وتقسم النكرة على خمسة أقسام من حيث جهة التقريب وهي:شيء،وجسم، وحيوان، وإنسان، ورجل. فالشيء ما كان موجوداً، والجسم ما كان متشخصاً، والحيوان ما كان له روح ويألم، والإنسان جميع بني آدم، والرجل يختص ذكور العاقلين دون الإناث ، وبعض هذه النكرات أنكر من بعض ،فكل شيء كان أعم من غيره فهو أنكر منه ، فعلى هذا تقول :أنكر النكرات شيء ثم بعده جسم ،ثم بعده حيوان، ثم بعده إنسان ، ثم بعده رجل يدلك على ذلك . إن الأخص يدلك على الأعم ، كل جسم شيء وليس كل شيء جسماً، لأن أصل الأشياء كلها شيء وهو نكرة.[٥]وعلى وفق هذا المفهوم يمكن التأسيس على أنَّ النكرة تمثل المطلق بعينه؛لأنه يدل على ماهية شائعة بين أبناء جنسها،وهذه الماهية تدل على واحدة من الماهيات لا بعينها ، غير أن من النكرة في سياق الإثبات ما تأتي مجملة ، وذلك تحديداً في الألفاظ المنكرة التي لاتدل على ماهية من الماهيات التي يمكن تجزئتها ، فما قَبل من النكرات التجزؤ كان مطلقاً وما لم يكن خاضعاًللتجزؤ هو من أسماء

---

[١]ينظر :الكتاب:٢٢/١.،والمقتضب:٥١٨/٤.، والأصول في النحو:١٤٨/١.،والتعريفات١٧٠.
[٢]شرح الحدود النحوية:٦٤.
[٣]البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن:١٣٦.
[٤]مفتاح العلوم:٨٥.
[٥]ينظر :كشف المشكل في النحو:٤٤/٢،٨٣.

المعنى كان مجملاً فهو أشد إبهاماً من النكرة المطلقة، وهذا ينطبق على سياق النكرة في نطاق الإثبات وليس النفي؛ لأن وقوع النكرة بعد النفي يفيد العموم.وسنقف على أمثلة مجملة فصَّلها الإمام(عليهالسلام) ، وأخرى تركها للشراح ليفسروها بعده وهو أسلوب متفرد بالإمام(عليه السلام).

ومن أمثلة النكرة (المجملة) في سياق الإثباتتأمل الإمام (عليه السلام)في الدنيا وأحوالها ورأيه فيها حيث هي دار ممرٍ لا مقرٍ ،وإن الإنسان فيها ضيف إلى أجلٍ،ثم على دار الخلود ولا بدع إذا قاسها الإمام بما فيها من الآلام والمتاعب ما دام سرورها إلى زوالٍ بقوله:-

(أَ وَ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَ يُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى فَمَيِّتٌ يُبْكَى وَ آخَرُ يُعَزَّى وَ صَرِيعٌ مُبْتَلًى وَ عَائِدٌ يَعُودُ وَ آخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ وَ طَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَ الْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَ غَافِلٌ وَ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ وَ عَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي)[١].

إننا في هذه اللوحة نقف إزاء فنان بارع، دقيق التشخيص، حاذق التصوير، رسم عباراته بأسلوب بياني مؤثر،إذ كان لأسلوب الاستفهام التقريري في قوله(أَ وَ لَسْتُمْ....)أثر في تصوير الألم الذي يعتصر قلب الإمام(عليه السلام)،وهو يقرر في نفس قارئه ذلك الفعل في رؤية حال الدنيا في كونهم (يُصْبِحُونَ ،وَ يُمْسُونَ)، ومدى دلالة الفعلين المضارعين في الاستمرارالتجددي.[٢]، ومجيء الإجمال في لفظة (أحوالٍ) وهي نكرة في سياق إثباتإذ لايمكن معرفة ما الأحوال المختلفة التي يصبح ويمسي عليها أبناء الدنيا ،ثم يفصل الإمام تلك الأحوال: فمن ميت يبكى عليه ،وآخر يعزى،وآخر صريع مبتلى بالأمراض والأسقام، وآخر يعوده مشغول الخاطر به ،وآخر في المعاوقةوالاحتضار. والسالم من تلك الأمور طالب للدنيا والموت من ورائه طالب له ،غافل عما يراد به وليس الله بغافل عنه، ثم لابد أن يمضي وإن طال بقاؤه ، وقدم الميت على أقسام أهل الدنيا ؛لأن ذكره أشد موعظةومجيء الجناس اللاحق بين (يعود،ويجود)،وتجسدت الاستعارة في لفظة (الجود)للمحتضر ؛لأنه يسلّم نفسه مثلما يعطي الجواد من ماله،وتوظيف أسلوب (العكس والتبديل) فمرة هو يطلب الدنيا ويسعى وراء ملذاتها ومرة يطلبه الموت فلا يتركه حتى يدخله في حفرته ،وغافل عن ذكر الله،وأهوال ذلك اليوم ،وهو ليس بمغفولعنه؛لأن الله عالم به وسيجزيه على ما عمل في دار الدنيا ،كل تلك الأساليب البلاغية والتنوع في صياغة العبارات أسهم في إغناء المعنى تارة ،ولتُعبر عن بلاغة قائلها مرة أخرى

---

[١]نهج البلاغة(عبده): ١٤٧.
[٢]ينظر:جواهر البلاغة:٧٢.

والمبدع هو الذي يستطيع بفعل قدرته أن يحول الواقع البسيط إلى واقع فني نابض بالحياة ،فنرى الحياة بصورتها الحقيقية من خلال حدسه الإبداعي الذي يستطيع من خلاله تحليل الحياة الاجتماعية في كل عصر بوصفه شاهداً مثقفاً.

وفي خطبة أخرى تمتد بالإمام علي (عليه السلام) الحماسة في سبيل الدفاع عن الإسلام والرسول وفي ظل تجربةالثباتوالتحدي أمام الأعداء المتكاتفين المتفقين على إطفاء نور الله فقد اجتمع كفار قريش على الرسول(صلىاللهعليهوآله) ،وعبر صورة مؤثرة يبرز فيها الإمام قوة عزيمته وشكيمته حيث تسأل قريش الرسول:- ((نَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَ أَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَ رَسُولٌ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَقَالَ (صلى الله عليه وآله) وَ مَا تَسْأَلُونَ قَالُوا تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَ تَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَقَالَ (صلى الله عليه وآله) إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَ تُؤْمِنُونَ وَ تَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ وَ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ وَ إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ وَ مَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ ثُمَّ قَالَ (صلى الله عليه وآله) :يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ تَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْبِعُرُوقِهَا وَ جَاءَتْ وَ لَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَ قَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) مُرَفْرِفَةً وَ أَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَ بِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَ كُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ (صلى الله عليه وآله) فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عُلُوّاً وَ اسْتِكْبَاراً فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَ يَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَ أَشَدِّهِ دَوِيّاً فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَقَالُوا كُفْراً وَ عُتُوّاً فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ (صلى الله عليه وآله) فَرَجَعَ فَقُلْتُ أَنَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ أَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَ إِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ وَ هَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْنُونَنِي))[(١)].

إذا ما دقّقنا النظر نجد أن لفظة (أَمْراً) وهو نكرة في سياق إثبات وقد دلّ على الإجمال بدليل الفعل (نَسْأَلُكَ) والذي يدل على معنى السؤال فيه وهو مبهم يدعو إلى الانتباه ما هو مهم لدى المخاطب ، ثم سأل الكفار الرسول الأعظم (صلى الله وعليه وآله وسلم) (أَمْراً)، وكان تفصيل ذلك الأمر المبهم بحديث الشجرة وخطاب النبي لتلك الشجرة: إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ....، وفي هذا الخبر ما يفيد أن للنباتات والجمادات نوعاً من الإدراك والشعور الذي أفاضه عليها الله، كما تفيد أنها مؤمنة أيضاً بالله واليوم الآخر، ولدينا العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى ذلك الإيمان والشعور والإدراك ، وتفيد أنها تسبح لله وتقدسه. كقوله تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ

---

(١)شرح نهج البلاغة (عبده):٢٨٦.

السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)[١]، فكانت معجزة الشجرة كبيرة للنبي الأكرم(صلى الله وعليه وآله وسلم)بإذن الله في اقتلاعها ووقوفها بين يديه ، ولكن هذه المعجزة الباهرة لم تؤد إلى إيمان المشركين المتعصبين كلا، بل كعادتهم أخذوا يفتشون عن الذرائع وهو ما أشار إليه الإمام (عليه السلام) **(فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عُلُوّاً وَ اسْتِكْبَاراً فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَ يَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَ أَشَدِّهِ دَوِيّاً فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَقَالُوا كُفْراً وَ عُتُوّاً فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ (صلى الله عليه وآله) فَرَجَعَ فَقُلْتُ أَنَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ أَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَ إِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلْ ساحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ وَ هَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْنُونَنِي)**، وبهذا فصّل أمير المؤمنين اللفظ المجمل (أَمْراً) بحديث الشجرة فكان في الإجمال أولاً تفخيم وتعظيمٌ للأمر المبهم، وفي التفصيل توكيد وتثبيت في نفس المتلقي ثانياً.

ونظير ما تقدم نجده يقول (عليه السلام):(بَلَغَنِي عَنْكَ أمرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ وَ عَصَيْتَ إِمَامَكَ أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَ خُيُولُهُمْ وَ أُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَاناً وَ لَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ وَ لَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا أَلَا وَ إِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَ قِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ وَ يَصْدُرُونَ عَنْهُ)[٢].

أورد الإمام في خطابه جملة تفصيلية(أَنَّكَ تَقْسِمُ)للفظ(أمرٌ) النكرة المبهمة في النص و(أمرٌ) فيه دلالة على عظم الأمر وان في عملية الانتقال من الإبهام إلىالإيضاح زيادة اهتمام ومبالغة في عظم ذلك الأمر ،إذ حقق الإبهام تشويقاً في خطاب الإمام (عليه السلام) فإن ابتداءه هذا الأمر مُجملاً يترك المتلقي في حال تفكر وتأمل وولع وسعي وراء معرفته ثم بينه ليقف المخاطب على المراد من هذا المبهم ،هذا من جهة ومن جهة أخرى إن عملية الانتقال هذه من الإبهام إلى البيان تشعرنا بمدى اهتمام الإمام(عليه السلام) بمسألة استغلال عامله (مصقلة بن هبيرة) لوظيفته واعتدائه على بيت المال في إيثاره ذوي قرباه وأبناء قبيلته في قسمة الأموال وحرمان المسلمين من حقوقهم فيها ،فعبر (عليه السلام) عما يحزُّ في نفسه من غضبٍ بصورة يتنبه معها العامل من غفلته لذا خاطبه (عليه السلام) بصلابة .

---
(١)الإسراء:٤٤.
(٢)شرح نهج البلاغة(عبده):٣٩١.

(والصلابة في كلام المتحدث لها اثرها في المستمع)[١] ، حيث يقسم الإمام على أن يأخذ بما هو أهل له من العقوبة والتأديب فإن القوي عندي ضعيف حتى آخذُ الحق منه، والذليل عندي عزيز حتى اخذ الحق له، وجاء الإمام بأسلوب تفصيلي آخر وهو التميز في قوله (هَوَاناً ،ميزاناً، أعمالاً)، فكان له دور كبير في توضيح الخطاب ؛لأنه يمتلك القابلية على إقصاء الإجمال من المعنى وتفصيله للمخاطب.[٢].

وعندما يريد الإمام أن يبين صفة الشيطان وهو (النفاق) والمنافق نراه يجسد ذلك المرض الخطير بوصفه آفة من الآفات الاجتماعية الرذيلة فيقول (عليه السلام):(للمنافقين علاماتٌ يعرفون بها:تحيتهمُلعنة،وطعامهم تُهمة، وغنيمتهم غلول،لا يعرفون المساجد إلا هجراً،ولا يأتون الصلاة إلا دُبراً، مستكبرون لا يألفون ولايؤلفون،خشبُ* باليل صخُب* بالنهار)[٣].

نجد لفظة(علاماتٌ) هنا نكرة مجملة في سياقإثبات ،فهناك علاماتُ خاصة يعرف بها أهل النفاق ،ويعّد النفاق من أقبح الرذائل الأخلاقية الذميمة ، والمتلبس به يتصيّد في الماء العكر ، وحينما تتلوث الطبيعة الإنسانية بنفايات الكذب ونكث العهد وخلف الوعد ، يجد النفاق لنفسه الفرصة المؤاتية للتوغل في هذه الطبيعة الملوثة حتى يصبح مرضاً مزمناً في النفس يصعب شفاؤها منه ،وهو يجر الإنسان إلى الانحطاط الخلقي واللامبالاة ويفقد ثقته ويصبح نهباً للقلق وسوء الظن والتشاؤم والاضطراب،ومن كانت هذه حاله فإنه يعامل الآخرين بالود والحب والاحترام،إلا أنه يحمل بين طياته سموم الحقد والكذب والرياء، وقد وصف الإمام (عليه السلام) علامات هؤلاء المنافقين وفصلها بكون تحيتهم لعنة، ولما كانت حياة المنافق حياة مضطربة يكتنفها الذل والصغار وأنه مهما حاول أن يخفي حقيقته عن الناس فإن الأيام كفيلة بإظهارها فيما يفعل لا محالة،حيث يبطن خلاف ما يظهر ، وطعامهم تُهمة أي فيه خبث ريح وزهومة ، وغنيمهم غلول أي فيها حقد،وجاء الإمام بأسلوب القصر (النفي والاستثناء)،ليؤكد قوة الترابط بين الصفة والموصوف عبر قصره للموصوف (المنافقون)في الفعل (يعرفون) وهو (واو الجماعة) على الصفة (الهجر) اي يمشون إلى المساجد بثقل وضعف ، وجاء القصر ثانٍ في الحكمة ذاتها عبر قصر الإمام أيضاً الموصوف (المنافقون) وعبر الفعل (يأتون)،(والنفي والاستثناء)،حيث (لا يأتون الصلاة إلا دُبراً) ، أي في آخر وقتها فهم مستكبرون،ولا يألفون ولا يؤلفون)، وهذه الصفات تجسد حالة الغضب العام الذي ينتاب الإمام عند تصويرهم،معززاً تصويره بتكرار الحرف(لا) ،وأخيراً يصفهم الإمام ويبين أنهم خشبباالليلأي ساكنون لا يتحركون كالخشب ، أما بالنهار فهو صخب ،فهم يتلونون بألسنتهم وبصفاتهم الذميمة، وبذلك تكون للفظة المنكرة المجملة(علاماتُ) أثر في تبين وتفصيل الصفات القبيحة التي لا يمكنأنيتصف بها إلا من فقد المروءة ، وخرج من الدائرة الإنسانية وهذه الصفة تبعث الذل والمهانة أمام

---

[١]ينظر:الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل(الشيرازي):١٣٥/٩.
[٢]ينظر: علم المعاني(عتيق):٤٣.
*خشب: أي لا خير فيه: ينظر القاموس المحيط:٥٦.
*صخب: داهية : ينظر القاموس المحيط: ٢١٤.
[٣]ينظر:شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٥٣٠/٥.

الناس وتورث العاقبة السيئة ، والعذاب الأليم في الآخرة،يقول تعالى في شأنهم:(**وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)**[١].

ويستكمل الإمام (عليه السلام)رسم صورته للمؤمنين الصادقين الذين لا يغرهم حطام الدنيا، فهي نفوس مطمئنة هادئة مسلمة إلى ربها لا تحيد عن الطريق المستقيم مهما أطبقت وأثقلت الدنيا عليهم بهمومها وعنائها ،فكيف تستوحش تلك النفوس المطمئنة وهي آنسة بذكر الله الذي يعيش ذكره في كوامن نفوسهم ،جاء ذلك في قول الإمام :(**طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا وَ عَرَكَتْ* بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا وَ هَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا وَ تَوَسَّدَتْ كَفَّهَا فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ وَ تَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ وَ هَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ وَ تَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ)**[٢].

في تحفةٍ فنية أخرى نجده يجمل في الفاظ(لنفس)و(وفي معشرٍ)،إذ نبه الإمام على أن النفس إذاكانت بالصفات المذكورة فلها استحقاق (طوبى :وهي الطيب،والحسن والخير، وقيل شجرة في الجنة.[٣].وجيء بتفصيل تلك النفس المؤمنة بقيامها بواجب الطاعة لله وما افترضه عليها،وعركت بجنبها بؤسها ،كناية عن الصبر على نزول المصائب،ويلازم ذلك عدةفضائل ،كالحلم والكرم ،والعفو ،والصفح والتجاوز ،وكظم الغيظ، وأحتمال المكروه والعفة ونحوها ،ثم تهجر في الليل غمضها ،وهو كناية عن إحياء ليلها بعبادة ربها واشتغالها بذكره حتى إذا غلب النوم عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها ،أي لم يكن لها كلفة في تهيئة فراش وطيب وساد بل كانت برية عن كل كلفة عرية عن كل فينة منزهة عن كل ترفة.(فِي مَعْشَرٍ)الإجمال حيث يصلح تعلقه بكل من أفعال النفس المذكورة أي فعلت هذه الأفعال في جملة معشرٍ من شأنهم ،وجاء تفصيل ذلك في كونهم ،أسهر عيونهم خوف معادهم،وتجافت جنوبهم عن مضاجعهم ،وهو كناية عن اشتغالهم ليلاً بعبادة ربهم **كقوله تعالى:(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)**[٤]،وهمهمت بذكر ربهم شفاههم كقوله تعالى(يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا)[٥]،وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم، واستعار الإمام لفظ(التقشع)؛لأنمحاء ذنوبهم ووجه المشابهة أنّ الذنوب والهيئات البدنية في تسويدها لألواح النفوس وتغطيتها وحجبها لها عن قبول أنوار الله تشبه المتراكم الحاجب لوجه الارض.عن قبول نور الشمس والاستعداد بها للنبات وغيره فاستعار لزوالها وانمحائها من الواح النفوس لفظ التقشع، فكانت انتقالاته من الإجمال في لفظة النفس ،ثم تفصيله لتلك النفس التي استحقت لها لفظة (طوبى) شافية للنفس فخرج الكلام بحلة جميلة تميل

---

[١]الرعد:٢٥.
*عركت: تحملت: ينظر القاموس المحيط: ٨٩٧.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٩٦.
[٣]ينظر: القاموس المحيط:٨٧.
[٤]السجدة:١٦.
[٥]السجدة:١٦.

إليها القلوب، وتخضع لها النفوس وهذا كله بفضل(بلاغة أسلوبه وأحكامة وأشراقه وأستمداده من أساليب الذكر الحكيم والبلاغة النبوية)[١].

وعندما يصور الإمام (عليه السلام)الأخ فنجد تصويره وجدانياً ينم عن مدى اختيار لذلك (الأخ) الأمثل في الصفات والأسوة للناس به فلنقرأ بذلك لأمير المؤمنين:(كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ وَ كَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَ كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ وَ لَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ وَ كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً فَإِنْ قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ وَ نَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ وَ كَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ وَ صِلُّ وَادٍ لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً وَ كَانَ لَا يَلُومُ أَحَداً عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ وَ كَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ وَ كَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَ لَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ وَ كَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ وَ كَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ وَ كَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَيُخَالِفُهُ فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلَائِقِ فَالْزَمُوهَا وَ تَنَافَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ)[٢].

اختلف الشّراح في لفظة (أَخٌ) النكرة المجملة والتي جاءت في سياق إثبات،فابن أبي الحديد يقول في لفظة (أَخٌ):(اختلف الناس في المعني بهذا الكلام ،ومن هو هذا الأخ المشار إليه؟ فقال قوم:هو رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)،واستبعده قوم لقوله:(وكان ضعيفاًمستصعفاً)،فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)،لايقال في صفاته مثل هذه الكلمة،ولأن أمكن تأويلها على لين كلامه وسماحة أخلاقه،إلاّ أنها غير لائقة به.

وقال قوم :هو أبو ذر الغفاري واستبعده لقوله:(فإن جاء الجد فهو ليث غابٍ،وصل وادٍ)فإن أبا ذر لم يكن من الموصوفين بالشجاعة، والمعروفين بالبسالة.

وقال قوم:هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود ، وكان من شيعة علي (عليه السلام)المخلصين،وكان شُجاعاًمُجاهداًحسن الطريقة.

وقال قوم : (إنه ليس بأشارة إلى أخ معين، ولكنه كلام خارج مخرج المثل، وعادة العرب جارية بمثل ذلك ،مثل قولهم في الشعر :فقلت لصاحبي، ويا صاحبي، وهذا عندي أقوى الوجوه)[٣].

أما الشارح ابن ميثم البحراني فقد ذهب إلى أن المشار إليه في لفظة (أَخٌ) هو أبو ذر الغفاري، وقيل :هو عثمان بن مطعون.[٤]

أما الشارح محمد جواد مغنية قال:لا ندري هل أراد الإمام بالأخ شخصاً معيناً،أو أراد الشخص المثالي الذي يجب أن يُحتذى ؟ ولا شيء يرجح أحد الأحتمالين سوى الحدس،وهو لا يغني عن الحق شيئاً، وإن أعتمد عليه بعض الشارحين في ترجيح الثاني على الأول ... وأيا كان فقد وصف الإمام هذا الشخص مثلاً كريماً في دينه وخلقه وعلمه وعقله،وصبره وزهده، وجهاده، وشجاعته.

---

[١] الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام:١٤١.
[٢] شرح نهج البلاغة(عبده):٤٨٩.
[٣] شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):٣٣٥/٥.
[٤] ينظر:شرح نهج البلاغة(البحراني):٤٧٠/٥.

ويرجح الباحث الشخص المثالي في تفكير الإمام ،فيما يختاره الإنسان من الصديق المثالي، فالأنسان في أشد الحاجة الى شخص بهذه الصفات المثالية المتحلي بها، ومن تلك الصفات التي وضحها وفصلها الإمام لذلك الصديق المثالي هي يستصغر الدنيا وينظر اليها بعين الإحتقار،وكان خارجاًعن سلطان بطنهوهو كناية عن خروجه من أسر شهوته وخلاصة من رذيلة الفجور إلى فضيلة العفة، فكف شهوته عما لا يجد يستلزم نزاهته عن رذيلة الشره والنهم ونحوهما،وعدم الأكثار مما يجد يستلزم نزاهته عن رذيلة الشره والنهم ونحوهما،وكان أكثر دهره صامتاً عما لا يعنيه ولا فائدة فيه ،فإنه ينطق الحكمة في موضعها،وأما غلبة السكوت عليه فلقوة عقله ،كما قال عليه السلام:(إذا تم العقل نقص الكلام)[١]،وكان ضعيفاً،أي فقيراً منظوراً إليه بعين الذلة والفقر ؛ وذلك من لوازم فضيلة التواضع. أما في الحرب والغضب لله وكنى عن ذلك بقوله:فإذا جاء الجد فهو ليث غاب عن سطوته وعدواته ولفظ (الصل) بأعتبار بأسه ونكايته في العدو ،والمثل يضرب (بحية الوادي) في الشجاعة ونكاية السم. وكان لا يدلي بحجته حتى يجد قاضياً وهو من فضيلة العدل في وضع الأشياء مواضعها وكونه لا يلوم أحداً على أمر يحتمل العذر إلا بعد سماع الاعتذار فإن كان هناك عذر قبله ؛وذلك من لوازم العدل والأنصاف وفضيلة الثبات واحتمال المكروه، وكونه لا يشكو ما ينزل به من الأمراض لتسليمه لأحكام الله ورضاه بها بل لعله يحكيها بعد برئه على سبيل الأخبار دون شكاية ،وأنه كان يكتم مرضه كيلا يتكلف الناس زيارته فيشق عليهم ذلك ،وكان يطابق بفعله قوله ويحترز من الكذب والحلف ، وكان يترك المماراة والمجادلة والمغالبة في الأقوال ويعدل الى السكوت إذا غولب في القول ، وذلك من فضيلة الحكمة لعلمه بمواقع السكوت والكلام ومن فضيلته لقهره قوته الغضبية في المغالبة، وكان أحرص على الإستماع منه على الكلام ترجيحاً لجانب الأستعاذة على الإفادة والأول أهم من الثاني ؛وذلك من فضيلة الحكمة. وكان اذا خطر بباله أمران دفعه من غير سابقة فكر أيهما أصلح مثلاً كالتزويج وعدمه فكر في أيهما أقرب إلى الهوى وميل الشهوة كالتزويج مخالفة الى تركه ، ووردت هنا(أي) موصولة في قول الإمام(أيهما أقرب الى الهوى)(فأيهما)،مبتدأ و(أقرب)خبر، وبعد هذه الصفات التي بينهاووضحها الإمام في جملة تفصيلية عن الأخ المثالي يوحي بالأخذ بتلك الصفات المثالية عبراسم فعل الأمر(فعليكم بهذه الخلائق)بلزومها والتنافس فيها أو في بعضها إن لم يمكن الكل ، ورغب في ذلك بقوله :(فاعملوا أنّ أخذ القليل خير من ترك الكثير) وكلما كان خيراً فينبغي لزومه والتنافس فيه.[٢]

---

[١]شرح نهج البلاغة (عبده):٤٥٢.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٧١/٥.

ونرى في خطبة أخرى من خطب الإمام يؤتى بالمجمل(النكرة)للدلالة على التحقير من شأن ذلك الرجل الذي يصفه الإمام بقوله:(أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَ يَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ فَاقْتُلُوهُ وَ لَنْ تَقْتُلُوهُ أَلَا وَ إِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَ الْبَرَاءَةِ مِنِّي فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَ لَكُمْ نَجَاةٌ وَ أَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّءُوا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَ سَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَ الْهِجْرَةِ)[١].

نُكرت لفظة (رَجُلٌ) المجملة في سياق التنبيه بعدة مؤكدات منها(أما الشرطية)، وهي حرف شرط وتوكيد وتفصيل ،ثم التأكيد ب(أن)وضمير الشأن ، والسين التي اختصت بالدخول على الفعل المضارع وتخليصه للاستقبال والسين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة.[٢]،وبهذا يكون الخبر الملقى هنا يفيد(الإنكار)،بحكم إن المتلقي منكر حكم الخبر المساق بعيداً عن قناعته ،ولا يتقبله بسهولة ، ممايتطلب تأكيده بأكثرمن مؤكد .[٣] ،واختلف الشراح في لفظة (رَجُلٌ) : فمن قال أنه معاوية، ومن قائل آخر هو زياد بن أبيه، وقائل ثالث: هو المغيرة بن شعبة، وقائل رابع : انه الحجاج ، والظاهر أنه معاوية بدليل قول الإمام:(سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَ الْبَرَاءَةِ مِنِّي)وليس في شك أن معاوية هو الذي سن هذه السنة السيئة.[٤] هذا إلى أن الرواة قالوا: كان بطن معاوية كبيراً ، وأنه كان يأكل كثيراً، وإذا قعد وضع بطنه على فخذه .وفي شرح ابن أبي الحديد :(تظاهرت الأخبار إن رسول الله (صلى الله وعليه وسلم)، دعا على معاوية وقال:(اللهم لا تشبع بطنه)[٥]، ولجأ الإماماِلى التفصيل ب(أما) التفصيلية.[٦]وعبرأسلوب (الجمع والتفريق والتقسيم)[٧]، وإشارة الإمام بأنه سيأمرهم هذا الرجل بسبهورخصّ لهم بذلك عند الإكراه عليه ولم يرخص التبري منه ، والفرق بينهما لطيف؛ وذلك أن السب من صفات القول اللساني وهو أمر ممكن إيقاعه من غير اعتقاد مع احتماله التعريض ومع ما يشتمل عليه من حقن دماء المأمورين ونجاتهم بامتثال الأمر به،وأما التبري فليس بصفة قولية فقط بل يعود إلى المجانبة القلبية والمعاداة والبغض وهو المنهي عنه ،ها هنا فإنه أمر باطن يمكنهم الانتهاء عنه ولا يلحقهم بسبب تركه سوء ، وعدم امتثال الأمر به ضرر وكأنه لحظ فيها **قوله تعالى: (إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ)[٨]**، وفي إشارة الإمام في السب(فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَ لَكُمْ نَجَاةٌ) إشارة إلى أسباب ترخيصه في سبهِ، أما نجاتهمبسببه ،فظاهرة، وأما كونه زكاة فلوجهين: أحدهما:ما روي في الحديث أن ذكر المؤمن بسوء هو زكاة له ، وذمه بما ليس فيه زيادة في جاهه وشرفه.[٩]

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):٨٢.
[٢]ينظر:البلاغة فنونها وأفنانها:١١٤/١، وعلم المعاني:٤٤ـ٤٥.
[٣]ينظر :مفتاح العلوم :٨١. ،والإيضاح:١٤.
[٤]ينظر :في ظلال نهج البلاغة(مغنية):٣٠٧/١.
[٥]شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):٤٧٤/١.
[٦]ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:٧٧/١.، [٧]سيرد شرح ذلك لاحقاً في القادم من الأطروحة.
[٨]النحل:١٠٦.
[٩]ينظر صحيح البخاري:١٨/١.

والآخر: إنّ الطباع تحرص على ماتمنع منه وتلح فيه ، فالناس لما مُنعوا من ذكر فضائله والموالاة له وألزموا سبه وبغضه ازدادوا بذلك محبة له وإظهاراً لشرفه، ولذلك أنه (عليه السلام)، لما سبه بنوأمية ألف شهر على المنابر ما زاد ذكره(علي) إلا علواً، والمنقول أن الذي أمر بقطع سبه (عمر بن عبد العزيز)، ووضع مكان سبه في الخطبة(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ)[١]،ثم يعلل الإمام عدم البراءةمنه بأنه ولد على الفطرة ،فطرةالله التي فطر الناس عليها ، وهي بعثهم إلى عالم الأجسام مأخوذاً عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن العدل في سلوك صراطه المستقيم، وأراد بسبقه إلى الإسلام والهجرة مع رسول الله(صلى الله عليهوآله وسلم)، فيما جاء به من الدين وصحبته له ومهاجرته معه مستقيماً في كل ذلك على فطرة الله لم يدنس نفسه بشيء من الملكات الرديئة مدة وقته ، أما زمان صغره للخبر المشهور: كل مولود يولد على الفطرة ، ولأن رسول الله(صلى الله عليهوآله وسلم)هو المتولي تربيته وتزكية نفسه بالعلوم والإخلاص من أول وقته إلى أن توفى(صلى الله عليهوآله وسلم)،وكان قبوله واستعداده لأنوار الله أمراً فطرت عليه نفسه، وجُبلت عليه طبيعته حتى لم يلحقه في ذلك أحد من الصحابة وظاهر أن من كان بهذه الصفة من خلفاء الله وأوليائه كان التبرؤ منه تبرءاًمن الله ورسوله فوجب الانتهاء عنه.[٢]وبهذا الكلام يكون الإمام قد حدد المراد من اللفظة المجملة النكرة في سياق الإثباتوهي لفظة (رَجُلٌ)، فكان السامع متشوقاً لسماع الخبر ومعرفته من خلال الصفات التي تحدث عنها الإمام وبدأت جلية للسامع.لهذا قال الجرجاني:(وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة غفلاً ، مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، لان ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام،ومن هنا قالوا:(إنّ الشيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار)[٣].

ونختم كلامنا بقوله إذ قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان؟فقال عليه السلام:(إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا حُرِّكَ عَلَى أُمُورٍ فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ وَ فِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَ فِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَ لَا ذَاكَ فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ وَ تَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا وَ تُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً فَاهْدَءُوا عَنِّي وَ انْظُرُوا مَا ذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي وَ لَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً وَ تُسْقِطُ مُنَّةً وَ تُورِثُ وَهْناً وَ ذِلَّةً وَ سَأُمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ وَ إِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ)[٤].

نجد أن لفظة(أمور) في النص وردت مجملة وهي نكرة في سياق اثبات، فالناس من هذا الأمر أي أمرقتل عثمان والمطالبين بدمه على أمور وجاء تفصيل تلك الأمور بكونهم على ثلاث فرق ، ففرقة ترى كون الإمام مصيباً وهم الطالبون، وفرقة ترى أنه مخطئ وهم أنصار المقتص منهم، وفرقة لا ترى هذا ولا ذاك ، بل تتوقف كما جرى ذلك في أمر التحكيم، ثم أمرهم الإمام بالصبر إلى غاية هدوء الناس،إذ بيّن لهم أنه لا مصلحة في تحريك الأمر حينئذٍ فإن الحقوق عند هدوء الناس واستقرار

---

[١]النحل:٩٠.
[٢]ينظر:شرح نهج البلاغة(البحراني):٣٢٢/١-٣٢٣.
[٣]دلائل الإعجاز:١٠٢.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٣٥.

القلوب أسهل مأخذاً ، ثم جاء الإمام بأسلوب (الأمر) عبر فعل الأمر(فَاهْدَءُوا ، وَ انْظُرُوا)، ليدل على ترصده وانتظاره للفرصة من هذا الأمر، ثم خوفهم من الاستعجال بفعل يضعف شوكة الدين ويورث وهنه فإنه لو شرع في عقوبة الناس ولقبض عليهم لم يؤمن من تجدد فتنة أخرى أعظم من الأولى، وهو غالب الظن، فكان الأصوب في التدبير والذي يقتضيه العقل والشرع الإمساك إلى حين سكون الفتنة وتفرق أولئك الشعوب ورجوع كل قوم إلى بلادهم ، وجاء الإمام بحرف (السين)في الفعل المضارع(وسأمسك) للدلالة على الاستقبال والوعد في الفعل،في أنه سيمسك أمر الخلافة بجهده وإذ لم يجد بداً:أي من قتال من يبغي وينكث(فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ)[١]، (إستعارة تمثيلية)وهو من الأمثال التي وظفها الإمام (عليه السلام) مبالغةً في التشبيه، وهي كثيرة الورود في الأمثال السائرة[٢]، أي فآخر الدواء الْكَيُّ أي مداواة المريض، وأيضاً آخر دواء للعصاة عن أمر الإمام هو الحرب والقتال وهي الغاية التي تنتهي بها مداواة أمراض قلوبهم.وبهذا يكون الإمام قد أعطى للفظة (أُمُورٍ) المجملة حقها في البيان والإيضاح وبأسلوب بلاغي يُشَوِّقُ السامع إلى سماعه.

---

[١]المستقصي في أمثال العرب:٥/١.
[٢]ينظر: جواهر البلاغة:٣٣٣.

المبحث الأول:دلالة أسلوب الإجمال في النكرة

النكرة :- هي لفظةٌ مبهمة الدلالة غير محددة في العالم الواقعي (الخارجي)،إذ لا تدلُّ على شيء بعينه.[١]وهي: (ما شاع في جنس موجود في الخارج تعدده،أو مقدار وجود تعدده فيه)[٢].

وللتنكير دلالةلا تقلُأهميَّةً عن التعريف في إبراز مواطن الجمال في اللغة الإبداعية، إذ قد(يظن ظان أن المعرفة أجلى فهي من النكرة أولى، ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليقة ، وأن سلوك الإيضاح ليس سلوكاً للطريق ولاسيما في موارد الوعد والوعيد ، والمدح ، والذم اللذين من شأنهما التشديد، وعلة ذلك أن مطامح الفكر متعددة المصادر بتعدد الموارد ،والنكرةمتكثرة الأشخاص يتقاذف الذهن من مطالعها إلى مغاربها وينظرها بالبصيرة من منسمها إلى غاربهافيحصل في النفس لها فخامة وتكتسي منها وسامة ، وهذا فيما ليس لمفرده مقدار محصور بخلاف المعرفة، إنه لواحد بعينه يثبت الذهن عنده ويسكن إليه)[٣]، وقد التفت إلى هذه الحقيقة النفسية السكاكييقوله:(إنَّ احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في تعريفه أقوى، ومتى كان أقرب كانت أضعف، وبعد تحقق الحكم بحسب تخصيص المسند إليه،كلماأزداد تخصصاً أزداد الحكم بعداً،وكلما أزداد عموماً أزداد الحكم قرباً)[٤]،

وتقسم النكرة على خمسة أقسام من حيث جهة التقريب وهي:شيء،وجسم، وحيوان، وإنسان، ورجل. فالشيء ما كان موجوداً، والجسم ما كان متشخصاً، والحيوان ما كان له روح ويألم، والإنسان جميع بني آدم، والرجل يختص ذكور العاقلين دون الإناث ، وبعض هذه النكرات أنكر من بعض ،فكل شيء كان أعم من غيره فهو أنكر منه ، فعلى هذا تقول :أنكر النكرات شيء ثم بعده جسم ،ثم بعده حيوان، ثم بعده إنسان ، ثم بعده رجل يدلك على ذلك . إن الأخص يدلك على الأعم ، كل جسم شيء وليس كل شيء جسماً، لأن أصل الأشياء كلها شيء وهو نكرة.[٥]وعلى وفق هذا المفهوم يمكن التأسيس على أنَّ النكرة تمثل المطلق بعينه؛لأنه يدل على ماهية شائعة بين أبناء جنسها،وهذه الماهية تدل على واحدة من الماهيات لا بعينها ، غير أن من النكرة في سياق الإثبات ما تأتي مجملة ، وذلك تحديداً في الألفاظ المنكرة التي لاتدل على ماهية من الماهيات التي يمكن تجزئتها ، فما قَبل من النكرات التجزؤ كان مطلقاً وما لم يكن خاضعاًللتجزؤ هو من أسماء

---

[١]ينظر :الكتاب:٢٢/١ .،والمقتضب:٥١٨/٤ .، والأصول في النحو:١٤٨/١ .،والتعريفات١٧٠.

[٢]شرح الحدود النحوية:٦٤.

[٣]البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن:١٣٦.

[٤]مفتاح العلوم:٨٥.

[٥]ينظر :كشف المشكل في النحو:٤٤/٢،٨٣.

المعنى كان مجملاً فهو أشد إبهاماً من النكرة المطلقة، وهذا ينطبق على سياق النكرة في نطاق الإثبات وليس النفي؛ لأن وقوع النكرة بعد النفي يفيد العموم.وسنقف على أمثلة مجملة فصَّلها الإمام(عليهالسلام) ، وأخرى تركها للشراح ليفسروها بعده وهو أسلوب متفرد بالإمام(عليه السلام).

ومن أمثلة النكرة (المجملة) في سياق الإثباتتأمل الإمام (عليه السلام)في الدنيا وأحوالها ورأيه فيها حيث هي دار ممرٍ لا مقرٍ ،وإن الإنسان فيها ضيف إلى أجلٍ،ثم على دار الخلود ولا بدع إذا قاسها الإمام بما فيها من الآلام والمتاعب ما دام سرورها إلى زوالٍ بقوله:-

(أَ وَ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَ يُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى فَمَيِّتٌ يُبْكَى وَ آخَرُ يُعَزَّى وَ صَرِيعٌ مُبْتَلًى وَ عَائِدٌ يَعُودُ وَ آخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ وَ طَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَ الْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَ غَافِلٌ وَ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ وَ عَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي)[١].

إننا في هذه اللوحة نقف إزاء فنان بارع، دقيق التشخيص، حاذق التصوير، رسم عباراته بأسلوب بياني مؤثر،إذ كان لأسلوب الاستفهام التقريري في قوله(أَ وَ لَسْتُمْ....)أثر في تصوير الألم الذي يعتصر قلب الإمام(عليه السلام)،وهو يقرر في نفس قارئه ذلك الفعل في رؤية حال الدنيا في كونهم (يُصْبِحُونَ ،وَ يُمْسُونَ)، ومدى دلالة الفعلين المضارعين في الاستمرارالتجددي.[٢]، ومجيء الإجمال في لفظة (أحوالٍ) وهي نكرة في سياق إثباتإذ لايمكن معرفة ما الأحوال المختلفة التي يصبح ويمسي عليها أبناء الدنيا ،ثم يفصل الإمام تلك الأحوال: فمن ميت يبكى عليه ،وآخر يعزى،وآخر صريع مبتلى بالأمراض والأسقام، وآخر يعوده مشغول الخاطر به ،وآخر في المعاوقةوالاحتضار. والسالم من تلك الأمور طالب للدنيا والموت من ورائه طالب له ،غافل عما يراد به وليس الله بغافل عنه، ثم لابد أن يمضي وإن طال بقاؤه ، وقدم الميت على أقسام أهل الدنيا ؛لأن ذكره أشد موعظةومجيء الجناس اللاحق بين (يعود،ويجود)،وتجسدت الاستعارة في لفظة (الجود)للمحتضر ؛لأنه يسلّم نفسه مثلما يعطي الجواد من ماله،وتوظيف أسلوب (العكس والتبديل) فمرة هو يطلب الدنيا ويسعى وراء ملذاتها ومرة يطلبه الموت فلا يتركه حتى يدخله في حفرته ،وغافل عن ذكر الله،وأهوال ذلك اليوم ،وهو ليس بمغفولعنه؛لأن الله عالم به وسيجزيه على ما عمل في دار الدنيا ،كل تلك الأساليب البلاغية والتنوع في صياغة العبارات أسهم في إغناء المعنى تارة ،ولتُعبر عن بلاغة قائلها مرة أخرى

---

[١]نهج البلاغة(عبده): ١٤٧.
[٢]ينظر:جواهر البلاغة:٧٢.

والمبدع هو الذي يستطيع بفعل قدرته أن يحول الواقع البسيط إلى واقع فني نابض بالحياة ،فنرى الحياة بصورتها الحقيقية من خلال حدسه الإبداعي الذي يستطيع من خلاله تحليل الحياة الاجتماعية في كل عصر بوصفه شاهداً مثقفاً.

وفي خطبة أخرى تمتد بالإمام علي (عليه السلام) الحماسة في سبيل الدفاع عن الإسلام والرسول وفي ظل تجربةالثباتوالتحدي أمام الأعداء المتكاتفين المتفقين على إطفاء نور الله فقد اجتمع كفار قريش على الرسول(صلىاللهعليهوآله) ،وعبر صورة مؤثرة يبرز فيها الإمام قوة عزيمته وشكيمته حيث تسأل قريش الرسول:- ((نَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَ أَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَ رَسُولٌ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَقَالَ (صلى الله عليه وآله) وَ مَا تَسْأَلُونَ قَالُوا تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَ تَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَقَالَ (صلى الله عليه وآله) إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَ تُؤْمِنُونَ وَ تَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ وَ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ وَ إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ وَ مَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ ثُمَّ قَالَ (صلى الله عليه وآله) :يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ تَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْبِعُرُوقِهَا وَ جَاءَتْ وَ لَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَ قَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) مُرَفْرِفَةً وَ أَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَ بِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَ كُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ (صلى الله عليه وآله) فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عُلُوّاً وَ اسْتِكْبَاراً فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَ يَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَ أَشَدِّهِ دَوِيّاً فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَقَالُوا كُفْراً وَ عُتُوّاً فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ (صلى الله عليه وآله) فَرَجَعَ فَقُلْتُ أَنَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ أَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَ إِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ وَ هَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْنُونَنِي))[١].

إذا ما دقّقنا النظر نجد أن لفظة (أَمْراً) وهو نكرة في سياق إثبات وقد دلّ على الإجمال بدليل الفعل (نَسْأَلُكَ) والذي يدل على معنى السؤال فيه وهو مبهم يدعو إلى الانتباه ما هو مهم لدى المخاطب ، ثم سأل الكفار الرسول الأعظم (صلى الله وعليه وآله وسلم) (أَمْراً)، وكان تفصيل ذلك الأمر المبهم بحديث الشجرة وخطاب النبي لتلك الشجرة: إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ....، وفي هذا الخبر ما يفيد أن للنباتات والجمادات نوعاً من الإدراك والشعور الذي أفاضه عليها الله، كما تفيد أنها مؤمنة أيضاً بالله واليوم الآخر، ولدينا العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى ذلك الإيمان والشعور والإدراك ، وتفيد أنها تسبح لله وتقدسه. كقوله تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ

[١]شرح نهج البلاغة (عبده):٢٨٦.

السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)[١]، فكانت معجزة الشجرة كبيرة للنبي الأكرم(صلى الله وعليه وآله وسلم)بإذن الله في اقتلاعها ووقوفها بين يديه ، ولكن هذه المعجزة الباهرة لم تؤد إلى إيمان المشركين المتعصبين كلا، بل كعادتهم أخذوا يفتشون عن الذرائع وهو ما أشار إليه الإمام (عليه السلام) **(فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عُلُوّاً وَ اسْتِكْبَاراً فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَ يَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَ أَشَدِّهِ دَوِيّاً فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَقَالُوا كُفْراً وَ عُتُوّاً فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ (صلى الله عليه وآله) فَرَجَعَ فَقُلْتُ أَنَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ أَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَ إِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلْ ساحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ وَ هَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْنُونَنِي)**، وبهذا فصّل أمير المؤمنين اللفظ المجمل (أَمْراً) بحديث الشجرة فكان في الإجمال أولاً تفخيم وتعظيمٌ للأمر المبهم، وفي التفصيل توكيد وتثبيت في نفس المتلقي ثانياً.

ونظير ما تقدم نجده يقول (عليه السلام):(بَلَغَنِي عَنْكَ أَمرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ وَ عَصَيْتَ إِمَامَكَ أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَ خُيُولُهُمْ وَ أُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَاناً وَ لَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ وَ لَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا أَلَا وَ إِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَ قِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ وَ يَصْدُرُونَ عَنْهُ)[٢].

أورد الإمام في خطابه جملة تفصيلية(أَنَّكَ تَقْسِمُ)للفظ(أمرٌ) النكرة المبهمة في النص و(أمرٌ) فيه دلالة على عظم الأمر وان في عملية الانتقال من الإبهام إلىالإيضاح زيادة اهتمام ومبالغة في عظم ذلك الأمر ،إذ حقق الإبهام تشويقاً في خطاب الإمام (عليه السلام) فإن ابتداءه هذا الأمر مُجملاً يترك المتلقي في حال تفكر وتأمل وولع وسعي وراء معرفته ثم بينه ليقف المخاطب على المراد من هذا المبهم ،هذا من جهة ومن جهة أخرى إن عملية الانتقال هذه من الإبهام إلى البيان تشعرنا بمدى اهتمام الإمام(عليه السلام) بمسألة استغلال عامله (مصقلة بن هبيرة) لوظيفته واعتدائه على بيت المال في إيثاره ذوي قرباه وأبناء قبيلته في قسمة الأموال وحرمان المسلمين من حقوقهم فيها ،فعبر (عليه السلام) عما يحزُّ في نفسه من غضبٍ بصورة يتنبه معها العامل من غفلته لذا خاطبه (عليه السلام) بصلابة .

---

[١]الإسراء:٤٤.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٩١.

(والصلابة في كلام المتحدث لها اثرها في المستمع)[١] ، حيث يقسم الإمام على أن يأخذ بما هو أهل له من العقوبة والتأديب فإن القوي عندي ضعيف حتى آخذُ الحق منه، والذليل عندي عزيز حتى اخذ الحق له، وجاء الإمام بأسلوب تفصيلي آخر وهو التميز في قوله (هَوَاناً ،ميزاناً، أعمالاً)، فكان له دور كبير في توضيح الخطاب ؛لأنه يمتلك القابلية على إقصاء الإجمال من المعنى وتفصيله للمخاطب.[٢].

وعندما يريد الإمام أن يبين صفة الشيطان وهو (النفاق) والمنافق نراه يجسد ذلك المرض الخطير بوصفه آفة من الآفات الاجتماعية الرذيلة فيقول (عليه السلام):(للمنافقين علاماتٌ يعرفون بها:تحيتهمُلعنة،وطعامهم تُهمة، وغنيمتهم غلول،لا يعرفون المساجد إلا هجراً،ولا يأتون الصلاة إلا دُبراً، مستكبرون لا يألفون ولايؤلفون،خشبُ* باليل صخُب* بالنهار)[٣].

نجد لفظة(علاماتٌ) هنا نكرة مجملة في سياقإثبات ،فهناك علاماتُ خاصة يعرف بها أهل النفاق ،ويعّد النفاق من أقبح الرذائل الأخلاقية الذميمة ، والمتلبس به يتصيّد في الماء العكر ، وحينما تتلوث الطبيعة الإنسانية بنفايات الكذب ونكث العهد وخلف الوعد ، يجد النفاق لنفسه الفرصة المؤاتية للتوغل في هذه الطبيعة الملوثة حتى يصبح مرضاً مزمناً في النفس يصعب شفاؤها منه ،وهو يجر الإنسان إلى الانحطاط الخلقي واللامبالاة ويفقد ثقته ويصبح نهباً للقلق وسوء الظن والتشاؤم والاضطراب،ومن كانت هذه حاله فإنه يعامل الآخرين بالود والحب والاحترام،إلا أنه يحمل بين طياته سموم الحقد والكذب والرياء، وقد وصف الإمام (عليه السلام) علامات هؤلاء المنافقين وفصلها بكون تحيتهم لعنة، ولما كانت حياة المنافق حياة مضطربة يكتنفها الذل والصغار وأنه مهما حاول أن يخفي حقيقته عن الناس فإن الأيام كفيلة بإظهارها فيما يفعل لا محالة،حيث يبطن خلاف ما يظهر ، وطعامهم تُهمة أي فيه خبث ريح وزهومة ، وغنيمهم غلول أي فيها حقد،وجاء الإمام بأسلوب القصر (النفي والاستثناء)،ليؤكد قوة الترابط بين الصفة والموصوف عبر قصره للموصوف (المنافقون)في الفعل (يعرفون) وهو (واو الجماعة) على الصفة (الهجر) اي يمشون إلى المساجد بثقل وضعف ، وجاء القصر ثانٍ في الحكمة ذاتها عبر قصر الإمام أيضاً الموصوف (المنافقون) وعبر الفعل (يأتون)،(والنفي والاستثناء)،حيث (لا يأتون الصلاة إلا دُبراً) ، أي في آخر وقتها فهم مستكبرون،ولا يألفون ولا يؤلفون)، وهذه الصفات تجسد حالة الغضب العام الذي ينتاب الإمام عند تصويرهم،معززاً تصويره بتكرار الحرف(لا) ،وأخيراً يصفهم الإمام ويبين أنهم خشبباالليلأي ساكنون لا يتحركون كالخشب ، أما بالنهار فهو صخب ،فهم يتلونون بألسنتهم وبصفاتهم الذميمة، وبذلك تكون للفظة المنكرة المجملة(علاماتُ) أثر في تبين وتفصيل الصفات القبيحة التي لا يمكنأنيتصف بها إلا من فقد المروءة ، وخرج من الدائرة الإنسانية وهذه الصفة تبعث الذل والمهانة أمام

---

[١]ينظر:الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل(الشيرازي):١٣٥/٩.
[٢]ينظر: علم المعاني(عتيق):٤٣.
*خشب: أي لا خير فيه: ينظر القاموس المحيط:٥٦.
*صخب: داهية : ينظر القاموس المحيط: ٢١٤.
[٣]ينظر:شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٥٣٠/٥.

الناس وتورث العاقبة السيئة ، والعذاب الأليم في الآخرة،يقول تعالى في شأنهم:(**وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)**[١].

ويستكمل الإمام (عليه السلام)رسم صورته للمؤمنين الصادقين الذين لا يغرهم حطام الدنيا، فهي نفوس مطمئنة هادئة مسلمة إلى ربها لا تحيد عن الطريق المستقيم مهما أطبقت وأثقلت الدنيا عليهم بهمومها وعنائها ،فكيف تستوحش تلك النفوس المطمئنة وهي آنسة بذكر الله الذي يعيش ذكره في كوامن نفوسهم ،جاء ذلك في قول الإمام :(**طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا وَ عَرَكَتْ* بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا وَ هَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا وَ تَوَسَّدَتْ كَفَّهَا فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ وَ تَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ وَ هَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ وَ تَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ)**[٢].
في تحفةٍ فنية أخرى نجده يجمل في الفاظ(لنفس)و(وفي معشرٍ)،إذ نبه الإمام على أن النفس إذاكانت بالصفات المذكورة فلها استحقاق (طوبى :وهي الطيب،والحسن والخير، وقيل شجرة في الجنة.[٣].وجيء بتفصيل تلك النفس المؤمنة بقيامها بواجب الطاعة لله وما افترضه عليها،وعركت بجنبها بؤسها ،كناية عن الصبر على نزول المصائب،ويلازم ذلك عدةفضائل ،كالحلم والكرم ،والعفو ،والصفح والتجاوز ،وكظم الغيظ، وأحتمال المكروه والعفة ونحوها ،ثم تهجر في الليل غمضها ،وهو كناية عن إحياء ليلها بعبادة ربها واشتغالها بذكره حتى إذا غلب النوم عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها ،أي لم يكن لها كلفة في تهيئة فراش وطيب وساد بل كانت برية عن كل كلفة عرية عن كل فينة منزهة عن كل ترفة.(فِي مَعْشَرٍ)الإجمال حيث يصلح تعلقه بكل من أفعال النفس المذكورة أي فعلت هذه الأفعال في جملة معشرٍ من شأنهم ،وجاء تفصيل ذلك في كونهم ،أسهر عيونهم خوف معادهم،وتجافت جنوبهم عن مضاجعهم ،وهو كناية عن اشتغالهم ليلاً بعبادة ربهم **كقوله تعالى:(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)**[٤]،وهمهمت بذكر ربهم شفاههم كقوله تعالى(يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا)[٥]،وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم، واستعار الإمام لفظ(التقشع)؛لأنمحاء ذنوبهم ووجه المشابهة أنّ الذنوب والهيئات البدنية في تسويدها لألواح النفوس وتغطيتها وحجبها لها عن قبول أنوار الله تشبه المتراكم الحاجب لوجه الارض.عن قبول نور الشمس والاستعداد بها للنبات وغيره فاستعار لزوالها وانمحائها من الواح النفوس لفظ التقشع، فكانت انتقالاته من الإجمال في لفظة النفس ،ثم تفصيله لتلك النفس التي استحقت لها لفظة (طوبى) شافية للنفس فخرج الكلام بحلة جميلة تميل

---

[١]الرعد:٢٥.
*عركت: تحملت: ينظر القاموس المحيط: ٨٩٧.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٩٦.
[٣]ينظر: القاموس المحيط:٨٧.
[٤]السجدة:١٦.
[٥]السجدة:١٦.

إليها القلوب، وتخضع لها النفوس وهذا كله بفضل(بلاغة أسلوبه وأحكامة وأشراقه وأستمداده من أساليب الذكر الحكيم والبلاغة النبوية)[١].

وعندما يصور الإمام (عليه السلام)الأخ فنجد تصويره وجدانياً ينم عن مدى اختيار لذلك (الأخ) الأمثل في الصفات والأسوة للناس به فلنقرأ بذلك لأمير المؤمنين:(كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ وَ كَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَ كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ وَ لَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ وَ كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً فَإِنْ قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ وَ نَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ وَ كَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ وَ صِلُّ وَادٍ لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً وَ كَانَ لَا يَلُومُ أَحَداً عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ وَ كَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ وَ كَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَ لَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ وَ كَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ وَ كَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ وَ كَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَيُخَالِفُهُ فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلَائِقِ فَالْزَمُوهَا وَ تَنَافَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ)[٢].

اختلف الشّراح في لفظة (أَخٌ) النكرة المجملة والتي جاءت في سياق إثبات،فابن أبي الحديد يقول في لفظة (أَخٌ):(اختلف الناس في المعني بهذا الكلام ،ومن هو هذا الأخ المشار إليه؟ فقال قوم:هو رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)،واستبعده قوم لقوله:(وكان ضعيفاًمستصعفاً)،فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)،لايقال في صفاته مثل هذه الكلمة،ولأن أمكن تأويلها على لين كلامه وسماحة أخلاقه،إلاّ أنها غير لائقة به.

وقال قوم :هو أبو ذر الغفاري واستبعده لقوله:(فإن جاء الجد فهو ليث غابٍ،وصل وادٍ)فإن أبا ذر لم يكن من الموصوفين بالشجاعة، والمعروفين بالبسالة.

وقال قوم:هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود ، وكان من شيعة علي (عليه السلام)المخلصين،وكان شُجاعاًمُجاهداًحسن الطريقة.

وقال قوم : (إنه ليس بأشارة إلى أخ معين، ولكنه كلام خارج مخرج المثل، وعادة العرب جارية بمثل ذلك ،مثل قولهم في الشعر :فقلت لصاحبي، ويا صاحبي، وهذا عندي أقوى الوجوه)[٣].

أما الشارح ابن ميثم البحراني فقد ذهب إلى أن المشار إليه في لفظة (أَخٌ) هو أبو ذر الغفاري، وقيل :هو عثمان بن مطعون.[٤]

أما الشارح محمد جواد مغنية قال:لا ندري هل أراد الإمام بالأخ شخصاً معيناً،أو أراد الشخص المثالي الذي يجب أن يُحتذى ؟ ولا شيء يرجح أحد الأحتمالين سوى الحدس،وهو لا يغني عن الحق شيئاً، وإن أعتمد عليه بعض الشارحين في ترجيح الثاني على الأول ... وأيا كان فقد وصف الإمام هذا الشخص مثلاً كريماً في دينه وخلقه وعلمه وعقله،وصبره وزهده، وجهاده، وشجاعته.

---

[١]الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام:١٤١.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٤٨٩.
[٣]شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):٣٣٥/٥.
[٤]ينظر:شرح نهج البلاغة(البحراني):٤٧٠/٥.

ويرجح الباحث الشخص المثالي في تفكير الإمام ،فيما يختاره الإنسان من الصديق المثالي، فالأنسان في أشد الحاجة الى شخص بهذه الصفات المثالية المتحلي بها، ومن تلك الصفات التي وضحها وفصلها الإمام لذلك الصديق المثالي هي يستصغر الدنيا وينظر اليها بعين الإحتقار،وكان خارجاًعن سلطان بطنهوهو كناية عن خروجه من أسر شهوته وخلاصة من رذيلة الفجور إلى فضيلة العفة، فكف شهوته عما لا يجد يستلزم نزاهته عن رذيلة الشره والنهم ونحوهما،وعدم الأكثار مما يجد يستلزم نزاهته عن رذيلة الشره والنهم ونحوهما،وكان أكثر دهره صامتاً عما لا يعنيه ولا فائدة فيه ،فإنه ينطق الحكمة في موضعها،وأما غلبة السكوت عليه فلقوة عقله ،كما قال عليه السلام:(إذا تم العقل نقص الكلام)[١]،وكان ضعيفاً،أي فقيراً منظوراً إليه بعين الذلة والفقر ؛ وذلك من لوازم فضيلة التواضع. أما في الحرب والغضب لله وكنى عن ذلك بقوله:فإذا جاء الجد فهو ليث غاب عن سطوته وعدواته ولفظ (الصل) بأعتبار بأسه ونكايته في العدو ،والمثل يضرب (بحية الوادي) في الشجاعة ونكاية السم. وكان لا يدلي بحجته حتى يجد قاضياً وهو من فضيلة العدل في وضع الأشياء مواضعها وكونه لا يلوم أحداً على أمر يحتمل العذر إلا بعد سماع الاعتذار فإن كان هناك عذر قبله ؛وذلك من لوازم العدل والأنصاف وفضيلة الثبات واحتمال المكروه، وكونه لا يشكو ما ينزل به من الأمراض لتسليمه لأحكام الله ورضاه بها بل لعله يحكيها بعد برئه على سبيل الأخبار دون شكاية ،وأنه كان يكتم مرضه كيلا يتكلف الناس زيارته فيشق عليهم ذلك ،وكان يطابق بفعله قوله ويحترز من الكذب والحلف ، وكان يترك المماراة والمجادلة والمغالبة في الأقوال ويعدل الى السكوت إذا غولب في القول ، وذلك من فضيلة الحكمة لعلمه بمواقع السكوت والكلام ومن فضيلته لقهره قوته الغضبية في المغالبة، وكان أحرص على الإستماع منه على الكلام ترجيحاً لجانب الأستعاذة على الإفادة والأول أهم من الثاني ؛وذلك من فضيلة الحكمة. وكان اذا خطر بباله أمران دفعه من غير سابقة فكر أيهما أصلح مثلاً كالتزويج وعدمه فكر في أيهما أقرب إلى الهوى وميل الشهوة كالتزويج مخالفة الى تركه ، ووردت هنا(أي) موصولة في قول الإمام(أيهما أقرب الى الهوى)(فأيهما)،مبتدأ و(أقرب)خبر، وبعد هذه الصفات التي بينهاووضحها الإمام في جملة تفصيلية عن الأخ المثالي يوحي بالأخذ بتلك الصفات المثالية عبراسم فعل الأمر(فعليكم بهذه الخلائق)بلزومها والتنافس فيها أو في بعضها إن لم يمكن الكل ، ورغب في ذلك بقوله :(فاعملوا أنّ أخذ القليل خير من ترك الكثير) وكلما كان خيراً فينبغي لزومه والتنافس فيه.[٢]

---

[١] شرح نهج البلاغة (عبده):٤٥٢.
[٢] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٧١/٥.

ونرى في خطبة أخرى من خطب الإمام يؤتى بالمجمل(النكرة)للدلالة على التحقير من شأن ذلك الرجل الذي يصفه الإمام بقوله:(أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَ يَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ فَاقْتُلُوهُ وَ لَنْ تَقْتُلُوهُ أَلَا وَ إِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَ الْبَرَاءَةِ مِنِّي فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَ لَكُمْ نَجَاةٌ وَ أَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّءُوا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَ سَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَ الْهِجْرَةِ)[١].

نُكرت لفظة (رَجُلٌ) المجملة في سياق التنبيه بعدة مؤكدات منها(أما الشرطية)، وهي حرف شرط وتوكيد وتفصيل ،ثم التأكيد ب(أن)وضمير الشأن ، والسين التي اختصت بالدخول على الفعل المضارع وتخليصه للاستقبال والسين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة.[٢]،وبهذا يكون الخبر الملقى هنا يفيد(الإنكار)،بحكم إن المتلقي منكر حكم الخبر المساق بعيداً عن قناعته ،ولا يتقبله بسهولة ، ممايتطلب تأكيده بأكثرمن مؤكد .[٣] ،واختلف الشراح في لفظة (رَجُلٌ) : فمن قال أنه معاوية، ومن قائل آخر هو زياد بن أبيه، وقائل ثالث: هو المغيرة بن شعبة، وقائل رابع : انه الحجاج ، والظاهر أنه معاوية بدليل قول الإمام:(سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَ الْبَرَاءَةِ مِنِّي)وليس في شك أن معاوية هو الذي سن هذه السنة السيئة.[٤] هذا إلى أن الرواة قالوا: كان بطن معاوية كبيراً ، وأنه كان يأكل كثيراً، وإذا قعد وضع بطنه على فخذه .وفي شرح ابن أبي الحديد :(تظاهرت الأخبار إن رسول الله (صلى الله وعليه وسلم)، دعا على معاوية وقال:(اللهم لا تشبع بطنه)[٥]، ولجأ الإمامإلى التفصيل ب(أما) التفصيلية.[٦]وعبرأسلوب (الجمع والتفريق والتقسيم)[٧]، وإشارة الإمام بأنه سيأمرهم هذا الرجل بسبهورخصّ لهم بذلك عند الإكراه عليه ولم يرخص التبري منه ، والفرق بينهما لطيف؛ وذلك أن السب من صفات القول اللساني وهو أمر ممكن إيقاعه من غير اعتقاد مع احتماله التعريض ومع ما يشتمل عليه من حقن دماء المأمورين ونجاتهم بامتثال الأمر به،وأما التبري فليس بصفة قولية فقط بل يعود إلى المجانبة القلبية والمعاداة والبغض وهو المنهي عنه ،ها هنا فإنه أمر باطن يمكنهم الانتهاء عنه ولا يلحقهم بسبب تركه سوء ، وعدم امتثال الأمر به ضرر وكأنه لحظ فيها **قوله تعالى: (إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ)**[٨]، وفي إشارة الإمام في السب(فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَ لَكُمْ نَجَاةٌ) إشارة إلى أسباب ترخيصه في سبهِ، أما نجاتهمبسببه ،فظاهرة، وأما كونه زكاة فلوجهين: أحدهما:ما روي في الحديث أن ذكر المؤمن بسوء هو زكاة له ، وذمه بما ليس فيه زيادة في جاهه وشرفه.[٩]

---

(١)شرح نهج البلاغة(عبده):٨٢.
(٢)ينظر:البلاغة فنونها وأفنانها:١١٤/١، وعلم المعاني:٤٤ـ٤٥.
(٣)ينظر :مفتاح العلوم :٨١. ،والإيضاح:١٤.
(٤)ينظر :في ظلال نهج البلاغة(مغنية):٣٠٧/١.
(٥)شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):٤٧٤/١.
(٦)ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:٧٧/١.، (٧)سيرد شرح ذلك لاحقاً في القادم من الأطروحة.
(٨)النحل:١٠٦.
(٩)ينظر صحيح البخاري:١٨/١.

والآخر: إنّ الطباع تحرص على ماتمنع منه وتلح فيه ، فالناس لما مُنعوا من ذكر فضائله والموالاة له وألزموا سبه وبغضه ازدادوا بذلك محبة له وإظهاراً لشرفه، ولذلك أنه (عليه السلام)، لما سبه بنوأمية ألف شهر على المنابر ما زاد ذكره(علي) إلا علواً، والمنقول أن الذي أمر بقطع سبه (عمر بن عبد العزيز)، ووضع مكان سبه في الخطبة(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ)[١]،ثم يعلل الإمام عدم البراءةمنه بأنه ولد على الفطرة ،فطرةالله التي فطر الناس عليها ، وهي بعثهم إلى عالم الأجسام مأخوذاً عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن العدل في سلوك صراطه المستقيم، وأراد بسبقه إلى الإسلام والهجرة مع رسول الله(صلى الله عليهوآله وسلم)، فيما جاء به من الدين وصحبته له ومهاجرته معه مستقيماً في كل ذلك على فطرة الله لم يدنس نفسه بشيء من الملكات الرديئة مدة وقته ، أما زمان صغره للخبر المشهور: كل مولود يولد على الفطرة ، ولأن رسول الله(صلى الله عليهوآله وسلم)هو المتولي تربيته وتزكية نفسه بالعلوم والإخلاص من أول وقته إلى أن توفى(صلى الله عليهوآله وسلم)،وكان قبوله واستعداده لأنوار الله أمراً فطرت عليه نفسه، وجُبلت عليه طبيعته حتى لم يلحقه في ذلك أحد من الصحابة وظاهر أن من كان بهذه الصفة من خلفاء الله وأوليائه كان التبرؤ منه تبرءاًمن الله ورسوله فوجب الانتهاء عنه.[٢]وبهذا الكلام يكون الإمام قد حدد المراد من اللفظة المجملة النكرة في سياق الإثباتوهي لفظة (رَجُلٌ)، فكان السامع متشوقاً لسماع الخبر ومعرفته من خلال الصفات التي تحدث عنها الإمام وبدأت جلية للسامع.لهذا قال الجرجاني:(وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة غفلاً ، مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، لان ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام،ومن هنا قالوا:(إنّ الشيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار)[٣].

ونختم كلامنا بقوله إذ قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان؟فقال عليه السلام:(إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا حُرِّكَ عَلَى أُمُورٍ فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ وَ فِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَ فِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَ لَا ذَاكَ فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ وَ تَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا وَ تُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً فَاهْدَءُوا عَنِّي وَ انْظُرُوا مَا ذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي وَ لَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً وَ تُسْقِطُ مُنَّةً وَ تُورِثُ وَهْناً وَ ذِلَّةً وَ سَأُمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ وَ إِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ)[٤].

نجد أن لفظة(أمور) في النص وردت مجملة وهي نكرة في سياق اثبات، فالناس من هذا الأمر أي أمرقتل عثمان والمطالبين بدمه على أمور وجاء تفصيل تلك الأمور بكونهم على ثلاث فرق ، ففرقة ترى كون الإمام مصيباً وهم الطالبون، وفرقة ترى أنه مخطئ وهم أنصار المقتص منهم، وفرقة لا ترى هذا ولا ذاك ، بل تتوقف كما جرى ذلك في أمر التحكيم، ثم أمرهم الإمام بالصبر إلى غاية هدوء الناس،إذ بيّن لهم أنه لا مصلحة في تحريك الأمر حينئذٍ فإن الحقوق عند هدوء الناس واستقرار

---

[١]النحل:٩٠.
[٢]ينظر:شرح نهج البلاغة(البحراني):٣٢٢/١-٣٢٣.
[٣]دلائل الإعجاز:١٠٢.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٣٥.

القلوب أسهل مأخذاً ، ثم جاء الإمام بأسلوب (الأمر) عبر فعل الأمر(فَاهْدَءُوا ، وَ انْظُرُوا)، ليدل على ترصده وانتظاره للفرصة من هذا الأمر، ثم خوفهم من الاستعجال بفعل يضعف شوكة الدين ويورث وهنه فإنه لو شرع في عقوبة الناس ولقبض عليهم لم يؤمن من تجدد فتنة أخرى أعظم من الأولى، وهو غالب الظن، فكان الأصوب في التدبير والذي يقتضيه العقل والشرع الإمساك إلى حين سكون الفتنة وتفرق أولئك الشعوب ورجوع كل قوم إلى بلادهم ، وجاء الإمام بحرف (السين)في الفعل المضارع(وسأمسك) للدلالة على الاستقبال والوعد في الفعل،في أنه سيمسك أمر الخلافة بجهده وإذ لم يجد بداً:أي من قتال من يبغي وينكث(فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ)[١]، (إستعارة تمثيلية)وهو من الأمثال التي وظفها الإمام (عليه السلام) مبالغةً في التشبيه، وهي كثيرة الورود في الأمثال السائرة[٢]، أي فآخر الدواء الْكَيُّ أي مداواة المريض، وأيضاً آخر دواء للعصاة عن أمر الإمام هو الحرب والقتال وهي الغاية التي تنتهي بها مداواة أمراض قلوبهم.وبهذا يكون الإمام قد أعطى للفظة (أُمُورٍ) المجملة حقها في البيان والإيضاح وبأسلوب بلاغي يُشَوِّقُ السامع إلى سماعه.

---

[١]المستقصي في أمثال العرب:٥/١.
[٢]ينظر: جواهر البلاغة:٣٣٣.

المبحث الثاني: دلالة أسلوب الإجمال في المعرفة:-

المعرفة: كل ما وضع لشيء معين.[١]وأجمع اللغويون على أن دخول (ال)على النكرة يمنحها التعريف والتعيين(لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته)[٢]، قال:ابن السراج (ت ٣١٦هـ)(إذاأدخلت الألف واللام عليه فخصصت به واحداً ممن له هذا الاسم يعلم المخاطب من تُريد)[٣]، وتتعدد أنواع المعرفة إذ تتمثل بالضمير، والعلم،واسم الإشارة،والتعريف بالاسم الموصول،والمعرف بالإضافة،وبالأداة(الـ) وتبعاً لتعدد أنواعها تتعدد دلالاتها، فلكل نوع من أنواع المعرفة دلالاته التي يدل عليها، فالغرض من التعريف إفادة المخاطب إفادة تامة للكشف عن أبعاد المعنى وما يرتبط به من ظلال وإيحاءات تثري بنية النص، وبذلك تتجاوز فكرة تعريف المسند إليه الأثر النحوي لإبراز الأثر الدلالي بمستوياته المبدعة.[٤]، ويبدو للناظر إلى حد المعرفة عند النحاة أنّها لا تدنو من الإجمال البتة؛لأنهافي الأصل قد جيء بها لقصد معنى معين تحديداً غير أن من المعرفة ما تتلبس به دلالة الإبهام والإجمال فيبدو بحاجة إلى تفصيل يوضح معناهوأداة التعريف(ال)ضربان:عهدية، وجنسية،[٥]والعهدية على ثلاثة أقسام:أولها:العهد الذكري: وهو ما صاحبت فيه الألف واللام معهوداً تقدم ذكره في اللفظ.[٦]نحو قوله تعالى:(كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ)[٧].وثانيها: ان تكون للعهد الحضوري: وهو ما كان مضمونها مشاهداً حاضراً محسوساً.[٨] نحو قوله تعالى:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)[٩]، وقد أسماه ابن مالك حضور ما أبصر.[١٠]، وثالثها:العهد الذهني:وهو ما كان مصحوباً معروفاً في ذهن المخاطب ، وان لم يكن قد تقدم ذكره.[١١]، نحو قوله تعالى:(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)[١٢]، فالشجرة معلومة لدى المسلمين وإن لم يكن جرى لها ذكر فالقرينة عمدت إلى تحديد المراد.

أما الجنسية فهي التي تفيد معنى الجنس المحض، إذ لا يراد بها تخصيص واحد بعينه من أفراد ذلك الجنس.[١٣]ولها ثلاثة أقسام كذلك. الأول: أن تدل على استغراق

---

[١]ينظر: شرح الرضي على الكافية:٢٣٤/٣.
[٢]الكتاب:٥/٢، وينظر المقتضب:٢٧٦/٤.
[٣]الأصول في النحو:١٤٩/١.
[٤]ينظر: في البنية والدلالة:١٥٣.
[٥]ينظر: جامع الدروس العربية:١١٥.
[٦]ينظر: الجنى الداني:١٩٤.،ومغني اللبيب:٧٢/١وشرح التصريح:١٥٠/١.
[٧]المزمل:١٥- ١٦.
[٨]ينظر: الجنى الداني:١٩٤.، ومغني اللبيب:٧٢/١.
[٩]المائدة:٣.
[١٠]ينظر: شرح التسهيل:٢٥٠/١.
[١١]ينظر: مغني اللبيب:٧٢/١.
[١٢]الفتح:١٨.
[١٣]ينظر: الجنى الداني:١٩٤.،ومغني اللبيب:٧٢/١.

جنس الأفراد، ودليل صحتها على هذا المعنى حلول(كل) محلها على جهة الحقيقة.[١]نحو قوله تعالى:(وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا)[٢]، أي كل واحد من جنس الإنسان ضعيف، وصنّف البلاغيون هذا التقسيم على صنفين: أحدهما الاستغراق الحقيقي وهو كل ما يشمل كل أفراد الجنس، والآخر: الاستغراق العرفي: وهو ما يشمل استغراق الجنس ولكن في زمان ومكان معينين.[٣]

والثاني: أن تفيد استغراق جميع خصائص الأفراد على سبيل المبالغة في المدح أو الذم وتسمى (ال الكمالية)، وعلامة صحتها أن تخلفها(كل) على جهة المجاز.[٤]، (فإنه لو قيل:أنت كل الرجل، لصح ذلك على جهة المبالغة).[٥]فيكون المعنى: أنت كل الرجل بجميع صفاته الحسنة من هنا يمكن أن تستغرق (ال) الجنسية كل صفات الرجل الحسن.

والثالث:أن تفيد معنى الماهية أو الحقيقة وهي التي لا تخلفها(كل)، لا حقيقة ولا مجازاً، نحو **قوله تعالى:(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)**[٦]، و((ال)هذه هي التي يعبر عنها بالجنسية)[٧]، وذلك مثل(الإنسان حيوان ناطق)أي : حقيقته أنه عاقل مدرك وليس كل إنسان كذلك، ومثل(الرجل أصبر من المرأة)، فليس كل رجل كذلك فقد يكون من النساء من تفوقن بجَلَدَها وصبرها كثيراً من الرجال فـ(ال) هنا لتعريف الحقيقة، غير منظور بها إلى جميع أفراد الجنس بل إلى ماهية من حيثُ هي.[٨]، تتضح القيمة البلاغية لاستعمال (ال) العهدية ، من خلال استحضار طرفي الاتصال: المتكلم والمتلقي معاً، حينما يكون بينهما عهد معرفي سابق، أما الجنسية فتفيد عناية المتكلم بالجنس في إثناء توجهه للحقيقة نفسها.[٩]، نجد دلالة الألفاظ في (ال) العهدية بنوعيها (الذكري، والذهني) ألفاظاً واضحة مبينة في ذهن المتلقي، أما دلالة الألفاظ في(ال) الماهية الدالة على الحقيقة من حيث هي، أو التي تتقدمها (ال) الجنسية الدالة على الاستغراق واللفظ الذي تسبقه (ال) الماهية مطلق،والذي تسبقه (ال) الجنسية(الاستغراقية)عام، ثم إن التعريف في كليهما صوري لا يحدد المراد بدقة فمن ناحية اللفظ معرفة ومن ناحية المعنى لشيوعه وعدم تحديده(مطلقة عامة) ،ومن هنا كان التعريف نظرياً لا أثر له في واقع المعنى

---

[١]مغني اللبيب:١/:١٩٤.
[٢]النساء :٢٨.
[٣]ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة:٢٨.
[٤]ينظر: الجنى الداني:١٩٤.،ومغني اللبيب:٧٣/١.
[٥]ينظر: شرح قطر الندى:٩٠.
[٦]الأنبياء:٣٠.
[٧]شرح قطر الندى:٨٩.
[٨]ينظر: جامع الدروس العربية:١١٥.

اللغوي.[١]، وهناك صنف آخر يزاد للألفاظ المعرفة(المبهمة) وهو المعرف ب(ال) المُجمل[٢]،ويكون أكثر إبهاماً من (المطلق، والعام)، وللتعريف بدلالة (ال) التعريف المجملة في سياق الخطاب العلّوي حضور ممتاز يدل على رقيّ النص في مستواه الصياغي ، إذ كلما تعددت طرق فهم النص وتنوعت ارتقى النص، فكيف إذا كان كلام أمير المؤمنين من نَفس القرآن الكريم ، وصوته من صداه!.وسنقف على أمثلة مجملة فصلها الإمام ، وأخرى تركها للشراح ليفسروها بعده وهو أسلوب متفرد بالإمام(عليه السلام).

لعللشدة انصهار معاني التقوى في نفس الإمام(عليه السلام) أثراً في جعل كلماته تنفذ إلى القلوب لصدقها وقدرتها على التأثير ، إذ جاء في خطبة له إن أحد أصحاب الإمام علي(عليه السلام) الورعين يقال له همّام سأله أن يصفَ له المتقين كأنه يراهم فنصحه بترك طلبه لكنه أصرّ، فارتجل الإمام خطبة بين فيها أحوال المتقين وصفاتهم، وما أن انتهى منها حتى صُعق لها الرجل صعقة كانت نفسه فيها لشدة تأثره بما سمع ورأى من صور التقوى فقال الإمام (عليه السلام):(أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَ هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا)[٣]، كانت معظم الصفات التي خلعها أمير المؤمنين على المتقين مستلة من وصف القرآن الكريم لهم كقوله عليه السلام:(أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ وَ وَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَ مَلْبَسُهُمُ الِاقْتِصَادُ وَ مَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ وَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ وَ لَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ وَ خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَ الْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وَ هُمْ وَ النَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَ شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَ أَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَ حَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَ أَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَ أَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا)[٤].

تضمنت لفظة (الْمُتَّقُونَ) المعرفة ب(ال) إجمالاً وشمولاً لمعطيات دلالية عدة كلها تصب في المعنى المذكور، لكنها تعود لتأخذ مسارات عدة يحددها البيان

---

[١]ينظر: المفصل في علم العربية:١٩٨، والكافية في النحو:١٢٩/٢.، وشرح الجمل الزجاجي:١٣٤/٢، وهمع الهوامع:٢٧٤/١.
[٢]شرح قطر الندى: ١١٣
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٨٧.
[٤]م.ن:٢٨٨.

التفصيلي الذي جاء للإجابة عن سؤالٍ ذهني من هم المتقون؟ما فعلهم؟ما اعتقادهم؟ جاء الإفصاح عن ذلك من خلال الإيضاح البياني و(ضمير الفصل) بأول صفةٍ من صفاتهم فهم أهل الفضائل أي الذين استجمعوا الفضائل المتعلقة بإصلاح قوتي (العلم، والفضيلة)، فضلاً عن إن منطقهم هو الصواب في العقول وهو فضيلة العدل المتعلقة في اللسان، وحاصلهإن لا يسكت عما ينبغي أن يقال فيكون مفرطاً، ولا يقول ما ينبغي أن يسكت عنه فيكون مفرطاً بل يضع كلاً من الكلام في موضعه اللائق به. وملبسهم البسيط وهو فضيلة العدل في الملبوس ،أي لا يلبس ما يلحقه بدرجة المترفين، ولا يلحقه بأهل الخسة والدناءة مما يخرج عن عرف الزاهدين في الدنيا، ومشيهم التواضع أي يمشون متواضعين من غير تبختر أو خيلاء، وهذه الصفات الثلاث لهم :(مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَ مَلْبَسُهُمُ الِاقْتِصَادُ ،وَ مَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ)، جاءت معطوفة بعضها على بعض في نسق لغوي حافظ على أصله المثالي في ترتيب عناصره، إذ أفاد تقديم الخبر في الجمل الثلاث:(مَنْطِقُهُمُ ، وَ مَلْبَسُهُمُ ، وَ مَشْيُهُمُ)لاختصاص المتقين بهذه الصفات دون غيرها، ويستمر الإمام في الإفصاح عن صفاتهم حيث غض الأبصار عما حرم الله، وهو ثمرة العفة ،فضلاً عن وقوف أسماعهم على سماع العلم النافع وهو فضيلة العدل في قوة السمع، ونزول أنفسهم منهم في البلاء كنزولها في الرخاء: أي لا تقنط من بلاء ينزل بها ولا تبطر برخاء يصيبها بل مقامها في الحالتين مقام شكر و(الذي) هنا صفة مصدر محذوف ، والضمير العائد إليه محذوف أيضاً، والتقدير : نزلت كالنزول الذي نزلته في الرخاء، ويحتمل أن يكون المراد ب(الذي)، (الذين) محذوف النون كما في قوله تعالى:(كَالَّذِي خَاضُواْ)[١]، ويكون المقصود بتشبيههم حال نزول أنفسهم منهم في البلاء، بالذين نزلت أنفسهم منهم في الرخاء والمعنى واحد، ثم غلبه الشوق إلى ثواب الله والخوف من عقابه على نفوسهم إلى غاية أن أرواحهم لاتستقر في أجسادهم مع ذلك لولا الآجال التي كتبت لهم وهذا الشوق والخوف إذا بلغ إلى حد الملكة فإنه يستلزم دوام الجدّ في العمل والإعراض عن الدنيا ومبدئها وتصور عظمة الخالق ، وبقدر ذلك يكون تصور عظمته ووعده ووعيده،وعظم الخالق في أنفسهم وذلك بحسب الجواذب الإلهية إلى الاستغراق في معرفته ومحبته، وبحسب تصور عظمته تعالى يكون تصورهم لأصغرية مادونه ونسبته إليه في أعين بصائرهم، وان من يكون بهذه الصفات العظيمة ، الجنة كمن رآها، فهو في الدنيا بجسده فقط، أما عين بصيرته فهو ينظر لأحوال الجنة وسعادتها،وأحوال النار وشقاوتها، فهم في الجنة منعمون وتنعموا فيها، وكالذين شاهدوا النار وعذبوا فيها وهذه هي مرتبة عين اليقين، ونرى من صفاتهم حزن قلوبهم وذلك ثمرة الخوف الغالب عليهم وكونهم مأموني الشر ، ونحافة أجسادهم لكثرة الصيام والسهر وجشوبة المطعم وخشونة الملبس وهجر الملاذ الدنيوية مع خفة حاجاتهم لاقتصارهم على القدرالضروري من ملبس ومأكل ، وعفة أنفسهم وهي فضيلة القوة الشهوية وهي وسط بين رذيلتين خمود الشهوة والفجور والصبر على مكاره أيام حياتهم من ترك الملذات الدنيوية واحتمال أذى الخلق لهم بالصبر على مقاومة النفس الأمارة

---
[١]التوبة:٦٩.

بالسوء لئلا تنقاد إلى قبائح اللذات ، وهنا نجد الإمام يمزجبين (السجع المتوازي)ب(الجناس المضارع[*])في (نحيفة،خفيفة، عفيفة)؛ وذلك لخلقه صورة جميلة ، وأعقبتها صورة أخرى في التضاد الحاصل في(صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً ،أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً)، وهي السعادة بالعيش في دار الخلود والنعيم قوله:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[١]، فهذه هي التجارة المربحة لأعمالهم الصالحة بامتثالهمأوامر الله. والمبدع هنا يمزج مابين(الاستعارة التصريحية)و(الحذف)، حيث أستعار لفظ التجارة للأعمال الصالحة الحاصلة من المتقين مرشحاً تلك الاستعارة بلفظ (الربح) ؛لأهمية متاع الآخرة ونفاسته عن متاع الدنيا، و(تجارة)خبر لمبتدأ محذوف تقديره:(تلك تجارة مربحة)، وعدم أرادتهم للدنيا ، مع أرادتها لهم وهناإشارة إلى الزهد الحقيقي، وكنى الإمام بإرادتها عن كونهم أهلاً ؛لأن يكونوا فيها رؤساء وأشرافاً ، كقضاة ،ووزراء ونحو ذلك وكونها بمعرض أن تصل إليهم لو أرادوها، ويحتمل أن يريد(أهل الدنيا)فحذف المضاف، ومن ثم افتداء من أسرته لنفسه منها، وهو إشارة إلى من تركها وزهد فيها بعد الانهماك فيها والاستمتاع بها ففك بذلك الترك والإعراض والتمرن على طاعة الله انحلال الهيئات الرديئة المكتسبة منها من عنقه، واستعار الإمام لفظ(الأسر)لغرض تمكن تلك الهيئات من نفوسهم، ولفظ الفدية استعارة لتبديل ذلك الاستمتاع بها بالإعراض عنها والمواظبة على طاعة الله ،وعطف بالواو(ولم يريدوها)وبالفاء في قوله (فغدوا)؛لأن زهد الإنسان في الدنيا كما يكون متأخراً عن إقبالها عليه كذلك يكون متقدماً عليه فلم يحسن العطف هنا بالفاء، وأما الفدية فلما لم يكن إلا بعد الأسر لا جرم عطفها بالفاء.

وبهذا نصل إلى أن(ال)المعرفة جاءت في حكم النكرة معنىً ومعرفة لفظاً وهذا ما توخاه المعنى من لفظة(المتقون)ومجيء البيان في توضيح تلك اللفظة المجملة وذلك لتعظيم وتفخيم شأن المتقين مما له أكبر الأثر في نفس السامع وتشويقها لمعرفة أوصاف المتقين، ومن ثم إعظام مكانتهم ولتبقى هيبتهم في نفوس المتلقين، والاقتداء بهم والمسارعة إلى تربية النفوس بإطاعة أوامر الله وتعاليمه لكيتكون تلك الأوصاف التي يتجلى بها(المتقون).

وفي حكمةٍ للإمام(عليهالسلام)جاء المعرف ب(ال)مجملاً في قوله:(ما أبقى الأشياء في نفوس الناس؟ فقال: أما في أنفس العلماء فالندامة على الذنوب، وأما في نفوس السفهاء فالحقد)[٢].

وردت لفظة(الأشياءُ)مجملة على الرغم من تعريفها ب (ال)، وهذا مما يثير خيال المتلقي في معرفة الأشياء التي تبقى في نفوس الناس، وجاء جواب الإمام في توضيحه لتلك الأشياء عن طريق الأداة(أما)التفصيلية فالأشياء التي تبقى في

---

[*]الجناس المضارع: وهو ما اختلفت فيه الكلمتان في نوع الأحرف، ويشترط ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف. ينظر: علم البديع(بسيوني عبد الفتاح فيود): ٢٣٩.
[١]الصف:١٠-١١.
[٢]شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٥٤٨/٥.

(أنفس) وجعلها للعلماء؛ لأنهم في العادة موصوفون بالقلة هي ندامتهم على ذنوبهم ،بينماللسفهاء (نفوس) لكثرتهم فهو الحقد.

وجاء الإمام بفن الطباق بين(العلماء،السفهاء)لبث خلجات نفسه الثائرة على واقع الجهل الإنساني، وليؤكد رؤيته لندامة العلماء على ذنوبهم، وبقاء الحقد في نفوس السفهاء ،وعبر تكراره الدائري بصيغة الاشتقاق(أنفس، نفوس)ومما يؤكد فكرة الإمام على ما يبقى في نفوسهم فضلاً عن تقويته للنغم عبر تكراره هذا، فتحدث تلك الموسيقى إيقاعاً خاصاً بهذا النص وتقرع الأسماع وتثير الأذهان، وتقوي المعنى وتؤكده، ومن ثم تحدث وقعاً في النفوس.

ومن خطبةٍ في الإنذار والترهيب من عذاب الآخرة فإنه ينبه إلى جملة من الخصال التي يجب على الإنسانأن لا يرتكبها ، جاء ذلك فيقوله:(إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَ يُعَاقِبُ وَ لَهَا يَرْضَى وَ يَسْخَطُ أَنَّهُ لا يَنْفَعُ عَبْداً وَ إِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَ أَخْلَصَ فِعْلَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا أَنْ يُشْرِكَ با فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلاكِ نَفْسٍ أَوْ يَعُرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ اعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ)[١].

جاء المعرف ب(ال)مجملاً في قوله(عليه السلام)(هَذِهِ الْخِصَالِ)ف(الْخِصَالِ)أمر مبهم ، فصله الكلام الذي بعده بدلالة(أو)التفصيلية والنفس حينما تسمع المبهم تتشوق لسماع المبين ؛لأن الإيضاح بعد الإبهام إنما (يعمد إلى استعماله لضربٍ من المبالغة فإذا جيء به في الكلام فإنما يفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم وإعظامه لأنه هو الذي يطرق السمع أولاً)[٢]، وقد شد عليه السلام إلى الأمر وعظمه في نفسه ، فكان الأمر أكثر ترهيباً وتشويقاً لمعرفة المراد من غيره. وأورد الإمام (عليه السلام)في قوله إن من الأمور الثابتة المنصوص عليها أن العبد يكون من أهل النار إذا أرتكب ذنباً من الذنوب المفصلة في كلامه (عليه السلام)ومنها:

١ـ الشرك بالله: على أن يرائي بصومه وصلاته، وحجه وزكاته؛لأنه تعالى شرع العبادة لتكون خالصة لوجهه الكريم ومن تقرب بها إلى غيره فقد صرفها عن الغرض المقصود منها، وفي الوقت نفسه جعل لله شريكاً ، ونظيراً يرجوه ويخافه من حيث لا يشعر، ولذا وصف الرسول الأعظم الرياء بالشرك الخفي، والله سبحانه وتعالى لا يغفر أن يشرك به(إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ به)[٣]

٢ـ أو يشفى غيظه بهلاك نفس:فسر الشارحون الهلاك هنا بقتل النفس وإزهاقها، واستدل البعض منهم بقوله تعالى:(وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا)[٤].

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٩٠.
[٢] المثل السائر:٤٢/٢.
[٣]النساء:٤٨.
[٤]النساء:٩٢.

٣ـ أو يعز بأمر فعل غيره: أي يتم على غيره بأمر فعله ذلك الغير فيستلزم إهلاكه وأذاه فيدخل فيمن يسعى في الأرض فساداً:(وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)[١].

٤ـ أو يستنجح حاجة إلى الناس بإظهار بدعة في دينه ، كشاهد الزور لغاية يصل اليها، والمرتشي في الحكم والقضاء.

٥ـ أن يلقي الناس بوجهين، أو يمشي فيهم بلسانين ذو الوجهين يثني في المشهد، وينهش في المغيب وهذا منافق ومغتاب في آن واحد، وذو اللسانين ينقل كلام كل من المتعادلين إلى الآخر ، وهذا مفسد ومفتن، والنمّام دونه شراً وقبحاً؛لأنه ينقل من جانب واحد أما الذي يخاطب كل إنسان بما يشتهي فهو ذو ألسن لا لسانين ، والكل شرّ على أنفسهم ومجتمعهم، قال تعالى:(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)[٢]،ومطابقة ذلك من العقل إنّ من انتعش لوح نفسه بهيئات السوء ولم يمحها بالتوبة الحقة فهو من أصحاب النار.

وبهذا التفصيل عرف السامع المعنى المبهم في اللفظة المعرّفة ب(ال)(الخصال)، وجاء الغرض من إبهامها تلهّف السامع إلى العام بها، فكل ممنوع مطلوب ، وتلك هي النكتة التي يخرج إليها(الإجمال)ونجد في النّص فنوناً زادت من روعة المجمل منها(فن الطباق)بين(يُثِيبُ، وَ يُعَاقِبُ) وَ (يَرْضَى ،وَ يَسْخَطُ)والذي حققّ شعرية للنص فضلاً عن الجانب التفصيلي في الانتقال من كون إلى كون.[٣]وبذلك يكون للإجمال في المعرّف ب(ال) وقعه في التأثير بنفوس السامعين لمعرفته وبيان معناه.

وقوله (عليه السلام) في حكمة:(وَ سُئِلَ عَنِ الْخَيْرِ مَا هُوَ فَقَالَ لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَ وَلَدُكَ وَ لَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَ أَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ وَ أَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللَّهَ وَ إِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ)[٤] .

وردت لفظة الخير معرفة بالألف واللام لكنها مجملة لورودها في سياق استفهامي وبالفعل(سُئِلَ)و(ما)الاستفهامية،وفسر الإمام تلك اللفظة المبهمة وإجابته عليها ،نافياً من خلال الأداة (لَيْسَ)،وورود (أَنْ) التفصيلية في الجواب في إنه ليس الخير في (المال والولد) مؤكداً الكلام عبر حرف الاستدراك(لَكِنَّ) ثم تفصيله وإثباته بالأداة (أَنْ) التفصيلية في أنالخير بالعلم والحلم وطاعة الله وحسن السلوك،ثم تأتي دور الأداة الشرطية(إن)غير مقطوعة الحدث هنا.[٥]وجاءت(إن)في الجملة الأولى محل(إذا)في قوله(فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللَّهَ)وكأن الإحسان صار أمراً نادراً ما يقع ،أما في الإساءة فهو يستغفر الله،وكان يستبعد وقوع الإساءة ويستبعدها مما أدى إلى وجود الأداة الشرطية(أَنْ)محل(إذا)وبهذا يحقق الإمام معنى نفسياً يتوخاه للمتلقي ،وبذلك فصل الإمام لفظة(الخير)المعرفة ب (ال)المجملة بعد إبهامها على السامع

---

[١]النساء:١١٢.
[٢]النساء:١٤٥.
[٣]ينظر: في الشعرية:٢٨.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده):٤٥٥.
[٥]ينظر: علم المعاني بسيوني عبد الفتاح:١٨٨.

،فمعلوم إن السامع يعرف المراد من تلك اللفظة (المال، والولد)لكن الإمام هنا أجملها على السامع ونفى الخبر على ما يفهمه السامع من مفهوم تلك اللفظة،وبذلك زاد من تشويق المتلقي لسماع لفظة الخير وفيمن تكمن تلك اللفظة ،فأوضحها الإمام إلى المتلقي فزادنا بتلك اللفظة الكثير من الأسرار المخفية التي تكمن وراء لفظة الخير ،فجعل الإمام تلك اللفظة تختلف اختلافاً جذرياً عما يفهمه السامع في مفهومها.

ومن كلام له (عليه السلام)وفيه يذكر فضائله(عليه السلام)قاله بعد وقعة النهروان:(فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا وَ تَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا وَ نَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا ، وَ مَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا ، وَ كُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً ، وَ أَعْلَاهُمْ فَوْتاً ، فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا ، وَ اسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا ، كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ ، وَ لَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ)[١].

تظهر في النص لفظة مبهمة تشير إلى استفهام وتساؤل من قبل المتلقي لتبيان مفهومية تلك اللفظة وهي لفظة(الْأَمْرِ)حيث لا يسع السامع أن يحدد معنى لها؛لأنها موغلة في الغموض،وقد جاء تفسير الشراح لتلك اللفظة المبهمة الدلالة،فابن أبي الحديد يقول:يذكر فيه مقاماته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيام أحداث عثمان ،وكون المهاجرين كلهم لم ينكروا ،ولم يواجهوا عثمان بما كان يواجهه به وينهاه عنه[٢].

وقيل فقمت بالأمرعام شامل كل فضيلة ومنقبة للإمام (عليه السلام)سواء أنفرد بها كالسبق إلى الإسلام ،والمبيت على فراش الرسول(ص)ليلة الهجرة ،ومؤاخاة الرسول والكثير من مواقفه في النصح والإخلاص للإسلام والمسلمين أيام الخلفاء المتقدمين الذين كانوا يفزعون إليه في كلِّ ما يعرض لهم من مشكلات الحكم،أم كان الإمام فيها من السابقين كجهاده في بدر وأحد والأحزاب حيث كان معاوية وابن العاص مع المشركين.[٣]

وقيل:أي قمت بأمر الله بين يدي رسوله وبعده في الحروب والمقامات الصعبة التي ضعفوا عنها والأوقات التي فشلوا فيها وأمره في ذلك ظاهر.[٤]

ويبدو أن السبب المباشر الذي جعل الإمام هنا يتحدث فيه إلى منزلته وفضله هو اتهامه بأنه يخبر به عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)من الملاحم والمغيبات ،فنفى الإمام هذه التهمة بما بينه من فضله.[٥]

وانطوى النص على إجمال آخر وفي سياق تعداد فضائل أمير المؤمنين فقوله:(أَخْفَضَهُمْ)،والمعطوف عليه(أَعْلَاهُمْ)هما اسما تفضيل مجملان ولم يُفَسّرا فلا يفهم معنى الخفض ولا العلو في أي شيء ،وقد ورد في النص ما يزيل عنهما الإبهام وهو(التميز)في قوله(صَوْتاً)،و(فَوْتاً)،وقد كنى الإمام بخفض الصوت عن ربط الجأش في الأمور والثبات فيها والتصميم على الفعل ما ينبغي من غير التفات

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):٦٩.
[٢]ينظر : شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):١/٢٨٢.
[٣]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١/٢٨٢-٢٣٩.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):١/٢٨٧.
[٥]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١/٢٨٢.

إلى الحوادث والموانع على فعل ما هو خير ومصلحة فإنّ كثرة الأصوات وعلّوها في الأفعال التي هي مظنّة الخوف دليل الفشل،ولا شك أنّ من كان أشدّ في ذلك كان أعلى صوتاًوأشد سبقاً إلى مراتب الكمال ودرجات السعادة ممن كان أضعف فيه.[١]

وبذلك زاد الإبهام في النص بورود المجمل في المعرف (بال)الأمر إلى جانب ورود المجمل في أفعل التفضيل المضافة (أَخْفَضَهُمْ)و(أَعْلَاهُمْ)فجعل دلالة الإبهام تنفتح لتشمل القدرة على التفكير والتأمل في تلك الأمور ورصد خفاياها للوصول إلى فضائل أمير المؤمنين(عليه السلام).

---

[١]ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):١/٢٨٨.

المبحث الثالث:دلالة أسلوب الإجمال في المعرَّف بالإضافة:-

وفي هذا المبحث نتناول محوراً آخر من محاور المعارف يتمثل في (إضافة اسم إلى اسم إيصاله إليه من غير فصل وجعل الثاني من تمام الأول يتنزل منه منزلة التنوين)[١]، نحو غلام هند ، وكتاب خالد، ولقد استقر الأمر مؤخراً عند النحاة.[٢]، على أنّالإضافةإما أن تكون بمعنى اللام نحو:(دار سالم)،(ومال محمد)، أي دارُ لسالم ومالُ لمحمد، أو تكون بمعنى (من) وذلك إذا كان المضاف إليه جنساً للمضاف نحو:(ثوب صوفٍ)و(خاتم ذهبٍ)، أي ثوب من صوف ، وخاتم من ذهب، أو تكون بمعنى (في)، وذلك إذا كان المضاف إليه ظرفاً واقعاً فيه المضاف نحو(شهيد الدار)،أي في الدار،قوله تعالى:(بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)[٣]، أي في الليل والنهار ، ولا تخرج الإضافة عن هذا فهي مقدرة بحرف الجر عندهم ، والحق أن الإضافة تعبير آخر ليس على تقدير حرف ،فقد يصح تقدير حرف في التعبير ، وقد يمتنع تقدير أي حرف في تعبير آخر ،وما صح تقديره بحرف لا يطابق معناه معنى المقدر ، فهي أعم من أن تكون بمعنى حرف.[٤]،ومما يدل على ذلك أمور منها:-

١- امتناع إظهار أي حرف من هذه الحروف في قسم من التعبيرات كقوله تعالى:(وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ)[٥]، و(يوم الأحد)، مما يدل على أنالإضافة أوسع من أن تكون بمعنى حرف،وقد لاحظ النحاة ذلك فحاولوا الخروج من هذا المأزق بقولهم:(ولا يلزم فيما هو بمعنى اللام أن يجوز التصريح بها بل يكفي إفادةالاختصاص الذي هو مدلول اللام فقولك :(طور سيناء)و(يوم الأحد)، بمعنى اللام ولا يصح إظهار اللام في مثله.[٦]

٢- إضافة اسم التفضيل في الغالب لا تفيد معنى حرف ولا تدل عليه ،وذلك نحو قوله تعالى :(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ)[٧]، فهذا نظير قولهم (أحسن الوجه)، فلا يصح تقدير حرف فان (أشد) هو العذاب كما ذكروا في الصفة المشبهة.

٣- أن المعنى يتغير عند التقدير فتصبح المعرفة نكرة فلو قدرت(هذه دار محمد)، باللام كان التقدير (هذه دار لمحمد)، والأولى معرفة ،والأخرى نكرة ، ونحو قوله

---

[١]شرح المفصل :١١٨/٢.
[٢]ينظر:م.ن:١١٧/٢.، وشرح قطر الندى:٢١٤.
[٣]سبأ: ٣٣.
[٤]ينظر:معاني النحو:١١٣/٣.
[٥]ق:٣٥.
[٦]ينظر: معاني النحو:١١٤.
[٧]البقرة:٨٥.

تعالى:(يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ)[١]، فهو لا يساوي (بأسماءٍ لهم)، ومثله قوله تعالى:(لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ)[٢]،إذ يقتضي أن له أكثر من نفس،وقوله:(يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ)[٣]،فهو لا يساوي (رَسُولَ للهِ)،وقوله:(فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ)[٤]، لا يساوي(ببدنٍ لك)، إذ يقتضي أن له أكثر من بدن، وقوله تعالى:(وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ)[٥]،لا يساوي (جهداً لأيمانهم)،وليس له معنى.[٦]

وقسّم النحويون الإضافة على قسمين:(أولهما): الإضافة المحضة هي: إضافة غير الوصف إلى معموله نحو(كتاب محمد)،أواضافة الوصف إلى غير معموله نحو(كريم مصر)[٧].

وثانيهما:الإضافة غير المحضة:(وهي أن تضيف اسماً إلى اسم لفظاً والمعنى غير ذلك،ويقال لها(غير محضة)، إنما يحصل ثمة اتصال وإسناد من جهة اللفظ لا غير)[٨]،وتشمل أولاً اضافة اسم الفاعل والمفعول إلى معموليهما إذا كانا دالين على الحال أو الاستقبال نحو(هو ضارب خالد الآن أو غداً)و(هو مضروب الآن أو غداً)، فان كانا للمضي فإضافتهما محضة نحو(هو ضارب خالدٍ أمس)،ثانياً: إضافة صيغ البالغة،وإضافة الصفة المشبهة مطلقاً إلى معمولها نحو(هو ضراب الرؤوس) و(طويل القامة ،وحسن الوجه)، ثالثاً: ويلحق بهذه الصفات المنسوب إذا أضيف إلى مرفوعه نحو(هو عراقيّ الوطن عربيّ النسب)، والمصادر إذا كانت بمعنى اسم الفاعل أو المفعول نحو(قيد الأوابد)، أي مقيد الأوابد.[٩]

والإجمال يدخل الإضافة المحضة دون الإضافة غير المحضة ؛لأن الأخيرة(المضاف إضافة غير محضة نكرة ، وإن كان مضافاً إلى معرفة كقوله تعالى (هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ)[١٠]، فبالغ الكعبة نكرة ولذا وصف بها النكرة،وكذا (مررت برجل طويل القامة) ، فطويل القامة نكرة ولذا وصفت بها النكرة.

---

(١)البقرة:٣٣.
(٢)النساء:٨٤.
(٣)التوبة:٦٣.
(٤)يونس:٩٢.
(٥)النحل:٣٨.
(٦)معاني النحو:١١٦/٣.
(٧)ينظر: معاني النحو:١١٨/٣-١١٩.
(٨)شرح المفصل:١١٩/٢.
(٩)ينظر: معاني النحو:١٢٥/٣-١٢٦.
(١٠)المائدة:٩٥.

وهذه الإضافة (لا تفيد تعريفاً ولا تخصيصاً بخلاف المحضة)[١]، وعلة ذلك (أنها تفيد أمراً لفظياً وهو التخفيف)[٢]، فقولك (هو ضارب خالد)، أخف من (هو ضارب خالداً)، وذلك لحذف التنوين منه.[٣]، إذن وظيفة الإضافة غير المحضة صوتية وهي التخفيف، فضلاً عن التخلص من التنوين في الصفة المضافة ، ولهذا لا يحدث فيها تعين لشيء من جهة التعريف والتخصيص.

أما الإضافة المحضة فتفيد التعريف أو التخصيص، وعلى الرغم من تعريفها وتقيدها إذا كانت معرفة ، وتخصيصها إن كانت نكرة فقد يدخل اللفظ المعرف بالإضافة الإجمال فيبدو اللفظ فيها غامضاً مبهم الدلالة.

وتتجسد القيمة البلاغيةللإضافة بوصفها عملية تركيبية ، يستحضر فيها المتكلم المتلقي فيعرف بها المضاف ،لتأدية أغراض فكرية حين تمارس اللغة وظيفتها في الإفهام ، أو عاطفية حين تمارس اللغة وظيفتها في التأثير، أو الغرضين معاً حين يلتحمان التحاماًعجيباً في نصوص نهج البلاغة الذي جاءت نصوصه جامعة شاملة لدرر الكلام فهي (تجلو القلوب ، وتهذب البصائر وتسمو بالإنسان إلى أسمى مراتب الكمال وكان لها التأثير البالغ في نفوس العارفين والمتقين)[٤]،وسنقف على أمثلة مجملة فصلها الإمام ، وأخرى تركها للشراح ليفسروها بعده وهو أسلوب متفرد بالإمام(عليه السلام).

ومنها قوله(عليه السلام): في وصف المتقين:- (فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَ حَزْماً فِي لِينٍ وَ إِيمَاناً فِي يَقِينٍ وَ حِرْصاً فِي عِلْمٍ وَ عِلْماً فِي حِلْمٍ وَ قَصْداً فِي غِنًى وَ خُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ وَ تَجَمُّلًا فِي فَاقَةٍ وَ صَبْراً فِي شِدَّةٍ وَ طَلَباً فِي حَلَالٍ وَ نَشَاطاً فِي هُدًى وَ تَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَ هُوَ عَلَى وَجَلٍ)[٥].

فالإمام يتأمل في علامات المتقين حيث نرى مظهر الإجمال متجسداً في المعرف بالإضافة (عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ) تلك العلامة التي يحملها المتقون والتي يعرف بها أَحَدِهِمْ ،مؤكداً الكلام بالأداة (أنَّ)، والفعل (تَرَى) هنا بصرية [٦]، ثم شرع الإمام في تفصيل صفات المتقين:-

[١]ينظر: معاني النحو:١٢٦/٣.
[٢]شرح قطر الندى:٣١٣.
[٣]ينظر: معاني النحو:١٢٦/٣.
[٤]موسوعة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام):٦٧/٦.
[٥]شرح نهج البلاغة (عبده):٢٨٩/١.
[٦]ينظر: معاني النحو:٤٣١/٢..

وبهذا عبرَّ المعرف بالإضافة (عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ)عن طريق الإبهام في جعل نفس المؤمن تتشوق إلى استيضاح تلك العلامات التي يمتاز بها المتقون ،حيث البيان بعد الإبهام أو التفصيل بعد الإجمال أوقع في النفس؛لأن السامع لايظفر بالبيان إلا بعد تطلع ولهفة.(١)

ومما جاء مضافاً مجملاًفي نصوص نهج البلاغة والتي زخرت بألفاظ القرآن الكريم ووشي مفرداته التي حرص الإمام فيها على اقتباسها.(٢)، من نصها القرآني ليوظفها في الدلالة نفسها، ولكن بموقفه الفني الذي هو فيه ، وفي اقتباس الألفاظ القرآنية نتلمس تمكن المفردة القرآنية المقتبسة وتفاعلها مع مفردات الإمام ، وامتزاجها بعلاقات جديدة في جمل الإمام ومنها قوله:(ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ وَ آمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ وَ حَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَ عَدَاوَتَهُ فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ وَ مُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ وَ الْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ وَ اسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلًا وَ بِالِاغْتِرَارِ نَدَماً ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ وَ لَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ وَ وَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ وَ أَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ وَ تَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ)(٣).

المعرّف بالإضافة المجمل هنا في (كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ)، اقتبسها الإمام من قوله تعالى:(فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)(٥)، فالله عزَّ وجلَّ أُبهم أمر هذه الكلمات حين ذكرها في النص القرآني، وفي تفصيلها قيل إنها فصلت ب(بيان قرآني)،وهو قوله تعالى:(قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(٦)، والكلمات في رواية تختّص بأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين هي(محمد، وعلي،وفاطمة، والحسن، والحسين)(٧)، وفي حديث آخر عن عائشة عن النبي (صلى الله وعليه وآله وسلم) أنّ الكلمات التي تلقّاها آدم (عليه السلام) هي (اللهم إنك تعلم سرّي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي ،اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنّه لا يصيبني إلاَّ ما كتبت لي وأرضني بما قسمت لي)(٨).

ولو تأملنا قليلاً في صيغة اصدار تلك الكلمات المبهمة ، وهذه الكلمات هي اعتراف بالخطأ ؛نتيجة اقتراف آدم مانهاه الله سبحانه وتعالى من الاقتراب من تلك الشجرة ، بينما أباح له التمتّع بثمار كافّة أشجار الجنة، غير أنّ آدم (عليه السلام)،

---

(٢)ينظر: علم المعاني(عتيق):١٠٤.

(٣)الاقتباس : هو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث لا على انه منه، ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة البيان والبديع والمعاني(مختصر تلخيص المفتاح):٥٧٥/١.

(٤)شرح نهج البلاغة(عبده):٢١.

(٥)البقرة:٣٧.

(٦)الأعراف:٢٣.

(٧)الكافي ـ الفروع:٣٠٥/٨.، وينظر : مجمع البيان:١١٣/١.

(٨)شرح نهج البلاغة(الشيرازي):١٣٧/١.

وقع في مصيدة الشيطان فأشار الإمام إلى هذه المسألة بقوله:(فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ)، كما ضعف تجاه الوساوس الشيطانية التي كان ينبغي له مجابهتها بعزمه الراسخ(والعزيمة بوهنه)، فالشيطان أقسم لهما بأنه لا يريد بهما إلا النصيحة والخير ،ولكن أكان على آدم أن يثق بوعد الله القائم على اليقين أم يصغي إلى كلام الشيطان القائم على أساس الشك والوهم ؟ لا شك أنّ نسيان هذه الحقيقة وإغفالها جعلت آدم يقدم على تلك المعاملة التي لا تنطوي سوى على الغبن والضرر، فضعفت عزيمته في طاعة الله ،ثم تلتها النتائج المريرة لتلك المعاملة ،فقال:(وَ اسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلًا وَ بِالِاغْتِرَارِ نَدَماً)، أي استبداله الفرح خوفاً ، وهكذا عاقبة التفريط ثم فتح الله باب التوبة حتم، وسده ظلم مادام الإنسان بطبعه غير معصوم ثم أناب إلى الله آدم فبسط له في توبته ،ولقاه كلمة رحمته وبهذه التفاصيل يتبيّن مفهوم الإجمال في المعرّف بالإضافة (كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ)، والسياق الذي وردت فيه تلك الكلمات وهي أشارتإليه الآية (٢٣) من سورة الأعراف حيث الاعتراف بالتقصير وطلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى.

ومن حكمة له (عليه السلام):(علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك ، وأنْ يكون في حديثك فضل عن علمك وأن تتقي الله في حديث غيرك)[١].

ورد المعرّف بالإضافة مجملاً في قوله(علامة الإيمان)، وورد تفصيل تلك العلامات الإيمانية المجملة بالآتي:-

الأولى: أن يؤثر الصدق الضارّ على الكذب النافع محبّة للفضيلة وكراهة للرذيلة.

الثانية: أن لا يكون في حديثه فضل ما لاعلم له به فلا يقول إلاّ ما يعلم زيادة عن علمه وهو العدل في القول والاحتراز من رذيلة الكذب.

الثالثة: أن يتقي الله في حديث غيره فلا يخوض عرضه بغيبة أو سماعها، وقيل:أراد بهذا المراد أن يحتاط في الرواية فيروي عنه حديثه كما هو.

وبذلك يكون للتفصيل بعد الإجمال في لفظة(علامة)المعرّفة بالإضافة وخبره ، والذي أفاده التركيب من الموصول الحرفي (أن) وصلته(تؤثر الصدق)، والجمل المعطوفة عليها أثر في تصويرتلك العلامات الإيمانية التي يتصّف بها المؤمن التقيّ ،فبذلك يدرك المعنى ويتضّح وتتثبّت تلك اللفظة ومعانيها المقصودة في القلب ، وتتمكّن في اللبّ وهذا أوقع في النفس ؛لأن الآتي بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا طلب.[٢].

---

[١]شرح نهج البلاغة(البحراني):٥٠٧/٥.
[٢]ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفيةابن مالك:١٢٥/٣.

وعندما يوظف الإمام (عليه السلام) الخطاب التربوي والأخلاقي على أساس ديني نراه يحرك الوجدان باتجاه تعرف المفردات الأخلاقية والتربوية التي تحبي المجتمع يقول الإمام في تصحيحه لمفهوم العصبية القبلية أو التعصب القبلي أو أي نوع من التعصب:(فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ وَ مَحَامِدِ الْأَفْعَالِ وَ مَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَ النُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَ يَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ وَ الْأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ وَ الْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ وَ الْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ وَ الْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ وَ الطَّاعَةِ لِلْبِرِّ وَ الْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ وَ الْأَخْذِ بِالْفَضْلِ وَ الْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ وَ الْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ وَ الْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ وَ الْكَظْمِ لِلْغَيْظِ وَ اجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ)[١].

يتّمثل المعرّفبالإضافة المجمل(لِخِلَالِ الْحَمْدِ)، جاء تفصيله في قوله من(الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ)،: وهي فضيلة تتشعّب عن فضيلتين ؛لأن حفظه يكون بالكفّ عن أذاه وذلك فضيلة تحت العدل، ويكون بالإحسان إليه ومصادقته ، ومسامحته ، ومواساته ، وتلك أمور تحت العفة ومنها(الوفاء بالذمام)، وهو تحت العفة ،ومنها(الطاعة للبر)، والأولى : أن يريد بالْبِرِّ هنا ما أراد به القرآن الكريم بقوله:(لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)[٢]، إلى قوله (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى)[٣]، فإنّ المراد في هاتين القرينتين بالْبِرِّكمال الإيمان والتقوى والأعمال الجميلة ، ومعنى طاعة البرّ التلبّس بهذه الأفعال وملازمتها ، واعتقاد وجوبها ، ويحتمل أن يريد الطاعة للأمر بالبر فحذف الآمر للعلم به ،وقد يطلق البرّ ويراد به العّفة، وبذلك الاعتبار يقابله الفجور ، ويحتمل أن يريد ههنا ما يقابل العقوق وهو الشفقة على ذوي الرحم والإحسان إلى الوالدين، وهو داخل تحت العفة، ومنها(المعصية للكبر)، والمراد بمعصية الكبر مجانبته مجازاً إطلاقاً لاسم السبب على المسبب، أو معصية الأمر بالكبر وهو كناية عن التواضع وهو فضيلة تحت العفة والمعصية هنا في مقابل الطاعة ومنها (الأخذ بالفضل) وأردا استكمال الفضيلة ولزومها، ويحتمل أن يريد بالفضل ، التفضّل على الغير والإحسان إليه والأخذ به فيكون أمراًبالإحسان والجود وهو فضيلة تحت العفّة ، ومنها (الكفّ عن البغي)، ويعود إلى فضيلة العدل، ومنها (تعظيم القتل)، وهو كناية لما يستلزمه من رذيلة الظلم، ثم للوعيد عليه في الآخرة ويعود إلى فضيلة العدل أيضاً ، وكذلك الانصاف للخلق وهو لزوم العدل في معاملتهم، ومنها (كظم الغيظ): وهو فضيلة تحت فضيلة الشجاعة ، ومنها(اجتناب الفساد في الأرض)وهو من لوازم فضيلة العدل.

---

[١]شرح نهج البلاغة (عبده):٢٨٢.
[٢]البقرة:١٧٧.
[٣]البقرة:١٨٩.

وبهذا فصّل الإمام المعّرف بالإضافة المجمل (لِخِلَالِ الْحَمْدِ)، في النص المتمّثل فيه(المفهوم الثقافي)،[١]الذي يركّز في ما تعارف عليه المجتمع سابقاً من الفضائل والشيم لإشاعتها بين الأفراد بوصفها تتواءم مع ما ترمي إليه الشريعة الإسلامية من إشاعة الأخلاق الحميدة.

ومما جاء من المعرف بالإضافة مجملاًقوله (عليه السلام)من كلام له في قتل عثمان:(وَ أَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ: اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ وَ جَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ وَ لِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَ الْجَازِعِ)[٢].

أشار (عليه السلام) في لفظة(أمره) المعرفة بالإضافة المبهمة إجمالاً إلى أنّ كلاً من عثمان وقاتليه كانا على طرف الإفراط من فضيلة العدالة ، جاء تفصيل ذلك المجمل في (أمره) بقول الإمام:(اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ)، أي أنّ عثمان استأثر واستبد برأيه فيما الأمة شركاء فيه ، والخروج في ذلك إلى حد الإفراط الذي فسد معه نظام الخلافة عليه وأدى إلى قتلهو(جَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ)، وأمّا قاتلوه فلخروجهم في الجزع من فعله إلى طرف التفريط عما كان ينبغي لهم من التثبت وانتظار صلاح الحال بينهم وبينه بدون قتل، وحتى استلزم ذلك الجزع ارتكابهم لرذيلة الجور في قتله، فلذلك كان فعله إساءة للاستئثار ، وفعلهم إساءة للجزع، وقيل: أراد أنّكم أسأتم الجزع عليه بعد القتل وقد كان ينبغي منكم ذلك الجزع له قبل قتله.وبذلك يوضح الإمام الإجمال في المعرف بالإضافة(أمره)، لذا كان في الإجمال تشويقاً وباعثاً لمعرّفة ذلك الأمر المبهم وتعظيماً له[٣].

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (كَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ وَ إِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَ مَالٍ وَ مَعَهُ دِينُهُ وَ حَسَبُهُ وَ إِنَّ الْمَالَ وَ الْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا وَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ وَ قَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ)[٤].

كلامه(عليه السلام) هنا على المسلم البريء من الخيانة ،الضابط لنفسه من ارتكاب مناهي الله ، وجاء الإجمال في قوله(إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ) فالمسلم ينتظر لرحمة الله وصبره عن معصيته أن يفوز بإحدى الحسنيين، وقد بينها بالأداة(أما) التفصيلية، فهي(إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ) وهي إشارة إلى حسنات الآخرة و(إِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَ مَالٍ وَ مَعَهُ دِينُهُ وَ حَسَبُهُ) وهي إشارة إلى حسنات الدنيا . وهي أن أمد الله في حياته عاش سعيداً في دينه وكرامة في عرضه، وقد يفتح الله عليه باب الخيرات والبركات، فيسعد أيضاً ولو لحظات في نفسه وأهله وماله.[٥]

كشف الإمام(عليه السلام) وعبر الإجمال في المعرف بالإضافة(إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ) عن حقيقة مهمة ومصيرية في حياة الإنسان تكمن في أن الإنسان الذي

---

[١]علم اللغة الاجتماعي ١٣٥.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٦٠.
[٣]ينظر: حاشية الدسوقي: ١/ ٦٢٩.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده): ٥٠.
[٥]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١٦٩/١.

يعيش النقاء والعفة في حياته ينتظر أحد المصيرين الرفيعين: أما رحمة الله ومغفرته وأجره وثوابه، أو أن يفيض الله عليه من نعم الدنيا في هذه الحياة الدنيا ويجمع له خير الدارين، ولولا البيان التفصيلي لبقي الأمرين مجملين لمن يريد معرفة عاقبة المسلمين البعيدين عن الخيانة.

ونختم كلامنا بقوله (عليه السلام): (يُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَ مِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَ مَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَ آجَالٍ تُفْنِيهِمْ وَ أَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ وَ أَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ)[١].

ورد الإجمال في المعرف بالإضافة وهو في قوله (عليه السلام) (**آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ**) ، وجاء تفصيل تلك الآيات في قوله: (**مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ**)وَ(**مِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ**) وَ(**مَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ**) وَ (**آجَالٍ تُفْنِيهِمْ**) وَ(**أَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ**) وَ(**أَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ**) ، وهنا يحدد الإمام وظيفة الأنبياء وهي تذكيرهم العباد بنعم الله عليهم، والاحتجاج عليهم بإرشادهم إلى أن يفكروا ويتأملوا في خلق الله وآثاره الدالة على قدرته وعظمته ومنها: السقف المرفوع(السماء) التي فوقهم والمحفوظة والمشتملة على بدائع الصنع وغرائب الحكم ، ومهاد تحتهم موضوع(أي الأرض) التي ينتشرون وعليها يتصرفون، ومعايش بها يكون قوام حياتهم الدنيا، وبلاغاً لمدة بقائهم لما خلقوا له ، والآجال المقدرة بها التي يكون فناؤهم ورجوعهم إلى بارئهم، ولذلك قال (صلى الله وعليه وآله وسلم): أكثروا من ذكر هادم اللذات وإلى غير ذلك من الأمراض التي تضعف قواهم وتهرمهم، والمصائب التي تتابع عليهم فإن كل هذه الآثار مواد احتجاج الأنبياء على الخلق لينبهوهم بصدورها عن العزيز الجبار عن سلطانه.[٢] ويبدوا إنَّ في عملية الانتقال من الإجمال إلى البيان كما نلاحظه في النص زيادة اهتمام ومبالغة في عظم ذلك الأمر ، إذ أورده(عليه السلام) ذلك الأمر(مجملاً) ليترك المتلقي في حالة تأمل وتفكير لمعرفة التفصيل بشوق وشدة، وهنا يقف المتلقي على المراد من هذا المعنى المبهم، في المعرف بالإضافة (آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ) الله وتفصيلها التي تمثل سلسلة من أسرار الخلقة في السماء والأرض وعوامل الحياة وأسباب الفناء والألم والعناء لتذكر كل واحد منها الإنسان بالله سبحانه وتعالى أضافة إلى الحوادث والوقائع التي تدعوا الإنسان إلى اليقظة والاعتبار ، ومن هنا كانت مهمة الأنبياء ذا شأن سامٍ ونبيل وهي لرفع المستوى العلمي والمعرفي لدى الإنسان وإيقاظه من غفلته وجعله يتحلى بالفطنة والذكاء.

---

[١] شرح نهج البلاغة(عبده):٤٣.
[٢] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ١/١٤١.

المبحث الرابع: دلالة أسلوب الإجمال في (الاسم الموصول):-

الموصول في اللغة :اسممفعول للفعل وصل(وصلت الشيء وصلاً، والوصل ضد الهجران، ووصل الشيء إلى الشيء وصولاًوتوصل إليه انتهى إليه)[١]،**أما معناه الاصطلاحي :** فقد ذكر ابن يعيش أن(معنى الموصول أن يتم بنفسه، ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسماً، فإذا أتم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة ، ويجوز أن يقع فاعلاً ومفعولاً ومضافاً إليه ، ومبتدأ وخبره)[٢]، وذهب ابن الحاجب إلىأن (الموصول ما لا يتم جزءاً إلا بصلة وعائد)[٣]، وبذلك سُمّيت الأسماء الموصولة؛ لأنها توصل بكلام بعدها هو من تمام معناها ، وذلك أنّالأسماء الموصولة أسماءٌ ناقصةُ الدلالة لا يتضح معناها إلاَّإذا وصلت بالصلة ، فإذا قلت(جاء الذي)،أو(رأيت التي)، لم يفهم المعنى المقصود فإذا جئت بالصلة أتضح المعنى المقصود .[٤]، يتضّح مما تقدم أن الأسماء الموصولة إنما تكتسبتعريفاً من الصلة التي تقع بعدها ؛ لعدم استقلالية المعنى فيها ، فهي منفردة لا معنى لها قطُّ، وإنما تكمن إفادتها للمعنى من صلتها، التي تُعَد أهم ركن في إتمام معنى الاسم الموصول.[٥]، ويعّد الموصول وصلته كالكلمة الواحدة، فغير جائز تقديم الصلة عليه ، كما لا يجوز تقديم جزء الكلمة عليها.[٦]،ولذايجب للصلة التأخير، فلا تتقدم الصلة ولا جزء منها على الموصول،والجمل لا تكون صلة إلاإذا كانت (من الجمل التي توضح وتبين)[٧]، إجمال الاسم الموصول وعلى هذاالأساس يُعد الاسم الموصول واحداً من أبرز لبنات الصرح ، لما يتميز به من خصائص لا تكاد تتوافر في سائر المعارف ـ فهو إذا جاء مبتدأـ يستدعي الخبر ويهيء ذهن المخاطب لتلقيه ، ممّا يؤدّي ذلك إلى إحكام الخبر بالصلة إحكام السبب بالمسبب، وهو ما يضفي على النص قوة في الرصف ومتانة في السبك،مما يجعل الكلام مرتبطاً بعضه ببعض. ومن هنا يمكن القول إن الموصول يخرج من نطاق المعرفة قبل مجيء الصلة ؛لأنه مبهم،والصلة هي التي تبينه.[٨] أما الصلة المفصِّلة والتي تبين إبهام الاسم الموصول فهي على ضربين(جملة، وشبه جملة، والجملة على ضربين:اسمية، وفعلية)[٩]، ويشترط أولاً في جملة صلة الموصول أن تكون خبرية لا إنشائية.[١٠] فلا يدخل الصلة الاستفهام ، والأمر ، والنهي، والتعجب؛

---

[١]لسان العرب:٢٥٢/١٤.
[٢].شرح المفصل :١٣٨/٣.
[٣]شرح الرضي على الكافية:٥/٣.
[٤]ينظر: معاني النحو:١٢٨/١.
[٥]ينظر: اللمع في العربية:٢٩٥.
[٦]ينظر: الأصول في النحو:٢٣٢/٢، وشرح الرضي على الكافية:٩/٣
[٧]ينظر:شرحالرضيعلىالكافية:٦٨/٣.
[٨]ينظر: شرح ابن عقيل:١٥٣/١.
[٩]شرح قطر الندى :١٠٧.
[١٠]ينظر :أوضح المسالك على ألفية ابن مالك (ابن هشام):١٩٤/١.

لان الصلة يؤتى بها للإيضاح والتبيين، وليس في الجملة الإنشائية ذلك.[١]ويشترط في الصلة أن تكون معلومة للمخاطب على ألا تصل إلى حدّ البديهية التي لا تفيد، وقد تُبهم أحياناً لغرض بلاغي.[٢]وثانياً (أن تكون مشتملة على ضمير مطابق للموصول في إفراده وتثنيته وجمعه وتذكيره وتأنيثه)[٣]؛لأن (الجملة عبارة عن كلام تام قائم بنفسه فإذا أتيت فيها بما يتوافق فهمه على ما قبلها أذنَ بتعلقها به).[٤] فكانت صلته المفصّلة.

ويقسم النحاة الأسماء الموصولة على قسمين،مختص، ومشترك، فالمختص ما استعمل لشيء واحد لا يتجاوز إلى غيره وهو: الذي ، والتي، وما تفرع عنهما [٥]. فالذي ، والتي وتثنيتهما اللذان واللتان ، وفي الجر والنصب (الذين)و(اللتين)، وجمع الذي (الذين) بالياء وفي كل حال و(الألى)،وجمع التي(اللاتي)و(اللاء)، وجمع اللاتي(اللواتي)، و(من)،و(ما)و(أي)و(الألف واللام)في معنى الذي والتي)[٦]، وعليها خلاف.[٧]، و(ذا) اختصت من بين أسماءالإشارة بأنها تستعمل موصولة ، فإذا جاءت بعد (من)الاستفهامية تكون اسماً موصولاً بمعنى (الذي)، فجعلوا (ذا) اسماً موصولاً إذا جاءت بعد(ما) الاستفهامية لكل ما لا يعقل ، وبعد (من)الاستفهامية لكل ما يعقل.[٨]، واشترطوا في موصولية(ذا)بعد(ما ،و من) الاستفهاميتين ألا تكون ملغاة وذلك بتقديرها مركبة مع (ما)، فتكون معها كلمة واحدة للاستفهام مثل (لماذا أتيت؟)، أما قوله تعالى (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ)[٩] ، فمعناه: من الذي يشفع عنده؟ أما الشرط الآخر فهو أن لا تكون للإشارة نحو(من ذا الذاهب) ، و(ماذا التواني)[١٠]، و(إن لم يدخل عليها شيء من ذلك فهي اسم إشارة ولا يجوز أن تكون موصولة)[١١]، وأما الموصول الحرفي مثل(ما)و(أن) الثقيلة والخفيفة فلا تعد من الموصولات المجملة ؛لأن(الموصول الحرفي هو كل حرف أُوّل مع صلته بمصدر)[١٢]،ولا يحتاج إلى عائد يعود إليه بخلاف الموصول الاسمي.[١٣]، وسُمّيت هذه الحروف بالموصول الحرفي؛ لا لأنها أسماء موصولة ، بل لأنّها مفتقرة إلى مابعدها ليتّم معناها ، كما يحتاج الاسم

---

[١]ينظر :المقتصد في شرح الإيضاح (الجرجاني):٣١٧/١.
[٢]ينظر: شرح الكافية الشافيةابن مالك الطائي:٢٨٨/١.
[٣]شرح قطر الندى:٨٥.
[٤]شرح المفصل ابن يعيش:١٥١/٣.
[٥]ينظر: معاني النحو:١٣٣/١.
[٦]اللمع في العربية:٢٩٤.
[٧]ينظر: شرح شذور الذهب١٧٦ـ ١٨٠.
[٨]ينظر: شرح اللمحة البدرية:٣٢٣/١.
[٩]البقرة:٢٥٥.
[١٠]ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:١٤٣/١.، وحاشية الصبان على شرح الأشموني :٢٥٨/١.
[١١]شرح قطر الندى:٨٤.
[١٢]ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١٧/٣
[١٣]ينظر: المقتضب للمبرد:١٩٧/٣.

الموصول صلته.[١]،نحو أعجبني أنك قائم، بمعنى أعجبني قيامك، وبهذا أوِّل الحرف المصدري مع ما يليه بمصدر صريح ، فهذا لا يعد من الإجمال في شيء إذ لا توجد صلة إخبارية تعّبر عن تفصيل الموصول المجمل ، كما في الأسماء الموصولة ولا يحتاج إلى عائد في صلته يعود إلى الموصول حتى ترتبط الصلة بالموصول ، وبهذا لا يعدو الموصول الحرفي أن يكون حرفاً مصدرياً مع فعله. وهو مصدر قابل للتأويل بآخر صريح ، كقوله تعالى:(وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[٢]، أي صيامكم خير لكم.

نستخلص مّما تقدّم أنّ الإجمال يدخل الأسماء الموصولة دون الحروف الموصولة ، وان دلالة الإجمال تضّم الأسماء الموصولة فقط ؛لأنّها تحتاج إلى صلة تبين تفصيل المجمل في الأسماء الموصولة وبهذا المدخل سيكون النفاذ إلى تطبيق مفرداتالاسم الموصول في نهج البلاغة..

ومن أمثلة الاسم الموصول قوله (عليه السلام)في دعاء يضع المتلقي في جو عاطفي متلهف، تندمج فيه كينونة النص مع الاندماج الكوني ، والمقاربة الذاتية التي تتخذ من الروح جسر اتصال وتواصل مع المبدع العظيم ، لشعورها بالنقص العام أمام الفيض الرباني الغامرقول:((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَ لَا سَقِيماً وَ لَا مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ وَ لَا مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي وَ لَا مَقْطُوعاً دَابِرِي وَ لَا مُرْتَدّاً عَنْ دِينِي وَ لَا مُنْكِراً لِرَبِّي وَ لَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي وَ لَا مُلْتَبِساً عَقْلِي وَ لَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي))[٣].

وقع الاسم الموصول وصفاً للمتعلق بالمسند لفظ الجلالة (الله)، وهو ما لا يتحقق بغيره، لافتقاره إلى جملة توضّح علة الحمد، فلو حذف الاسم الموصول بعد لفظ الجلالة ؛ لتحولت الجملة إلى حال واختلف المعنى تبعاً لاختلافه بين الصفة والحال ومن ثمة تتّحول العبارة من صيغة دعاء استعانة بالله تعالى إلى بيان حال الله تعالى نفسه ، فالله تعالى ـ سبحانه ـ هو الذي سيكون ميتاً، والحال هذه وإنّ الإمام يحمد الله سبحانه في حال كون الله ميتاً، من هنا يقع الاختراق الدلالي ويحال مضمون الجملة من نطاق الإقرار بنعمة الله سبحانه بوصفه ومنعماً على الناس إلى الإقرار بموته وحاشا له سبحانه من ذلك فهو الحّي الذي لا يموت.وبذلك تبيّن لنا أنّ الاسم الموصول له موقعه من السياق ولولاه لتحوّل الكلام إلى غير المقصود منه، وجاء الإمام بتفصيل الإبهام في (الموصول)، عبر صلته التي تبين علة حمد الله بضروب من النعم التي عَدّ منها عشرة: وهي الحياة،والصحة ،والسلامة من آفات العروق

---

[١]ينظر:دراسات نقدية في النحو العربي:١١٠.
[٢]البقرة:٨٤.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣١٢.

وأمراضها، ومن الأخذ بالجريمة، وقطع النسل ، ويحتمل أن يريد بالدابر الظهر ، وكنى بالقطع عن الرمي بالدواهي العظيمة التي من شأنها قصم الظهر وقطع القوة، ثم عن الارتداد ، ثم عن جحود ربوبية الله، ثم عن الاستيحاش من الإيمان واستثقاله والنفرة عنه، ثم من اختلاط العقل ، ثم من التعذيب بعذاب الأمم السالفة بالصواعق والخسف ونحوها[١].وبهذا التفصيل يكون الإمام قد أوضح وبيّن المجمل في الاسم الموصول(الذي)، فكان له وقعٌ وأثرٌ في النفس ، فالنفس تميل وتتشوق لذكر ما تسبق معرفته ووجوده في الذهن.

وقد تحذف الصلة إذا علمت أو إذا أُريد الإبهام.[٢]، من ذلك قول الإمام (عليه السلام)، لما قبض رسول الله(صلى الله وعليه وآلهوسلم)، وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة بقوله:(فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ وَ إِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَ الَّتِي وَ اللَّهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّه)[٣].

فقوله(هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَ الَّتِي)،جاءت صلة الموصول محذوفة هنا بعداللَّتَيَّا وَ الَّتِي، وهما كنايتان عن الشدائد والمصائب العظيمة والحقيرة، وأصل المثل.[٤] إن رجلاً تزوج امرأة قصيرة سيئة الخلق فقاس منها شدائد فطلقها، وتزوج طويلة ،فقاس منها أضعاف ما قاسى من القصيرة فطلقها وقال بَعْدَ اللَّتَيَّا وَ الَّتِي لا أتزوّج أبداً ، فصار ذلك مثلاً للداهية الكبيرة والصغيرة، وتقدير مراده ، بعد ملاقاة كبار الشدائد، وصغارها أنسب إلى الجزع من الموت، وأكّد الإمام تكذيبهم في دعوى جزعه من الموت بالقسم البار أنه آنس من الطفل بثدي أمه، وذلك أمر بيّن من حاله (عليه السلام)إذا كان سيد العارفين بعد رسول الله ، ورئيس الأولياء وقد عرفت أنّ محبة الموت والأنس به متمكن من نفوس أولياء الله ؛ لكونه وسيلة لهم إلى لقاء أعظم محبوب والوصول إلى أكمل مطلوب[٥].

وبهذا حذفت الصلة لعظمتها وفخامتها ، فلا تدخل في حيز البيان ، ولا يحيط بها اللفظ، وقد تحذف للإبهام على السامع.[٦]

وقد يؤتى بالاسم الموصول وصلته للدلالة على التفخيم والتهويل، وذلك للإبهام الموغل في صلة الموصول، وإذا مادخل الإجمال(الصلة)، أصبحت هي مع موصولها مجملة على حدّ سواء ، ولا يتحقّق الإجمال في الصلة إلاّ إذا كانت من جنس حدث الفعل الذي وقع على موصولها، وقد ذكر ابن هشام عن إبهام الصلة في معرض حديثه عن الشروط التي يجب توافرها في جملة الصلة ، إذ يقول:(والصلة إما جملة وشرطها أن تكون خبرية معهودة)[٧]، معروفة مفصّلة لدى المتلقي(إلا في

---

[١]ينظركشرح نهج البلاغة(البحراني):٢٧/٤.
[٢]ينظر: همع الهوا مع:٣٠٦/١.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٥.
[٤]ينظر:مجمع الأمثال:٩٧/١.
[٥]شرح نهج البلاغة(البحراني): ١٩١/١.
[٦]ينظر: حاشية الدسوقي: ١/ ٥٨٥. وجواهر البلاغة: ١٣١.
[٧]أوضح المسالك على ألفية ابن مالك(ابن هشام):١٦٤/١.

مقام التهويل فيُحسن إبهامها)[١]، فنفهم بهذا أن الصلة تردُ في الخطاب مبهمة فلا يكون ـ بذلك ـ الموصول مفصّلاً ولا معرفاً.

وقوله :(عليه السلام)(فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَ قَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ وَ سَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ وَ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ وَ مَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً)[٢].

نجد أنّالاسم الموصول في هذا النصّ هو(ما)، ولحقته الصلة(في الأرحام)، غير أن الصلة مبهمة فلم تفصّل الموصول، فهي هنا مع موصولها غامضة مجملة، إذ لم يطرأ على الموصول ما يزيل إبهامه تماماً، وذلك وارد في الموصول الاسميإذ يأتي الموصول مجملاً في الخطاب فتفصله الصلة.[٣] لما كان المكتوب مجهولاً (في الأرحام) جيء ب (ما) لتتوافق مع شدّة غموضه. وقد فصلها بالمتعاطفات(ذكر،أوأنثى)و(قبيح،أوجميل)و(سخي،أو بخيل) و(شقي، أو سعيد)و(من يكون في النار حطباً،أوفي الجنان للنبيين مرافقاً)، وجاء ذلك في معرض بتبينه(عليه السلام)، علم الغيب لبعضهم وأنّه ـ علم الغيب ـ ما لا يقدر عليه إنسان، إذ إنّ علم الإنسان يرتبط بالتعلم من ذي علم ، وقد عزز العطف ب(الواو)، التي جمعت نشأة الإنسان في الرحم ثم انتقاله إلى الدنيا ذاكراً صفاته المتعاقبة وصولاً إلى نهاية المطاف ، وهي إمّا النار، أو الجنّة مع النبييّن، وقد جاء الجمع(بالواو) وهو مجموع التفصيلات لبيان شمول علمه تعالى وإحاطته بكلّ هذه الدقائق والتفاصيل، وقدرته على الإحاطة بها جميعاً ، ونلحظ هنا سمة دلالية في حرف العطف (أو) وهي أنّه قد عطف المتضادات جميعاً، فالذكر جنسه مضاد لجنس الأنثى،والقبيح ضد الجميل، والشقي لا بدّ من أن يكون ضد السعيد ، ويبدو أنّ عطف المتضادات هاهنا في النصّ قد جاء لإظهار دلالة الشمولية لجميع الأجناس ، والصفات بلا استثناء أو تخصيص،ليدخل في علم الله تعالى كلّ ما في الأرحام مهما أختلف جنسه أو تباينت صفاته.

إنّ الموصولات الاسمية ليست على درجة واحدة من الإبهام على الرغم من أنّها تتحّد جميعاً في إجمالها، فـ (الذي)و(من)، أقلّ إبهاماً ،أمّا (ما) فهي أشدّ الأنواع إبهاماً ، والذي يمكن به معرفة ذلك الإبهام درجة في الموصولات هي(الصلة) المفصلة من جهة أو دلالة السياق الواردة فيه من جهة أخرى، فقد تدعوا دلالة السياق المبهمة إلى تفصيل استعمال (ما)،بدلاً من غيرها ، وقد يقول ذلك على

---

[١]أوضحالمسالكعلىألفيةابنمالك(ابنهشام):١/١٦٤.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):١٨٧.
[٣]ينظر:الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني:١١٧.

الصلة (ما)نفسها فهي التي تصرف (ما)إلى ضبابية الدلالة وعمق المجهول، وكذا الحال ل(الذي)و(من)في نسبة وضوحهما قياساً ب(ما)[١].

ومنها قوله (عليه السلام)في المنافقين:-((وَ قَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ وَ وَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ وَ الدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَ الْبُهْتَانِ فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ وَ جَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَى رِقَابِ النَّاسِ))[٢].أفاد الإجمال في الاسم الموصول (ما)مع صلته المجملة(بِمَا أَخْبَرَكَ)و(بِمَا وَصَفَهُمْ)، التهويل والتفخيم من تلك الفئة، حيث الحديث هنا عن المنافقين، ولطالما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز عن المنافقين منها قوله:(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)[٣]، والعديد من الآيات القرآنية تشير إلى المنافقين.[٤]، وما وصفهم به كقوله تعالى:(إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ)[٥]، فالآية تدل على وصفهم بالكذب في مطابقة عقائدهم لألسنتهم في الشهادة بأنه رسول حق ومن كان يعتقد أنه غير رسول الله فإنه مظنته الكذب عليه. وبهذا أُبهم الحدث عن طريق الصلة وموصولها ؛ لتفخيم وتهويل ما أخبر الله عن هؤلاء الفئة الضالة وبما وصفهم به القرآن؛ ليطلّع المؤمنون السائرون على خطى الرسول العظيم (صلى الله وعليهوآله وسلم)، وليكونوا على بيّنة من دسائسهم ومؤامرتهم على الإسلام والأمةالإسلامية.

وقوله (عليه السلام)في صفة الضال:(فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ وَ اسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ وَ اخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ وَ أَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ (صلى الله عليه وآله) مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَ لَا مَحِيصَ عَنْهُ وَ خَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ وَ دَعْهُ وَ مَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ)[٦].انطوى النصّ على اسم موصول وهو(من)، ودلالته هنا على التنبيه على خطأ المخاطب وتوجيهه[٧].

جاء الموصول الأسمي في سياق تأكيد متناسباً مع التأكيد الذي يتضمنه النداء ب(يأيها)،(لأن فيه أوجهاً من التوكيد وأسبابًا من المبالغة، وما في التدرج من الإبهام في (أي)، إلى التوضيح والمقام يناسب المبالغة والتوكيد)[٨]، وجاء التوكيد ليرّسخ الأوامر التي أمر بها الإمام السامع ومنها الإفاقة من سُكر الجهل، والتيقّظ من الغفلة في الدنيا، والاختصار من العجلة أي سرعة الحركة في

(١)ينظر:الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني:١٢٤.
(٢)شرح نهج البلاغة(عبده):٣٠٧.
(٣)النساء:١٤٥.
(٤)ينظر: سورة التوبة، الأحزاب، النساء ،البقرة، وسائر السور القرآنية التي كشفت النقاب عن وضع المنافقين، وفضحت أساليبهم وذكرت حيلهم ومصائدهم.
(٥)المنافقون:١.
(٦)شرح نهج البلاغة(عبده):٢٠٩.
(٧)ينظر: جواهر البلاغة:١٣١.
(٨)الإتقان في علوم القرآن:١٧٢١/٥.

طلب الدنيا والاهتمام بها،وإنعام الفكر فيما دار على لسان الرسول(صلى الله وعليهوآله وسلم)، والإكثار من ذكر الموت وعرض النفوس على ديّانها، وبمخالفة من خالف ذلك ونظر في غيره مما عنه بد من أحوال الدنيا وزينتها، وأن يدع ذلك المخالف وما رضي لنفسه من التعويض بالأمور الفانية عن الأمور الباقية وفي إبهام (من)في قوله(وَ خَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ)، فضلاً عن تحقير شأن المخاطب ، أراد بها العموم.والأوامر خرجت لغرض النصح والإرشاد، وبالموصول الإسمي المبهم (من)صاغ الإجمال إبهامه، لتأتي الصلة مفصلة لذلك الإبهام مبيّنة دلالتُه.

ومن كلام له(عليه السلام)يذكر مواقفه من الرسول محمد(صلى الله وعليه وسلم)((وَ لَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَ إِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي وَ لَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي وَ لَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ (صلى الله عليه وآله) وَ الْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي فَضَجَّتِ الدَّارُ وَ الْأَفْنِيَةُ مَلَأٌ يَهْبِطُ وَ مَلَأٌ يَعْرُجُ وَ مَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَ مَيِّتاً))[١].تكون(ذا)موصولاً إسمياً بعد(من)و(ما)الاستفهاميتين، واشترط النحاة فيها ألاّ تكون ملغاة أو للإشارة.[٢]، فتكون (من) في النص المذكور اسماً للاستفهام وهي مبتدأ، أو تأتي بعدها أهمية صلة الموصول قائمة بوظيفة الخبر مع الاسم الموصول ، والصلة في(أحق به مني حياً أو ميتاً)، وجاء الغرض البلاغي من توظيف الاسم الموصولللتنبيه المخاطب.[٣] على أولوية الإمام(عليه السلام) بأمر الخلافة وأثر ذلك عُبئ الجميع للجهاد ضد العدو.

ومنه أيضاً ما جاء في خطبة له في توحيد الله وتنزيهه يقول:(مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ وَ مَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ وَ مَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ وَ مَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ)[٤]. الاسم الموصول (من)في هذه الجمل الأربع مجمل لحقته صلة ؛ لتمثل إحاطة الحق جلَّ وعلا بعباده وعلمه بما يسرّون ومايعلنون، ومشيئته المطلقة في الرزق فضلاً عن مآب الأحياء ولأموات إليه ، ونجد في هذا النصّ موجة من النغم والموسيقي يحققها إيقاع السجع المتوازي من خلال التجانس الصوتيّ في الحروف الأخيرة لفاصلتي الفقرتين(الأولى، والثانية)،والفقرتين(الثالثة، والرابعة)، مع النغم الذي يبعثه وزن الفاصلة،فضلاً عما أفاده الترادف ، والتضاد في النص مما عمل على تعزيز الرهبة والخضوع التي أراد الإمام أن تبلغ منتهاها في نفس متلقيه.**وجاءتفينصوصنهجالبلاغةصلةالموصولالاسميجملةشرطية،وقدمنعالنحاةمجيءالجملةالشرطيةصلةالموصول.**[٥]ولميكونواعلىحق،فقدوردتصلةالموصولجملةشرطيةفيقولهتعالى:(وَمِنْأَهْلِالْكِتَابِمَنْ

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٩٥.
[٢]ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:١٤٣/١.،وشرح الكافية الشافية:٢٨٢/١.
[٣]ينظر:جواهر البلاغة:١٣١.
[٤]شرح نهج البلاغة (عبده):١٥٩.
[٥]ينظر: همع الهوامع: ٦٨/١.

إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا)[١].

وكذلك وردت في نصوص نهج البلاغة فهو كلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق،وجاء ذلك في قوله (عليه السلام) في خطبة تُعرف بالأشباح وهي من جلائل خطبهقال:(هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ الْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ وَ حَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ وَ تَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ وَ غَمَضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ رَدَعَهَا وَ هِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ)[٢].

نرصد في الخطبة اسماً موصولاً(الذي)وهو الذي يقوم مقام ال في الجمل فهو أداةيتوصل بها إلى التعريف بالجملة.[٣]وجاءت صلة الموصول هنا شرطية (إِذَا)وفعل الشرط(ارتمت)وجوابه (ردعها)، وهي شرطية متصلة في قوة شرطيات متعددة المقدمات وتاليها واحد.

المقدّمالأول قوله:إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته وارتماؤها استرسالها مجدة في المطالعة والتفتيش ومنقطع قدرتها منتهاها.

والمقدّم الثاني:حاول الفكر المبرأمن خطرات وساوس الشيطان أن يقع عليه ليكف ذاته ويتثبتها بكل ما ينبغي له من الكمالات في عميقات غيوب ملكوته،أي في أسرار عالم الغيب العميقة.

المقدّم الثالث:تولّهت القلوب أي أشتد شوقها إليه لتجري في كيفية صفاته.

المقدّم الرابع: غمضت مداخل العقول أي وقت مواقع دخولها بحيث لا تبلغه الصفات.(ردعها) ردها خاسئة حسيرة، فالأوهام لقصورها عن إدراك ما ليس بمحسوس ولا متعلقاً بالمحسوس، فالعقول قاصرة عن إدراك كنه ذاته؛لكونها قاصرة عن إدراك كنه ما ليس بذي حد وتركيب، أن تصدير الإمام جملة الصلة بالأداة(إذا)، معناه ذاك الحدث المقطوع بحصوله ولا شكّ فيه، فهي مخّصصة لهذا الاستعمال كما ذكر النحاة.[٤]، جاء في الطراز : أما(إذا) فتستعمل في الأمور المحققة،كقوله تعالى:(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا)[٥]، وقوله تعالى:(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)[٦]، فهذه الأمور كلها محققة، فلهذا حسن دخول (إذا فيها)[٧]، **ولا شك في أن صلة الموصول (إِذَا ارْتَمَتِ....... ردعها)، متحققة الوقوع في حدثها.يتضح مما سبق أنَّ دلالة الاسم الموصول مبحث دقيق المسلك، غريب النزعة، يوقعنا على دقائق من البلاغة تؤنسنا وإذا مجيء الصلة تفصله بعده إذا تأملها القارئ بثاقب فكره، وصادق رأيه، فيعتبر فيكل مقام ما يراه مناسباً للغرض الذي تعين فيه مجيء الاسم الموصول**

---

[١]آل عمران:٧٥.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):١٢٤.
[٣]ينظر: معاني النحو:١٣٣.
[٤]ينظر الإيضاح في علوم البلاغة:٨٨/١- ٨٩.، وشرح مختصر المعاني للتفتازاني:١٣٥.
[٥]الزلزلة:١.
[٦]التكوير:١.
[٧] الطراز:١٥٣/٣.

المبحث الخامس:ـ دلالة أسلوب الإجمال في الضمير:

الضمير لغةً: هو من (أضمرت الشيء :إذا أخفيته وسترته فهو مضمر)[١] .واصطلاحاً: هو ما وضع لمتكلّم أو مخاطب ،أو غائب ، ويسمّيه الكوفيّون الكناية والمكنّي.[٢]وينقسم الضمير إلى مستتر وبارز، والمستتر إلى واجب الاستتار وجائزه، وواجب الاستتار هو ما لا يحل محله الظاهر، أما المراد بجائز الاستتار ما يحلّ محلّه الظاهر، أمّا الضمير البارز فينقسم إلى متّصل ومنفصل.[٣]

وسُمّي الضمير بذلك: (لكثرة استتاره فإطلاقه على البارز توسّع ،أو لعدم صراحته كالأسماء المظهرة)[٤]،فـ (إنك بالضمير تستر الاسم الصريح فلا تذكره فإنك إذا قلت(أنا) فأنت لم تذكر اسمك وإنما سترته بهذه اللفظة،وكذلك لو قلت:(أنت هو الحي))[٥]، ألا ترى أنّك تطرق على أحد بابه فيقول:من؟فتقول:أنا،ويقول لك:ومن أنت؟ فتقول له: فلان، فأنت لم تذكر اسمك صراحة بقولك (أنا)فطلب منك ذكر اسمك الصريح، فأخذ مصطلح الضمير من هذا ؛لأنه يستر به الاسم الصريح.[٦]

وإنّ (للضمير مزايا مختلفة وأثر يطلب من أجله،فهو يرفع اللبس في الكلام،ويكنى به عن الظاهر،ويحقق الاختصار)[٧]،وذلك (لأنّه نَصّ في معناه ،لا يحتمل شيئاً غيره)[٨].

---

[١] لسان العرب:١٦٣/٦.
[٢] ينظر: معاني القرآن:١٩٥/١.
[٣] ينظر: شرح ابن عقيل: ٩٠/١-٩٢.
[4] معاني النحو:٤٥/١.، وينظر حاشية الصبان:١٠٩/١.
[5] معاني النحو:٤٥/١
[٧] أسلوب التوكيد في القرآن الكريم:٣٧.
[٨] ينظر:م.ن:٣٧.

أولاً: دلالة أسلوب الإجمال في (ضمير الغيبة):

لابد لضمائر الغيبة من (تقدّم ظاهر ترجع إليه) [١] ؛ لأنّ (ضمير المتكلّم والمخاطب تفسّرها المشاهدة) [٢]، فحينما نقول : (أنا ذهبت فإنّ المتلقيّ سيفهم تبادراً إلى أنّ ضمير المتكلّم (أنا) و(التاء) يعودان لك، وإذا ما قلت لمحدّثك (أنت ذهبت) فإنّ الضمير أنت والتاء يعبرّان عن صاحبك دون تردّد، لكنك اذا قلت (ذهب) دون سابق حديث، فإن الضمير الذي هو للغيبة في الفعل ذهب يُعَدّ مجهولاً؛ لأنّ له حاجة إلى اسم مذكور قبله يدلّ عليه، فنقول مثلاً (زيد ذهب) فيُعرَف لمن الضمير بذلك؛ لأن ضمير الغائب عارٍ عن المشاهدة فاحتيج إلى ما يفسّره[٣].

وإذا تقدّم شيئان، أو أكثر ممّا يصلح للتفسير فالأصل أن يعود الضمير على الأقرب نحو قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ) [٤] . فالضمير في (عنه) عاد على القريب وهو الرسول، وقوله تعالى:(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ) [٥]، أي قدر القمر ؛وذلك (عند عدم وجود قرينه على المعنى المراد) [٦].

ويجوز أن يعود على الأوّل مع القرينة[٧]، وذلك كقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا) [٨] ،فعاد على التجارة لتأنيثه وإعادة الضمير على أحد المذكورين إنما يكون بحسب ما يقتضيه المقام، فقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا) إنمّا أعاد الضمير فيه على التجارة ؛لأنها كانت سبب الانفضاض وهو يخطب، وقوله تعالى:(وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ) [٩] ،إنمّا أعاد الضمير فيه على الصلاة دون الصبر وختم الآية بالكلام

---

[١] ـ شرح المفصل (ابن يعيش): ٨٤/٣.
[٢] ـ همع الهوامع: ٢٢٧/١ ،وينظر البيان في روائع القرآن ١٣٧/١
[٣] ـ ينظر: م.ن: ١٣٧/١.
[٤] ـ الانفال: ٢٠
[٥] ـ يونس: ٥
[٦] ـ البيان في روائع القرآن ١/ ٣٥
[٧] ـ ينظر: شرح الرضي على الكافية ٤٠٥/٢..
[٨] ـ الجمعة: ١١
[٩] ـ البقرة: ٢٥

عليها؛ لأن الكلام على الصلاة فقد تقدم ذكر الصلاة والمطالبة بها قال تعالى :(وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ) [١].

وقد يستغنى عن المفسَّر* في اللفظ بما يدل عليه حسّاً؛ وذلك قوله تعالى:(قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي) [٢]، وقوله:(وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) [٣]، فالضمير يعود على امرأة العزيز ولم يتقدّم لها ذكر صريح فهو مدلول عليه حسّاً.

وكقوله تعالى:(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) [٤] ،فالضمير يعود على موسى ؛لأن الكلام يدور عليه وهو مدلول عليه بالحس[٥].

وقد يدل على المفسر العلم به، وان لم يتقدم له ذكر نحو قوله تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)[٦] ، فالضمير يعود على القرآن وكقوله:(حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) [٧] ،يعني الشمس فهي مفهومة من السياق، وكقوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) [٨] ،يعني الأرض، وقوله: (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) [٩] ،أي على ظهر الأرض وذلك؛ لأن الكلام على الناس والناس على الأرض.

وقد يتقدم معنى المفسر ولا يتقدم لفظه صراحة وذلك كقوله تعالى :(اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) [١٠]، فالضمير (هو) يعود على العدل ولم يتقدم له ذكر بل تقدم الفعل (اعْدِلُواْ) الذي يدلّ عليه وكقوله:(إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ) [١١] ،والمعنى فإخفاؤها خيرٌ لكم فالضمير هو على الإخفاء ولم يتقدم ذكره بل تقدم فعله، وكقوله: اذا زجر السفيه جرى إليه: أي جرى إلى السفه. [١٢]

---

[١]- البقرة:٤٣.
* المفسر: هو الاسم الذي يعود عليه الضمير، ينظر معاني النحو:٦٧/١.
[٢]- يوسف: ٢٦
[٣]- يوسف: ٢٦
[٤]- القصص: ٢٦
[٥]- ينظر معاني النحو:٦٧/١
[٦]- القدر: ١
[٧]- ص:٣٢
[٨]- الرحمن:٢٦
[٩]- فاطر:٤٥
[١٠] المائدة: ٨
[١١]- البقرة : ٢٧١
[١٢]- ينظر: الرضي على الكافية :٥/٢

يتضح لنا مما تقدم أنّ ضمير الغائب يسبقه مفسّر، والأصل أن يعود الضمير على الأقرب إذا لم توجد قرينه، واذا وجدت قرينه فيجوز أن يعود إلى غير الأقرب، وقد يستغنى عن المفسر في اللفظ بما يدل عليه حسّاً، وقد يدل على المفسر العلم به، وقد يتقدم معنى المفسر ولا يتقدم لفظه صراحة ولكن قد يكون مرجع الضمير إلى أمرين أو يصلح لكل منهما[١]، وذلك مثل قوله عليه وآله الصلاة والسلام :(لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره)[٢]،ونحو قولنا (كل ما علمه الفقيه فهو كما علمه) فإنّ الضمير(هو) متردّد بين العود إلى الفقيه وإلى معلوم الفقيه ولا شك إن المعنى يكون مختلفاً لكلّ منهما)[٣]وبذلك يغدو الضمير نفسه مبهماً مجملاً لعدم معرفة مرجعه الذي يفصله ويفسره،وبذلك يخرج الضمير هنا من نطاق التعريف والتعيّن إلى نطاق الغموض والإبهام.وفيما يلي أهم تطبيقات هذا النوع من(الضمير المبهم)في نصوص نهج البلاغة:ـ

منها قوله (عليه السلام) في كلام له عليه السلام في الخوارج لما سمع قولهم(لا حكم الا لله) قال: (كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَ لَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ وَ إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَ يَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ وَ يُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَ يُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ وَ يُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ وَ تَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ وَ يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ)[(٤)].

يرى ابن أبي الحديد أن الضمير في (إِمْرَتِهِ) يعود إلى الفاجر، فان إِمْرَةَ الفاجر ليست مظنة تمكن المؤمن من عمله؛ لأنه يمكنه أن يُصلي ،ويصوم ،ويتصدق وان كان الأمير فاجراً في نفسه[(٥)].

ويؤيد هذا الرأي العلّامة محمد جواد مغنية الضمير في (إِمْرَتِهِ) للفاجر[(٦)]. في حين يخالف هذا الرأي ابن ميثم البحراني وقوله: الضمير في (إِمْرَتِهِ) لمّا عاد

---

[١]ـ ينظر: أثر الإجمال والبيان:٢٠.
[٢]ـ الكافي والوافي:٢٧٥.
[٣] صحيح مسلم:١٢٣٠/٣،وصحيح ابن حيان:٢٧١/١،ومسند الشافعي:٢٤٤/١.،وسنن الترمذي:١٣٥/٣،وسنن أبي داود:٣١٤/٣.
[٤] ـ نهج البلاغة محمد عبدة: ٧١/١
[٥] ـ ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن ابي الحديد): ٢٩٢/١٣
[٦]ـ ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢٥٣/١

إلى الأمير، وكان لفظ الأمير محتملاً للبر ،والفاجر كان المراد ب(الإِمْرَةَ)التي يعمل فيها المؤمن إِ مْرَةَ الأمير من حيث هو برّ، والتي يستمتع فيها الكافر إِمْرَتِهِ من حيث هو فاجر، وهذا أولى من قول بعض الشارحين : إن الضمير يعود الى الفاجر فان إِمْرَةَ الفاجر ليست مظنة تمكن المؤمن من عمله، والمراد يعمل المؤمن في إمَرة البرّ عمله على وفق أوامر الله ونواهيه إلى وقت نمكنه منه، والمراد باستمتاع الكافر في إمرَة الفاجر انهماكه في الذات الحاضرة التي يخالف فيها أوامر الله وذلك في وقت تمكنه من مخالفة الدين. [١]

وظل الضمير مبهماً لم يحدّد المغزى من رجوعه.وعند الشارح الشيرازي: (واضح أن الضمير في (إِمْرَتِهِ) يعود إلى مطلق الأمير سواء (البر، أو الفاجر) وكذلك ضمير فيها، وليس صحيح ما أورده بعض شُرّاح نهج البلاغة، من أن الأول يعود إلى البرّ، والثاني يعود إلى الفاجر، أو كلاهما للفاجر)[٢].

نرى المبدع يخرّج هنا الضمير عن وظيفته التعريفية؛ لميله وتردّده وتأرجحه بين الدلّالات،وبهذه الهيئة ظلّ الضمير مجملاً لدى المتلقي فنرى ذهنه يذهب عدّة مذاهب ويسبح خياله في عدة خيارات. من ذلك نجد المتعة واللذة في التفكير ومعرفة ذلك الشيء المُبهم، وما قصده المبدع من فنّه الإبداعي هذا تاركاً بصمة أسلوبية وبلاغية ليهتدي السامع إليها ويجعله مترقباً للخبر المُبهم.

ومنها قوله في آل النبي (عليه أفضل الصلاة والسلام)

(هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ وَ لَجَأُ أَمْرِهِ وَ عَيْبَةُ عِلْمِهِ وَ مَوْئِلُ حُكْمِهِ وَ كُهُوفُ كُتُبِهِ وَ جِبَالُ دِينِهِ بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وَ أَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ) .[٣]

التعبير العلّوي يؤسس إجماليته هنا عن الأئمة من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بعباراتٍ قصيرةٍ عميقة المعاني، حيث يتطرّق إلى مكانتهم بعد رسول

---

(١)- ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن ميثم البحراني): ٢٩٣/١
(٢)- شرح نهج البلاغة (الشيرازي): ٢/ ٢٧٧
(٣)- نهج البلاغة محمد (عبده): ٢
* صرح حديث الثقلين: بان أهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن الدين لا يفترقوا عن حتى يردا على النبي صلى الله عليه واله وسلم حوضه، أما الحديث الثاني فقد شبههم بسفينة نوح من ركبها آمن ومن تخلف عنها غرق ،وأخيراً حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي قال فيه: مثل أهل بيتي فيكم كمثل النجوم باي اقتديتم وان النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الارض.

الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، في ضوء ما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة من قبيل حديث الثقلين، وسفينة نوح ،والنجوم.*

تشعبّت مقولات الشُرّاح في الضمير المستتر ومرجعه دون ترجيح فابن أبي الحديد يقول : (الهاء في (ظَهْرِهِ) ترجع إلى الدين، وكذلك الهاء في(فَرَائِصِهِ))[١]. أما الشارح ابن ميثم البحراني (فيُرجع الضمائر المفردة كلّها إلى الله تعالى إلاّ الضمير في (ظَهْرِهِ و فَرَائِصِهِ) فإنّهما للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما سبق ذكر الله ورسوله في صدر الخطبة، وقيل الكلّ للرسول (صلى الله عليه واله وسلم))[٢] ، أمّا العلامة محمد جواد مغنية فقد علّق على هذا الكلام، والأرجح أن الضمائر تعود إلى رسول الله ما عدا ضمير (ظَهْرِهِ و فَرَائِصِهِ)، فإنّهما يعودان إلى الدين لتقدّم ذكره في قول الإمام وَ(جِبَالُ دِينِهِ) ولقرب الضميرين منه[٣].

أما الشيرازي فذكر أن القرائن: تفيد أن الضمير فيها يعود إلى الله سبحانه ولا سيما بالالتفات إلى قوله وَ(كُهُوفُ كُتُبِهِ) ، بينما يعود الضمير في العبارة الأخيرة إلى الدين. [٤]

ومع هذه التفسيرات للشراح تكمن قدرة النصّ في جذب المتلقيّ، فنرى الدلاّلات تسكنه وتدور في مخيلته وتجيب عن تساؤلاته في معرفة عودة الضمير المُبهم ومرجعه ولأي مفسّر يعود، وبذلك يضفي الإمام على اللغة دلالات جديدة ويضعها في سياقات غير مألوفة، و شيقة للمتلقي بما لا يتوقعه وبذلك يساهم في الإبداع اللغوي وبالتالي ينعكس تأثيرها النفسي والانفعالي على المتلقي.

وحتى لا يسيطر على المتلقي الملل والسأم من رؤية النص على وتيرةٍ واحدة بدون جذب ولا تشويق يبعثه على التفكير في ذلك الشيء المبهم.

ومن خطبة له (عليه السلام) في الاستسقاء:

(اللَّهُمَّ قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا وَ اغْبَرَّتْ أَرْضُنَا وَ هَامَتْ دَوَابُّنَا وَ تَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا وَ عَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلَادِهَا وَ مَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا وَ الْحَنِينَ إِلَى

---

[١]- شرح نهج البلاغة ابن ابي حديد : ٧٠/١
[٢]- شرح نهج البلاغة ابن ميثم البحراني: ١٦٩/١
[٣]- ينظر: في ظلال نهج البلاغة : ٧٨/١
[٤]- ينظر: شرح نهج البلاغة (الشيرازي): ١٩٥/١- ١٩٦

مَوَارِدِهَا اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الْآنَّةِ وَ حَنِينَ الْحَانَّةِ اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا وَ أَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا)[١] .

بيّن الإمام (عليه السلام) الوضع المزري الذي أصاب الناس أثر الجفاف بعبارات رائعة بعيدة المعنى رسم من خلالها صورة واضحة فصيحة عن الجفاف الشديد الذي أصاب الناس في ذلك الزمان، وكشف النقاب عن وضع الجبال والأراضي والمراتع والدوابّ حيث رفع الإمام يديه بالدعاء مبتهلاً بكلماتٍ بالغة الأثر مشحونة بالمعاني التي تحمل المتلقي على التفكير والعِبر ،ودلالة الضمير المُبهم في قوله(وَ عَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلَادِهَا)، حيث يحتمل الضمير في (أَوْلَادِهَا)، أن يرجع إلى الثكالى أي كعجيج الثكلى على أولادهن، ويحتمل أن يرجع إلى الدواب أي وعجّت على أولادها كعجيج الثكالى[٢].

نجد الضمير هنا مُبهماً يتناسب مع شدّة براعة الإمام (عليه السلام) وهو يرى الدواب تحيرت ولا تدري ماذا تصنع إن نهضت لترعى لم تجد رعياً ؟، أو إن قامت كانت على انقطاع المادة أقرب ولهذا قال عليه السلام: (اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا وَ أَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا).

ومن خطبة له (عليه السلام)وهي المعروفة بالشقشقية حيث يتظلم الإمام في هذه الخطبة مما لحقه من الغُبن في إبعاده عن الخلافة بعدما كان المهيأ الأكفأ لها، وبعد أن قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقه يوم غدير خم: (من كنت مولاه فعلي مولاه) جاء ذلك في قوله عليه السلام: (فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَ يَخْشُنُ مَسُّهَا وَ يَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَ الِاعْتِذَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَ إِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ)[٣].

الإجمال في الضمير (صَاحِبُهَا) وتردد في عودته إلى مفسره قيل الضمير في (صَاحِبُهَا) يعود إلى الحوزة المكنى بها عن طبيعة (عمر) وأخلاقه والمراد على هذا

---

(١)ـ شرح نهج البلاغة محمد (عبده): ١٧١
(٢)ـ ينظر: شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد: ٤٢٢/٢، وينظر غريب نهج البلاغة : ٣٥٤
(٣)ـ شرح نهج البلاغة محمد (عبده): ٢٩

الوجه ان لصاحب تلك الأخلاق في حاجة الى المداراة في صعوبة حاله ،(كراكب الصعبة) ووجه المشابهة إن راكب الصعبة كما يحتاج الى الكلفة الشاقة في مداراة أحوالها فهو معها بين خطرين أن والى الجذبات في وجهها بالزمام خرم أنفها ،وإن أسلس لها في القيادة تقحمت به المهالك. كذلك مصاحب أخلاق الرجل والمبتلى بها أن أكثر عليه إنكار ما يتسرع إليه أدى ذلك إلى مشاقته وفساد الحال بينهما وإن سكت عنه وتركه وما يصنع أدى ذلك إلى الإخلال بالواجب وذلك من موارد الهلكة.

وقيل: الضمير في (صَاحِبُهَا) للخلافة وصاحبها هو كل من تولى أمرها إذا كان عادلاً مراعياً لحق الله، ووجه شبهه ب(راكب الصعبة) أن المتولي لأمر الخلافة يضطر الى الكلفة الشاقة في مداراة أحوال الخلق، ونظام أمورهم على القانون الحق، وان يسلك بهم طريق العدل المحسوسة بطرف التفريط والتقصير المشبه لإسلاس قيادة الصعبة، وبطرف الإفراط في طلب الحق والاستقصاء فيه الذي يشبه شنقها ،فان المتولي لأمر الخلافة أن فرط في المحافظة على شرائطها وأهمل أمرها ألقى به التفريط في موارد الهلكة كما نسبه الصحابة الى عثمان حتى فعل به ما فعل، فكان في ذلك كراكب صعبة أسلس قيادها، وان أفرط في حمل الخلق على أشد مراتب الحق وبالغ في الاستقصاء عليهم في طلبه أوجب ذلك تضجرهم منه ونفار طباعهم وتفرقهم عنه وفساد الأمر عليه لميل أكثرهم إلى حُبّ الباطل وغفلتهم عن فضيلة الحق، وإن صعب فيكون في ذلك كمن أشنق الصعبة التي هو راكبها حتى خرم أنفها.

وقيل أراد بصاحبها(نفسه) وتشبه براكب الصعبة؛ لأنه أيضاً بين خطرين: أما أن يبقى ساكتاً عن طلب هذا الأمر والقيام فيتقحم بذلك في موارد الذل والصغار، كما يتقحم راكب الصعبة المسلس لقيادها، وأما أن يقوم فيه ويتشدد في طلبه فيتشعب أمر المسلمين بذلك وينشق عصاهم فيكون في ذلك كمن أشنق لها فخرم أنفها [1].

ويعطي (ابن ميثم البحراني) رأيه في تلك الخيارات بقوله: والأول أليق بسياق الكلام ونظامه، والثاني أظهر، والثالث محتمل.

---

(1) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٧٧- ١٧٨.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَ حُسَيْنٌ حَيٌّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَ أَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ)[١].

الإجمال في النص يكمن في الضمير المستتر ولفظة(مَصْدَرَهُ) وتحتمل وجهين:

أحدهما: عودته إلى الحسن، وتقديره: وأصدر الحسين الأمر إصدار الحسن له وقضى في المال كقضائه، والمصدر بمعنى الإصدار كقوله تعالى: **(وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا)**[٢]، أي إنباتاً، ويحتمل أن يكون المصدر محل الأصدار: أي وأصدره في محل إصداره.

والآخر: ويحتمل أن يعود إلى الأمر الذي وصى به(عليه السلام) ويكون المعنى ووضع كل شيء موضعه.[٣] أما الشارح الشيرازي فقد أرجع الضمير المستتر في لفظة(مَصْدَرَهُ)إلى أولاً: يعود إلى الموقوفة فإنّ مفهومها أنَّ الإمام الحسين(عليه السلام) يعمل في منتوج ومحصول هذه الموقوفة عمل الإمام الحسن(عليه السلام).

ثانياً: ويحتمل عود الضمير في (مَصْدَرَهُ) إلى الإمام الحسن(عليه السلام) فإن مفهومه أنّ الإمام الحسين(عليه السلام) يتبع سيرة الإمام الحسن(عليه السلام) فيها، ورغم أنَّ نتيجة كلا هذين الاحتمالين واحدة إلاَّ أنهما مختلفان في المفهوم من السياق، وعلى أية حال فالاحتمال الأول يبدو أقوى من الثاني.[٤]

ويشير الشيرازي في هامش الصفحة نفسها بقوله: (إن الرواية المذكورة في كتاب الكافي بدل هذه الرواية تشير إلى أنَّ التفسير الثاني أنسب؛ لأن المذكور في الكافي: **(إِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَ حُسَيْنٌ حَيٌّ .... وإن حسيناً يفعل فيه مثل الذي أمرت به حسناً)** ومفهومه أن الإمام الحسين(عليه السلام) يسلك في إجراء هذه الوصية بالنسبة للوقت ذات البرنامج والمنهج الذي يسلكه الإمام الحسن(عليه السلام)[٥]، أما العلامة ابن أبي الحديد فيرجح (الهاء)في (مَصْدَرَهُ) أنها ترجع إلى

---

(١) شرح نهج البلاغة(عبده):٣٥٧.
(٢) نوح:١٧.
(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٢٢٧/٤.
(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي):٢٤٥/٩ـ ٢٥٥.
(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ٢٥٥/٩.

الأمر أي يصرفه في مصارفه التي كان الحسن يصرفه فيها.[١] أما العلامة حبيب الله الخوئي فيرجح عود الضمير المستتر في (**أَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ)إلى الأمر.**[٢]، والمعنى هنا إن حدث بحسن حدث وهو كناية عن الموت. ونلحظ أيضاً ومن خلال النص تعاضد إجمال آخر مع إجمال الضمير المستتر وهو إجمال (المعرف ب ال) ولفظة(الأمر) والذي أخفاه الإمام(عليه السلام) على السامع ليتشوق إلى معرفة الإبهام الذي فيه فيجول فكره في معرفة الخبر المبهم فيه وهذا ما خرج إليه المبدع في مصدره من الإجمال.

يتضح لنا مما تقدم أن التردد في معرفة عودة ضمير الغائب إلى مرجعه جيء به حتى لا يسيطر على المتلقي السأم والملل، فمرةً ذهنه يذهب مذاهب مختلفة ويسبح بخيالاتٍ واسعةٍ في سبيل إيجاد ذلك الشيء المُبهم، ومرةً نراه مشحوناً بطاقة انفعالية في سبيل معرفة الخبر المراد، ومن هنا كثر في كلام المبدع استفحاله لذلك الكلام المُبهم في تفسيره.

---

[١] ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٣٢٠/٤.
[٢] ينظر: (منهاج البراعة)للخوئي:٣٦٩/١٨.

ثانياً: دلالة أسلوب الإجمال في ضمير الشأن:-

هو(أداة للتنبيه يدفع السامع إلى الإصغاء إلى ما يأتي بعده،فإذا وردت الجملة بعده ثبتت في النفس وقرّت في القلب)[١]، و(يسميه الكوفيون ضمير المجهول ؛لأن ذلك الشأن مجهول لكونه مقدراً إلاّ أن يفسّر، ولا يعود عليه ضمير من الجملة التي هي خبره،ولا يبدل منه ولا يقدم الخبر عليه لئلا يزول الإبهام المقصود منه)[٢]،فالذي يفسره ما بعده ينقسم أيضاً إلى قسمين،قسم يفسره المفرد،وقسم تفسره الجملة، فالذي تفسره الجملة ضمير الأمر والشأن والقصة.[٣]يقولون :(هو زيد منطلق). ومعنى (هو)،(زيد منطلق)أي معنى الضمير هو معنى الجملة فيكون المعنى هكذا،الشأن زيد منطلق أو الأمر زيد منطلق، ويعني بالأمر ما بعده.[٤]ولا يجيء هذا الضمير إلاّ في سياق الغائب لا الحاضر،لذا يكون ما بعده موضحاً ومفسراً له وجاء في شرح التصريح:(ولا يكون ضمير الشأن لحاضر،وإنما يكون ضمير غيبة مفسراً بجملة بعده خبرية مصرحة بجزأيها فإن كان بلفظ التذكير سمي ضمير الشأن،وإن كان بلفظ التأنيث سمي ضمير القصة،وقد يسمّى بهما)[٥]، والسرّ البلاغي لضمير الشأن ،أو القصة هو التفصيل بعد الإجمال، والبيان بعد الإبهام،وذلك أن الضمير يدل على معناه دلالة يشوبها الإجمال والإبهام، والجملة التي تلي الضميرهي جملة المخصوص بالمدح أو الذم،وجملة الحال والشأن تدل على هذا المعنى بوضوح وبيان، والبيان بعد الإبهام أوقع في النفس وأليق بمقام المدح أو الذم،وذلك لأن السامع متى ما لم يفهم من الضميرمعنى بقي منتظراً لعقبى الكلام كيف يكون، فيتمكن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكن. وذلك ليتسنى ذكر مدلول الضمير مرتين، مرة على سبيل الإبهام، وأخرى على سبيل التوضيح وذلك مما يحقق المقصود وهو التقرير والتمكين.[٦]

ولا يكون ضمير الشأن إلاّ في مواضع التفخيم جاء في شرح المفصل:(اعلم أنه إذا أرادوا ذكرجملة من الجمل الاسمية أو الفعلية فقد يقدمون قبلها ضميراً يكون كناية عن تلك الجملة وتكون الجملة خبراً عن ذلك الضميروتفسيراً له،ويوحدون الضمير؛ لأنهم يريدون الأمروالحديث لأن كل جملة شأن وحديث ولا يفعلون ذلك إلاّ في مواقع التفخيم والتعظيم،وذلك قولك(هو زيد قائم)فهو ضمير لم يتقدمه ظاهر إنما هو ضمير الشأن والحديث، وفسره ما بعده من الخبر وهو (زيد قائم)، ولم تأت هذه الجملة بعائد إلى المبتدأ؛لأنها هو في المعنى ولذلك كانت مفسرة له أما البصريون

---

[١]المعاني في ضوء أساليب القرآن:٢٤٩.
[٢]الكافية في النحو:٢٨/٢،وهمع الهوامع:٢٣٢/١.
[٣]ينظر:شرح جمل الزجاج:٩٨/٢.
[٤]ينظر: معاني النحو:٦٢/١.
[٥]التطور النحوي:٩١،وشرح التصريح:١٦٢/١-١٦٣، وينظر شرح الكافية:٦٨/٣.
[٦]ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن:٢٥٠.

فيسّمونه ضمير الشأن.[١]جاء في (شرح الرضي على الكافية):ويتقدم قبل الجملة ضمير غائب يسمى ضمير الشأن يفسر بالجملة بعده، ويكون منفصلاً، ومتصلاً، ومستتراً، وبارزاً على حسب العوامل....والمراد بهذا الضمير الشأن أوالقصة فيلزمه الإفراد والغيبة كالمعود إليه، أما مذكراً وهو الأغلب ،أو مؤنثاً كما يجيء،وهذا الضمير كأنه راجع في الحقيقة إلى المسؤول عنه بسؤال مقدر تقول مثلاً(هو الأمير مقبل)كأنه سُمع ضوضاء وجلبة فاستبهم الأمر فيسأل ما الشأن والقصة؟فقلت:(هو الأمير مقبل)أي الشأن هذا،والقصد بهذا الإبهام ثم التفسير تعظيم الأمر وتفخيم الشأن فعلى هذا لابد أن يكون مضمون الجملة المفسرة شيئاً عظيماً يعتني به، فلا يقال مثلاً:(هو الذباب يطير)[٢].

وقال العلّوي في الطراز:(إنّ ضمير الشأن والقصة على اختلاف أحواله إنما يرد على وجهة المبالغة في تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها وتحصيل البلاغة فيه من جهة إضماره أولاً، وتفسيره ثانياً؛لأن الشيء إذا كان مُبهماً فالنفوس متطلعة إلى فهمه ولها تشوق إليه)[٣]، وذهب بعضهم إلى أن ضمير الشأن يفيد التوكيد أضافه إلى التفخيم.[٤]ويبدو لي أنّ الغرض الرئيس منه هو التفخيم.

فضمير الشأن لا يؤكَّد؛لأنه أشد إبهاماً من المنكر ولا تؤكد النكرات.[٥]ويستغنى من الجملة التي تفصل إجمال ضمير الشأن عن عائد فيها يعود علىالضمير[٦](لأنها هي الضمير في المعنى)[٧]، ولضمير الشأن فضلاً مما ذكرناه وظيفة مهمة في الكلام هي إدخال الحروف المشبهة بالفعل على الجمل الفعلية، ولولا هو ما أمكن وذلك نحو قوله تعالى:(فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَار)[٨]،فتكون الجملة الفعلية مؤكدة بأنَّ وتكون ممناةومرتجاة.[٩]

وقد لاحظ صاحب (البرهان الكاشف)أن ضميرالشأن مع(أنَّ)ما يفيد الأبّهة، ففي سؤال وجواب يقول الزملكاني:فإنقلت:أرى ضمير الشأن على ما قررته من الأبهة مع مفارقته لها في مثل قوله تعالى:(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)[١٠]،قلت:غير خاف أن لضمير الشأن شأناًجميلاً،وإنما المرعيّ زيادة أمر مع(أنَّ)وسرّه أن مضمون ضمير الشأن على الإبهام وخفا عند المخاطب، والمحل الذي يحسن فيه(أنَّ)ما يتردد فيه، فأكدت

---
[١]همع الهوامع:٢٣٢/١.
[٢]ينظر: شرح الرضي على الكافية:٤٦٤/٢.
[٣]الطراز:٧٦/٢.
[٤]ينظردلائل الإعجاز:١٠٢.
[٥]الكافية في النحو:٦٨/٢،وهمع الهوامع:٢٣٢/١.
[٦]شرح المفصل:١١٤/٣.
[٧]وهمع الهوامع:٢٣٢/١.
[٨]الحج:٤٦.
[٩]ينظر: معاني النحو:٦٥/١.
[١٠]الاخلاص:١.

أمره في الإبهام فتضاعف التفخيم الذي أفاده،ومن ثم اكتسب ضمير الشأن مصاحبة الشرط والجزاء كثيراً وقل عند مفارقتها.[١]

وهذا الأمر مزيةً من مزايا اللغة العربية،فغيرها من اللغات السامية قد يقدم أمثال(أنَّ)على الجمل الفعلية وأن كان موضعها أول الجملة الاسميةفقط،والعربيةأعدمت الشواذ وأقصت قاعدة إلحاقإنّوأخواتها بالجملة الاسميةفقط،وهي مع ذلك اخترعت وسيلة لقلب الجملة الفعلية أسمية بغير تغير تركيبها؛لكي يمكن إلحاق إنّوأخواتها بالجمل الفعلية بواسطة لا مباشرة.[٢] وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى هذه الخصيصة بقوله:(إنك ترى لضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه بل تراه لا يصلح إلاّ بها وذلك في مثل قوله تعالى:(إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)[٣].

وبعد هذه الإضاءة الموجزة لا بدّ من الدخول في تطبيق(لضمير الشأن والقصة)في (نصوص نهج البلاغة): منها

ففي قوله عليه السلام:(إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ وَ لَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ)[٤].

نجد(إِنَّ)دخلت علىضمير الشأن المجمل(إِنَّهُ)الذي أكد ذلك الإبهام وتلك المبالغة في القول والإمام هنا يهدف إلى إعداد المخاطب وتهيئته ذهنياً لمعرفة كيفية تحقيقه السعادة والنجاة من النار،لذا قدّم الإبهام بالإجمال ابتداءً فالإنسانعلى نحو عام يهرب من السوء والشر ويجنح نحو الخير، وقد جُبل على السعي نحو جني المنفعة ودفع الضرر،وقد اعتمد الإمام (عليه السلام)هذا الأمر الفطري ليدعو الناس إلى طاعة الله تعالى والابتعاد عن المعصية والذنب،وفصل الإجمالبقوله إنّ الأسوأ من السوء هو عقاب الله تعالى ومؤاخذاته على الذنوب،والأفضل من الخير هو جزاء الله تعالى وثوابه على الطاعة والإحسان والمراد هنا من الشر والخير(بقرينة الثواب والعقاب)هو المعصية والطاعة ،ونلحظ الروعة في صياغة جملة التفصيل على أسلوب القصر ب(ليس، وإلا) لتأكيد مضمون ذلك التفصيل ولرسمه صورة ثانية في عقل المتلقي.

وقوله (عليه السلام)في الزمان المقبل:(وَ إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ وَ لَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ وَ لَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ

---

[١]ينظر:البرهان الكاشف:١٥٨.
[٢]ينظر: معاني النحو:٦٦/١.
[٣]المؤمنون:١١٧.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده):١٧٠.

عَلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ لَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ وَ لَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ لَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَ لَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ وَ تَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ)[١].

الكلام هنا يحمل المتلقي على الانتباه ،والاعتبار وكل نصوص الخطاب العّلوي هي كذلك،لكن ما يميزه عن غيره إنه جاء حديثه عن زمان لا يبدو بعيداً وسيشهد تغيراً تاماً في الأوضاع بما يهدد بالخطر جهود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)فينذر المؤمنين كافة بالالتفاتإلى الأخطار التي تتربص بهم مستهلاً كلامه بالإجمال حيث ضمير الشأن(إِنَّهُ)دخل على الحروف المشبهة بالفعل على الجملة الفعلية(سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ...)ومع ما يفيده ضمير الشأن هنا التأكيد على الإبهام ،ومن ثم تضاعف التفخيم لذلك الأمر المبهم في ذلك (الزمان)الذي ليست لدى الناس سلعة أبور من القرآن إنّ فسّر،وتُلي حق تلاوته،بينما يزداد الإقبال عليه إن حُرّف معناه الحقيقي ،وبذلك التحريف ستنطمس حقائق الإسلام ويستولي سليلو أئمة الكفر والشرك والوثنية على الحكومة الإسلامية،فتعاني الأمة من ظلمات الجهل والجور ،وبالنظر إلى النص ومن خلال الفعل(سَيَأْتِي)ودلالة الفعل المضارع على المستقبل القريب والتعبير ب(عَلَيْكُمْ)و(مِنْ بَعْدِي)تشير إلى درك مخاطبيه لذلك الزمان القريب،ويبدو أنه إشارة إلى زمان سيطرة بني أُمية الذين كتموا الحق، وقطعوا رقبة كل من تعصب له،إلى جانب ذلك فقد أتسق سوق الكذابين والواضعين والمتملقين لبني أمية ممن أندفع في مدحهم والثناء عليهم،فقد ظهرت المنكرات في كل مكان وضاع المعروف.[٢]

ومن هنا يبدو جلياً كيف استخدم الإمام أسلوب الإجمال لغرض التوكيد والتثبيت وتفخيم الأمر وإعظامه وهذا الأسلوب من أساليب الفصاحة والبيان ،صدر من إمام عالم بمجريات الأمور وما سيحدث في المستقبل القريب وما بعده، وهذا هو بحد ذاته سر من أسرارالأئمة الميامين.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ)[٣].

يبدو أنّ غاية فضيلته(عليه السلام) من قوله هذا عبر ضمير الشأن المجمل(أَنَّهُ) تذكير بالوعيد على المعاصي، ثم أمرهم (عليه السلام) بفعل الأمر (فَارْحَمُوا) برحمة نفوسهم وذلك بالأعمال الصالحة واتباع أوامر الله.

تأكيداً لإثبات التعظيم فيما أمروا به، وتنبيهاً في نفيه ب(ليس) عن عدم تحمل جلد الإنسان الصبر على نار جهنم.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (أَلَا وَ إِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَ الْبَرَاءَةِ مِنِّي)[١].

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢١٠.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي):٤٣٢/٥.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٥٧.
[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٨٢.

جيء بضمير الشأن مجملاً في (**إِنَّهُ**) ومؤكداً ب(إنَّ) وأداة التنبيه (**أَلَا**) و(السين) في الفعل المضارع (**سَيَأْمُرُكُمْ**)، وبما أن الخبر وقع في دائرة الغيب فهم بلا شك على جهل وإنكار له ودفع كل مهماً يستلزم التأكيد، لذا صدّر الخبر بجملة مؤكدات تأكيداً وتنبيهاً على إعلام فضيلته(عليه السلام) بالغيب وتفصيله في الفعل المضارع (**سَيَأْمُرُكُمْ**) الذي يدل على استمرارية الفعل في الحدوث حيث يطلب معاوية من أصحابه سب الإمام والبراءة منه ، وبذلك الخبر جاء الإمام بضمير الشأن (**إِنَّهُ**) تعظيماً للمخبر عنه.

ويناظر ذلك قوله أيضاً (أَلَا وَ إِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَ إِسْرَافٌ وَ هُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَ يَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَ يُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَ يُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ)[٢].

هذا قوله(عليه السلام) في واضع المال في غير حقه؛ لأن ضمير الشأن لا يؤتى به إلاّ لاستعظام الشيء المتحدث عنه.[٣] وعند غير أهله، فنفّر عن التبذير بقوله: (**وَ يَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ**)، ونبه على ذلك التنفير عبر ضمير الشأن (هو) المجمل إذ يرفع المال صاحبه في الدنيا، أي يحصل له بالتبذير ذكر الكرم عند الناس أي يكرمه عند الناس، ويهينه عند الله ، وبذلك جيء بضمير الشأن(هو) تأكيداً لتعظيم ما ألقي من الإسراف ووضع المال في غير حقه ؛لأن ضمير الشأن لا يؤتى به إلاّ لاستعظام الشيء المتحدث عنه..[٤]

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ)[٥].

أشار الإمام (عليه السلام) في هذا النص إلى قول الخوارج وتعظيمه ذلك القول عبر ضمير الشأن المؤكد ب(إنَّ) في (إنه) وتفصيله لذلك القول (**لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ**) وهو قبول الإمام فكرة التحكيم ، وقد سألهم ابن عباس: ماذا ينقمون من أمير المؤمنين؟ فقالوا: تحكيمه الحكمين، وعليه يكون الباطل هو قبول فكرة التحكيم من حيث هي بصرف النظر عن شخصية المحكمين.[٦]

ومن هنا كان مجيء ضمير الشأن المجمل المؤكد ب(إنَّ) في (إنَّه) أنسب لتدل على عظمة القول في كلمة الخوارج وأحقية كلمة الحق في تشريع الأحكام ، وجعل الحلال والحرام هو للخالق وحده وإلى كتابه الكريم ، ولكن أصحاب معاوية ليس مقصودهم من كتاب الله بل غرض آخر باطل وهو فتور الحرب عنهم وتفرق أهوائهم.[١]

ومن كلام له في النهي عن سماع الغيبة وفي الفرق بين الحقّ والباطل قال(عليه السلام):(أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ .فسُئل (عليه

---

[٢]شرحنهجالبلاغة(عبده): ١٢٤.
[٣]ينظر: الكافية في النحو:٢٧/٢/٢. وهمع الهوامع: ٦٦/١.
[٤]ينظر: الكافية في النحو:/٢٧. وهمع الهوامع:٦٦/١.
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده): ٧١.
[٦]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٢٥٢/١.
[١]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٩٢/١.

السلام) عن معنى قوله هذا فجمع أصابعه و وضعها بين أذنه و عينه ، ثم قال :الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ وَ الْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ)[٢] .

نجد أن الضمير في (إِنَّهُ)،وقوله:(أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ...)،جاء مجملاً لتفخيم ،وتأكيد القول فقد ذكر الإمام من خلال هذه العبارة القصيرة ومن خلال عدّة طرق الآثار السيئة للغيبة في المستمع،وفسّر الإمام عبارته هذه بقوله: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَ الْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ،ويدل هذا التفسير بظاهره على أن كل ما تسمعه فهو باطل،وكل ما تراه فهو حق،وما من شك أنّ الإمام لا يريد هذا الظاهر فكيف، وهو القائل:(قد تكذب العيون أهلها،ولا يغش العقل من استنصحه)،ولا أحد يشك في أن القول المسموع يحتمل الصدق والكذب، ومراد الإمام كما- يدل السياق ـ أن لا نرتب الأثر على ما نسمعه من الأقاويل في حقّ أي إنسانكان،وبصورة أخص إذا كنّا على ثقة من دينه،ولا نرتب الأثر إلاَّ بعد الروّية والتثبت.[٣]وجاء في النص مؤكد آخر إضافة إلى التأكيد في ضمير الشأن (إِنَّهُ)حيث (أداة القصر)بالنفي والاستثناء في (لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُة أَصَابِعَ)،ويشكل الطباق بين(الباطل،والحق)في سياق فن بديعي وهو(الجمع مع التفريق)[٤]،فضلاً عن تكراره(أَنْ تَقُولَ)ليرسخ جِرسها في الأذهان،فعبّر بذلك الإمام عن فكرته ورؤيته للباطل وللحق في كل زمان ،نجد في هذه العبارة درساً أخلاقياً رفيعاً فلو وضع الناس نصب أعينهم واستحضروا على الدوام وفي كل مكانعبارة الإمام (لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُة أَصَابِعَ)،وعملوا بها في حياتهم،قطعاً كان التفاؤل محل التشاؤم وحسن الظن بدل السوء الظن ،والثقة ،والاعتماد بدل عدمها والمحبة بدل البغض والكراهية،وسوف تبهت الإشاعات ولا يكون لها ذلك الصدى والتأثير بالتالي لن يبلغ أصحابها ما يرمونه من أهداف فلا يسود المجتمع سوى الحب والإخاء.[٥]ومن هنا نرى أن الإبهام في ضمير الشأن المؤكد بالأداة (إِنَّ)جعل من الأمر المتحدّث بصدده الإمام أمراً في غاية الأهمية والعظمة والتأكيد عليه،وهذا ما يؤكده العلوي في طرازه قال:(فليتأمل المتأمل هذا الإبهام اللطيف الذي يعجز عنه أكثر الخليقة،ولا يدرى بكنهه إلاّ من رسخت قدمه في علم البلاغة، ولقد سبق أمير المؤمنين إلى غايتها وما صلّى وفاز بالنصيب الأوفر والقدح المعلى،وبرز فيها على الأقران، وفاز بالخصل من بين سائر الفرسان)[٦].

وقوله (عليه السلام): (وَ عَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَ هُوَ يَرَى خَلْقَ اللَّهِ وَ عَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وَ هُوَ يَرَى الْمَوْتَى وَ عَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى وَ هُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الْأُولَى)[١].

تعجب (عليه السلام) عدة مرات ليفاجأ متلقيه عبر ضمير الشأن(**هُوَ**)المجمل الذي جيء به لتصوير حالة التعجب والاندهاش والتعظيم لما يراه في (**الشَكَّ فِي اللَّهِ**

---

[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):١٩٧.
[٣]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٣١٠/٢.
[٤]وسيأتي الحديث عنه في القادم من الأطروحة.
[٥]ينظر: شرح نهج البلاغة (الشيرازي):٣٦٧/٥.
[٦]الطراز:٤٨/٢.
[١]شرح نهج البلاغة(عبده):٤١٦.

) و(الناسي لموته) و(منكر النشأة الأخرى مع رؤيته المتعجب منه ل(خلق الله) و(من يموت) و(النشأة الأولى) ولما كان التعجب يستلزم التعظيم، صدرت الأخبار بضمير الشأن (هو) تأكيداً لتعظيمها، وإن الأمر في غاية الأهمية، فعلى الإنسان إدراكه واستيعابه لما يرى من أمور تحصل في حياته

ونختم كلامنا بقوله (عليه السلام):(أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَن اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وُفِّقَ وَ مَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ وَ عَدُوَّهُ خَائِفٌ)[٢].

ورد الإجمال هنا في ضمير الشأن في(إِنَّهُ)للتنبيه على عظمة الأمر المتحدث عنه ومما يعضد هذا الإجمال وروده لعموم السامعين حيث أسلوب النداء في قوله(أَيُّهَا النَّاسُ)وتقديره(يا أَيُّهَا النَّاسُ)،وبعد أن أبهمَ (عليه السلام)بضمير الشأن(إِنَّهُ)وتأكيده لذلك الأمر وإعظامه، جاء تفصيله لذلك المبهم في قوله(مَنِ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وُفّقَ)،فهذه الخطوة الأولى من أجل الاهتداء إلى الحق والصراط المستقيم،بالسمع والطاعة وفُقّ إلى طريق النجاة، وفاز بعلوّ الدرجات(وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)[٣]،وتأتي الخطوة الثانية (وَ مَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)،فكل دليل يحتمل العكس؛ولذا رأينا العالم الأصيل يرتاب برأيه ويرحب بالنقد العلمي،بل يتوّخاه ويتمّناه، ولا يستعمل في كلامه كلمة هذا حق،وغيره جهل وضلال ،إلاّ إذا أعتمد على الدليل القاطع من كل وجه، كنص الوحي الصريح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،وبهذا تميز القرآن عن سائر الأدلة.وجاء الموصول الاسمي(لِلَّتِي)مجملاً وفسره بالجملة الاسمية(هِيَ أَقْوَمُ)،في هذا النص مؤكداً بالأداة (فَإِنَّ)من استجار با ،أو من عمل عملاً يقربه من الله فقد أمن العواقب والغوائل.[٤]ومن هنا كان ورود التأكيد في النداء ب(أَيُّهَا)ثم التأكيد ب(إِنَّ)ودلالة الجملة الاسمية في(الجار والمجرور آمِنٌ وَ عَدُوَّهُ خَائِفٌ)لتمنح العبارة الديمومة في الحدث والاستمرار.[٥]كل تلك التأكيدات جاءت لتُعضد ضمير الشأن(إنّه)ومن ثم تمنح الخبر المساق إعظاماً ومبالغة وفخامة.إذ يؤتى بضمير الشأن متقدماً لتمكين الخبر المساق ما بعد الضمير في نفس السامع لتشوقه إليه.[٦]وذلك لغرض التفصيل بعد الإجمال.[٧]

---

[٢]م.ن:٢٠٢.
[٣]الأحزاب:٧١.
[٤]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٣٤١/٢.
[٥]ينظر: جواهر البلاغة:٧٢.
[٦]ينظر : م.ن:١٢٧.
[٧]ينظر: حاشية الدسوقي: ١/ ٥٥٧.

المبحث السادس: دلالة أسلوب الإجمال في (أفعل) التفضيل:

اسم التفضيل: هو الاسم الذي يبنى على زنة (أفعل) للدلالة على أنّ شيئين قد اشتركا في صفة واحدة، وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة[١]، ولم يضع له العلماء القدماء تعريفاً محدداً، وإنما اقتصروا على شروط صياغته من الفعل الثلاثي[٢]. ويشترط في صياغته ما يأتي: [٣].

١- أن يبنى من فعل ثلاثي مجرد.
٢- أن يكون الفعل متصرفاً، فلا يشتق من (نِعمَ)، و(بئس) للمدح والذم أو (ليس) أو (عسى).
٣- أن يكون قابلاً للتفاوت، فلا يشتق من الأفعال التي لا تفاوت فيها نحو: (مات) و(فني)، فلا يقال: هو أفنى، وأموت.
٤- إن لا يكون الوصف منه على (أفعل، فعلاء).

واقتصر المحدثون على هذه الشروط الأربعة في صياغة اسم التفضيل وهي التي انتهى إليها مجمع اللغة العربية في القاهرة[٤].

والإجمال في (أفعل التفضيل) يرد مفسراً بتمييز، نحو (خليل أوفر علماً وأكبر عقلاً) و(أنت أعلى منزلاً، وأكثر مالاً) فأبهمت صيغة (أفعل) على المتلقي، فلا يعرف خليل أوفر وأكبر الناس في أي شيء وأنت أعلى وأكثر في أي شيء، فجاءت المميزات فأوضحت المعنى المراد من ذلك الإبهام في (أفعل التفضيل)، والتمييز بعد اسم التفضيل إذا كان فاعلاً في المعنى تعيَّن نصب وإن لم يكن فاعلاً في المعنى تعيَّن جره بالإضافة وذلك نحو قولك (محمد أوسع داراً) فـ(داراً) فاعل في المعنى وذلك إن معناه، محمد وسع داره[٥]، وجاء في (شرح الرضي): وأعلم أنه لو قيل: (إنّ أفعل التفضيل إذا أضيف إلى شيء فالذي يجري عليه أفعل التفضيل بعض المضاف إليه نحو (((هذا الثوب أحسن ثوب)، وإن نصّ ما بعده على التمييز فالمنصوب سبب لمن جرى عليه أفعل ومتعلقه نحو (زيد أحسن منك ثوباً)، معنى قولك (زيد أفرَهُ عبدٍ)، زيد هو العبد، وفي قولك (زيد أفرَهُ منك عبداً)، زيد هو مولى العبد))[٦]، وعلامة الفاعل في المعنى أن يصلح جعله فاعلاً بعد جعل أفعل التفضيل فعلاً له، وعلامته الأخرى أن لا يكون المفضّل بعضاً من التمييز فإن كان

١- ينظر: دقائق التصريف، ابن سعيد المؤدب: ٢٣٣، وشرح الكافية: ٢/ ٧٦٥.
٢- ينظر: المصادر والمشتقات في معجم لسان العرب، رسالة تقدمت بها خديجة زيارة عنيزان الحمداني إلى مجلس كلية التربية/ ابن رشد/ جامعة بغداد لنيل درجة الدكتوراه: ١٧٠
٣- ينظر: شرح الكافية: ٢/ ٢١٢.
٤- ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: ١١٨-١١٩.
٥- ينظر: معاني النحو: ٢/ ٧٦٣.
٦- شرح الرضي على الكافية: ١/ ٢٤٣.

المفضل بعضاً من التمييز لم يكن فاعلاً في المعنى، فقولك (محمد أوسع داراً) ليس الدار فيه بعضاً من محمد، والمقصود بالبعض هنا الجنس أو النوع، ومعنى الجر غير النصب فإن قولك (محمد أحسن كاتباً) معناه إذا قصدت به التمييز أن كاتب محمداً أحسن من غيره، وإن قلت (محمد أحسن كاتبٍ) كان المعنى أن محمد هو الكاتب وهو أحسن من غيره في صفة الكتابة[١].

ولا يخلو أفعل التفضيل عن أحد ثلاثة أحوال[٢]:

الأول: أن يكون مجرداً، والثاني: أن يكون مضافاً ،والثالث: أن يكون بالألف واللام.

والصيغة الأولى مجرداً من (ال) ومن الإضافة فيكون مفرداً مذكراً وتتصل به (من) وهي (أفعل من) نحو (محمد أفضل من بكر) نلحظ هنا المقارنة التفاضلية وهي بين محمد وبكر، فلذا لا يخرج التفضيل هنا عن قيد المقارنة فقط.

أما الصيغة الثانية: أن يكون مضافاً وهو على ضربين:

١- أن يكون مضافاً إلى نكرة فيلزم الإفراد والتنكير نحو:(محمد أفضل رجلٍ) و(عائشة أفضل امرأةٍ)، ويلزم المضاف إليه أن يطابق الموصوف نحو (المحمدان أفضل رجلين) و(المحمدون أفضل رجال) و(الهندات أفضل نسوة).
٢- أن يكون مضافاً إلى معرفة: وتجوز فيه المطابقة وعدمها، نحو (هند أفضل النساء أو فضلى النساء) و(المحمدان أفضل الرجال ،أو أفضلا الرجال) وقوله تعالى :(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ)[٣] فأفرد، وقال (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجَرِمِيهَا)[٤] فطابق، وقوله تعالى (أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)[٥].

نجد تطابق التفضيل في المضاف إلى المعرفة محدوداً أيضاً كقولنا (الزيدان أفضل القوم) فهنا رجّحنا بأنّ الزيدين هما أفضل من القوم، وهنا أيضاً مقارنة بين الزيدين وبين القوم فلا تخرج المقارنة عن هذا النطاق المحدود فضلاً عن الإضافة التي تعد قيداً من القيود.

١- ينظر: معاني النحو: ٢/ ٧٦٣ – ٧٦٤.
٢- ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ١٤٥-١٤٦، وهمع الهوامع: ٢/ ١٠٢-١٠٣، والأشباه والنواظر: ٢/ ١١٣، وشرح الكافيه في النحو: ٢/ ٧٦٦.
٣- البقرة: ٩٦.
٤- الأنعام: ١٢٣.
٥- البينة: ٧.

أما الصيغة الثالثة: أن يكون معرفاً بـ(ال) وتلزم فيه المطابقة ولا تذكر معه (من) التفضيلية تقول :(محمد الأفضل) و(خديجة الفضلى)، ونحو قوله تعالى :(وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى)[١]، وقوله (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا)[٢]، وقوله :(وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ)[٣]، وقوله تعالى :(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا)[٤]، وقوله:(قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى)[٥].

نجد أن صيغة التفضيل بـ(ال) وهي على صيغة (الأفعل) قد انتفى منه المفضل عليه بـ(من) ونجدها قد اكتسب (صيغة الإطلاق) في عدم ذكر شيء معه كصفة، أو شرط ،أو زمان، أو عدد، ولا شيء يشبه ذلك[٦].

يتضح لنا مّما تقدّم أنّ الإجمال يلازم (أفعل التفضيل) في حالاته الثلاثة شرط أن يزيل إبهامه (التمييز) فيبدو واضحاً مفسراً لذلك الإبهام فيكون أوقع في النفس، لأن النفس تشوق إلى معرفة ما أُبهم عليها.

وقد وردت صيغة (أفعل التفضيل) في نصوص نهج البلاغة، وقد أفاد منها الإمام علي (عليه السلام) في تأدية معان عديدة، استدعت المزيد من انشداد السامع إليها وفي زيادة شوقه وانتظاره معرفة المُبهم من ذلك الخبر، وفيما يأتي بعض الأمثلة التي جاءت في نهج البلاغة في هذا الشأن:

١- الاعراف: ١٨٠.
٢- التوبة: ٤٠.
٣- النحل: ٦٠.
٤- الكهف: ١٠٣.
٥- طه: ٦٨.
٦- ينظر: علم المعاني، تأصيل وتقييم(حسن طبل) : ١٢٠.

وفي القرابة قال (عليه السلام):

(أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ وَ إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عِتْرَتِهِ وَ دِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَلْسِنَتِهِمْ وَ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ وَ أَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ وَ أَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ)[١].

نجد في النص إن (أَعْظَمُ) اسم تفضيل أضيف إلى المعرف بال (النَّاسِ) ولو اكتفى بهذا وقيل (وَ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ)، لما فهم معنى أَعْظَمُ الناس على وجه البيان، لأن معنى الكلام مجمل وتسرب الإجمال إلى أفعل التفضيل (أَعْظَمُ) المضافة إلى (النَّاسِ)، وجاء التمييز (حَيْطَةً) لتفصيل ذلك الإبهام، فالأقرباء هم أَعْظَمُ الناس شفقة وأشدهم دفاعاً عنه، وحفظاً لجانبه، وَ أَلَمُّهُمْ لشعثه أي أشدهم جمعاً لمتفرق حاله، وأعطفهم عليه إن نزلت به نازلة من فقرٍ ونحوه، وذلك لأنّ قربهم منه باعث لدواعي الشفقة عليه[٢].

ومما ساعد في بروز الإجمال في النص وتعضيده مجيؤه في سياق تنبيه وهو النداء في (أَيُّهَا النَّاسُ) وتقديره : (**ياأَيُّهَا النَّاسُ**)، ليلبوا نداءه، ثم جاء التنبيه في المؤكد الثاني وهوضمير الشأن " إِنَّهُ " ليبالغ في شدة ذلك الأمر ومعرفته ثم بروز أداة النفي (لا) على الفعل المضارع (يَسْتَغْنِي) لينفي وقوع الفعل على هذا الأمر (وهو عدم استغناء الرجل) عن أعوانه وأصحابه ومعاضديه، وجاءت دلالة الفعل لتؤكد دلالة الاستمرارية في ذلك الحدث وتجدد حدوثه، ثم نرى الاعتراض في قوله – وَ إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ – جاء لتأكيد المفهوم الذي يريده الإمام ولفت أنظار الناس في عدم غض الطرف عن الأقرباء والعشيرة وإن كان الإنسان ثرياً فهذا ليس من شأنه أن يجعل الإنسان غنياً عن قرابته، فهم أعظم سند يوّفر له الحماية والدعم ويزيل عنه المشاكل والمخاطر، وإذا ما تعّرض للظروف الصعبة والحوادث الخطيرة، كانت عترته أشفق من الآخرين به، وأحرصهم عليه.

وقوله (عليه السلام):

(لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَ هَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَ أَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَ مَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَ هَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ وَ لَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ)[٣].

---

[١]- شرح نهج البلاغة (عبده): ٥٠.
[٢]- ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم البحراني): ١/ ٢٣٧.
[٣]- شرح نهج البلاغة (عبده): ٥٧.

ورد اسما التفضيل (أَشَدُّ) والمعطوف (أَقْدَمُ) مُبهمان وهما من الصيغة الأخرى (أفعل من) واحتيج إلى ما يفسر إبهامهما وغموضهما، فجاء التمييز عبر (مِرَاساً) و(مَقَاماً) لينهض بمَهمة تفصيل الشيء المبهم فلا يعرف أشد لها بماذا ولا أقدم فيها بأي شيء؟

وجاء التعبير في سياق الاستفهام الإنكاري في قوله (وَ هَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ.. أشد للحرب معالجة؟ أو أقدم منه فيها مقاما؟ وأكد ذلك الخبر عبر (قد) المقترنة بـ(اللام)الواقعة في جواب القسم المقدر [١].

وبهذه وردت لفظتا (أَشَدُّ) و(أَقْدَمُ) مجملتان وهي بصيغتها الأولى (أفعل من)، وفصلت بالتمييز في قوله (مِرَاساً) و(مَقَاماً) فوضح المراد للسامع من هذا الإبهام.

ومن كلام له (عليه السلام) في الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) :-

(فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَ عَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَ الْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً وَ لَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً وَ أَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً)[٢].

وحينما يكون الكلام عن منقذ الإنسانية، فلا بد من تشويق المتلقي لسماع الخبر عنه، وتوضيح الفكرة عنه، وما ذلك بالأمر السهل فهو يحتاج إلى مبدع موفق ليرسم لنا فكرة الإبهام ومن ثم تفصيلها، ومن هنا نرى حضور (أفعل التفضيل المضافة) المبهمة في (أَخْمَصُهُمْ)و(أَهْضَمُهم) فلا يعرف بماذا أَخْمَصُ ولاأَهْضَمُ ؟ وجاء التمييز في(كَشْحاً)و (بَطْناً) لتفصيل دلالة الهضم ، و الخمص ، يقول بن منظور:(ورجل هضم الكشحين أي منضمهما والهضم خمص البطون ولطف الكشح ،والهضم في الإنسان قلة انجفار الجنبين ولطافتهما)[٣] ، وتأسيساً على كلام ابن منظور الذي ميَّز(عليه السلام) بكون النبي (صلى الله وعليه وآله وسلم) بأهضم أهل الدنيا كشحاً أي خمص البطون، وخلوها وانطباقها من الجوع ، والكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، أما في دلالة (أخمص)فقد قال ابن منظور: (الخَمُص والخَمّص والمخمصة الجوع وهو خلاء البطن من الطعام جوعاً والمخمصة المجاعة ويقال ليس البطنة خير من مخمصة تتبعها، والمخاميص خمص البطون ؛لأن كثرة الأكل وعظم البطن معيب)[٤]، إذن في

---

[١]- ينظر: الكتاب: ٣/ ١١٠ – ١١٧، وينظر: اللامات: ٨٥.

[٢]- شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٢/ ٢٢٠.

[٣] لسان العرب(ابن منظور): ٩٧/١٦.

[٤] م.ن: ٢٩٦/٨

(أهضم) و(أخمص) المجملتين ، و(كشحاً) و(بطناً) المفصلتين دلالة واضحة على أنّ النبي(صلى الله وعليه وآله وسلم) قد ترك الدنيا واقتصر فيها على قدر الضرورة وليتبين ما يكون فيه التأسي به، حيث لم يلتفت إلى مأكل ومشرب الدنيا بكونه أخمصهم خاصرة وبطناً و روي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه كان إذا أشتد جوعه يربط حجراً على بطنه ويسميّه المشبع مع ملكه قطعة واسعة من الدنيا، وروي: أنّه ما شبع آل محمد من لحم قطّ، وأنّ فاطمة وبعلها وبنيها كانوا يصومون على أقراص من الشعير يعدونها لإفطارهم وربما آثروا بها السائلين وطووا، ورد أنهم فعلوا ذلك ثلاث ليالٍ طووا في أيامها حتى كان ذلك سبب نزول سورة [1] في قوله تعالى :(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)[2].

وهنا نجد أنّ (أفعل التفضيل المضافة) وهي (أَخْمَصُهُمْ) قد وردت مجملة في النص وقد فصلت بالتمييز بطناً فعرف السامع المراد من تلك اللفظة المبهمة.

ومن كلام له (عليه السلام) لأبي ذر رحمه الله لما أُخرج إلى الربذة:

(يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَ خِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ وَ اهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ وَ مَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ وَ سَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً وَ الْأَكْثَرُ حُسَّداً)[3].

جاءت صيغة التفضيل على هيأة (الْأَكْثَرُ) والتي تدل على الإطلاق، فجيء بها لتناسب مع شدة أكثرية الحسد التي هي من لواحق أكثرية الربح، حيث كون تارك الدنيا أربح من المقبل عليها[4]، وبذلك استعمل الإمام صفة الإطلاق في التفضيل حتى يعبر عن الكثرة المطلقة التي وقعت في الحسد فكانوا أكثرهم حسداً في يوم القيامة لتاركي الدنيا، ومما أسند دلالة الإجمال في صيغة التفضيل (الأفعل) مجيء إجمالين في النص بالاسم الموصول الاسمي الأول هو (من) في قوله: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ) وهو مفعول به للفعل (فَارْجُ) ورد تعظيماً وإجلالاً لمن غضب من أجله وهو المولى جلّ وعلاَ، وورد الاسم الموصول الاسمي الثاني المجمل وهو غير العاقل (ما) من قوله (فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ) وهذه الدلالة تفيد هنا التحقير لشأن هؤلاء القوم الذين خافوا على أمر الخلافة بالتنفير عنهم، وخفتهم على دينك باجتناب موافقتهم واخذ

---

(١) - ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم البحراني): ٣/ ٦٥٤.
(٢) الإنسان: ٨.
(٣) شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ١٨٨.
(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٥٧٢/٣.

عطائهم على غير السنة، فنصح الإمام عبر (الفعل) فـ(اتْرُكْ) لهم دنياهم وانج بدينك فما أحوجهم إلى دينك وأغناك عن دنياهم.

وبهذا أفاد الإجمال في (أفعل التفضيل) (الأكثر) دلالة الإطلاق والإجمال معاً، فضلاً عما ينطوي عليه النص من اعتبار وعظة في التمثيل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن لا يرجو الإنسان شيئاً من هذه الدنيا إلا وجه الله، ولو أنّه قصد سواه في موقف واحد فقط، ما كان وجيهاً عند الله والناس، بل كان واحداً منهم كسائر الآحاد، وبهذا يتبين معنى أن الشمول والعموم في طاعة الله هو من قوام الإيمان، وأنّ من تعدى حداً واحداً من حدود الله فقد ضلَّ ظلالاً مبيناً.

ومن خطبة له (عليه السلام) تسمى القاصعة نهى فيها عن التكبر، وجاء حديثه في هذا النص عن بيت الله الحرام، وقوله:(أَ لَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ (صلوات الله عليه) إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَ لَا تَنْفَعُ وَ لَا تُبْصِرُ وَ لَا تَسْمَعُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَراً وَ أَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً وَ أَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْراً بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ وَ رِمَالٍ دَمِثَةٍ وَ عُيُونٍ وَشِلَةٍ وَ قُرًى مُنْقَطِعَةٍ لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ وَ لَا حَافِرٌ وَ لَا ظِلْفٌ)[١].

في النص (أسماء للتفضيل) وهي مضافة إلى قوله (ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ) و(أَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا) وجاء التمييز ليزيل الإبهام والغموض الذي فيها في قوله وصفه بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ (حَجَراً) وَ أَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا (مَدَراً)* وَ أَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْراً (قُطْراً)* فأبان بذلك المعنى المراد إلى المتلقي، وهذا يدل على محرومية هذه الأرض من مختلف الجهات فقد تحدث عن وعورتها وصعوبتها حيث يرى كل من تشرف بها أن بيت الله واقع في وادٍ ضيق بين الجبال الشامخة والقاحلة والتي يصعب تسلقها، وأشار (عليه السلام) إلى قلة التربة الصالحة للزراعة، حيث يضطرون اليوم لحمل التربة من المناطق القريبة والنائية إليها بغية غرس الأشجار بها[٢] ، ثم تطرق (عليه السلام) إلى ضيق وديانها الذي تتعذر فيها الحياة بأي شكل من الأشكال، وأشار (عليه السلام) إلى جبال مكة الوعرة التي قلما ينمو فيها نبات ورمال ناعمة التي يصعب السير عليها، وتنقلها الرياح من مكان إلى آخر، وعيونها قليلة الماء،

---

[١] ــ شرح نهج البلاغة (عبده): ٣/ ٢٧٩.
* مدرا: بمعنى الطين اليابس.
* قطرا: بمعنى البلد والمنطقة.
[٢] ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي):٣١٥/٧.

والمناطق المعمورة المتفرقة على تلك الصحارى الجرداء والتي تتوسطها، ليتطرق بالتالي إلى عدم صلاحية تلك الأرض لتربية الحيوانات الأليفة كالجمل والبقر والشاة حقاً لو لم يكن بيت الله وسط تلك الجبال فان أحداً لن يفكر أن تكون مكة موضع سكناه إلا أن الله تبارك وتعالى اختار هذه المنطقة أفضل موضع للعبادة، ودعا المستطيعين كافة إلى التوجه إليها للإتيان بمناسك الحَج بهدف تهذيب النفوس والقضاء على آثار الكِبر والغرور.

وجاء في النص موصول اسمي مجمل وهو (الذي) وهو بهذا الموصول المجمل ثم التفصيل عبر (جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً) هيأ المسؤولية للعباد في جعل بيت الله الحرام مقيماً لأحوالهم في الآخرة وبه استقامة أحوالهم، وبيت الله الحرام هي أحجار لا تضر ولا تنفع كما قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل وكما قال الإمام (عليه السلام) من بعده ولكن هذه الأحجار رمز للإجماع على توحيد الله وعبادته، شعار لتقديسه وتعظيمه (وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ) [(١)] ، وليس الإسلام بدعاً في ذلك فكل الأمم والطوائف من بني آدم لها رموز وشعائر مطهرة مقدسة[(٢)].

مما تقدّم نجد أنّ الإجمال في (صيغة التفضيل المضافة) تتلمس الحاجة إلى تمييز يجلي دلالتها بدقة فيظهرها واضحةً للمتلقي وليرسخ المعنى الحقيقي في النفوس فيزيل ماهية الإبهام والغموض عن ذلك الشيء المبهم عبر التمييز وبيانه للمتلقي.

ومن حكمة له (عليه السلام) في صفة المؤمن:

(الْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ وَ حُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً وَ أَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ وَ يَشْنَأُ السُّمْعَةَ طَوِيلٌ غَمُّهُ بَعِيدٌ هَمُّهُ كَثِيرٌ صَمْتُهُ مَشْغُولٌ وَقْتُهُ شَكُورٌ صَبُورٌ مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ وَ هُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ)[(٣)].

جوّ الحكمة العام يدور حول صفة المؤمن، حيث يشرح الإمام (عليه السلام) هنا صفات المؤمن، ومما يضفي على جوّ الحكمة حالة من التأمل والتفكير في الشيء المبهم هو مجيء (صيغة التفضيل المضافة) في قوله (أَوْسَعُ شَيْءٍ) و(أَذَلُّ شَيْءٍ) فلا يفهم المعنى المراد في الوسع ولا في الذل ثم زاد الإبهام غموضاً في مجيء المضاف إليه بعده نكره مبهمة وهي (شيء) مما ظل في

---

(١) - الحج: ٣٢.
(٢) شرح نهج البلاغة(عبده):٣٥٧.
(٣) – شرح نهج البلاغة (عبده): ٤/ ٤٩٥.

إغراق من الإبهام، والذي ميّز وبين ذلك الشيء المغرق في الإبهام هو مجيء (التمييز) في الجملة قوله (صَدْراً) والمعطوف عليه (نَفْساً)، فمنح بذلك التميز الإفهام للمتلقي في أن المؤمن (أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً) أي بعفوه عمن يظلمه ويعطي من يحرمه، وكذلك هو (أَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً) للحق والمستضعفين، ويمضي الإمام في تفصيله لتلك الصفات إذ كره للمؤمن الكبر، وبغضه للسمعة، وطول غمّه، لنظره دائماً إلى ما بين يديه من الموت وما بعده، و(بعيد همه) حيث يطلب الرفعة والعلو عند الله لا عند الناس، و(كثير صمته) فهو دائم التفكير فيما عليه من واجبات والقيام بها على الوجه الأكمل، وهو مشغول وقته في الليل والنهار تماماً كما يعملان فيه، وهو شكور عند الرخاء وصبور عند البلاء، مغمور بفكرته في ملكوت السموات والأرض واستنباط آيات الله وعبره منها، وهو ضنين بخلته أي لا يظهر فقره للناس وهو (سَهْلُ الْخَلِيقَةِ) أي لا جفوة في طباعه ولا خشونة، و(لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ) كناية عن سهولة تناول ما يراد منه، واصله الجلد من الأديم يكون ليناً عند العرك من الدباغ، سهلاً على دابغه، ونفسه اصلب في الحق من الحجر الصلب، وهو أذل من العبد لتواضعه ومعرفته بقدره عند قدرة باريه و(الواو) هنا للحال.

تلك هي سجايا الأبرار المؤمنين الذين تتلقاهم الملائكة ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون في جنات الخلد والنعيم توجها الإجمال في صيغة التفضيل المضافة وعبر (أَوْسَعُ شَيْءٍ) والمعطوف عليها (أَذَلُّ شَيْءٍ) ليخلق لدى السامع بهتة الجواب والخبر ومعرفته، فجاء بيانه عبر التمييز وما جلاه من معرفة لدى السامع بقوله (صدراً)، (نفساً) فزاد بذلك من روعة التلقي عبر هذا الأسلوب البديع وما توخاه الإمام منه من تشويق وتلهف السامع.

وقوله (عليه السلام):

(إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً وَ أَخْيَبَهُمْ سَعْياً رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ وَ لَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ وَ قَدِمَ عَلَى الْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ)[١].

الإمام (عليه السلام) في هذه الحكمة المباركة أراد أن يوضح أمراً مهماً وهو (الكدح في طلب المال) وتضحية المرء من أجل المال بدينه وآخرته، وجاءت صيغة التفضيل المضافة المبهمة هنا في (أَخْسَرَ النَّاسِ) والمعطوف عليها (وَ أَخْيَبَهُمْ) مؤكدتين بالأداة (إِنَّ) ليؤكد الخسران والخيبة في الدنيا والآخرة، مفصلاً ذلك الإبهام في التمييز وإبانته المعنى المبهم في (صَفْقَةً) والمعطوف عليها

[١]- شرح نهج البلاغة (عبده): ٥٠٩.

(سَعْياً)، واستعار الإمام هنا وصف (الأَخْسَر) صفقة لمن ذكر باعتبار استعاضته للدنيا عن الآخرة ومع عدم موافقة القدر له في حصول آماله الدنيوية، وظاهراً أنّه أخسر من أتّجر وتبعه ما يلحقه من عقوبات الآلام المكتسبة له من سعيه، فينتقل من حسرة إلى ما هو أشد، فينتقل من عذاب الدنيا إلى عذاب الآخرة، من تبديد الجهود بلا جدوى إلى بئس المصير، وتصدق هذه الصورة على كثير من الفئات،مثلاً يحتكر التاجر ليكون في طليعة أغنياء العالم، ويخون ذلك المرتزق ليصل إلى الحكم والسلطة، فيخطفه الموت بعد أن يدفع الثمن وقبل أن يقبض المثمن !فهل من مدّكر[١]؟ (قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) [٢].

وبهذا يتضح أنّ الإجمال في (أفعل التفضيل) قد استقطب انتباه السامع لما يأتي بعده من كلام، فأعطى بذلك الإمام (عليه السلام) بهذا الأسلوب للمتلقي شحنة كبيرة من الاهتمام والترغيب في هذا الأسلوب، وهو وسيلة تستدعي انتباه القارئ وعدم ميله إلى الملل والسأم من ورود الكلام على وتيرةٍ واحدةٍ من دون جذب انتباه السامع إلى الكلام، وبهذا يجعل المتلقي في حالة ترقب وتلهف وإثارة لمعرفة الشيء المبهم.

---

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١٧/٤.
(٢). عبس٤٦٥.

المبحث السابع:دلالة أسلوب الإجمال في الأفعال :-

دأب النحاة القدماء على تقسيم الجملة إلى فعلية ، وإسمية. وهو تقسيم صحيح يقّره الواقع اللغوي ، ولكنهم بنوا دراساتهم اللغوية على غير منهجها فلم يوفقوا إلى تحديد الفعلية ،والاسمية تحديداً يتفق مع طبيعة اللغة،فالجملة الاسمية عندهم : هي التي تبدأ بالاسم ، والجملة الفعلية : هي التي تبدأ بالفعل ، أو كما قال ابن هشام (الاسمية هي التي صدرها اسم ، كزيد قائم، وهيهات العقيق، وقائم الزيدان عند من جّوزه وهو الأخفش والكوفيون، والفعلية هي التي صدرها الفعل ،كقام زيد، وضرب اللص، وكان زيدُ قائماً، وظننته قائماً،ويقوم زيد ، وقم)[١]، وهو تحديد ..... يقوم على أساس من التفريق اللفظي المحضّ، فجملة (طلع البدر)، جملة فعلية، وجملة (البدر طالع)، أو جملة(طالع البدر) جملة اسمية)[٢].

وعلى فكرة الإسنادبني النحاة تقسيمهم للجمل، فمنهم من جعلها أربعة أقسام، كالزمخشري.[٣] وهي :-

١ـ الفعلية: وتتكون من (فعل +فاعل أو نائبه في حالة بنائه للمجهول).

٢ـ الاسمية: وتتكون من (مبتدأ + خبر).

٣ـ الشرطية: وتتكون من(اقتران جملتي الشرط وجوابه).

٤ـ الظرفية: وهي (ما بُدئت بالظرف ،أو الجار والمجرور).

ومنهم من جعلها ثلاثة أقسام كابن هشام.[٤]فعلية ،واسمية وظرفية إلاّ أنّ ابن يعيش.[٥] (ت٦٤٣هـ) (شارح المفصل جعلها نوعين اسمية ، وفعلية، وهذا الأخير هو ما تواضع النحاة على تغليبه في أنواع الجمل العربية، و باتوا يؤولون التركيب الشرطي ،أو الظرفي إلى وجوه عديدة حتى يجعلونه في أحد بابي الفعلية أو الاسمية.[٦]

إذن الجملة الفعلية هي ما صدرت بالفعل يليه الفاعل مسنداً إليه.[٧]، والفعل في العربية ما دّل على حدث وزمن.[٨]

---

[١]مغني اللبيب :٢/ ٣٧.
[٢]في النحو العربي ـ نقد وتوجيه:٢٩ ـ ٤٠، وينظر : نحو الفعل:١١ـ ٢٠.
[٣]ينظر: شرح المفصل :٨/١.
[٤]ينظر مغني اللبيب:٣٧/٢ـ ٣٨.
[٥]ينظر: شرح المفصل:٨/١.
[٦]ينظر: أعراب الجمل وأشباه الجمل :١٦ـ ٢١.
[٧]ينظر:اللمع :٨٨.،ومغني اللبيب:٧/٢.
[٨]ينظر:الأصول في النحو(ابن السراج):٣٨/١.

وقد دّل القز ويني (ت٧٢٩هـ)، على فعلية الجملة بالتقييد(بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر وجه مع إفادة التجدد)[١]، وهذا أيضاً ما أكده ابن السراج في قوله:(الفعل ما دّل على معنى وزمان، وذلك الزمان إمّا ماضٍ، وإما حاضر، وإما مستقبل)[٢]، وتفسير هذا أن الفعل يدل على أحد الأزمنة الثلاثة بذاته لا بقرينة*.[٣] خارجية عنه، وهذا الزمن الذي هو أحد مدلوليه (مدلوله الثاني الحدث) لا تجمع أجزاؤه في الخارج بل تتصرم وتنقص شيئاً فشيئاً، ومن ثم كان الفعل مع إفادته الزمن أيضاً تجدد الحدث وحصوله بعد أن لم يكن بخلاف الاسم فأنه إنما يدل على زمن المعنى بقرينة أخرى كأن يقال:أمس، أو الآن، أو غد.[٤]

وبذلك نحدد الشرط اللازم للفعل وهو الزمن في جميع حالاته والحدث (المعنى)، فإن كانا واضحين عّد الفعل مفصلاً، وإن كان الفعل مبهماً من حيث الزمن فهو (مطلق)، وإن كان الإبهام في الحدث (المعنى) عُد الفعل مجملاً ومنها قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)[٥]، فقد نزلت في بيان ميراث البنات، إذ إن أهل الجاهلية كانوا يوّرثون الذكور من دون الإناث.[٦] والخطاب في يوصيكم للمؤمنين.[٧] ومعنى الإيصاء هو الأمر، أي : يأمركم كقوله سبحانه وتعالى: (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[٨]، وقد عدل إلى لفظ الإيصاء عن لفظ الأمر لأنه أبلغ وأدل على الاهتمام.[٩]وقيل معناه العهد أي يعهد إليكم.[١٠]كقوله تعالى: (مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا)[١١]وذهب آخرون إلى أنه بمعنى يفرض لكم، وقوله سبحانه وتعالى: (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ) جملة تحتمل التفسير على أنها تفسير وتبيين لما أجمل في قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللّهُ) ، لا محل لها من الإعراب، وقد قال بذلك الزمخشري.[١٢]، وأبو حيان.[١٣] ، وابن هشام.[١٤] وتحتمل أيضاً المفعولية على أنها في محل نصب مفعول به بـ(يوصيكم) بعد تضمينه معنى يفرض عليكم.[١٥] ويبدو لنا أنها جملة اشتركت وظيفتها بين المفعولية والتفسير إذ إنها أدت

---

[١]التلخيص في علوم البلاغة (القزويني):٤١، وينظر:المطول:٣١٢ـ ٣١٣.
[٢]الأصول في النحو:٣٩/١.
[٣]ينظر :علوم البلاغة المراغي :٦٦.* القرينة: أما احتياج الفعل المضارع ألى قرينة في تعين الحال أو الاستقبال فهو تعين للمراد للزمن لأنه دال عليه بالوضع.
[٤]ينظر: م.ن:٦٦.
[٥]النساء:١١.
[٦]ينظر : البحر المحيط: ٣/ ٥٣٣.
[٧]ينظر: م.ن: ٥٣٤/٣.
[٨]الأنعام:١٥.
[٩]ينظر البحر المحيط: ٥٣٤/٣.
[١٠]ينظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٤٧/٢.
[١١]الشورى: ١٣.
[١٢]ينظر:الكشاف: ٥٠٥/١.
[١٣]ينظر:البحر المحيط: ٥٣٣/٣.
[١٤]ينظر:مغني اللبيب: ٢/ ٤١٣.
[١٥]ينظر: مشكل إعراب القرآن : ١٩٠/١. ومغني اللبيب: ٤١٣/٢.

وظيفة نحوية هي المفعولية، ووظيفة دلالية هي التفسير والإيضاح.[١]وبهذا يتحدد الإجمال في الأفعال من جهة الحدث(المعنى) فحسب.

وفيما يلي أهم الأفعال المجملة التي وردت في نصوص نهج البلاغة:-

أولاً: الإجمال في الفعل الماضي:-

منها قوله(عليه السلام): (حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) شَهِيداً وَ بَشِيراً وَ نَذِيراً).[٢]

يكمن الإجمال في(بَعَثَ) وهو فعل مجمل الحدث ، فمضمون البعث مجهول التعبير، وجاء التفصيل في الالفاظ:(شَهِيداً)وَ (بَشِيراً)وَ(نَذِيراً) ويلاحظ في دلالة(شَهِيداً) الهيمنة، والرقابة، أي شاهداً على الخلق بأعمالهم يوم القيامة كما قال تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا)[٣] .

والاحتواء لمعنى اللفظين التاليين له، على ما فيهما من أضداد فـ(بَشِيراً) للخلق بما أعد لهم من الثواب العظيم،و(نَذِيراً) لهم بما أعد للعصاة من العذاب الأليم.[٤]

وهذان اللفظان على ما فيهما من مغايرة في الدلالة فهما متضمنان في دلالة لفظة(شَهِيداً) ، وهذه العناصر الثلاثة جاءت لبيان وتفصيل أحوال المبعوث(صلى الله وعليه وآله وسلم) ولكنها رتبت مراعاة لترتيب أعمال الرسول وخطواته، فـ(شَهِيداً):

أولاً: لأنه يشهد بوحدانية الله، ويحمل معجزته ، وأنه قد بلغ رسالة ربه، و(بَشِيراً) أي مبشراً بما عند الله من أجر وثواب، ثم (نَذِيراً) من عذاب الله وسخطه.

ومن خطبة له(عليه السلام): (وَ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَ الْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَ قُلُبَهَا وَ قَلَائِدَهَا وَ رُعُثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَ الِاسْتِرْحَامِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ وَ لَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً).[٥]

أفاد ورود الفعل الماضي المجمل الحدث(بَلَغَنِي) تعظيم الشيء المبلغ عنه للإمام(عليه السلام)، وقد أسهم القسم المضمر الذي ورد في (لقد)، دلالته في تأكيده على ذلك التبليغ المجمل، وقد جاء تفصيل ذلك الشيء المبلغ عنه للإمام

---

[١]ينظر: الجملة التفسيرية في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية ، أطروحة دكتوراه: ٤٣.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٥٢.
[٣]النساء: ٤١.
[٤]ينظر:نهج البلاغة(البحراني): ٣/٥٠٠.
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده):٥٦.

مؤكداًب(أَنَّ) في (أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ......) وبذلك ازدوجت وظيفة(أَنَّ) في السياق لتقوم بتفسير مضمون الفعل(بلغني) ، ومن ثم تأكيد مضمون الخبر بعدها من جهة أخرى وفي إبهام الفعل (بلغني)أولاً ثم تفسيره مع القسم المضمر(لقد) المستعمل في تأكيد الخبر وتفخيم مضمونه.[1]حيث يقوي جهة الخبر المبلغ عنه الإمام معرفاً بأداة التعريف (ال) الرجل وهتكه المسلمات، والمعاهدات منتزعاً خلخالها وسوارها، وقرطها، مؤكداً الخبر بالنفي والاستثناء(ما.... إلاّ) حيث ما تمتنع المرأة من إعطائه إياه إلاّ بترديد الصوت بالبكاء وتناشده الرحم، ثم ينصرفون وافرين أي لم ينقص عددهم وما نال منهم جرح ولا أريق لهم دم.

ثم ختم الإمام ذلك القصص بما يلحق المسلم الحقّ ذا الغيرة والحميّة لله من الأسف والحزن المميت له بسبب ما يشاهد من الأحوال المنكرة الواقعة بالمسلمين مع تقصيرهم عن مقاومة عدوهم ،كل ذلك التقرير ليمهّد قانوناً يحسن معه توبيخهم وذمّهم على التقصير فيما ينبغي لهم من امتثال أمره وقبول شورّه فيما هو الأولى والأصح لهم.

ومثيل ذلك في خطبة له(عليه السلام): (: وَ لَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ وَ خَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا وَ أَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا وَ عَلَا سَنَاهَا وَ اسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ)[2].

الإمام في هذا النص يبين حال عمرو بن العاص مع معاوية ، وجاء في الحوار الذي دار بينهما ورود فعل ماضٍ مجمل وهو(شَرَطَ) وجاء تفصيل فعل الشَرَطَ المجمل عبر(أَنْ) التفصيلية (أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً)،فـ(أن) هنا مفسرة لما في الشرط من معنى القول إذ طلب معاوية أن يبايعه عمرو على قتال عليّ فرفض إلاّ أن يعطيه مصر فعاهده على أن يمنحه أرض مصر،فالبائع هو عمرو والمبتاع هو معاوية،وأردف الإمام بالدعاء على البايع لدينه وهو عمرو بعدم الظفر في الحرب أو بالثمن بقوله، (فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ)، ثمناً، لحقه بالتوبيخ والذم للمبتاع بذكر هو أن أمانته عليه وهي بلاد المسلمين وأموالهم التي أفائها الله عليهم، ويحتملأن يكون إسناد الخزيّ إلى الأمانة إسناداً مجازياً أو على سبيل إضمار الفاعل يفسره المبتاع أي والخزي المبتاع في أمانته بخيانته لها،وكل ذلك يدل على حقارة الشرط الذي اشترطه عمرو على مبايعته لمعاوية وظهرت نتائج ذلك الشرط وهو دعوة معاوية لأهل الشام ومبايعة عمرو له وكان ذلك من دلائل الحرب فلذلك أمر(عليه السلام) أصحابه بالتأهب لها وإعداد عدتها عبر فعل الأمر(وَ أَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا)، فقد شبَّ لظاها وعلا سناها، كناية بالمستعار ، ووجه المشابهة بين لهب النار وسناها، وأمارات الحرب كونها علامات على أمرين هما مظّنة الهلاك ومحّل الفتنة، وأردف الأمر بالصبر بفعل الأمر(اسْتَشْعِرُوا) واستشعاره إما أن يراد به اتخاذه علامة؛ لأن

[1] ينظر: الجملة التفسيرية في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، أطروحة دكتوراه، كريم ذنون داوود سليمان الحريثي، كلية الآداب الموصل،بإشراف الأستاذ طلال الطوبجي، ٢٠٠٥م:١٤٦.
[2] شرح نهج البلاغة(عبده):٥٤.

شعار القوم علامتهم أيضاً ،وأما أنيكون اشتقاقه من الشعور أي ليكن في شعوركم الصبر وإن كان الاشتقاقيون يردّون الشعار بالمعنى الثاني إلى الشعور.[١]

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام) :(أَمَا وَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَ لَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَ لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ)[٢] .

يبين الإمام(عليه السلام) الأسباب التي دعته إلى قبول البيعة ، والأهداف التي يتوخاها من الخلافة، وكما يشير إلى أن هذه الخلافة والأمرة لا تعدل عنده شيء لولا تلك الأهداف الكبرى. وورد الفعل الماضي مجمل الحدث في قوله(أَخَذَ) دون ايضاح دلالة إجماله لبقي حدث الأخذ مبهماً فقال: (أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَ لَا سَغَبِ مَظْلُومٍ)، ففسر بذلك إجمال حدث الفعل (أخذ)، ويبدو أن كلام الإمام فيه تحذير لكافة العلماء في ممارسة مسؤوليتهم في تشكيل الحكومة ، وبسط العدل والقسط في ربوع المجتمع وعدم السكوت والتخاذل في حالة توفر هذه الأسباب.[٣] وقد كنى الإمام ب(كِظَّةِ ظَالِمٍ) عن قوة ظلمه وبسغب المظلوم عن قوة ظلامته، إنّ فخامة هذا القول وعظمته هو السبب الأساس الذي دعا الإمام(عليه السلام) إلى إجماله في الفعل (أخذ) أولاً، ثم تفصيله ثانياً، ويعضد ذلك الإجمال هو وقوعه في دائرة الإجمال الشرطية القول (لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ.....) وما يلزم عنها: و(قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ) وَ(مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ)ثم عقب ذلك بنتيجته، وهو القول: (لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا) وهو كناية عن الانصراف عن الشيء، وَ (لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا) ، وهو كناية عن الصبر للأمر وتركه كما صبر إزاء الخلفاء الثلاثة، و(لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ)؛ لتضح في هذا القول مدى تفاهة الدنيا في نظر الإمام(عليه السلام) ، فلا قيمة للدنيا عنده. هذا التفصيل لجملة الشرط وتعدادها يتناسب مع قيمة الأخذ الذي اراده الله من العلماء فأبهم ، ثم بيّن لإثارة انتباه السامع، ويسند ذلك أيضاً صياغة الفعل على الزمن الماضي للدلالة على قدم الأخذ المتوارث الأزلي الذي أخذه الله على العلماء فيخطئ كل من يرى إنّ وظيفة العلماء فقط تقتصر على إقامة الشعائر العبادية ، كالصوم، والصلاة، والحج، والزكاة، وإتيان المستحبات ، وإنما بسط العدل والقسط والدفاع عن المظلوم، والقيام بوجه الظالم تعدّ من جوهر الوظائف الإسلامية لهؤلاء العلماء.[٤]

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَ لَنْ يَنْطِقَ وَ لَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ وَ نَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ)[٥] .

---
[١] ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):١/٢٤٨.
[٢] شرح نهج البلاغة(عبده):٣٢.
[٣] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ١/١٨٤.
[٤] ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ١/٢٦٣.
[٥] شرح نهج البلاغة(عبده): ٢١٧.

جاء خبر قوله(عليه السلام) تنبيهاً لمن يخاطبهم على ما في القرآن من فضل، وجاء الإجمال في الفعل الماضي (أُخْبِرُكُمْ) فعل مجمل الحدث فمضمون الأخبار مجهول، ثم فسّر ذلك الإجمال فقال(أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ وَ نَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ)، فأدت (أنّ) هنا وظيفتين الأولى: توكيد معنى الخبر.[١] لأن الأخبار في السياق مبهم، والثانية تفسير.[٢] حقيقة الأخبار عن (القرآن) على لسان أمير المؤمنين(عليه السلام) ، وجاء الأخبار مؤكداً بمؤكدين آخرين وهما (ألآ) وتقديم ما حقه التأخير إذ قدم خبر (إنّ) (فيه) على المبتدأ (علمُ) تنبيهاً لمن يخاطبهم على ما في القرآن من علم الأولين، والحديث عن القرون الماضية، وعلم ما يأتي من الفتن وأحوال القيامة، وأن فيه دواء دائهم، والقوانين الشرعية والحكمة السياسية التي بها نظام العالم واستقامة أموره.[٣]

فضلاً عن تلك المؤكدات نلاحظ تصدر النص بمؤكد جاء ذلك بعد أن أمر (عليه السلام) من يخاطبهم باستنطاق القرآن ثم أردف ذلك بقوله: (ولن ينطق) مصدراً بحرف النفي (لن) وذلك ل(كسر أوهامهم التي عساها تستنكر أمره باستنطاقه)[٤]، فأكدت (لن) نفي حدوث نطق القرآن بفعل استنطاقهم له في المستقبل، هذه التوكيدات تشير إلى أهمية المنبه عليه، وغاية فضيلته(عليه السلام) من ذلك الإشارة إلى عظم ما يخبرُّ عنه، فأبهم ، وبيَّن ذلك لشد الانتباه إلى ما سيقوله من أمر في غاية التعظيم ألاَّ وهو أخباره عن القرآن وما فيه من فضل وعظمة على العالمين.

ثانياً: الإجمال في الفعل المضارع:ـ

ومنها قوله (عليه السلام) في حكمة: (إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ لِدُوا لِلْمَوْتِ وَ اجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ وَ ابْنُوا لِلْخَرَابِ)[٥] .

ورد الفعل المضارع (يُنَادِي) مبهم الحدث، ومما أسهم في تعضيد دلالة المناداة وتأكيدها تصدر الحكمة بالأداة (إِنَّ) وتقديم ما حقه التأخير حيث صدر الخبر المقدم (لِلَّهِ) على اسمها المؤخر وجوباً (مَلَكاً)، ليكون ذلك أدعى في قبوله ، ولتأتي دلالة الفعل المضارع المبهم (يُنَادِي) في استمراريته في الحدث والتجدد وفي كل يوم، وقد فصّل الإمام فعل المناداة المبهم بقوله: (لِدُوا لِلْمَوْتِ وَ اجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ وَ ابْنُوا لِلْخَرَابِ)، واللام في (لِدُوا) هي (لام العاقبة) وهي دليل واضح على حتمية هذا المصير، فالموت ضريبة على كل إنسان أن يدفعها، (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ)[٦]، وليس للإنسان أن يحمل معه ما جمعه من أموال وما شيّده من عمران، وخلاصة القول كما يراه ابن أبي الحديد : (هو التنبيه على أن الدنيا دار فناء وعطب ، لا دار بقاء وسلامة ، وأنّ الولد يموت والدور تخرب، وما يجمع من الأموال يفنى)[٧]

---
[١]ينظر: الجنى الداني:٤٠٢.
[٢]معاني القرآن: ٤٧٢/١.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٦٤٧/٣.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٦٤٧/٣.
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٦٣.
[٦]آل عمران :١٨٥.
[٧]شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٢٤٣/٥.

وبهذا الحديث عن الدنيا وما تحمل من مباهج وملذات، فهي ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع، الآخرة ، الموت، الفناء، واقع لا محالة والعمر مهما طال وقصر،والمال والجاه مهما شمخ كلاهما في طريق الزوال يسيران، وبهذا فصّل الإمام حدث (المناداة)، وصيغ الرد عنيفاً ليسعف السامعين بإدراك إن طريق الدنيا إلى الأفول والزوال والآخرة في طور الشروق، فليعد الإنسان عدته لهذا اليوم.

ومن عهد له(عليه السلام) إلى بعض عماله، وقد بعثه على الصدقة: (أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَ خَفِيَّاتِ عَمَلِهِ حَيْثُ لَا شَهِيدَ غَيْرُهُ وَ لَا وَكِيلَ دُونَهُ وَ أَمَرَهُ أَلَّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ وَ مَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَ عَلَانِيَتُهُ وَ فِعْلُهُ وَ مَقَالَتُهُ فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ وَ أَخْلَصَ الْعِبَادَةَ وَ أَمَرَهُ أَلَّا يَجْبَهَهُمْ وَ لَا يَعْضَهَهُمْ وَ لَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلًا بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمُ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ وَ الْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ وَ إِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَ حَقّاً مَعْلُوماً وَ شُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ وَ ضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ وَ إِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ وَ إِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ بُؤْساً لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَ الْمَسَاكِينُ وَ السَّائِلُونَ وَ الْمَدْفُوعُونَ وَ الْغَارِمُونَ وَ ابْنُ السَّبِيلِ)[1].

نلاحظ أن الفعل (أَمَرَهُ) وهو فعل مضارع مجمل ، والفاعل ضمير مستتر يعود إلى الإمام أي أن الإمام عّبر عن نفسه بضمير الغائب وهذا كثير في لغة العرب.[2]، وقد أمر (عليه السلام) بأوامر بعضها يتعلق بحق الله تعالى وبعضها يتعلق بأحوال الرعية والشفقة عليهم فالذي يتعلق بحق الله تعالى أمران:

أحدهما:ـ فصله الإمام(عليه السلام) في (بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ ...) أي: أنّ يتقيه فيما يسّر من أموره ويخفى من أعماله وهي التقوى الحقة المنتفع بها ،والإمام يحذر عماله من الخيانة ومعصية الله في الخفاء ؛لأنه بكل شيء عليم.

والآخر:ـ وفصله ب (أَلَّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ) أي: أنّ يوافق في طاعة الله تعالى بين ما أظهره وما أبطنه ويخلص أعماله الظاهرة من الرياء والسمعة، أي لا يطع الله فقط في الظاهر دون باطنه بل يطيعه فيها معاً، فكل ظاهر يخالف باطناً فهو تلبيس وتضليل، وكل من تنسجم أقواله وأفعاله مع حقيقته وواقعه فهو مخلص وأمين بل ومثّل أعلى يجب أن يحتذي في ذلك كائناً من كان.

وأما فيما يتعلق بأوامره بأحوال الرعيّة والشفقة عليهم فمنه ما يتعلق بحال أرباب الأموال الذي يجب عليهم دفع الصدقة ، ومنه ما يتعلقبأرباب الصدقة المستحقين لها، أما الأمرالأول ففصّله ب(أَلَّا يَجْبَهَهُمْ وَ لَا يَعْضَهَهُمْ وَ لَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلًا بِالْإِمَارَةِ ....) فأن لا يلقاهم بمكروه ،ولا يرميهم ببهتان وكذب وإن لا ينقبض عنهم ويترفع عليهم تفضيلاً لنفسه بالإمارة مؤكداً الخبر بالأداة (إنّ) فإنهم الأخوان في الدين، والأعوان على استخراج الحقوق المطلوبة منهم إنما تحصل بواسطتهم ، وحصولها منهم إنما يتم بالشفقة عليهم وإن لا يفعل معهم شيء ممّا نهى

---

[1] شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٨٣.
[2] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٣/٤٥١.

عنه (عليه السلام) فإن كل تلك الأمور مما ينفر طباعهم ويشتت نظام شملهم ومنه يكون قلة مال الصدقة المستحقة عليهم.

وأما ما يتعلق بالمستحقين للصدقة فأن يوفيهم حقوقهم منها ، وكل من كان له نصيب مفروض وحقّ معلوم في شيء وله شركاءه حقوقهم.مؤكداً ومحذراً الإمام عبر الأداة(إِنَّكَ) والفعل (تَفْعَلْ) ومن ثم مجيء الإجمال في النص وعبر أفعل التفضيل المضافة (أَكْثَرِ النَّاسِ) مفصلاً القول بالتمييز (خُصُوماً) والمعطوف عليه (وَ بؤساً) حيث إن من لا يوفيهم حقوقهم الأصناف المذكورة وهم(الفقراء، المساكين ، والسائلون، والمدفوعون، والغارمون ، وابن السبيل)، يكونون له أكثر الناس خصومة يوم القيامة، فبؤساً له ، وهذا في معرض التهديد والتنفير له عن ظلمهم والاستبداد عليهم بشيء من الصدقة.[١]

وبهذا نرى الفعل المضارع (أَمَرَهُ) يفصح عن جملة من الأوامر التي أمر بها الإمام (عليه السلام) عامل الصدقة الالتزام به وصيغ الجواب بصيغة التعنيف ليتناسب مع صيغة الفعل المضارع المجمل (أَمَرَهُ) والذي يدل على صيغة الأمر والالتزام به كون عامل الصدقة أجير للدولة، والرعية هي اليد والأصل والعمود الفقري للدولة وخزينتها.

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً وَ أَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ أُعَافِسُ وَ أُمَارِسُ لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ آثِماً)[٢].

جاء الإجمال في الفعل المضارع(يَزْعُمُ) وهو فعل مبهم الحدث، فلا يعرف ماذا يزعم (عمرو بن العاص) لأهل الشام ، فصّل الإمام (عليه السلام) إجمال حدث الزعم بقوله: (أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً وَ أَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ أُعَافِسُ وَ أُمَارِسُ) فأدت (أنّ) المشددة وظيفتها المعروفة بتوكيد المعنى.[٣]، إذ بيّن(عليه السلام) مضمون الزعم وهو أدعاء (عمرو بن العاص) إن الإمام (عليه السلام) فيه دعابة أي مزاج ، وكثير اللعب.......... والله يعلم والصالحون من عباده أنه (قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ آثِماً) في الجد والهزل بأتفاق أهل الأرض منذ وجدوا على ظهرها ، ولكن ابن النابغة يتخطى القيم.[٤] وكان الرد هنا حاسماً مؤكداً باللام المقترنة ب(قد) للدلالة على توكيد القسم المحذوف في هذا التركيب (لقد)، ومكرراً دلالة القول في (قال) و(نطق) و(باطلاً) و(آثماً)، كل ذلك الأسلوب تناسباً مع صيغة المضارع للفعل (يزعم) الذي يؤكد حقيقة الادعاء والزعم الكاذب الذي افتراه (عمرو بن العاص) على الإمام (عليه السلام).

ويماثلذلك قوله (عليه السلام): (وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَ قَائِلٌ مُصَدَّقٌ وَ أَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ وَ مَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---
[١] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٢٣٢/٤.
[٢] شرح نهج البلاغة(عبده):١١٣.
[٣] التحرير والتنوير: ٢٧٥/٩.
[٤] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤١٦/١.

صُدِّقَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَ عَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَ أَتْبَاعِهِ وَ اسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَ اسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ اتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَ اسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ)[١].

هذا من كلام له(عليه السلام) أمر به السامعين أن ينتفعوا ببيان الله في كتابه ، وورد الفعل المضارع (ينادي) مبهم الحدث ، فلا يعرف ما طبيعة القول الذي في النداء، ففصل(عليه السلام) حدث فعل المناداة ، بقوله: (أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَ عَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ)، فهذا النص كشف مضمون المناداة وهو أن أهل المحشر يسمعون منادياً يقول كل إنسان مسؤول عن عمله ومحاسب عليه وعلى عواقبه وآثاره، فيعم الفزع والهلع الناس أجمعين من هذا النداء مستثنياً من ذلك عبر الاستثناء(غير) العاملين بالقرآن فإنهم في أمن وآمان.[٢]

والحرث هنا كل عمل تطلب به غاية وتستخرج منه ثمرة، أما الابتلاء فهو ما يلحق النفس على الأعمال وعواقبها من العذاب بقدر الخروج فيها عن طاعة الله، فحرثه القرآن بريء من لواحق العقوبات.[٣] ثم يحثهم الإمام (عليه السلام) وعبر فعل الأمر (فَكُونُوا) من حرثه واتباعه، وإن يتخذوه دليلاً قائداً إلى ربهم ، وإن يستنصحوه على أنفسهم، أي يتخذوه ناصحاً على نفوسهم الأمارة بالسوء لكونها هي الغاشية لهم يقودها إلى معصية الله، فكل من خالف القرآن فهو في جهل وضلال لا يوثق به ولا يركن إليه.

يتضح مما تقدم إن الإجمال في الفعل المضارع (ينادي) وتفصيله لذلك الفعل جيء لغرض بيان منزلة القرآن وتأثيره في توجيه الإنسان إلى الغاية التي وجد من أجلها وهي بلا شك العلم من أجل العمل الصالح.

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): (إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَ عَذْبِهَا وَ حَزْنِ تُرْبَةٍ وَ سَهْلِهَا فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ وَ عَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ وَ مَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ وَ زَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ وَ قَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ وَ مَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ وَ تَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ وَ طَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ)[٤] .

نسب الإمام (عليه السلام)اختلافات الناس من الناحية الجسمية، والروحية، والفكرية ، والأخلاقية إلى مواد خلق منها جسم الإنسان وهي التربة التي جمعها الله سبحانه وتعالى من سهلها وسبخها وحزنها وعذبها، وقد ورد في النص فعل مضارع وهو(يَتَفَاوَتُونَ) في قوله (عليه السلام) (وَ عَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ) مجمل الحدث، فلا يعرف بماذا يتفاوتون؟

---

[١] شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٤٣ـ ٢٤٤.
[٢] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٢/٥٣١.
[٣] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٣/٦٤٩ـ٦٩٩٥.
[٤] شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٣٤.

ففصله (عليه السلام) بذكره أقساماً سبعة مبتدئاً بذكره أقساماً خمسة تضاد خلقها لأخلاقها، ثم ذكر قسمان من ذوي الأخلاق والطباع المتناسبة المتلائمة وهي كالآتي:

الأول: تَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ: فمن استعد مزاجه لقبول صورة كاملة حسنة وعقل ناقص فهو داخل في رذيلة الغباوة، وقد أورد ابن أبي الحديد في هذا القسم أحد أمثال العرب في المنظر الجميل ونقص العقل بقوله: (ترى الغيان كالنخل ، وما يدريك ما الدخل)[١].

الثاني: مَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ: المستعد لامتداد القامة وحسنها أيضاً لكنه ناقص في همته فهو داخل في رذيلة الجبن.

الثالث: زَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ: المستعد لقبح صورته الظاهرة وحسن باطنه باعتدال مزاج ذهنه، ويريد بزكاء أعماله حسنها وطهارتها، فيكون قد أوقع الحسن بإزاء القبيح. وهذا القسم موجود فاشٍ بين الناس.

الرابع: قَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ: أي قد يكون الإنسان قصير القامة، وهو مع ذلك داهية باقعة، والمراد بقرب قعره تقارب ما بين طرفيه، فليست بطنه بمديدة ولا مستطيلة، وإذا سيرته واختبرت ما عنده وجدته لبيباً فطناً. يوقف على أسراره، ولا يدرك باطنه وقد قيل لبعض الحكماء: ما بال القصار من الناس أدهى وأحذق؟ قال: لقرب قلوبهم من أدمغتهم.

الخامس: مَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ: أي يكون له خلق معروف يتكلف ضده فيستنكر منه، مثل أن يكون جباناً بالطبع فيتكلف الشجاعة، أو شحيحاً بالطبع فيتكلف الجود وهذا القسم عام في الناس.

السادس: تَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ: فمن ضرب قلبه يتشتت عقله في أجواء لا تمت إلى حياته بسبب ، وهذا الوصف فيه ذم.

السابع: طَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ:وذو الحدة في ذكائه أو غضبه ينطلق لسانه بسرعة البرق وهذا الوصف فيه مدح.[٢]

وبهذا التفصيل للفعل المضارع المجمل(يَتَفَاوَتُونَ) يكون الإمام (عليه السلام) قد بين النماذج السبعة من العلاقة بين الجسم والروح، والتركيب الظاهري بالخلق والطبع الباطني.

---
[١] شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ١٢/٤.
[٢] ينظر :م.ن: ١٣/٤.

ثالثاً: الإجمال في فعل الأمر: ـ

منها قوله(عليه السلام) في حكمة (لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ يَا كُمَيْلُ مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ وَ يُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلَّا وَ خَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الْإِبِلِ).[١]

يبرز فعل الأمر المجمل من خلال قوله(مُرْ) لغرض جذب انتباه السامع، حيث ينادي الإمام (لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ) عبر أسلوب النداء وبالأداة(يَا كُمَيْلُ)بأنَّ يأمر كميل أهله ، وبدا الفعل مجملاً فعلى ماذا يأمرهم كميل؟.

وبرز التفصيل عبر الأداة (أَنْ) التفصيلية (أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ)، يروحوا: أي السير بعد الظهر، ويستعمل في مطلق الذهاب والمضي.[٢] ، والمكارم : أي المحاسن والفضائل كالصدق،والوفاء،والحَلم، والسخاء، والعيش بكد اليمين، والوقوف مع المستضعفين ، وما إلى ذلك مما بعث به نبي الرحمة(ص) الذي قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ثم عطف عليها جملة(وَ يُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ) والمعنى أن يسعوا في خدمة المحاويج حتى الذين لم يطلبوا منهم ذلك، وفيه إيماء إلى أنه على كل قادر أن يكافح في سبيل المستضعفين، وأن ينبه البسطاء والغافلين إلى أي خطر يهدد استقلالهم، والاعتداء على حريتهم ومقدراتهم،مقسماً بالذي وسع سمعه الأصوات ، ومؤكداً عبر أسلوب النفي والاستثناء(ما ... وإلاّ) حيث ما من أحد أدخل السرور على قلب ذيّ حاجة بقضائها يجعله الله سبباً يلطف به لقاضي الحاجة ويقيه بها من مصيبة تعرض له، ويشبه أن يكون ذلك اللطف هو إخلاص ذيّ الحاجة ومتعلّقيه في إمداده ومعونته بدعاء الله وشكره وثنائه واستجلاب قلوب الخلق بذلك له وكل ذلك لطف يعدّه الله لوقايته له وطرد المصائب عنه، وسبّه جري ذلك اللطف إلى دفع المكروه عنه بجري الماء في انحداره ، ووجه الشبه سرعة الانحدار للدفع والحفظ لأنه من أمر الله، وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر، وكذلك دفع ذلك اللطف للنائبة بطرد غريبة الإبل، ووجه الشبه شدّة الطرد والإبعاد.[٣]

وبذلك التفصيل يكون الإمام قد أوضح المراد للمتلقي مفهوم فعل الأمر المجمل الحدث في (مُرْ) فيفتح بذلك للسامع خياله ليتصور ما يقوله بحق ذلك الفعل من أمور مأمور بها فتذهب نفس السامع كل مذهب ويزداد شوقه إلى سماع ذلك الخبر المبهم في معناه.

---

[١] شرح نهج البلاغة(عبده):٤٨٠.
[٢] ينظر: لسان العرب:٣/٢٩١ـ ٢٩٢.
[٣] ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/٤٦٣.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (وَ أَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تُمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ وَ أَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ)[١].

ورد هذا النص بشأن قدرة الله سبحانه وخلقه الكواكب ولها خصائص ثابتة، وبوساطتها يدور الكوكب في فلكه، ولا يتجاوز الحد المقرر له، ولولا ذلك لأضطرب وأنهار. فالفعل (وَ أَمَرَهَا) فعل أمر مبهم الحدث، فلا يعرف ما طبيعة هذا الأمر، لذلك فصّل (عليه السلام) إجمال فعل الأمر بقوله: (أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ)، إذن حفظ الله سبحانه وتعالى الكواكب من أن تحركها الريح المخترعة فيها مجيئاً وذهاباً وحكمت الحكمة الإلهية عليها بالاستقرار انقياداً لقهره، فالأمر هنا في (الفعل) أشار إلى حكم القضاء.[٢] ومما يعضد دلالة الإجمال في فعل الأمر (وَ أَمَرَهَا) مجيء إجمال آخر (معرف بالإضافة) في (لِأَمْرِهِ)،وهو كناية عن كمال قدرته ووقوع مراده.[٣]إذن الأمر هنا إشارة إلى اعتبار القدرة.[٤]وبهذا تتجلى قدرة وعظمة الباري عزَّ وجلّ في استسلام وخضوع كل شيء لأمره.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَ أَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَ إِنْ بَغَتْكُمَا وَ لَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا وَ قُولَا بِالْحَقِّ وَ اعْمَلَا لِلْأَجْرِ وَ كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَ لِلْمَظْلُومِ عَوْناً أُوصِيكُمَا وَ جَمِيعَ وَلَدِي وَ أَهْلِي وَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَ نَظْمِ أَمْرِكُمْ وَ صَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَ الصِّيَامِ)[٥].

نلاحظ في النص أن فعل الأمر(أُوصِيكُمَا) جاء مبهماً فلا يعرف ما هو مضمون فعل الوصية، لذلك فصّل (عليه السلام) فعل الوصية المبهم الحدث بجملة أمور منها:

أولاً: (بِتَقْوَى اللَّهِ) التي هي رأس كل خير.

ثانياً: أن لا تبغيا الدنيا، أي لا يريداها ، وإن أرادتهما، واستعار الإمام هنا لفظ(البغية) لها باعتبار سهولتها عليها عن توافق أسباب خيرها لهما فهي بذلك الاعتبار كالطالبة لها.

ثالثاً: أن لا يأسفا على ما قبض وغيّب عنهما من خيراتها وهذا هو الزهد الحقيقي فيها.

رابعاً: أن لا يقولا إلاّ الحق، وإن يعملا لأجر الآخرة.

خامساً: أن يكونا للظالم خصيماً وللمظلوم عوناً، ثم عاد الإمام ومكرراً فعل الأمر المجمل(أُوصِيكُمَا) ليلفت ذهن المتلقي إلى عظمة تلك الوصية ، وتفصيلها أيضاً ب(بِتَقْوَى اللَّهِ)، وتكرارها ؛ لأهميتها، وصلاح ذات البين، وذات كناية عن الحال الموجبة للبين والافتراق، وقيل هي الحالة بين الرجلين ، والقبيلتين، أو الرجل

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٢٧.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٤٦/٣.
[٣]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١٩/٢.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٤٦/٣
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٩٧.

وأهله، أمر بإصلاح ما بينهما من فساد ، وقيل: يحتمل أن يريد بالبين هنا الوصل، وبالذات النفس، أي أصلحوا نفس وصلكم من فساد يقع فيه ثم رغب الإمام(عليه السلام) ب(صلاح ذات البين) بما رواه سماعاً عن رسول الله(صلى الله وعليه وآله وسلم) جمع الخلق على سلوك سبيل الله وانتظامهم في سلك دينه ولن يتم ذلك مع تنازعهم ، وتنافر طباعهم وثوران الفتنة بينهم فكان صلاح ذات البين مما لا يتم أهم مطالب الشارع إلاّ به ، وهذا معنى غير موجود في الصلاة والصيام.[١]

من هنا نصل إنّ الأفعال بأقسامها (الماضٍ ، والمضارع، والأمر)، قد تأتي مجملة في مضمونها مما يتطلب الإفصاح عنها والإبانة عن معناها المبهم.

---

[١] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٥/٣٢٤.

المبحث السابع:دلالة أسلوب الإجمال في الأفعال :-

دأب النحاة القدماء على تقسيم الجملة إلى فعلية ، وإسمية. وهو تقسيم صحيح يقّره الواقع اللغوي ، ولكنهم بنوا دراساتهم اللغوية على غير منهجها فلم يوفقوا إلى تحديد الفعلية ،والاسمية تحديداً يتفق مع طبيعة اللغة،فالجملة الاسمية عندهم : هي التي تبدأ بالاسم ، والجملة الفعلية : هي التي تبدأ بالفعل ، أو كما قال ابن هشام (الاسمية هي التي صدرها اسم ، كزيد قائم، وهيهات العقيق، وقائم الزيدان عند من جّوزه وهو الأخفش والكوفيون، والفعلية هي التي صدرها الفعل ،كقام زيد، وضرب اللص، وكان زيدُ قائماً، وظننته قائماً،ويقوم زيد ، وقم)[١]، وهو تحديد ..... يقوم على أساس من التفريق اللفظي المحضّ، فجملة (طلع البدر)، جملة فعلية، وجملة (البدر طالع)، أو جملة(طالع البدر) جملة اسمية)[٢].

وعلى فكرة الإسنادبني النحاة تقسيمهم للجمل، فمنهم من جعلها أربعة أقسام، كالزمخشري.[٣] وهي :-

١- الفعلية: وتتكون من (فعل +فاعل أو نائبه في حالة بنائه للمجهول).

٢- الاسمية: وتتكون من (مبتدأ + خبر).

٣- الشرطية: وتتكون من(اقتران جملتي الشرط وجوابه).

٤- الظرفية: وهي (ما بُدئت بالظرف ،أو الجار والمجرور).

ومنهم من جعلها ثلاثة أقسام كابن هشام.[٤]فعلية ،واسمية وظرفية إلاّ أنّ ابن يعيش.[٥] (ت٦٤٣هـ) (شارح المفصل جعلها نوعين اسمية ، وفعلية، وهذا الأخير هو ما تواضع النحاة على تغليبه في أنواع الجمل العربية، و باتوا يؤولون التركيب الشرطي ،أو الظرفي إلى وجوه عديدة حتى يجعلونه في أحد بابي الفعلية أو الاسمية.[٦]

إذن الجملة الفعلية هي ما صدرت بالفعل يليه الفاعل مسنداً إليه.[٧]، والفعل في العربية ما دّل على حدث وزمن.[٨]

---

[١]مغني اللبيب :٢/ ٣٧.
[٢]في النحو العربي - نقد وتوجيه:٢٩ - ٤٠، وينظر : نحو الفعل:١١- ٢٠.
[٣]ينظر: شرح المفصل :٨/١.
[٤]ينظر مغني اللبيب:٣٧/٢- ٣٨.
[٥]ينظر: شرح المفصل:٨/١.
[٦]ينظر: أعراب الجمل وأشباه الجمل :١٦- ٢١.
[٧]ينظر:اللمع :٨٨.،ومغني اللبيب:٧/٢.
[٨]ينظر:الأصول في النحو(ابن السراج):٣٨/١.

وقد دّل القزويني (ت٧٢٩هـ)، على فعلية الجملة بالتقييد(بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر وجه مع إفادة التجدد)[١]، وهذا أيضاً ما أكده ابن السراج في قوله:(الفعل ما دّل على معنى وزمان، وذلك الزمان إمّا ماضٍ، وإما حاضر، وإما مستقبل)[٢]، وتفسير هذا أن الفعل يدل على أحد الأزمنة الثلاثة بذاته لا بقرينة*.[٣] خارجية عنه، وهذا الزمن الذي هو أحد مدلوليه (مدلوله الثاني الحدث) لا تجمع أجزاؤه في الخارج بل تتصرم وتنقص شيئاً فشيئاً، ومن ثم كان الفعل مع إفادته الزمن أيضاً تجدد الحدث وحصوله بعد أن لم يكن بخلاف الاسم فأنه إنما يدل على زمن المعنى بقرينة أخرى كأن يقال:أمس، أو الآن، أو غد.[٤]

وبذلك نحدد الشرط اللازم للفعل وهو الزمن في جميع حالاته والحدث (المعنى)، فإن كانا واضحين عّد الفعل مفصلاً، وإن كان الفعل مبهماً من حيث الزمن فهو (مطلق)، وإن كان الإبهام في الحدث (المعنى) عُد الفعل مجملاً ومنها قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)[٥]، فقد نزلت في بيان ميراث البنات، إذ إن أهل الجاهلية كانوا يوّرثون الذكور من دون الإناث.[٦] والخطاب في يوصيكم للمؤمنين.[٧] ومعنى الإيصاء هو الأمر، أي : يأمركم كقوله سبحانه وتعالى: (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[٨]، وقد عدل إلى لفظ الإيصاء عن لفظ الأمر لأنه أبلغ وأدل على الاهتمام.[٩]وقيل معناه العهد أي يعهد إليكم.[١٠]كقوله تعالى: (مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا)[١١]وذهب آخرون إلى أنه بمعنى يفرض لكم، وقوله سبحانه وتعالى: (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ) جملة تحتمل التفسير على أنها تفسير وتبيين لما أجمل في قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللّهُ) ، لا محل لها من الإعراب، وقد قال بذلك الزمخشري.[١٢]، وأبو حيان.[١٣] ، وابن هشام.[١٤] وتحتمل أيضاً المفعولية على أنها في محل نصب مفعول به بـ(يوصيكم) بعد تضمينه معنى يفرض عليكم.[١٥] ويبدو لنا أنها جملة اشتركت وظيفتها بين المفعولية والتفسير إذ إنها أدت

---

[١]التلخيص في علوم البلاغة (القزويني):٤١، وينظر:المطول:٣١٢ـ ٣١٣.
[٢]الأصول في النحو:٣٩/١.
[٣]ينظر :علوم البلاغة المراغي :٦٦.* القرينة: أما احتياج الفعل المضارع ألى قرينة في تعين الحال أو الاستقبال فهو تعين للمراد للزمن لأنه دال عليه بالوضع.
[٤]ينظر: م.ن:٦٦.
[٥]النساء:١١.
[٦]ينظر : البحر المحيط: ٣/ ٥٣٣.
[٧]ينظر: م.ن: ٥٣٤/٣.
[٨]الأنعام:١٥.
[٩]ينظر البحر المحيط: ٥٣٤/٣.
[١٠]ينظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٤٧/٢.
[١١]الشورى: ١٣.
[١٢]ينظر:الكشاف: ٥٠٥/١.
[١٣]ينظر:البحر المحيط: ٥٣٣/٣.
[١٤]ينظر:مغني اللبيب: ٢/ ٤١٣.
[١٥]ينظر: مشكل إعراب القرآن : ١٩٠/١. ومغني اللبيب: ٤١٣/٢.

وظيفة نحوية هي المفعولية، ووظيفة دلالية هي التفسير والإيضاح.[1]وبهذا يتحدد الإجمال في الأفعال من جهة الحدث(المعنى) فحسب.

وفيما يلي أهم الأفعال المجملة التي وردت في نصوص نهج البلاغة:-

أولاً: الإجمال في الفعل الماضي:-

منها قوله(عليه السلام): (حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) شَهِيداً وَ بَشِيراً وَ نَذِيراً).[2]

يكمن الإجمال في(بَعَثَ) وهو فعل مجمل الحدث ، فمضمون البعث مجهول التعبير، وجاء التفصيل في الالفاظ:(شَهِيداً)وَ (بَشِيراً)وَ(نَذِيراً) ويلاحظ في دلالة(شَهِيداً) الهيمنة، والرقابة، أي شاهداً على الخلق بأعمالهم يوم القيامة كما قال تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا)[3] .

والاحتواء لمعنى اللفظين التاليين له، على ما فيهما من أضداد فـ(بَشِيراً) للخلق بما أعد لهم من الثواب العظيم،و(نَذِيراً) لهم بما أعد للعصاة من العذاب الأليم.[4]

وهذان اللفظان على ما فيهما من مغايرة في الدلالة فهما متضمنان في دلالة لفظة(شَهِيداً) ، وهذه العناصر الثلاثة جاءت لبيان وتفصيل أحوال المبعوث(صلى الله وعليه وآله وسلم) ولكنها رتبت مراعاة لترتيب أعمال الرسول وخطواته، فـ(شَهِيداً):

أولاً: لأنه يشهد بوحدانية الله، ويحمل معجزته ، وأنه قد بلغ رسالة ربه، و(بَشِيراً) أي مبشراً بما عند الله من أجر وثواب، ثم (نَذِيراً) من عذاب الله وسخطه.

ومن خطبة له(عليه السلام): (وَ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَ الْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَ قُلُبَهَا وَ قَلَائِدَهَا وَ رُعُثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالاسْتِرْجَاعِ وَ الاسْتِرْحَامِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ وَ لَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً).[5]

أفاد ورود الفعل الماضي المجمل الحدث(بَلَغَنِي) تعظيم الشيء المبلغ عنه للإمام(عليه السلام)، وقد أسهم القسم المضمر الذي ورد في (لقد)، دلالته في تأكيده على ذلك التبليغ المجمل، وقد جاء تفصيل ذلك الشيء المبلغ عنه للإمام

[1] ينظر: الجملة التفسيرية في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية ، أطروحة دكتوراه: ٤٣.
[2] شرح نهج البلاغة(عبده): ١٥٢.
[3] النساء: ٤١.
[4] ينظر:نهج البلاغة(البحراني): ٥٠٠/٣.
[5] شرح نهج البلاغة(عبده):٥٦.

مؤكداًب(أَنَّ) في (أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ......) وبذلك ازدوجت وظيفة(أَنَّ) في السياق لتقوم بتفسير مضمون الفعل(بلغني) ، ومن ثم تأكيد مضمون الخبر بعدها من جهة أخرى وفي إبهام الفعل (بلغني)أولاً ثم تفسيره مع القسم المضمر(لقد) المستعمل في تأكيد الخبر وتفخيم مضمونه.[١]حيث يقوي جهة الخبر المبلغ عنه الإمام معرفاً بأداة التعريف (ال) الرجل وهتكه المسلمات، والمعاهدات منتزعاً خلخالها وسوارها، وقرطها، مؤكداً الخبر بالنفي والاستثناء(ما.... إلاّ) حيث ما تمتنع المرأة من إعطائه إياه إلاّ بترديد الصوت بالبكاء وتناشده الرحم، ثم ينصرفون وافرين أي لم ينقص عددهم وما نال منهم جرح ولا أريق لهم دم.

ثم ختم الإمام ذلك القصص بما يلحق المسلم الحقّ ذا الغيرة والحميّة لله من الأسف والحزن المميت له بسبب ما يشاهد من الأحوال المنكرة الواقعة بالمسلمين مع تقصيرهم عن مقاومة عدوهم ،كل ذلك التقرير ليمهّد قانوناً يحسن معه توبيخهم وذمّهم على التقصير فيما ينبغي لهم من امتثال أمره وقبول شورّه فيما هو الأولى والأصح لهم.

ومثيل ذلك في خطبة له(عليه السلام): (: وَ لَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ وَ خَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا وَ أَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا وَ عَلَا سَنَاهَا وَ اسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ)[٢].

الإمام في هذا النص يبين حال عمرو بن العاص مع معاوية ، وجاء في الحوار الذي دار بينهما ورود فعل ماضٍ مجمل وهو(شَرَطَ) وجاء تفصيل فعل الشَرَطَ المجمل عبر(أَنْ) التفصيلية (أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً)،فـ(أن) هنا مفسرة لما في الشرط من معنى القول إذ طلب معاوية أن يبايعه عمرو على قتال عليّ فرفض إلاّ أن يعطيه مصر فعاهده على أن يمنحه أرض مصر،فالبائع هو عمرو والمبتاع هو معاوية،وأردف الإمام بالدعاء على البايع لدينه وهو عمرو بعدم الظفر في الحرب أو بالثمن بقوله، (فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ)، ثَمَناً، لحقه بالتوبيخ والذم للمبتاع بذكر هو أن أمانته عليه وهي بلاد المسلمين وأموالهم التي أفائها الله عليهم، ويحتملأن يكون إسناد الخزيّ إلى الأمانة إسناداً مجازياً أو على سبيل إضمار الفاعل يفسره المبتاع أي والخزي المبتاع في أمانته بخيانته لها،وكل ذلك يدل على حقارة الشرط الذي اشترطه عمرو على مبايعته لمعاوية وظهرت نتائج ذلك الشرط وهو دعوة معاوية لأهل الشام ومبايعة عمرو له وكان ذلك من دلائل الحرب فلذلك أمر(عليه السلام) أصحابه بالتأهب لها وإعداد عدتها عبر فعل الأمر(وَ أَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا)، فقد شبَّ لظاها وعلا سناها، كناية بالمستعار ، ووجه المشابهة بين لهب النار وسناها، وأمارات الحرب كونها علامات على أمرين هما مظّنة الهلاك ومحّل الفتنة، وأردف الأمر بالصبر بفعل الأمر(اسْتَشْعِرُوا) واستشعاره إما أن يراد به اتخاذه علامة؛ لأن

---

[١]ينظر: الجملة التفسيرية في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، أطروحة دكتوراه، كريم ذنون داوود سليمان الحريثي، كلية الآداب الموصل،بإشراف الأستاذ طلال الطوبجي، ٢٠٠٥م:١٤٦.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٥٤.

شعار القوم علامتهم أيضاً ،وأما أنيكون اشتقاقه من الشعور أي ليكن في شعوركم الصبر وإن كان الاشتقاقيون يردّون الشعار بالمعنى الثاني إلى الشعور.[١]

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام) :(أَمَا وَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَ لَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَ لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ)[٢] .

يبين الإمام(عليه السلام) الأسباب التي دعته إلى قبول البيعة ، والأهداف التي يتوخاها من الخلافة، وكما يشير إلى أن هذه الخلافة والأمرة لا تعدل عنده شيء لولا تلك الأهداف الكبرى. وورد الفعل الماضي مجمل الحدث في قوله(أَخَذَ) دون ايضاح دلالة إجماله لبقي حدث الأخذ مبهماً فقال: (أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَ لَا سَغَبِ مَظْلُومٍ)، ففسر بذلك إجمال حدث الفعل (أخذ)، ويبدو أن كلام الإمام فيه تحذير لكافة العلماء في ممارسة مسؤوليتهم في تشكيل الحكومة ، وبسط العدل والقسط في ربوع المجتمع وعدم السكوت والتخاذل في حالة توفر هذه الأسباب.[٣] وقد كنى الإمام ب(كِظَّةِ ظَالِمٍ) عن قوة ظلمه وبسغب المظلوم عن قوة ظلامته، إنّ فخامة هذا القول وعظمته هو السبب الأساس الذي دعا الإمام(عليه السلام) إلى إجماله في الفعل (أخذ) أولاً، ثم تفصيله ثانياً، ويعضد ذلك الإجمال هو وقوعه في دائرة الإجمال الشرطية القول (لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ.....) وما يلزم عنها: و(قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ) وَ(مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ)ثم عقب ذلك بنتيجته، وهو القول: (لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا) وهو كناية عن الانصراف عن الشيء، وَ (لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا) ، وهو كناية عن الصبر للأمر وتركه كما صبر إزاء الخلفاء الثلاثة، و(لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ)؛ لتضح في هذا القول مدى تفاهة الدنيا في نظر الإمام(عليه السلام) ، فلا قيمة للدنيا عنده. هذا التفصيل لجملة الشرط وتعدادها يتناسب مع قيمة الأخذ الذي اراده الله من العلماء فأبهم ، ثم بيّن لإثارة انتباه السامع، ويسند ذلك أيضاً صياغة الفعل على الزمن الماضي للدلالة على قدم الأخذ المتوارث الأزلي الذي أخذه الله على العلماء فيخطئ كل من يرى إنّ وظيفة العلماء فقط تقتصر على إقامة الشعائر العبادية ، كالصوم، والصلاة، والحج، والزكاة، وإتيان المستحبات ، وإنما بسط العدل والقسط والدفاع عن المظلوم، والقيام بوجه الظالم تعدّ من جوهر الوظائف الإسلامية لهؤلاء العلماء.[٤]

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَ لَنْ يَنْطِقَ وَ لَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ وَ نَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ)[٥].

---

[١]ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):٢٤٨/١.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٢.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ١٨٤/١.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ٢٦٣/١.
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢١٧.

جاء خبر قوله(عليه السلام) تنبيهاً لمن يخاطبهم على ما في القرآن من فضل، وجاء الإجمال في الفعل الماضي (أُخْبِرُكُمْ) فعل مجمل الحدث فمضمون الأخبار مجهول، ثم فسّر ذلك الإجمال فقال(أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ وَ نَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ)، فأدت (أنّ) هنا وظيفتين الأولى: توكيد معنى الخبر.[١] لأن الأخبار في السياق مبهم، والثانية تفسير.[٢] حقيقة الأخبار عن (القرآن) على لسان أمير المؤمنين(عليه السلام) ، وجاء الأخبار مؤكداً بمؤكدين آخرين وهما (ألاّ) وتقديم ما حقه التأخير إذ قدم خبر (إنّ) (فيه) على المبتدأ (علمُ) تنبيهاً لمن يخاطبهم على ما في القرآن من علم الأولين، والحديث عن القرون الماضية، وعلم ما يأتي من الفتن وأحوال القيامة، وأن فيه دواء دائهم، والقوانين الشرعية والحكمة السياسية التي بها نظام العالم واستقامة أموره.[٣]

فضلاً عن تلك المؤكدات نلاحظ تصدر النص بمؤكد جاء ذلك بعد أن أمر (عليه السلام) من يخاطبهم باستنطاق القرآن ثم أردف ذلك بقوله: (ولن ينطق) مصدراً بحرف النفي (لن) وذلك لـ(كسر أوهامهم التي عساها تستنكر أمره باستنطاقه)[٤]، فأكدت (لن) نفي حدوث نطق القرآن بفعل استنطاقهم له في المستقبل، هذه التوكيدات تشير إلى أهمية المنبه عليه، وغاية فضيلته(عليه السلام) من ذلك الإشارة إلى عظم ما يخبرُّ عنه، فأبهم ، وبيَّن ذلك لشد الانتباه إلى ما سيقوله من أمر في غاية التعظيم ألاّ وهو أخباره عن القرآن وما فيه من فضل وعظمة على العالمين.

ثانياً: الإجمال في الفعل المضارع:ـ

ومنها قوله (عليه السلام) في حكمة: (إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ لِدُوا لِلْمَوْتِ وَ اجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ وَ ابْنُوا لِلْخَرَابِ)[٥] .

ورد الفعل المضارع (يُنَادِي) مبهم الحدث، ومما أسهم في تعضيد دلالة المناداة وتأكيدها تصدر الحكمة بالأداة (إنَّ) وتقديم ما حقه التأخير حيث صدر الخبر المقدم (لِلَّهِ) على اسمها المؤخر وجوباً (مَلَكاً)، ليكون ذلك أدعى في قبوله ، ولتأتي دلالة الفعل المضارع المبهم (يُنَادِي) في استمراريته في الحدث والتجدد وفي كل يوم، وقد فصّل الإمام فعل المناداة المبهم بقوله: (لِدُوا لِلْمَوْتِ وَ اجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ وَ ابْنُوا لِلْخَرَابِ)، واللام في (لِدُوا) هي (لام العاقبة) وهي دليل واضح على حتمية هذا المصير، فالموت ضريبة على كل إنسان أن يدفعها، (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ)[٦]، وليس للإنسان أن يحمل معه ما جمعه من أموال وما شيّده من عمران، وخلاصة القول كما يراه ابن أبي الحديد : (هو التنبيه على أن الدنيا دار فناء وعطب ، لا دار بقاء وسلامة ، وأنّ الولد يموت والدور تخرب، وما يجمع من الأموال يفنى)[٧]

---

[١] ينظر: الجنى الداني:٤٠٢.
[٢] معاني القرآن: ٤٧٢/١.
[٣] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٦٤٧/٣.
[٤] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٦٤٧/٣.
[٥] شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٦٣.
[٦] آل عمران :١٨٥.
[٧] شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٢٤٣/٥.

وبهذا الحديث عن الدنيا وما تحمل من مباهج وملذات، فهي ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع، الآخرة ، الموت، الفناء، واقع لا محالة والعمر مهما طال وقصر،والمال والجاه مهما شمخ كلاهما في طريق الزوال يسيران، وبهذا فصّل الإمام حدث (المناداة)، وصيغ الرد عنيفاً ليسعف السامعين بإدراك إن طريق الدنيا إلى الأفول والزوال والآخرة في طور الشروق، فليعد الإنسان عدته لهذا اليوم.

ومن عهد له(عليه السلام) إلى بعض عماله، وقد بعثه على الصدقة: (أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَ خَفِيَّاتِ عَمَلِهِ حَيْثُ لَا شَهِيدَ غَيْرُهُ وَ لَا وَكِيلَ دُونَهُ وَ أَمَرَهُ أَلَّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ وَ مَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَ عَلَانِيَتُهُ وَ فِعْلُهُ وَ مَقَالَتُهُ فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ وَ أَخْلَصَ الْعِبَادَةَ وَ أَمَرَهُ أَلَّا يَجْبَهَهُمْ وَ لَا يَعْضَهَهُمْ وَ لَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلًا بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمُ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ وَ الْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ وَ إِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَ حَقّاً مَعْلُوماً وَ شُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ وَ ضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ وَ إِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ وَ إِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ بُؤْسا لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَ الْمَسَاكِينُ وَ السَّائِلُونَ وَ الْمَدْفُوعُونَ وَ الْغَارِمُونَ وَ ابْنُ السَّبِيلِ)[١].

نلاحظ أن الفعل (أَمَرَهُ) وهو فعل مضارع مجمل ، والفاعل ضمير مستتر يعود إلى الإمام أي أن الإمام عّبر عن نفسه بضمير الغائب وهذا كثير في لغة العرب.[٢]، وقد أمر (عليه السلام) بأوامر بعضها يتعلق بحق الله تعالى وبعضها يتعلق بأحوال الرعية والشفقة عليهم فالذي يتعلق بحق الله تعالى أمران:

أحدهما:ـ فصله الإمام(عليه السلام) في (بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ ...) أي: أنّ يتقيه فيما يسّر من أموره ويخفى من أعماله وهي التقوى الحقة المنتفع بها ،والإمام يحذر عماله من الخيانة ومعصية الله في الخفاء ؛لأنه بكل شيء عليم.

والآخر:ـ وفصله ب (أَلَّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ) أي: أنّ يوافق في طاعة الله تعالى بين ما أظهره وما أبطنه ويخلص أعماله الظاهرة من الرياء والسمعة، أي لا يطع الله فقط في الظاهر دون باطنه بل يطيعه فيها معاً، فكل ظاهر يخالف باطناً فهو تلبيس وتضليل، وكل من تنسجم أقواله وأفعاله مع حقيقته وواقعه فهو مخلص وأمين بل ومثّل أعلى يجب أن يحتذي في ذلك كائناً من كان.

وأما فيما يتعلق بأوامره بأحوال الرعّية والشفقة عليهم فمنه ما يتعلق بحال أرباب الأموال الذي يجب عليهم دفع الصدقة ، ومنه ما يتعلقبأرباب الصدقة المستحقين لها، أما الأمرالأول ففصلّه ب(أَلَّا يَجْبَهَهُمْ وَ لَا يَعْضَهَهُمْ وَ لَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلًا بِالْإِمَارَةِ ....) فأن لا يلقاهم بمكروه ،ولا يرميهم ببهتان وكذب وإن لا يتقبض عنهم ويترفع عليهم تفضيلاً لنفسه بالإمارة مؤكداً الخبر بالأداة (إنّ) فإنهم الأخوان في الدين، والأعوان على استخراج الحقوق المطلوبة منهم إنما تحصل بواسطتهم ، وحصولها منهم إنما يتم بالشفقة عليهم وإن لا يفعل معهم شيء ممّا نهى

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٨٣.
[٢]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤٥١/٣.

عنه (عليه السلام) فإن كل تلك الأمور مما ينفر طباعهم ويشتت نظام شملهم ومنه يكون قلة مال الصدقة المستحقة عليهم.

وأما ما يتعلق بالمستحقين للصدقة فأن يوفيهم حقوقهم منها ، وكل من كان له نصيب مفروض وحقّ معلوم في شيء وله شركاءه حقوقهم.مؤكداً ومحذراً الإمام عبر الأداة(إِنَّكَ) والفعل (تَفْعَلْ) ومن ثم مجيء الإجمال في النص وعبر أفعل التفضيل المضافة (أَكْثَرِ النَّاسِ) مفصلاً القول بالتمييز (خُصُوماً) والمعطوف عليه (وَ بؤساً) حيث إن من لا يوفيهم حقوقهم الأصناف المذكورة وهم(الفقراء، المساكين ، والسائلون، والمدفوعون، والغارمون ، وابن السبيل)، يكونون له أكثر الناس خصومة يوم القيامة، فبؤساً له ، وهذا في معرض التهديد والتنفير له عن ظلمهم والاستبداد عليهم بشيء من الصدقة.(١)

وبهذا نرى الفعل المضارع (أَمَرَهُ) يفصح عن جملة من الأوامر التي أمر بها الإمام (عليه السلام) عامل الصدقة الالتزام به وصيغ الجواب بصيغة التعنيف ليتناسب مع صيغة الفعل المضارع المجمل (أَمَرَهُ) والذي يدل على صيغة الأمر والالتزام به كون عامل الصدقة أجير للدولة، والرعية هي اليد والأصل والعمود الفقري للدولة وخزينتها.

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً وَ أَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ أُعَافِسُ وَ أُمَارِسُ لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ آثِماً)(٢).

جاء الإجمال في الفعل المضارع(يَزْعُمُ) وهو فعل مبهم الحدث، فلا يعرف ماذا يزعم (عمرو بن العاص) لأهل الشام ، فصّل الإمام (عليه السلام) إجمال حدث الزعم بقوله: (أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً وَ أَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ أُعَافِسُ وَ أُمَارِسُ) فأدت (أنّ) المشددة وظيفتها المعروفة بتوكيد المعنى.(٣)، إذ بيّن(عليه السلام) مضمون الزعم وهو أدعاء (عمرو بن العاص) إن الإمام (عليه السلام) فيه دعابة أي مزاج ، وكثير اللعب.......... والله يعلم والصالحون من عباده أنه (قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ آثِماً) في الجد والهزل بأتفاق أهل الأرض منذ وجدوا على ظهرها ، ولكن ابن النابغة يتخطى القيم.(٤) وكان الرد هنا حاسماً مؤكداً باللام المقترنة ب(قد) للدلالة على توكيد القسم المحذوف في هذا التركيب (لقد)، ومكرراً دلالة القول في (قال) و(نطق) و(باطلاً) و(آثماً)، كل ذلك الأسلوب تناسباً مع صيغة المضارع للفعل (يزعم) الذي يؤكد حقيقة الادعاء والزعم الكاذب الذي افتراه (عمرو بن العاص) على الإمام (عليه السلام).

ويماثلذلك قوله (عليه السلام): (وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَ قَائِلٌ مُصَدَّقٌ وَ أَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ وَ مَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---
(١) ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٤/٢٣٢.
(٢) شرح نهج البلاغة(عبده):١١٣.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٧٥/٩.
(٤) ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤١٦/١.

صُدِّقَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَ عَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَ أَتْبَاعِهِ وَ اسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَ اسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ اتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَ اسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ)[١].

هذا من كلام له(عليه السلام) أمر به السامعين أن ينتفعوا ببيان الله في كتابه ، وورد الفعل المضارع (ينادي) مبهم الحدث ، فلا يعرف ما طبيعة القول الذي في النداء، ففصل(عليه السلام) حدث فعل المناداة ، بقوله: (أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَ عَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ)، فهذا النص كشف مضمون المناداة وهو أن أهل المحشر يسمعون منادياً يقول كل إنسان مسؤول عن عمله ومحاسب عليه وعلى عواقبه وآثاره، فيعم الفزع والهلع الناس أجمعين من هذا النداء مستثنياً من ذلك عبر الاستثناء(غير) العاملين بالقرآن فإنهم في أمن وآمان.[٢]

والحرث هنا كل عمل تطلب به غاية وتستخرج منه ثمرة، أما الابتلاء فهو ما يلحق النفس على الأعمال وعواقبها من العذاب بقدر الخروج فيها عن طاعة الله، فحرثه القرآن بريء من لواحق العقوبات.[٣] ثم يحثهم الإمام (عليه السلام) وعبر فعل الأمر (فَكُونُوا) من حرثه واتباعه، وإن يتخذوه دليلاً قائداً إلى ربهم ، وإن يستنصحوه على أنفسهم، أي يتخذوه ناصحاً على نفوسهم الأمارة بالسوء لكونها هي الغاشية لهم يقودها إلى معصية الله، فكل من خالف القرآن فهو في جهل وضلال لا يوثق به ولا يركن إليه.

يتضح مما تقدم إن الإجمال في الفعل المضارع (ينادي) وتفصيله لذلك الفعل جيء لغرض بيان منزلة القرآن وتأثيره في توجيه الإنسان إلى الغاية التي وجد من أجلها وهي بلا شك العلم من أجل العمل الصالح.

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): (إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَ عَذْبِهَا وَ حَزْنِ تُرْبَةٍ وَ سَهْلِهَا فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ وَ عَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ وَ مَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ وَ زَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ وَ قَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ وَ مَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ وَ تَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ وَ طَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ)[٤] .

نسب الإمام (عليه السلام)اختلافات الناس من الناحية الجسمية، والروحية، والفكرية ، والأخلاقية إلى مواد خلق منها جسم الإنسان وهي التربة التي جمعها الله سبحانه وتعالى من سهلها وحزنها وسبخها وعذبها، وقد ورد في النص فعل مضارع وهو(يَتَفَاوَتُونَ) في قوله (عليه السلام) (وَ عَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ) مجمل الحدث، فلا يعرف بماذا يتفاوتون؟

---

[١] شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٤٣ـ ٢٤٤.
[٢] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٥٣١/٢.
[٣] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٦٤٩/٣ـ٦٩٩٥.
[٤] شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٣٤.

ففصله (عليه السلام) بذكره أقساماً سبعة مبتدئاً بذكره أقساماً خمسة تضاد خلقها لأخلاقها، ثم ذكر قسمان من ذوي الأخلاق والطباع المتناسبة المتلائمة وهي كالآتي:

الأول: تَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ: فمن استعد مزاجه لقبول صورة كاملة حسنة وعقل ناقص فهو داخل في رذيلة الغباوة، وقد أورد ابن أبي الحديد في هذا القسم أحد أمثال العرب في المنظر الجميل ونقص العقل بقوله: (ترى الغيان كالنخل ، وما يدريك ما الدخل)[١].

الثاني: مَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ: المستعد لامتداد القامة وحسنها أيضاً لكنه ناقص في همته فهو داخل في رذيلة الجبن.

الثالث: زَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ: المستعد لقبح صورته الظاهرة وحسن باطنه باعتدال مزاج ذهنه، ويريد بزكاء أعماله حسنها وطهارتها، فيكون قد أوقع الحسن بإزاء القبيح. وهذا القسم موجود فاشٍ بين الناس.

الرابع: قَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ: أي قد يكون الإنسان قصير القامة، وهو مع ذلك داهية باقعة، والمراد بقرب قعره تقارب ما بين طرفيه، فليست بطنه بمديدة ولا مستطيلة، وإذا سيرته واختبرت ما عنده وجدته لبيباً فطناً. يوقف على أسراره، ولا يدرك باطنه وقد قيل لبعض الحكماء: ما بال القصار من الناس أدهى وأحذق؟ قال: لقرب قلوبهم من أدمغتهم.

الخامس: مَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ: أي يكون له خلق معروف يتكلف ضده فيستنكر منه، مثل أن يكون جباناً بالطبع فيتكلف الشجاعة، أو شحيحاً بالطبع فيتكلف الجود وهذا القسم عام في الناس.

السادس: تَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ: فمن ضرب قلبه يتشتت عقله في أجواء لا تمت إلى حياته بسبب ، وهذا الوصف فيه ذم.

السابع: طَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ:وذو الحدة في ذكائه أو غضبه ينطلق لسانه بسرعة البرق وهذا الوصف فيه مدح.[٢]

وبهذا التفصيل للفعل المضارع المجمل(يَتَفَاوَتُونَ) يكون الإمام (عليه السلام) قد بين النماذج السبعة من العلاقة بين الجسم والروح، والتركيب الظاهري بالخلق والطبع الباطني.

---

[١] شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ١٢/٤.
[٢] ينظر :م.ن: ١٣/٤.

ثالثاً: الإجمال في فعل الأمر: ـ

منها قوله(عليه السلام) في حكمة (لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ يَا كُمَيْلُ مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ وَ يُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلَّا وَ خَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الْإِبِلِ).[١]

يبرز فعل الأمر المجمل من خلال قوله(مُرْ) لغرض جذب انتباه السامع، حيث ينادي الإمام (لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ) عبر أسلوب النداء وبالأداة(يَا كُمَيْلُ)بأنَّ يأمر كميل أهله ، وبدا الفعل مجملاً فعلى ماذا يأمرهم كميل؟.

وبرز التفصيل عبر الأداة (أَنْ) التفصيلية (أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ)، يروحوا: أي السير بعد الظهر، ويستعمل في مطلق الذهاب والمضي.[٢] ، والمكارم : أي المحاسن والفضائل كالصدق،والوفاء،والحَلم، والسخاء، والعيش بكد اليمين، والوقوف مع المستضعفين ، وما إلى ذلك مما بعث به نبي الرحمة(ص) الذي قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ثم عطف عليها جملة(وَ يُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ) والمعنى أن يسعوا في خدمة المحاويج حتى الذين لم يطلبوا منهم ذلك، وفيه إيماء إلى أنه على كل قادر أن يكافح في سبيل المستضعفين، وأن ينبه البسطاء والغافلين إلى أي خطر يهدد استقلالهم، والاعتداء على حريتهم ومقدراتهم،مقسماً بالذي وسع سمعه الأصوات ، ومؤكداً عبر أسلوب النفي والاستثناء(ما ... وإلاّ) حيث ما من أحد أدخل السرور على قلب ذيّ حاجة بقضائها يجعله الله سبباً يلطف به لقاضي الحاجة ويقيه بها من مصيبة تعرض له، ويشبه أن يكون ذلك اللطف هو إخلاص ذيّ الحاجة ومتعلّقيه في إمداده ومعونته بدعاء الله وشكره وثنائه واستجلاب قلوب الخلق بذلك له وكل ذلك لطف يعدّه الله لوقايته له وطرد المصائب عنه، وسبّه جري ذلك اللطف إلى دفع المكروه عنه بجري الماء في انحداره ، ووجه الشبه سرعة الانحدار للدفع والحفظ لأنه من أمر الله، وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر، وكذلك دفع ذلك اللطف للنائبة بطرد غريبة الإبل، ووجه الشبه شدّة الطرد والإبعاد.[٣]

وبذلك التفصيل يكون الإمام قد أوضح المراد للمتلقي مفهوم فعل الأمر المجمل الحدث في (مُرْ) فيفتح بذلك للسامع خياله ليتصور ما يقوله بحق ذلك الفعل من أمور مأمور بها فتذهب نفس السامع كل مذهب ويزداد شوقه إلى سماع ذلك الخبر المبهم في معناه.

---

[١] شرح نهج البلاغة(عبده):٤٨٠.
[٢] ينظر: لسان العرب:٢٩١/٣ـ ٢٩٢.
[٣] ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤٦٣/٥.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (وَ أَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تُمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ وَ أَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ)[١].

ورد هذا النص بشأن قدرة الله سبحانه وخلقه الكواكب ولها خصائص ثابتة، وبوساطتها يدور الكوكب في فلكه، ولا يتجاوز الحد المقرر له، ولولا ذلك لأضطرب وأنهار. فالفعل (وَ أَمَرَهَا) فعل أمر مبهم الحدث، فلا يعرف ما طبيعة هذا الأمر، لذلك فصّل (عليه السلام) إجمال فعل الأمر بقوله: (أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ)، إذن حفظ الله سبحانه وتعالى الكواكب من أن تحركها الريح المخترعة فيها مجيئاً وذهاباً وحكمت الحكمة الإلهية عليها بالاستقرار انقياداً لقهره، فالأمر هنا في (الفعل) أشار إلى حكم القضاء.[٢] ومما يعضد دلالة الإجمال في فعل الأمر (وَ أَمَرَهَا) مجيء إجمال آخر (معرف بالإضافة) في (لِأَمْرِهِ)،وهو كناية عن كمال قدرته ووقوع مراده.[٣]إذن الأمر هنا إشارة إلى اعتبار القدرة.[٤]وبهذا تتجلى قدرة وعظمة الباري عزَّ وجلّ في استسلام وخضوع كل شيء لأمره.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَ أَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَ إِنْ بَغَتْكُمَا وَ لَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا وَ قُولَا بِالْحَقِّ وَ اعْمَلَا لِلْأَجْرِ وَ كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَ لِلْمَظْلُومِ عَوْناً أُوصِيكُمَا وَ جَمِيعَ وَلَدِي وَ أَهْلِي وَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَ نَظْمِ أَمْرِكُمْ وَ صَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَ الصِّيَامِ)[٥].

نلاحظ في النص أن فعل الأمر(أُوصِيكُمَا) جاء مبهماً فلا يعرف ما هو مضمون فعل الوصية، لذلك فصّل (عليه السلام) فعل الوصية المبهم الحدث بجملة أمور منها:

أولاً: (بِتَقْوَى اللَّهِ) التي هي رأس كل خير.

ثانياً: أن لا تبغيا الدنيا، أي لا يريداها ، وإن أرادتهما، واستعار الإمام هنا لفظ(البغية) لها باعتبار سهولتها عليها عن توافق أسباب خيرها لهما فهي بذلك الاعتبار كالطالبة لها.

ثالثاً: أن لا يأسفا على ما قبض وغيّب عنهما من خيراتها وهذا هو الزهد الحقيقي فيها.

رابعاً: أن لا يقولا إلاّ الحق، وإن يعملا لأجر الآخرة.

خامساً: أن يكونا للظالم خصيماً وللمظلوم عوناً، ثم عاد الإمام ومكرراً فعل الأمر المجمل(أُوصِيكُمَا) ليلفت ذهن المتلقي إلى عظمة تلك الوصية ، وتفصيلها أيضاً ب(بِتَقْوَى اللَّهِ)، وتكرارها ؛ لأهميتها، وصلاح ذات البين، وذات كناية عن الحال الموجبة للبين والافتراق، وقيل هي الحالة بين الرجلين ، والقبيلتين، أو الرجل

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٢٧.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٤٦/٣.
[٣]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١٩/٢.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٤٦/٣
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٩٧.

وأهله، أمر بإصلاح ما بينهما من فساد ، وقيل: يحتمل أن يريد بالبين هنا الوصل، وبالذات النفس، أي أصلحوا نفس وصلكم من فساد يقع فيه ثم رغب الإمام(عليه السلام) ب(صلاح ذات البين) بما رواه سماعاً عن رسول الله(صلى الله وعليه وآله وسلم) جمع الخلق على سلوك سبيل الله وانتظامهم في سلك دينه ولن يتم ذلك مع تنازعهم ، وتنافر طباعهم وثوران الفتنة بينهم فكان صلاح ذات البين مما لا يتم أهم مطالب الشارع إلاّ به ، وهذا معنى غير موجود في الصلاة والصيام.[١]

من هنا نصل إنّ الأفعال بأقسامها (الماضٍ ، والمضارع، والأمر)، قد تأتي مجملة في مضمونها مما يتطلب الإفصاح عنها والإبانة عن معناها المبهم.

[١] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٣٢٤/٥.

المبحث الثامن:- دلالة أسلوب الإجمال في الاستثناء:-

يعرّف النحاة الاستثناء بأنه:- إخراج ما كان داخلاً تحت المستثنى منه ب(إلاّ)أو أحد أخواتها لفائدة[١]، وفسر الطبرسي الاستثناء بمعنى الاختصاص وقال:(ومعنى الاستثناء الاختصاص بالشيء دون غيره فإذا قلت ما جاءني إلاّ زيد،فقد اختصصته بالمجيء،وإذا قلت ما جاءني زيد إلاَّ راكباً فقد اختصصته بهذه الحالة دون غيرها من المشي والعّدو وغيرها)[٢].وقصد الطبرسي بالاختصاص هو إخراج زيد مما دخل فيه القوم صفة اختص بها؛لأنه خرج من الصفة التي عليها القوم، ولهذا عدّ الاستثناء اختصاصاً.

وعرّفهابن يعيش في شرحه للمفصل:(فالاستثناء صرف اللفظ عن عمومه بإخراج المستثنى من أن يتناوله الأول وحقيقته تخصيص صفة عامة فكل استثناء تخصيص وليس كل تخصيص استثناء).[٣]

ويوافقعلماء الأصول النحاة في مفهوم الاستثناء ويعدون الاستثناء تخصيصاً للعام فهو لديهم أداة بيانٍ تعمل على إخراج البعض المقصود من الجمع المستغرق بالشمول.[٤]

أما شروط الاستثناء عند الأصوليين فهي:الاتصال الزمني، والاتصال النوعي، ومقدار المستثنى.[٥]، نخلص من ذلك إلى أن النحاة والأصوليين تناولوا مصطلح الاستثناء من الوجهة الدلالية، وهذا مما يتطلبهميدان عملهم الذي يعملون فيه.

وبما أن (أصل الاستثناء إخراج بعض ما يوجبه لفظ من عموم ظاهر،أو عموم حكم،أو معنى يدل عليه)[٦]، فهذا يعني أن المستثنى مخصص محدد واضح، ولكن قد يدخل الإجمال المستثنى فيخرج بذلك من الوضوح والتحديد إلى الغموض والإبهام فيحتاج بذلك إلى من يوضح ويفسر غموضه وإبهامه.

وبعد هذه الإضاءة الموجزة(للاستثناء) لابد من الدخول في تطبيق نصوص من نهج البلاغة.

---

[١]ينظر: الكافية في النحو:١/٢٢٤.،وحاشية الصبان:٢/١٤١. ،وهمعالهوامع:٣/٢٤٧. ،ومعاني النحو:٢/٦٧٦.
[٢]مجمع البيان في تفسير القرآن:٢٤٢.
[٣]شرح المفصل (ابن يعيش):٢/٧٥-٧٦.
[٤]ينظر: ميزان الأصول:١/٤٢٧، ،ومختصر المنتهى الأصولي:١٢٢، وإرشاد الفحول:٢/٢٣٦.
[٥]ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين:٤٤.
[٦]شرح أبيات سيبويه(السيرافي):٣/١١١.

من ذلك قوله (عليه السلام):(إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ :الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ ، وَ الِاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَ الْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ ، وَ إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا ، وَ إِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا)[١].

دخل الإجمال في قوله(إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ) وأن (ما) الموصولة مع صلتها (حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ)مجملة مجهولة ، وبذلك انتفى المستثنى(المخصص) عن بيان المراد إخراجه من عمومه،فاحتاج بذلك إلى تفصيل،ثم أردف الإمام الوظائف ملقاة على عاتقه وهي:-

١ـ الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِللعباد:أي عدم التقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ـ الِاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِللناس: وهي المساواة بين أفراد الرعية، وحماية مصالحهم المادية والأدبية، والسير بالجميع إلى حياة أفضل.

٣ـالْإِحْيَاءُ لِسُّنَّةِ رسول الله فيهم: أي الحكم بالمبادئ والقوانين المقررة كتاباً وسنة لا بالهوى والغرض.

٤ـ وَ إِقَامَةُ الْحُدُودِ على منيُسْتَحِقُّونهَا بجنايتهم: لا يدان أي شخص إلا بعد أن تثبت ادانته، فإذا ثبتت أُخذ بها وحده دون غيره من صحبته وأسرته.

٥ـ وَ إِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا: أي تقسيم الأموال على مستحقيها[٢].

وهذه وظائف حاكم المسلمين، فعليه أن يوصل الأحكام الإسلامية كاملة إلى الأمةحتى يخرج من نشد الحق عن الجهل والضلال ولا يبقى له من عذر في الجهل بهذه الأحكام من جانب، ومن جانب آخر: يسعى ويجتهد من أجل خير المسلمين وإصلاح أوضاعهم الدينية والدنيوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

ومن جانب ثالث:أن يسعى لإحياء السنة النبوية والأحكام الشرعية من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو سائر الوسائل.

ومن جانب رابع: إقامة الحدودعلى المستحقين من دون التميز بين أحد وآخر والتساهل في إقامتها بهدف منع الجرائم والجنايات.

ومن جانب خامس: دفع حقوق المستحقين والمحتاجين من بيت المال.

---

[١]شرح نهج البلاغة (عبده):١٥٤.
[٢]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١١٦/٢.

فإذا فعل إمام المسلمين ذلك فقد أدى دينه تجاه عباد الله،فإن كان هناك من إشكال واضطراب فإنما يعود إلى الناس.[١]، ونلحظ في هذا التفصيل للمجمل(المستثنى) روعة في الصياغة، وجمالية في أداء المعنى، فقد بنى أخباريتها على الاسمية فالمقصود هو(الدوام والثبوت)[٢] ، في كل آن ،ومن هنا يتضح لنا إن الإجمال جاء مبهماً فخرج بذلك من وظيفته التي هي (التخصيص).

وقوله (عليه السلام):(لَا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إِلَّا بِثَلَاثٍ بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ وَ بِاسْتِكْتَامِهَا لِتَظْهَرَ وَ بِتَعْجِيلِهَالِتَهْنُؤَ)[٣].

جاء المستثنى(بِثَلَاثٍ) وهو مجمل،ولم يعرف السامع المراد من لفظة(ثَلَاثٍ) التي لم يفصح الإمام عن بيانها عندما أخرجها من لفظة عمومها وهي الفعل المضارع(يَسْتَقِيمُ) ثم أفصح الإمام عن المجمل في المستثنى المخصص(ثَلَاثٍ)

أحدها: استصغار قاضي الحاجة لها ليعرف بالسماحة وكبر النفس فيعظم عطاؤه ويشتهر.

الثانية: أن يكتمها فإن طباع الناس أدعى إلى إظهار ما استكتم وأكثر عناية به من غيره.

الثالثة: أن يعجلهالتهنؤ: أي لتكون هنيئة يقال. هنأ الطعام يهنأ وذلك أن الإبطاء بقضاء الحاجة ينغصها على طالبها فتكون لذتها مشوبة بتكدير بطنها.[٤]

فخصص الإمام بذلك المراد من لفظة المستثنى المبهم(ثَلَاثٍ)باستصغارها ، وكتمها، وتعجيلها.

وقوله (عليه السلام): (لا ينبغي للعاقل أن يكون إلاّ في إحدى منزلتين:إمّا في الغاية القصوى من مطالب الدنيا، وإمّا في الغاية القصوى من الترك لها)[٥].

يبين الإمام (عليه السلام) حال العاقل وكونه لا يكون **إلاّ** في أحد المنزلتين،وجاء المستثنى هنا أيضاً مبهماً في(إحدى منزلتين)، وقد شرح الإمام حال تلك المنزلتين التي يتصف بها العاقل بوساطة (إمّا) التفصيلية، أي فهو أما أن يكون في الغاية القصوى من مطالبها الدنيوية أي يجري وراء ملاذاتها وزينتها فيلهو بها ،

---

[١]ينظر شرح نهج البلاغة (الشيرازي):٢٩٨/٤.
[٢]علوم البلاغة(المراغي): ٦٦. ، وجواهر البلاغة:٧٢.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):٤٥٦
[٤]ينظر شرح نهج البلاغة (البحراني):٤٢٠/٥.
[٥] شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٥٤٩/٥.

وأما في الغاية القصوى من الزهد فيها وترك مطالبها الدنيوية لأهلها الذين يجرون وراء مغرياتها ، وبالفعل أن الذي يكون في الغاية القصوى من الترك لها أفضل من الذي يكون عبداً لمطالبها التي لا حدّ لها ولا تنتهي فتكون همومها والآمها لا تنتهي له، وهذا ما أكده الإمام(عليه السلام) من ترك الدنيا لأهلها ولمن يطلبها بعد أن طلقها ثلاثاً فهي لا تستطيع أن تغريه في قوله(هَيْهَاتَ غُرِّي غَيْرِي لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ وَ خَطَرُكِ يَسِيرٌ وَ أَمَلُكِ حَقِيرٌ)[١].

ومن دعاء له (عليه السلام) كان يدعو به كثيراً: (أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَ لَا حُجَّةَ لِي وَ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي وَ لَا أَتَّقِيَ إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي)[٢].

عرض الإمام هنا صفة الخضوع والذلة المستلزمة لإنزال الرحمة من الله سبحانه وتعالى،فأعظم فخر للإنسان أنه عبد لله وكونه (ظَالِماً لِنَفْسِهِ) إشارة إلى أنّ الإنسان لا يسعه قط أداء حقّ العبودية كاملة ف(لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ)وَ (لَا حُجَّةَ لِي)فالله سبحانه قد كلفه بعد تمكينه وأقداره وإعلامه قبح القبيح ووجوب الواجب وترديد دواعيه إلى الفعل وتركه ، وهذه حجة الله تعالى على عباده، ولا حجة للعباد عليه؛ لأنه ما كلفهم إلا بما يطيقونه، ولا كان لهم لطف في أمر إلاّ وفعله.[٣]

مخرجاً الإمام من بين هذا الاعتراف بالتقصير أسلوب الإجمال عبر المستثنى (المخصص) في قوله (إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي)حيث ورد المستثنى مجمل في الاسم الموصول (ما) وصلته ،ف(ما) كما عهدناها اسم موغل في الإبهام والغموض يحتاج إلى من يزيل إبهامه ، ونجد الإبهام أيضاً في المعطوف عليه في قوله(مَا وَقَيْتَنِي)، والسبب في ورود الاسم الموصول (ما) دون غيرها من الأسماء الموصولة ؛ كون المرء لا يستطيع رزق نفسه أمراً إلاّ بأذن الله فالعطاء مجهول ،وهو قدر قسمه من الله عزّ وجل لعباده وهو أمر نازل من السماء بأمره كن فيكون وبهذا أجمل الإمام المستثنى المخصص ،ب(ما)دون غيرها من الموصولات الاسمية كون أمر العطاء مجملاً لا يهتدي المرء إليه وكذلك هو لا يقدر أن يتقي من المضار إلاّ ما وقاه الله إياه، فالمرء لايدفع عن نفسه المحذور من المرض والموت إلابدفع من الله له تلك المضار، ولا يعرف المرء ما قد أُخفي له من تلك المضار فالله هو الذي يدفع عن المرء ما قد قسم له من المرض أو الموت أو السوء بلطفه وعنايته وهكذا أجمل الإمام (المستثنى المخصص) ب(ما) الموصولة وصلتها الفعلية ،كون الأقدار، والقضاء مجملة مجهولة لدى المرء لا يدركها.

يكمن جمال أسلوب(الإجمال والتفصيل) في إضفاء مسحة من الاندهاش والجذب للمتلقي ولفت انتباهه لمعرفة ذلك الإبهام في النص، وبذلك تكون صورة القارئ حاضرة باستمرار مع فكر الإمام (عليه السلام) لشد انتباهه بمعرفة الفكرة التي يريد توصيلها للقارئ والتي نقلها الإمام لنا عبر أسلوب الإجمال في (المستثنى) المخصص.

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٥٢.
[٢]م.ن:٣١٢.
[٣] ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٢٩٧/٣.

ومنها قوله(عليه السلام): (وَ مَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى)[١].

فقد تكلم الإمام(عليه السلام)في البداية بدلالة العموم، ومجي لفظة(أَحَدٌ) للدلالة على فرد غير معين، وجاءت لفظة(أَحَدٌ) في سياق نفي فدلت على العموم، وقد خصص الإمام بالمستثنى ما كان خارجاً عن مجالسة القرآن.

فمن يجالس القرآن هو دائماً في ازدياد ونقصان، لكن المخصص(**قَامَ عَنْهُ**) وهو جملة فعلية مبهمة فلا يعرف بماذا قام عنه ، ثم فصله الإمام بفن بديعي هو(الجمع مع التفريق)[٢]،(بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ)، فالمرء دائماً في ازدياد في الهدى، ونقصان من العمى والضلال.

لذا كان الإجمال في المستثنى المخصص (**قَامَ عَنْهُ**)، وكان التفصيل في (بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ).

ونختم كلامنا بقوله(عليه السلام):
(وَلَاخَيْرَفِيالدُّنْيَاإِلَّالِرَجُلَيْنِرَجُلٍأَذْنَبَذُنُوباًفَهُوَيَتَدَارَكُهَابِالتَّوْبَةِوَرَجُلٍيُسَارِعُفِيالْخَيْرَاتِ)[٣].

نلاحظ أن ما قبل الاستثناء يحمل دلالة العموم ، فقد وردت لفظة(خير) نكرة في سياق النفي فأدت العموم، وقد أجمل المستثنى(المخصص) في لفظة(رجلين) إذ لم يبين المراد إخراجه من عموم خير الدنيا لهذين الرجلين، وبذلك أنتفت فاعلية المستثنى في إبهامه للمتلقي من إخراجه من عموم المستثنى منه، ففصل الإمام(عليه السلام) المستثنى (المخصص) في :

أولاً: رَجُلٍأَذْنَبَذُنُوباًفَهُوَيَتَدَارَكُهَابِالتَّوْبَةِ: فالشيء الأعظم في كل عمل في الدنيا هو ما ينفعك في الآخرة كالتوبة من الذنب.

ثانياً:رَجُلٍيُسَارِعُفِيالْخَيْرَاتِ: أي بالعمل لخدمة الإنسان.

وبذلك المستثنى (المخصص) والذي أطلقه (عليه السلام) وكان مجملاً فيه من التعظيم والتفخيم لمكانته وحالته ، فهو المطيع لله ورسوله، ومقبول عند الله، والمقبول عنده مستلزم لثوابه العظيم، وفي ذلك ترغيب في هذين الأمرين المذكورين.

---

[١]شرح نهج البلاغة (عبده):٢٤٣.
[٢]الجمع مع التفريق : هو الجمع بين شيئين في حكم واحد ثم التفريق بينهما في ذلك الحكم،ينظر علم البديع (عتيق):١٢٣.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٥٥.

المبحث: التاسع: :دلالة أسلوب الإجمال في الألفاظ الإسلامية:ـ

اشتملت نصوص نهج البلاغة على جملة ألفاظ لها مدلولاتها الخاصة في لغة العرب القديمة، وقد اكتسبت تلك الألفاظ دلالات جديدة اكسبها إياها الدين الجديد ، كالصلاة، والإيمان ، والنفاق، والكفر. يقول ابن فارس:(كانت العرب على جاهليتها بإرثٍ من أرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينها، فلما جاء الله ـ جلّ ثنائه ـ بالإسلام حالت الأحوال ، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور ، ونقلت اللغة الألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فعفا الآخر الأول)[١].

أو هي (اللفظ الذي أستفيد من الشارع وضعه للمعنى سواء كان اللفظ والمعنى مجهولين عند أهل اللغة، أو كانا معلومين، لكنهم لم يضعوا ذلك الاسم لذلك المعنى، أو كان أحدهما مجهولاً ، والآخر معلوماً...)[٢].

واختلف الأصوليون في الحقيقة الشرعية ومدى ثبوتها ، فكلمة(الصلاة) بمعنى العبادة المعروفة في الإسلام بأركانها وأجزائها، هل وضعها الشارع بهذا المعنى أو أنّ الكلمة دلّت على معنى (الدعاء) ثم تخصصت دلالتها وأطلقت على العبادة المخصوصة؟[٣].

إنّ لفظ الصلاة في أصل اللغة هو(الدعاء)، ولم ينتقل بعرف الشّرع عن هذا المعنى، وإنما تخصص؛ لأنه كان محمولاً قبل الشرع على كل دعاء في أي موضع كان، إذن هذه الدلالة المتزيدة تؤول باللفظ إلى أن (يكون مجملاً لعدم إشعار اللفظ بما هو المراد منه بعينه من الأفعال المخصوصة)[٤].

وبهذا نجد إنّ الشريعة لم تنقل انتقالاً كلياً من دلالتها اللغوية إلى دلالتها الشرعية، بل بقيت محتفظة بدلالتها القديمة إلى جانب دلالتها الجديدة فمعنى (الدعاء) ظلّ من دلالات لفظة الصلاة بعد معرفة الصلاة بمعناها الجديد.

وبذلك ظلت لفظة الصلاة مجملة ، وكذا الحال لغيرها من النظائر (كالصوم، والزكاة، والحج)، وقد حصر الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ) تفصيل المجمل القرآني ب(البيان النبوي) حيث قال: (لا يمكن استخراجه إلاّ ببيان النبي(صلى الله وعليه وآله وسلم)، ووحيّ من جهة الله تعالى ، فتكلف القول في ذلك خطأ ممنوع منه

---

[١] الصاحبي في فقه اللغة:٤٤. ، وينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢٣٥/١.
[٢] إرشاد الفحول: ١٣٦/١..
[٣] ينظر : المستصفى في علم الأصول:١٩/١-٢١.
[٤] الأحكام في أصول الأحكام:١٤/٣.

يمكن أن تكون الأخبار متناولة له)[١]، وتابع الشيخ الطوسي العلامة الطبرسي(ت٥٤٨هـ) حيث قال: (جميع ما ورد في القرآن مجملاً فإن بيانه يكون موكلاً إلى النبي(صلى الله وعليه وآله وسلم))[٢]، فالمجمل القرآني تفصله السنة النبوية الشريفة، مثلما يفسره القرآن نفسه، وقال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ) : (فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسر في مكان آخر)[٣]، ثم قال: (فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له)[٤]، ثم تعقب ذلك بقوله : (والغرض أنك تطلب القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة النبوية الشريفة)[٥]، وقد قال محمد بن إدريس الشافعي(ت٢٠٤هـ) :(كل ما حكم به رسول الله (صلى الله وعليه وآله وسلم)، فهو مما فهمه من القرآن)[٦]، وقد روي ابن مبارك عن عمران بن حصين،أنه قال لرجلٍ (أنك رجل أحمق، أتجد الظهر في كتاب الله أربعاً، لا يجهر فيها بالقراءة؟ ، أتجد هذا في كتاب الله تعالى مفسراً؟ إن كتاب الله تعالى أُبهم هذا وإن السنة تفسر هذا)[٧].

إذن السنة النبوية هي التي تفصل مجمل القرآن الكريم، بل إنَّ القرآن الكريم نفسه، قد صرَّح في لزوم اعتماد كلام النبي (صلى الله وعليه وآله وسلم) في بيان معاني القرآن الكريم.[٨]

حيث قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)[٩]وقوله تعالى: (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ)[١٠]، وقوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)[١١]، هذه الآيات تدل دلالة واضحة إنّ الرسول الأعظم محمد (ص) وظيفته بيان القرآن الكريم، وتوضيحه للناس على أتم وجه بقوله وفعله وتقريره.[١٢].

وقد رويّ عن النبي محمد(ص) : (إلاّ أني أوتيت القرآن ومثله معه)[١٣]، يعني السنة.[١٤]، والبيان النبوي للمجمل القرآني وجه من أوجه بيان السنة للقرآن.[١٥]، ومدرك هذا التفسير ، هو السنة النبوية الشريفة عن النبي محمد(ص) وأهل البيت

---

[١]التبيان: ٦/١.
[٢]مجمع البيان:١٢/١.
[٣]مقدمة في أصول التفسير:٩٣. ، وتفسير القرآن العظيم المقدمة:٤. ، والبرهان في علوم القرآن:١٧٥/٢.. ، والمبادئ العامة لتفسير القرآن:٩٤.
[٤]مقدمة في أصول التفسير:٩٣.
[٥]المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم:٩٤.
[٦]الإتقان في علوم القرآن:١٩٠٦/٥..
[٧]الجامع لأحكام القرآن : ٩٧/١، وينظر: محمد حسين الذهبي التفسير والمفسرون:٥٦/١.
[٨]مقدمات في علم التفسير:١٠٢/١.
[٩]النحل:٤٤.
[١٠]النحل:٦٤.
[١١]الحشر:٧.
[١٢]الإمام الباقر (عليه السلام وأثره في التفسير): ١٩١.
[١٣]سنن أبي داوود:٢١٠/٤. ،وسنن ابن ماجه:٦/١. ،وينظر التفسير والمفسرون:٥٥/١.
[١٤]ينظر:المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم:٣٠..
[١٥]التفسير والمفسرون: ٥٥/١.

(عليهم السلام)، يقول الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ) وهو يتحدث عن تفسير القرآن الكريم (لا يجوز إلاّ بالأثر الصحيح عن النبي(ص)، وعن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) الذين قولهم حجة، كقول النبي(ص)، وإن القول فيه بالرأي لا يجوز)[١].

وبهذا يتضح لنا مما تقدم:-

أولاً : جاز تفصيل القرآن بالسنة التي تعني كل ما يصدر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قولٍ، أو فعلٍ ، أو تقريرٍ.[٢]

ثانياً: يدخل في السنة الشريفة سنن الأئمة والمعصومين عند الشيعة الإماميةفهم حجّة في ذلك، إذ يمكن لأقوالهم أن تفصّل المجمل الوارد في القرآن.[٣].

ويكفي في هذا اعتماداً عليهم وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم وقوله: (إني تارك فيكم ما تمسكتم به، لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبّل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[٤].

مما تقدم نصل إلى أنّ السنة تعد مفصلة لمجمل القرآن الكريم ، وفيما يلي نطبق عدد من الألفاظ الإسلامية المجملة التي وردت في نصوص نهج البلاغة:-

أولاً:- الصلاة: **وردت الصلاة في قوله (عليه السلام): (تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ وَ حَافِظُوا عَلَيْهَا وَ اسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَ تَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً أَ لَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَ إِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ وَ تُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبَقِ وَ شَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَ اللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ وَ قَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَ لَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَ لَا مَالٍ)[٥].**

وردت لفظة الصّلاة هنا مجملة؛لأن لفظة الصّلاة في اللغة تعني (الدعاء)[٦]،ويحث الإمام(عليه السلام) بالمحافظة على أمر الصلاة ومراقبتها حذراً من أن تشوبها نزعات الشيطان برياء فيها ، أو التفات عنها، ثم بالمحافظة على أوقاتها وأداء أركانها، ثم بالاستكثار منها والتقرب بها إلى الله ؛ لكونها أفضل العبادات والقرب إليها باعتبار وجوبها:

---

[١]التبيان: ٤/١. ، وينظر: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم:٩٥.
[٢]ينظر: الأصول العامة للفقه المقارن:١٢٢. ، والسنة النبوية ومكانتها في التشريع:٢١.
[٣]ينظر: الأصول العامة للفقه المقارن:١٤٨.
[٤]سنن الترمذي:٣٢٩/٥. ، وينظر: عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق:٢٠٨/٢.
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٠٠.
[٦]معجم مقاييس اللغة:٣٠٠/٣، وينظر: لسان العرب:١٩٩/١٩.

أحدها: إنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وهو لفظ القرآن الكريم، وموقوتاً: مفروضاً، وقيل منجماً في كل وقت صلاة معينة.

والثاني: التحذير لتاركها بالتنبيه على استلزام تركها لدخول النار وتأكيده الخبر والتنبيه عليه عبر الأداة(**أَلَا**) (**أَلَا تَسْمَعُونَ........ الْمُصَلِّينَ**).

والثالث: أنها تحتَّ الذنوب حتّ الورق وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس، وتطلقها إطلاق الربق: أي تطلق أعناق النفوس من أغلالها كما تطلق الربقة من عنق الشاة.

والرابع: تشبيه رسول الله (**صلى الله عليه وآله**) لها بالحمَّة تكون على باب الرجل،إذ إن المؤمن يغتسل منها كل يوم خمس مرات فلا يبقى عليه من درنة شيء فهي الصلوات الخمس.

والخامس: تنبيه بذكر عرفان رجال من المؤمنين لها وهم الموصوفون في الآية في قوله عزَّ وجلَّ: (رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ)[١].

والسادس: نصب الرسول(**صلى الله عليه وآله**)فيها وأمر الله تعالى بالمواظبة عليها بعد تبشره له بالجنة، **وذلك قوله تعالى:** (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)[٢]، وامتثاله لذلك الأمر في نفسه وأمر أهله، وروي أنه (صلى الله عليه وآله) قام في الصلاة حتى تورمّت قدماه، فقيل له في ذلك، فقال أفلا أكون عبداً شكورا؟ وذلك من أوضح الدلائل على كثرة فوائدها وقوة فضيلتها.[٣]

وفي الصَّلاة المفروضة دعاء فسميت بعض أجزائها دعاء.[٤]، وقد استعمل القرآن الكريم لفظ الصَّلاة بالمعنى الذي تخصصت بموجبه في الإسلام بمعنى العبادة المفروضة.[٥] فهي (أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات مقدرة)[٦].

لكن القرآن لم يبين تلك الأركان المخصوصة ولا الشرائط المحصورة في أوقات مقدرة وإنما أحيل ذلك إلى الرسول ببيان الصلاة وفصّل أركانها، وشروطها، وعدد ركعاتها[٧]، وغير ذلك من الأمور التي تتعلق بالصلاة،إذن القرآن الكريم أجمل الصَّلاة، والسنة النبوية الشريفة تكفلت بتفصيلها.[٨] فالرسول محمد(ص) قد بين الصَّلاة بياناً وافياً بأفعاله، وأقواله، فصلاته: بيان عملي وقوله(صلى الله عليه وآله وسلم): ((صَلّوا كما رأيتموني أصَلّي))[٩]، بيان قولي.[١٠].

---

[١] النور:٣٧.
[٢] طه:١٣٢.
[٣] شرح نهج البلاغة(البحراني): ٧٥٩/٣.
[٤] ينظر: م.ن:١٩٩/١٩.
[٥] ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم:٨٤/٢.
[٦] التعريفات:٧٢.
[٧] ينظر: الطوسي التبيان:٥/١. ، ومجمع البيان:١٢/١.، وفقه القرآن: ٧٩.
[٨] ينظر:الكليني الكافي الفروع:٢٧٣/٣ـ ٢٩١.، ومن لا يحضره الفقيه:١٩٥/١ـ ١٩٦.
[٩] جامع الأصول في أحاديث الرسول:٦٣١/٢.،ينظر: تهذيب الوصول إلى علم الأصول:١٦٣.
[١٠] ينظر:الموافقات:٢٤٦/٣.

أي: إنَّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (صَّلوا)[١]، وهو غاية في البيان.[٢]

يتضح لنا مما تقدم إنَّ لفظة الصّلاة مجملة ، فهي كما قلنا في لغة العرب تعني (الدعاء) ، ولما نقلها الشارع إلى معنى شرعي خاص لم يعرفه المكلفون فبيَّنها الرسول الأعظم محمد(ص) إذا أقامها أمامهم ، وبيَّن لهم شروطها وأركانها وسننها ومن هذا بدا إنّ الصلاة مجملة ، فلم يستغن الناس بتنزيل الآية حتى فصّلها لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثانياً:ـ الزكاة:ـ

قوله (عليه السلام): (ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً وَ مِنَ النَّارِ حِجَازاً وَ وِقَايَةً فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ وَ لَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ مَغْبُونُ الْأَجْرِ ضَالُّ الْعَمَلِ طَوِيلُ النَّدَمِ)[٣].

ومما أمر الإمام(عليه السلام) بالمحافظة عليهم (الزكاة) والزكاة لغة:هي النمو والزيادة، وأصل الزكاة في اللغة هي الطهارة والنماء والبركة والمدح وكله قد استعمل في القرآن والحديث، ورجل زكي أي زاكٍ من قوم أتقياء أزكياء، وزكا الزرع ازداد ونما والزكاة صفوة الشيء ، والرجل صلح وتنعم فهو زكي من الازكياء، والزكاة هي الصلاح ،قال تعالى :(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا)[٤]، أي ما صلح منكم أحد.[٥]

وقد جعلها(عليه السلام) قرينة الصلاة في الذكر من الكتاب العزيز وفي الفضيلة، فلذلك قال: **جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ**، ثم أشار إلى سرها وهو كونها قرباناً لأهل الإسلام، فمن أعطاها بطيب نفس معها، أي لا تذهب نفسه مع ما أعطى تعلقاً به ولهفاً عليه، فإنها تجعل له كفارة من الذنوب ، ومن النار ووقاية ، محذراً الإمام(عليه السلام) وعبر الأداة (لا) الناهية والفعل المضارع(**لَا يُتْبِعَنَّهَا**) أحد نفسه، وهو جاهل بالسنة فإن السنة في أدائها أن تؤدي بطيب نفس ومسامحة، وبالنتيجة يكون مغبونالأجر؛لأن حصول الجزاء بغير رضوان الله تعالى جزاء ناقص ، وغبن فاحش بالنسبة إليه ضال العمل وهو إعطاؤه ذلك المال وبذله على غير وجهه وقصده به غير سبيل الهدى إلى رضوان الله، طويل الندم أي في محبة المال وفيما يرجوه به من الجزاء.[٦]

---

[١]علم أصول الفقه:١٦٧.
[٢]الموافقات: ٢٤٨/٣
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٠٠ـ ٣٠١.
[٤]النور:٢١.
[٥]ينظر:العين:٣٩٤/٥، ولسان العرب:٧٧/١٩. والصحاح:٣٦٨/٦.
[٦]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٧٥٩/٣ـ ٧٦٠.

إذن الزكاة وردت مجملة في القرآن الكريم ؛لأنها لم تبيّن كيفية الزكاة، ولم تفصّل نصابها، ولا مقدارها ، ولا أوقاتها، ولا شروطها ، ولا من تجب عليه، والرسول محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، هو الذي بيَّن إجمالها وفصَّله ، فبيَّن للناس الكيفية وفصّل لهم النصاب الذي تجب فيه، والمقدار الذي يجب إخراجه، والأوقات، والشروط، ومن تجب عليّه، ومن لا تجب عليه.[١]

وقد بيّن الإمام(عليه السلام) أهمية الزكاة (هذه اللفظة المجملة) ودورها في التكافل الاجتماعي وسيادة العدالة الاجتماعية في أكثر من موضع في أنجيل البلاغة كما في قوله (عليه السلام): (فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ وَ الصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ وَ الزَّكَاةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ......)، وأيضاً قوله: (مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَ الْفَقْرِ).

إذن يتضح مما تقدم إنّ هذه الأمور كانت مبهمة لدى الناس كلهم بها، ومن هنا دخل الإبهام والغموض فيها إلى أنّ تم تفسيرها من قبل السنة النبوية وأئمة آل البيت (عليهم السلام)، فدخل البيان والوضوح فيها وأزال الإبهام والغموض الذي كان فيها.

ثالثاً: الصوم:- من ذلك قوله (عليه السلام): (وَ عَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَ الزَّكَوَاتِ وَ مُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ وَ تَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ وَ تَذْلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ وَ تَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ وَ إِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ وَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً وَ الْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً وَ لُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلًا مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَ الْفَقْرِ)[٢] .

الصوم في اللغة :عبارة عن مطلق الإمساك، وقيل هو الصمّت؛ لأنه إمساك عن الكلام.[٣] وهذا المعنى كان سائداً في لغة العرب، وحينما وردت لفظة الصوم في الدلالة الشرعية الجديدة، أحيلت هذه اللفظة إلى الإبهام فاحتيجت إلى من يفسر إبهامها ويزيل غموضها ليتضح للسامع مفهومها فالصوم في الشرع (هو الإمساك عن الأكل ،والشرب، والجماع ،من الصبح إلى المغرب مع النيِّة)[٤]. وفسرها الشيخ الطوسي هو(الإمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص)[٥].

جاء الإمام (عليه السلام) بلفظة الصوم ومجاهدته وما فيه من المشقة الشاقة ومكايدة الجوع والعطش في الأيام الصيفية كما كنى عنه (عليه السلام) بقوله: **(وَ لُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ)**، والإنسان في كل تلك الأحوال متصور لجلال الله وعظمته وأنه إنما يفعل ذلك امتثالاً لواجب أمره وخضوعاً تحت عزّ سلطانه،

---

[١]ينظر: البرهان الزركشي:١٨٤/٢.، والتبيان:١٢٣/١.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٨١.
[٣]ينظر: معجم مقاييس اللغة:٣٢٣/٣. والتبيان :١١١٤/٢. ، والجوهر الثمين:١٨٥/١.
[٤]التعريفات:٧٧.
[٥]التبيان: ٢/ ١١٤.

وذلك مناف للكبر والترفع، إذ في الصوم كسر للنفس الأمارة بالسوء كما قال(صلى الله عليه وآله وسلم): إنَّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ؛ وذلك أنَّ وسيلة الشيطان هي الشهوات، ومبدأ الشهوات وقوّتها مداومة الأكل والشرب وبتضييق مجاريه ينقهر ، وينكسر نواجم وسوسته بالرذائل عن العبد، ويسكن حركات الأطراف التي مبدؤها تلك الوساوس ، وتخشع الأبصار، وتذّل النفوس، وتنخفض القلوب.[١]

يتضح لنا مما تقدم أن المصداق اللغوي للصوم هو مورد من موارد الاستعمال الشرعي مع زيادة شروط وقيود، كما هو دأب الشارع في جميع موضوعات أحكامه كالصلاة، والزكاة ، والبيع، ونحو ذلك.

رابعاً : الحَج والعمرة:ـ

وقوله (عليه السلام): (وَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ وَ يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ وَ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ وَ إِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ وَ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ وَ صَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَ وَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ وَ تَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ وَ يَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَماً وَ لِلْعَائِذِينَ حَرَماً فَرَضَ حَقَّهُ وَ أَوْجَبَ حَجَّهُ وَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ)[٢] .

الحج في لغة العرب: هو مطلق القصد.[٣]، على حين أخذت هذه اللفظة مدلول خاص ذي شروط ومواصفات خاصة في الشرع ، وبذلك نرى هذه اللفظة قد أحيلت إلى الإجمال في المدلول الشرعي الجديد فالآيات القرآنية لم تفسّر وتفصّل مناسك الحج وشروطه ولم تبين أركانه، ولا ما يحلّ، وما لا يحلّ في الإحرام وغير ذلك وتفصيل ذلك يدرك بالسنة، وإن أدراك بعضه بالقرآن ، كقوله تعالى في: (الوقوف، والسعي، والطواف)، وبيّن الله عزَّ وجلَّ ما يجب أن يمتنع منه ك(الرفث، والفسوق، والجدل ،وقتل الصيد)[٤]، إلاّ أنه تفصيل متداخل بالإجمال، ومن هنا بدا أن القرآن الكريم أجمل الحج، وبيّنته السنة النبوية الشريفة، بالفعل ،والقول، وهو غاية في البيان.[٥]، فبيّن الحج ، وزال ما فيه من إجمال.

وقد بيّن الإمام(عليه السلام) وجوب الحج على الخلق لبيت الله الحرام وقد وصفه بالحرام؛ لأنه يحرم على الخلق أن يفعلوا فيه ما لا ينبغي من مناهي الشرع، فجعله قبلة للأنام يردونه ورود الأنعام مبالغة في تشبيه ورود الخلق البيت بورود الأنعام، ووجه الشبه أن الخلق يردون البيت بازدحام عن حرص وشوق إليه كحال

---

[١] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):١٦٨/٤.
[٢] شرح نهج البلاغة(عبده):٢٤.
[٣] ينظر: لسان العرب:٤٨/٣.، والجوهر الثمين:١٦٥/١.
[٤] فقه القرآن: ٢٥٦/١.، وينظر الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم:٣١٣ـ ٣٢٠.
[٥] الموافقات:٢٤٨/٣.

الأنعام عند ورودها الماء، ومن فعل أعمال الحج فهو المخلص الذي ظهرت عليه علامة المخلصين، والمذعن المتواضع لجلال رب العالمين.[١]

فالمسلم حقاً يحس وهو ذاهب إلى الحج بأن دعوة نزلت عليه من السماء موقعة باسم الله ورسوله ؛ لكي يحضر الاحتفال بمكة في الوقت المعين، فيسرع رافعاً صوته(لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك)، فإذا واجه الكعبة خفق قلبه طرباً، وتساقطت دموع الفرح من عينيه على ما وفق إليه من الاستجابة لخالقه، والوقوف مواقف أنبيائه، والتشبيه بملائكته المصطفين بعرشه، كما قال الإمام (عليه السلام).[٢]

أما في (العمرة): فقد قال (عليه السلام) عنها: (إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ وَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ وَ إِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ وَ إِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ وَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ وَ حَجُّ الْبَيْتِ وَ اعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَ يَرْحَضَانِ الذَّنْبَ)[٣].

والعمرة لغة : هي الزيارة عموماً.[٤]، لكن في الدلالة الشرعية وردت مبهمة فلا يعرف المراد من تلك اللفظة وأعمالها ، وشروطها، وأفعالها، وأقسامها وبيّنها الشرع فهي(عبارة عن زيارة بيت الله بالعمل)[٥]، وشرائط وجوبها شرائط وجوب الحج، ومع الشرائط تجب في العمرة مرّة، وقد تجبُّ بالنذر وما في معناه، والاستئجار، والإفساد، والغوات، والدخول إلى مكة مع انتفاء العذر، وعدم تكرار الدخول ، ويتكرر وجوبها بحسب السبب.[٦].

ويؤكد الإمام (عليه السلام) ضرورة الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر ويغسلان الذنب فجمع فيه بين منفعة الدنيا والآخرة، أما منفعة الدنيا فكونهما ينفيان الفقر وذلك بسبب التجارة الحاصلة في موسم الحج، وقيام الأسواق بمكة حينئذٍ، وأما منفعة الآخرة فكونهما يغسلان الذنب عن لوح النفس.[٧]

هذه الأمور لم يدركها المتلقي عند سماعه بها ولم يفصّلها القرآن، وإنما جاء بتفصّيلها وتوضيحها السنة النبوية الشريفة ،وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) ،ومن هنا كان (الحج)، و(العمرة) من الألفاظ المجملة لاستعمالها في المجال الشرعي في القرآن الكريم.

---

[١]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):١٦١/١.
[٢]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٧١/١.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):١٦٣.
[٤]ينظر: مقتنيات الدرر:٣٤٢/١.
[٥]م.ن:٣٤٢/١.
[٦]ينظر:شرائع الإسلام: ١٦١ .
[٧]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٥٣٣/٣.

خامساً: الكافر:-

قوله (عليه السلام): (وَ الْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ عَلَى التَّعَمُّقِ وَ التَّنَازُعِ وَ الزَّيْغِ وَ الشِّقَاقِ فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ إِلَى الْحَقِّ وَ مَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ وَ مَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ وَ حَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ وَ سَكِرَ سُكْرَ الضَّلَالَةِ وَ مَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ عَلَيْهِ طُرُقُهُ وَ أَعْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَ ضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ)[1].

(ك.ف.ر) : الكفر ضد الإيمان من باب نصر، وجمع الكافر: كفار ، وكفرة ، وكفار بالكسر مخففاً كجائع وجياع، ونائم ، ونيام، وجمع الكافرة كوافر، والكفر أيضاً جحود النعمة وهو ضدَّ الشكر، وقد كفره من باب دخل وكفراناً أيضاً بالضم، وقوله تعالى: (إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ)[2]، أي جاحدون ، وقوله تعالى: (فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا)[3]، قال الأخفش وهو جمع كفر مثل برد وبرود، والكفر بالفتح التغطية وبابه ضرب، والكفر أيضاً القرية وفي الحديث (يخرجكم الروم منها كفراً كفراً)[4]، أي من قرى الشام.

والكافر : الليل المظلم ؛لأنه ستر بظلمته كل شيء، وكل شيء غطى شيئاً فقد كفره ، قال ابن السكيت ، ومنه سمى الكافر ؛لأنه يستر نعم الله عليه ، والكافر الزارع ؛لأنه يغطي البذر بالتراب والكفار، الزراع وأكفره دعاه كافراً، يقال لا تكفر أحداً من أهل قبلتك أي لا تنسبه إلى الكفر، وتكفير اليمين، فعل ما يجب بالحنّث فيها، والاسم الكفارة ، والكافور الطلع وقيل وعاء الطلع وكذا الكُفرّي بضم الكاف وتشديد الراء ،والكافور من الطيب.[5] والكفر لغة: هو الستر.[6] وهذا المعنى متحقق في الاصطلاح الشرعي، ولكن الدين الإسلامي أحدث تغيراً دلالياً في معنى الكفر واظهر تخصصاً في مجال هذه اللفظة بحيث أصبحت مقصورة على أشياء محددة ، ومن هنا دخل الإجمال فيها ، فاحتاج بذلك إلى من يفسر غموضها وإبهامها ليكون القارئ على بيّنة من لفظها، يقول الإمام الرازي: (أعلم أنه صعب على المتكلمين ذكر حدّ الكفر وتحقيق القول فيه أن كل ما ينقل عن النبي محمد (صلى الله وعليه وآله وسلم) أنه ذهب إليه وقال به فأما أن يعرف صحة ذلك النقل بالضرورة ،أو بالاستدلال ،أو بخبر الواحد.

أما القسم الأول : وهو الذي عرف بالضرورة مجيء الرسول(صلى الله وعليه وآله وسلم) به فمن صدقه في كل ذلك فهو مؤمن ومن لم يصدقه فأما أن لا يصدقه في جميعها، أو بأن لا يصدقه بالبعض دون البعض فذلك هو الكافر، فإذن الكفر عدم تصديق الرسول في شيء مما علم بالضرورة مجيئه به ومثاله من أنكر وجود الصانع أو كونه عالماً قادراً مختاراً أو كونه واحداً منزهاً عن النقائض

---

[1] شرح نهج البلاغة(عبده):٤٧٤.
[2] القصص :٤٨.
[3] الإسراء:٩٩.
[4] ينظر:كتاب الفتن: ٤٦٨/٢.
[5] ينظر:مختار الصحاح:٢٣٩/١.
[6] ينظر:العين:٨٦/٥.، والصاحبي:٤٥.

والآفات أو أنكر نبوة النبي محمد(ص)،أو صحة القرآن الكريم ، أو أنكر الشرائع التي علمنا بالضرورة كونها من دين النبي محمد(ص) كوجوب الصلاة، والزكاة ، والصوم، والحج، وحرمة الربا، والخمر، فذلك يكون كافراً؛لأنه ترك تصديق الرسول(صلى الله وعليه وآله وسلم) فيما علم بالضرورة أنه من دينه ، فأما الذي يعرف بالدليل أنه من دينه مثل كونه عالماً بالعلم أو لذاته ،أو أنه مرئيُ ، أو غير مرئي وأنه خالق أعمال العباد أم لا فلم ينقل بالتواتر القاطع لعذر مجيئه(عليه السلام) بأحد القولين دون الثاني بل إنما يعلم صحة أحد القولين وبطلان الثاني بالاستدلال، فلا جرم لم يكن إنكارهوالإقرار به داخلاً في ماهية الإيمان فلا يكون موجباً للكفر والدليل عليه أنه لو كان ذلك جزء ماهية الإيمان لكان يجب على الرسول (صلى الله وعليه وآله وسلم) ألاَ يحكم بإيمان أحد إلا بعد أن يعرف أنه هل يعرف الحق في تلك المسألة في جميع الأمة ولنقل ذلك على سبيل التواتر فلما لم ينقل ذلك دّل على أنه (عليه السلام) ما وقف الإيمان عليه وإذا كان كذلك وجب أن لا تكون معرفتها من الإيمان ولإنكارها موجباً للكفر، ولأجل هذه القاعدة لايكّفر أحد من هذه الأمة ولا نكّفر أرباب التأويل ، وأما الذي لا سبيل إليه إلاّ برواية الآحاد فظاهر أنه لا يمكن توقف الكفر والإيمان عليه فهذا قولنا في حقيقة الكفر.(١)

إذن الكفر هو خلاف الإيمان، وهو عدم تصديق الرسول في بعض ما علم مجيئه ضرورة، وقال البيضاوي تعريف الكفر في الشرع إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول (صلى الله وعليه وآله وسلم) به وإنما عدّ لبس الغيار وشدّ الزنار ونحوهما كفراً؛لأنها تدل على التكذيب ،فإن من صدق الرسول(ص) لا يجترئ عليه ظاهراً لا أنها كفر في أنفسها.(٢)

وجعل الإمام (عليه السلام) لدعامة الكفر أربع شعب من الفضائل يتشعب منها ويتفرع عليها فهي كالفروع لها والأغصان، فشعب الكفر الذي هو جحد الصانع أو إنكار أحد رسله عليهم، أو ما علم مجيئهم به بالضرورة وأحد هذه الفروع هي :

أولاً: التعمق وهو الغلو في طلب الحق والتعسف فيه بالجهل والخروج إلى حد الإفراط وهو رذيلة الجور من فضيلة العدل ويعتمد الجهل بمظان طلب الحق، ونفر عن هذه الرذيلة بذكر ثمرتها وهي عدم الإنابة إلى الحق والرجوع إليه ؛ لكون تلك الرذيلة صارت ملكة.

ثانياً: التنازع وهي رذيلة الإفراط في فضيلة العلم ويسمى جربزة يعتمد الجهل المركب،ولذلك نفّر عنه بما يلزمه عند كثرته وصيرورته ملكة دوام العمي عن الحق.

ثالثاً: الزيغ ويشبه أن يكون رذيلة الإفراط من فضيلة العفة وهو الميل عن حاق الوسط منها إلى رذيلة الفجور ويعتمد الجهل، ولذلك يلزمه قبح السنة وحسن السيئة وسكر الضلالة، واستعار لفظ السكر لغفلة الجهل باعتبار ما يلزمهما من سوء

---

(١)ينظر: مفاتيح الغيب:٢/٣٧-٣٨.
(٢)ينظر: تفسير البيضاوي :١/١١٧.

التصرف وعدم وضع الأشياء مواضعها، ويحتمل أن يكون إشارة إلى رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة المسماة غباوة.

رابعاً: الشقاق وهو رذيلة الإفراط من فضيلة الشجاعة المسماة تهوراً أو مستلزماً له،ويلزمها توعر المسالك على صاحبها وضيق مخرجه من الأمور؛ لأن مبدأ سهولة المسالك واتساع المداخل والمخارج في الأمور هو مسالمة الناس والتجاوز عما يقع منهم والحلم عنهم واحتمال مكروههم.[١]

يتضح مما تقدم أن لفظة الكافر مجملة لاحتمال الكفر لكل غطاء وستر؛ لأنه هو تغطية للحق، وكذا كفران النعمة وجحودها، وسترها، وتغطيتها، على حين جاء مدلولها الإسلامي الجديد يقتضي خصوصية محددة مغايرة لمدلولها اللغوي لكنه في الوقت نفسه متضمن شيء من المعنى اللغوي لها. فاحتاج بذلك هذا اللفظ إلى تفسير وتوضيح ليجعل المتلقي على بيّنة من مدلول هذه اللفظة المجملة في المدلول الشرعي الجديد.

سادساً: الإيمان: ـ

قوله(عليه السلام) : (الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَ إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَ عَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ)[٢].

عرّفت العرب المؤمن: من الأمان، والإيمان وهو التصديق من أمِن والأمانة ،والأمن:ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة والإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ضد التكذيب.[٣]إذن الإيمان هو التصديق بالقلب وهذا المعنى كان سائداً في لغة العرب القديمة، لكن هذا اللفظ اكتسب دلالات جديدة مستحدثة وتوافرت فيه شروط خاصة لكي تطلق عليه هذه التسمية في المصطلح الشرعي، من دون أن تتخلى عن مدلولها القديم.

الإيمان في الشرع:-

أولاً : علماء الكلام:

١ـ عرفه الأشعري: بأنه التصديق بالقلب واللسان معاً.[٤]

٢ـ الإيجي: (بأنه التصديق للرسول صلى الله وعليه وآله وسلم فيما عرف مجيئه به ضرورة فتفصّيلاً وإجمالاً فيما عرف(إجمالاً)[٥]

٣ـ وعرفه: الرازي بقوله بأنه(عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة كونه من دين النبي محمد صلى الله وعليه وآله وسلم مع الاعتقاد)[٦].

---

[١]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٤٠٢/٤.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٥٠٨.
[٣]ينظر: لسان العرب:١٦٠/١٦.
[٤]ينظر:(التفسير الكبير) الفخر الرازي:٢٥/٢.
[٥]ينظر:المواقف من علم الكلام:٢٨٤/١.
[٦]التفسير الكبير:٢٥/٢.

٤ـ وعرفه النسفي: بأنه (هو التصديق بما جاء به النبي صلى الله وعليه وآله وسلم من عند الله)[١].

٥ـ وعرفه أهل واصل بن عطاء وأبو الهذيل العلاف بقولهم: الإيمان (هو فعل كل الطاعات واجبة كانت أو مندوبة)[٢].

ثانياً:ـ الفقهاء.

إن الإيمان هو معرفة بالقلب وإقرار باللسان.[٣]، وبين الجرجاني في تعريفه للإيمان الفرق بين المؤمن، والمنافق، والكافر، والفاسق، فقال: الإيمان في الشرع (هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان) فمن شهد وعما ولم يعتقد فهو منافق، ومن شاهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أخل بالشهادة فهو كافر)[٤]، وقال النووي: (هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان)[٥].

ويؤكد مدلول الإيمان في المصطلح الشرعي قول الإمام(عليه السلام) في أن الإيمان الكامل هو معرفة بالقلب والمراد بالمعرفة هنا الاعتقاد الجازم المطابق للواقع سواء أكان عن علم أم عن تقليد لقوله تعالى:(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)[٦]، فالمطلوب من المؤمن الحق هو الخشوع لذكر الله، والتوكل عليه، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، و(**إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ**) ولابد من إظهار الإيمان بالقول تماماً كالعمل ؛ لأنه عبادة لله، ولكي يعرف المؤمن ويعامل بماله من الحق.و(**عَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ**) أي لابد أن يتجسم الإيمان بالعمل المحسوس، وكل عمل ثبت حكمه بضرورة الدين فهو ركن للإيمان كوجوب الجهاد ، والصوم ، والصلاة، والحج، والزكاة.[٧]

نستخلص مما تقدم إنَّ الإيمان قول وعمل ونيّة وتصديق بالجنان وعمل بالأركان والجوارح.[٨]، وبذلك وظّف المدلول الشرعي الجديد لفظة(المؤمن) بدلالة شرعية جديدة ذي شروط ومواصفات خاصة تتحدد لمن يلتزم بهذه اللفظة، لكنها بقت محافظة على معناها اللغوي الأصل وهو(التصديق) ،فأصبحت تعبر هذه اللفظة عن (حدث مخصوص)وبذلك نقل الإسلام اللفظة من محيط دلالتها الأولى ومن معنى عام إلى معنى خاص.

---

(١)العقيدة النسفية:١/١٥.
(٢)نقله عنها الرازي(في التفسير الكبير):٢/٢٥.
(٣)التعريفات:٣٢.
(٤)م.ن:٣٢.
(٥)صحيح مسلم بشرح النووي:١/١٢٤.
(٦)الأنفال:٤ .
(٧)ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤/٣٥٢.
(٨)ينظر:كتاب الإيمان:١/١٥١.

سابعاً: المنافق:

جاء قوله (عليه السلام)في نصائح للناس: (لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ وَ إِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ وَ إِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ وَ إِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَا ذَا لَهُ وَ مَا ذَا عَلَيْهِ)[١].

نجد في لفظة (المنافق) إجمال ؛لأن النفاق لغة: (بكسر النون ـ جمع النفقة ـ مثل رقبة رِقاب)[٢]، والنِفاق(بكسر النون أيضاً ، مصدر نافق، فعل المنافق، وهو إسرار الكفر وإظهار الإيمان)[٣].أما النَفاق(بفتح النون، فمن نفق:**الرواج :** ومنه نفقت السلعة: راجت ونفقت الماشية: ماتت)[٤] ، وقيل (أنّ المُنفق بالتشديد من النفاق، وهو ضد الكساد)[٥].

ولقد اختلف أهل اللغة في أصل النفاق: فقيل إنه مأخوذ من النفق، وهو السرب في الأرض الذي يستتر فيه كل من دخله، فسمي النفاق بذلك ؛لأن المنافق يستر كُفره).[٦] أو(أنه مأخوذ من نافقاء اليربوع، وهو باب جحره)[٧]، فاليربوع يحفر له جحراً ثم يسد بابه بترابه، ويسمى هذا المدخل ((القاصعاء))[٨]، ثم يحفر له مخرجاً آخر حتى إذا بقي من التراب قشرة رقيقة تركها حتى لا يعرف مكان هذا المخرج ، وسمي هذا المخرج ((النافقاء))[٩]، فإذا أتى عدواً أو خطر من قبل القاصعاء فضرب النافقاء برأسه ، وخرج منه هرباً، فكذلك المنافق يظهر خلاف ما يبطنه، أو يظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر.[١٠]، وإنما شبه النفاق نافقاء اليربوع من حيث أنه في ظاهره أرض مستوية وباطنه حفرة، قد أعدها اليربوع للتخلص وقت الحاجة فاستطاع بهذا أن يخدع الصائد فكذلك المنافق أظهر الإسلام وأبطن الكفر ليخدع النبي (صلى الله وعليه وآله وسلم) والمؤمنين بذلك.[١١]

وقد طابق هذا القول كلام الإمام(عليه السلام) في هذا النص (**لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ...**) فلسان المؤمن تابع لقلبه ، فلا ينطق إلاّ بعد تقديم الفكر فيما ينبغي أن يقوله، وقلب المنافق وذكره متأخر عن نطقه فكان لفظ الوراء، استعارة من المعنى المحسوس للمعقول.[١٢] أما المنافق فلا يشعر بالمسؤولية ولا يخشى دائرة

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٤٥
[٢]المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:٢٨٩/٢. مادة(نفق).
[٣]معجم لغة الفقهاء:٤٨٣.
[٤]معجم لغة الفقهاء:٣٠٥.
[٥]النهاية في غريب الحديث والأثر:٩٨/٥. (نفق).
[٦]ينظر لسان العرب:٢٣٧/١٢. مادة(نفق).
[٧]تاج العروس:٤٣١/٢٦. ، ولسان العرب:٢٣٧/١٢. مادة(نفق).
[٨]القاصعاء: وهو جحر يحفره اليربوع، فإذا فرغ ودخل فيه سد فمه لئلا تدخل عليه حية أو دابة، وقيل هو فم جحر اليربوع أول ما يبتدئ في حفره، وقيل هو تراب يسد به باب الحجر (لسان العرب:١٠/ ١٤٨) مادة (قصع).
[٩]ـ النافقاء: هو جحر الضب واليربوع وقيل: هو موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أُ تي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج(لسان العرب):١٢/ ٢٣٧.، مادة (نفق)).
[١٠]ينظر: تاج العروس : ٢٦/ ٤٣٢. ،ولسان العرب:١٢/ ٢٣٧. مادة (نفق).
[١١]ينظر: جمهرة اللغة:١٥٥/٣.(١٢)ينظر:م.ن: ١٥٥/٣.

السوء، ولذا يلقى الكلام جزافاً من غير تفكير وروية في أنه له أو عليه، ومعنى هذا أن كلامه سابق لشعوره وتفكيره.[١]

نستخلص مما سبق أنّ الألفاظ الإسلامية مجملة مبهمة وظفها الإمام(عليه السلام) في خطابه لتدل على ماهيات عدّة ، فكل لفظة لها دلالتها الخاصة بها ثم أصبحت مصطلحاً دعت الحاجة إليه في أمور معينة ، وأصبحت تقتضي تلك المصطلحات خصوصيات معينة، فأحدث القرآن الكريم لتلك المصطلحات(تخصيص) بحيث أصبح مدلول الكلمة مقصوراً على أشياء أقل عدداً مما كانت عليه في الأصل، ولهذا بقيت هذه الألفاظ تحتفظ بدلالتها القديمة إلى جانب دلالتها الشرعية الجديدة واحتاج ذلك الأمر إلى إيضاح المجمل من تلك الألفاظ ، وقد تكفلت السنة القولية، والفعلية ببيان هذه الألفاظ.[٢]

---

[١]ينظر: في ظلال نهج البلاغة :٢/٥٣٥.
[٢]ينظر:الرسالة الشافية :١٧٦.

المبحثالعاشر:دلالةأسلوب الإجمال في الاستفهام التعجبي:-

التعجب هو: (معنى قائم بالنفس يحصل من أدراك الأمور القليلة الوقوع المجهولة السبب)[١]، وعرفه الدماميني : (انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر يجهل سببه، ومن ثم قيل : إذا ظهر السبب بطل العجب)[٢].

كما في قوله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ)[٣]، أي كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة ، أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال ينبئ عن الانهماك في الغفلة أو الجهل ، وإما التعجب فلأن هذه الحال تأبى أن لا يكون للعاقل علم بالصانع وعلمه به يأبى أن يكفر، وصدور الفعل مع العارف القوي فطنة تعجب.[٤]وقد يأتي في القرآن الكريم كلام في صورة الاستفهام، ولكن المعنى يدل على التعجب نحو قوله تعالى: (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)[٥].

وخروج الاستفهام عن حقيقته إلى التعجب مجاز مرسل، والعلاقة بينهما هي علاقة لزومية ؛لأن السؤال عن الحال أي السبب يستلزم الجهل بذلك السبب، والجهل يستلزم التعجب وقوعاً أو أدعاء.[٦] ولقد خرج هذا النوع من (الاستفهام التعجبي) إلى دلالة الإجمال فأبهم لدى السامع معرفته، وهذا ما توخته نصوص نهج البلاغة في عبارتها فأصبحت العبارات غامضة الدلالة مبهمة لدى المتلقي، ثم فصلها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبذلك غدت النصوص مفصلة لدى المتلقي ، وانكشف إبهامها فعرفت بذلك الدلالة المراد معرفتها منها.

ومن هذا النوع ورد في نصوص نهج البلاغة قوله (عليه السلام): في نعيّ الأشتر (مَالِكٌ وَ مَا مَالِكٌ وَ اللَّهِ لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْداً وَ لَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ وَ لَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ)[٧].

قال الرضي : و الفند المنفرد من الجبال .نجد أنَّ لفظة(مَالِكٌ) قد جاء الإمام (عليه السلام) مستفهماً عنها(وَ مَا مَالِكٌ) ، فدخلها الإجمال بدلالة الاستفهام التعجبي من(مَالِكٌ)، لتفخيم وتعظيم شأنه، من حيث قوته في الدين.[٨]، وحضور (الحذف) من خلال حذف جواب الشرط؛لاجتماع القسم مع الشرط، والقاعدة تنص إلى حذف

---

[١]شروح التلخيص ، مواهب الفتاح:٢/٢٩٢.
[٢]حاشية الصبان على شرح الأشموني:٣/١٦.
[٣]البقرة:٢٨.
[٤]ينظر التلخيص في علوم البلاغة:١٦٨.
[٥]هود:٧٢.
[٦]ينظر: شروح التلخيص ، مواهب الفتاح:٢/٢٩٢.
[٧]شرح نهج البلاغة(عبده):٥١١.
[٨]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٥/٥٠٥.

جواب المتأخر وجوباً، لدلالة جواب الأول عليه.[١]، وهذا ما حصل في قوله: (لَكَانَ فِنْداً)، (لَكَانَ صَلْداً).

وبهذا الوصف والتفصيل عبر جواب القسم (لَكَانَ فِنْداً)، (لَكَانَ صَلْداً).يكون وصف الإمام(لمَالِكٌ) بكونه عظيم المنزلة في دينه وخلقه عالي الهمة في شجاعته ومرؤته، وفي جهاده وتضحيته.[٢] فمرة نراه يشبهه بالجبل، وتارة بالحجر الصلد: أي الصلب الأملس، (ف لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْداً) ؛لأن قطعة الجبل طولاً ، وليس الفند القطعة من الجبل كيفما كانت، ولذلك قال: لا يرتقيه الحافر؛ لأنَّ القطعة المأخوذة من الجبل طولاً في دقة لا سبيل للحافر إلى صعودها، ولو أخذت عرضاً لأمكن صعودها)[٣].

ثم وصف تلك القطعة بالعلو العظيم فقال:(ولا يوفي عليه الطائر، أي لا يصعد عليه ، يقال: أوفى فلان على الجبل: أشرف)[٤]

وبهذا تحققت دلالة التفصيل في لفظة الاستفهام التعجبي من نفيه (لمالك الأشتر) وتعظيمه وقد أجملها الإمام إجمالاً يدعو إلى تفصيلها ليزول عنها الإبهام والغموض.

---

[١] ينظر: شذور الذهب:٣٥٥.، وشرح ابن عقيل:٤٤/٤.
[٢] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤٧١/٤.
[٣] شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٤٥٨/٥- ٤٥٩.
[٤] شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٤٥٨/٥- ٤٥٩.

الفصل الثاني : دلالة أسلوب الإجمال في نطاق التركيب (الجملة):-

يتعدى الإجمال نطاق اللفظ، ليدخل نطاق التركيب (الجملة) فيعتري الجملة الإبهام والغموض وبذلك تحتاج إلى ما يزيل غموضها وإبهامها، والجملة العربية عند المناطقة عبارة عن موضوع، ومحمول، فالموضوع: أمر قد وضع أمام العقل ليحكم عليه حكماً من الأحكام، أما المحمول فهو الذي يكمل ذلك الحكم، وهو الذي يفيدنا تلك الصفة في الموضوع، فعند ما نقول (النار محرقة) النار هي الموضوع و(محرقة) هي المحمول.(١)

واستعمل القدماء مصطلح (المسند، والمسند إليه) بعد سيبويه وإن أوردوهم في كتبهم واستعملوا ما يقابلهما من (مبتدأ ، وخبر) ، و(فعل وفاعل) .

أما أهل البلاغة فأخذوا بمصطلحي (المسند، والمسند إليه)، وبنوا عليها دراساتهم، فالجملة عندهم تتكون من ركنين أساسين(المسند) وهو (المحمول) و(المسند إليه) وهو (الموضوع) عند أهل المنطق.(٢)

يتضح مما سبق أن المناطقة لا يعنيهم من الجملة إلاّ ركناها الأساسيان، ولا يعنيهم من هذين الركنين إلاّ استخراج الحكم المفاد من ارتباط أحدهما بالآخر.

أما اللغويون فيذهبون إلى أن كل عبارة تفيد معنى مستقل، وتفيد فائدة يحسن السكوت عليها، فهي جملة فـ(سبحان الله) و(وأسفاه) عندهم جملة لتحقق الشرط السابق فيهما، في حين أننا لا نرى في هاتين الجملتين موضوعاً ، أو محمولاً، ولكن القدماء أمكنهم التغلب على تلك المشكلة بفكرة التقدير فيقدرون فعلاً محذوفاً ، أو مسنداً إليه محذوفاً أو ضميراً.... وهكذا.(٣)

وهناك من العلماء من كانت الجملة عنده أربعة أنواع هي: الجملة الفعلية ، والجملة الاسمية،والجملة الشرطية ، والظرفية.(٤)ومنهم من قسّمها على ثلاثة أقسام هي: الاسمية، والفعلية، والظرفية.(٥) لكن جهود النحويين أقروا التقسيم الثنائي للجملة؛لأن الأسس التي أعتمدها النحاة في معالجة النصوص اللغوية تحصر تقسيمها في نوعين اثنين هما: الجملة الاسمية ، والجملة الفعلية.(٦)

---

(١)ينظر:من أسرار اللغة:٢٧٥ـ ٢٧٦.، ونحو التيسير:١٢٣.
(٢)ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل:٨٤ـ٨٥.
(٣)ينظر:من أسرار اللغة:٢٧٥ـ ٢٧٦.
(٤)ينظر: شرح المفصل:٨٨/١. والبرهان في علوم القرآن: ٣٢٥/٢.
(٥)ينظر:مغني اللبيب:٣٨/٢. وهمع الهوامع:١٣/١
(٦)ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه:٤٣. ، والعلامة الإعرابية في الجملة:٤١.

وعلى هذا الأساس(دأب النحاة القدماء في تقسيمهم الجملة على جملة اسمية ، وجملة فعلية، وهو تقسيم صحيح يقّره الواقع اللغوي ولكنهم بنوا دراساتهم اللغوية على غير منهجها فلم يوفقوا إلى تحديد الفعلية، والاسمية تحديداً يوافق طبيعة اللغة، فالجملة الاسمية هي التي تبدأ بالاسم ، والجملة الفعلية هي التي تبدأ بالفعل، أو كما قال ابن هشام :(الاسمية هي التي صدرها اسم، كزيد قائم، وهيهات العقيق، وقائم الزيدان عند من جوزّه وهو الأخفش ، والكوفيون.والفعلية هي التي صدرها فعل كقام زيد، وضّرب اللص، وكان زيدُ قائماً، وظننته قائماً ،ويقوم زيد ، وقم)[١].

على حين عرّف الجرجاني الجملة بأنها: (عبارة عن مركب من كلمتين أسندت أحدهما إلى الأخرى، سواء أفاد، كقولك:زيد قائم، أو لم يفد ،كقولك إن يكرمني، فإنه جملة لا تفيد إلاّ بعد مجيء جوابه فتكون أعمَّ من الكلام مطلقاً)[٢].

هذا وأن الإجمال في الجملة على وجهين هما:ـ

أ ـ دلالة أسلوب الإجمال في الجملة دون نسبتها.

ب ـ دلالة أسلوب الإجمال في نسبة الجملة.

---

[١]مغني اللبيب:٣٨/٢.
[٢]التعريفات :١٠٦.

المبحثالأول: دلالة أسلوب الإجمال في الجملة دون نسبتها:-

تتألف الجملة في أقصر صورها من ركنين أساسين هما المسند والمسند إليه، وهما مرتبطان بعلاقة الإسنادفلا يستغني أحدهما عن الآخر وما عدا هذين الركنين يسمى الفضلةعلى حد تعبير النحاة كالمفاعيل ،والحال، والتميِّز، والتوابع، ويسميها البلاغيون متعلقات الإسناد، أما المضاف إليه فهو بين الفضلة والعمدة، ،ذلك أنه قد يلتحق بالعمدة في حالة أضافته للعمدة كما في قولنا(أقبل عبد الله)،أو كما في قوله تعالى(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ).[١]، ويلتحق بالفضلة إذا أضيف إلى الفضلة نحو قولنا(أكرمت عبد الله)، أو كما في قوله تعالى:(وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ)[٢]، وليس معنى الفضلة أنه يمكن الاستغناء عنها في كل حال ، فهي قيود لا يمكن الاستغناء عنها في بنية السطح الصياغية لتوقف المعنى العميق عليها، وقد أشار السكاكي إلى قيمتها الدلالية المتمثلة بـ(تربية الفائدة)، وعدّد وجوه التقيد كالمصدر وظرفي الزمان والمكان ، والمفعول به ، والمفعول لأجله، والتمييز، وغيرها.[٣]، وكلما ازدادت المقيدات في الجملة ازداد معناها وضوحاً(لما هو معروف من أنّ الحكم كلما كثرت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً فتكون فائدته أتم وأكمل)[٤]. كما في قوله تعالى: (وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى)[٥]، فإنهلايمكن الاستغناء عن(كُسَالَى) التي هي فضلة بوصفها حالاً من قيامهم.[٦]، لكن قد تلحق الجملة بطرفيها والفضلة التي تلحقها للإبانة (الإجمال)، فتغدو بذلك الجملة بأسرها غامضة الدلالة مبهمة المراد فتحتاج إلى ما يفسّرها ويزيل إبهامها وغموضها.

وتعد الجملة المحكية بما يرادف فعل القول من الجمل النحوية التي هي موضع خلاف بين النحاة، فقد حكى لنا الشرجي الزبيدي(ت٨٠٢هـ) اختلافهم في توجيه هذا النمط من الجمل إذ ذهب المتقدمون منهم إلى أنها في محل نصب مفعول به إلاَّ أنهم اختلفوا في العامل فيها، فذهب الكوفيون إلى أن العامل هو الفعل المتقدم عليها، وذهب البصريون إلى أنها منصوبة بفعل مقدر[٧]، أما المتأخرون من النحاة فقد ذهبوا إلى عدّ هذه الجمل جملاً تفسيرية لا محل لها من الإعراب.[٨] وكأن مفهوم التفسير قد زال عنها بمجرد زوال حرف التفسير.[٩] أي إن وبعبارة أخرى يعود على الجانب الشكلي في السياق ويهمل بذلك جانب الوظيفة الدلالية، ثم انتقل صدى

---

[١] الفتح:٢٩.
[٢] إبراهيم:٦.
[٣] ينظر مفتاح العلوم:٢٠٩.، والبلاغة فنونها وأفنانها:٣٣٥- ٣٥٦.
[٤] جواهر البلاغة:١٥٧.
[٥] النساء:١٤٢.
[٦] ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ٧.
[٧] ينظر: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة: ٩٩- ١٠٠.
[٨] ينظر: م.ن: ٩٩- ١٠٠.
[٩] ينظر:مغني اللبيب: ٢/ ٧٦- ٧٧.

هذا الموقف إلى المحدثين إذ ذكر (فخر الدين قباوة) أن الجملة التفسيرية المرتبطة ضمنياً غالباً ما يكون لها في الإعراب وجه آخر.[١] ثم أحال القارئ إلى الجمل الواقعة بعد فعل يرادف فعل القول وبعد ذكره الخلاف في عامل النصب فيها عقب الكلام باحتمال آخر مفاده كون جميع هذه الجمل تحتمل التفسير أيضاً.[٢] فيترك القارئ في حيرة من أمره إزاء هذه الجمل . ومنها قوله تعالى: (وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ)[٣]، وجملة (هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) جملة اختلف في توجيهها، إذ ذهب الزجاج.[٤] وابن هشام.[٥] إلى أنها جملة مفسرة بينت حقيقة ما تناجوا به ، في حين ذهب الزمخشري إلى أنها تحتمل البدلية، أو النصب بقول مقدر.[٦] وقد وافقه في ذلك البيضاوي.[٧]وأبو السعود.[٨] في حين حكى صاحب ائتلاف النصرة هذه المسألة على أنها من المسائل الخلافية التي حملها البصريون على التفسير ووجهها الكوفيون على البدلية،؛ لأن ما فيه معنى القول يعمل في المحل.[٩]

وهذا مما ورد في نصوص نهج البلاغة:-

قوله(عليه السلام): (وَ يَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ وَ يُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَ هُدِيَ لَهُ وَ أَلَّا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هَذِهِ الْقُرَى وَدِيَّةً حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً)[١٠].

هذا الكلام من وصية له (عليه السلام) بما يعمل في أمواله ، وكتبها بعد منصرفه من صفين، والنص يحمل في فضائه الإجمال في جملتين وهما(وَ يَشْتَرِطُ) ، ثم في جملة صلة الموصول الاسمي المجمل(الَّذِي) وصلته الفعلية المجملة (يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ) ثم فصلها(عليه السلام) بقوله:-

١ـ أن تترك المال على أصوله ،كناية عن عدم إخراجه ببيع أو هبة أو بوجه من وجوه التمليكات.

٢ـ أن لا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هَذِهِ الْقُرَى وَدِيَّةً حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً، والحكمة في ذلك وجهان:-

---

[١]ينظر إعراب الجمل وأشباه الجمل: ٨١.
[٢]ينظر الجمل التي لا محل لها من الإعراب في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه: ١٤٢.
[٣]الأنبياء:٣.
[٤]ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣١١/٣.
[٥]ينظر:مغني اللبيب: ٢/ ٦١.
[٦]ينظر: الكشاف(للزمخشري): ٢/ ٥٦١.
[٧]ينظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٨٢/٤.
[٨]ينظر:إرشاد العقل السليم: ٤/ ٣٢٢ـ ٣٢٣.
[٩]ينظر: ائتلافالنصرةفياختلافنحاةالكوفةوالبصرة: ٩٨ـ٩٩.
[١٠]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٥٨.

أحدهما: أنّ الأرض قبل أن تشكل غرساً ربّما يموت فيها ما يحتاج إلى أخلاف فينبغي أن لايباع من فسيلها شيء حتى تكمل غرساً، وتثبت فلا يحتاج إلى شيء.

والآخر: أنّ النخلة قبل أن يشكل أرضها تكون بعد غير مستحكمة الجذع ولا مشتدة، فلو قلع فسيلها من تحتها ضعف جداً حتى لا تكاد تنتج فأما إذا قويت واشتدت لم يكن عليها بقلع فسيلها كثير مضرة وذلك حين يشكل أرضها ويتكامل غراسها وتتلبس على الناظر.[١]

وبهذا فصل الإمام إجمال الجملة المبهمة في (وَ يَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ) وفيه دلالة على عظم الأمر الموصى به (عليه السلام) وهو وضع كل شيء موضعه.

ويناظر ذلك في خطبة له(عليه السلام) في التنبيه إلى مكان العترة الطاهرة: (أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ (صلى الله عليه وآله) إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِمَيِّتٍ وَ يَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِبَالٍ فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ)[٢].

كشف النص عن وجود جملة مبهمة غامضة بها حاجة إلى تفصّيل وتلك الجملة(خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ (صلى الله عليه وآله) مبتدئاً الإمام خطابه بأسلوب النداء (أَيُّهَا النَّاسُ) الذي جاء في سياق التنبيه الموجه إلى المخاطبين للفعل المجمل(خُذُوهَا) ، وليؤكد التنبيه عبر ضمير الشأن المتصل بالأداة(إِنَّ) في(إِنَّهُ) وتفصّيل حدث الجملة المجملة في قوله: (يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِمَيِّتٍ وَ يَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِبَالٍ) فقد حمّل على المعنى الحقيقي في انّ أجساد أولياء الله تبقى غضة طريّةفي القبور وهم يتمتعون بنوع من الحياة فيسمعون كلام الآخرين ويردون سلامهم ، ولهم حياة الشهداء الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم:(وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)[٣]، وعليه فالعبارة (يَمُوتُ) تعني الموت الظاهري، والعبارة(لَيْسَ بِمَيِّتٍ)، تعني عدم الموت الواقعي ، وهكذا عبارتي(يَبْلَى) و(لَيسَ ببَالٍ). وقال بعض الشراح أن المراد بعدم الموت والبلى هنا المعنى المجازي، أي: أن آثارهم وتعاليمهم باقية بين الناس إلى يوم القيامة، وكأنهم أحياء.[٤]

وجاءت الفاء في أسلوب النهي (فَلَا تَقُولُوا) للتنبيه على الرجوع إلى العترة العارفين، وقد خرج أسلوب النهي إلى التوبيخ والتقريع لهؤلاء القوم الذين يجهلون مكانة آل بيت الرسول وينكرونهم مؤكداً عبر الأداة(إِنَّ) أكثر الحق فيما تنكرون فدعا التثبت في الأقوال ونهى عن التسرع بها . والجاهل قد ينكر الحق إذا خالف طبعه أو نبا عنه فهمه أو سبق اعتقاد ضده إليه بشبهةٍ أو تقليد فنّبه الإمام على أن

---

[١] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٧٧/٤.
[٢] شرح نهج البلاغة(عبده):١١٨.
[٣] آل عمران:١٦٩.
[٤] ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ٣٥٢/٣.

أكثر الحق فيما ينكرونه لئلا يتسرعوا إلى القول من غير علم ولذلك ذكر هذه القضية مرتبةبالفاء الواقعة في جواب النداء المتقدم.

وبهذا إشارة إلى أن معلومات الإنسان محدودة جداً وإنّ دقائق العالم عظيمة واسعة، وبحسب تعبير أحد العلماء:إن وقائع العالم بمنزلة كتاب ضخم فلو جمعت كافة علوم البشرية من أولها إلى آخرها لما أصبحت ورقة في ذلك الكتاب.[١]

وبهذا التفصّيل لإجمال الجملة المبهمة الدلالة في (خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ (صلى الله عليه وآله)) يبيّن الإمام منزلة (عترة النبي) و هي من الأمور الَتي أقرتها الإرادة الإلهية، وهي منزلة حباهم الله العزيز الحكيم إلى جانب كونها نعمة عظيمة أنعمها الله على الأمّة الإسلامية.

يمثل النص القرآني المرجعية الفكرية ، والفنية، والثقافية، للإمام(عليه السلام) ومن أرضيته الصلبة انطلق الإمام للتعبير عما ينبغي، وليرفد نصه بأدبية النص القرآني العالية لما يحمله من دلالات جمالية، وتأثير في نفوس المتلقي ليحقق عنصر الإفهام والإمتاع جاء ذلك في قوله(عليه السلام): (وَ تَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَ الْبَلَاءِ أَ لَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً وَ أَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً وَ أَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَ جَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَ قَهْرِ الْغَلَبَةِ لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ وَ لَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ)[٢].

وظّف الإمام الاقتباس القرآني .[٣] ليؤكد أهمية استحضار النص القرآني في قوله: (فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) وليتذكر المتلقي قوله تعالى: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ)[٤]، يدرك المتلقي عند قراءة الآية إنها تتكلم عن أحول الماضي من المؤمنين في أزمان الأنبياء السابقين فإنهم إذ كانوا مع كل نبيّ في مبدأ أمرهم في حال التمحيص والاستخلاص لقلوبهم بالبلاء أثقل أهل الأرض أعباءً قد اتخذهم الفراعنة عبيداً يسومونهم سوء العذاب ، هؤلاء كيوسف(عليه السلام) مع ملك زمانه، وكموسى وهارون ومن آمن معهما من بني إسرائيل في مبدأ أمرهم فإنهمكانوا حال التمحيص والبلاء بالصفات التي ذكرها(عليه السلام) قد اتخذتهم الفراعنة عبيداً.[٥]

و (يَسُومُونَهمْ سُوَءَ الْعَذَابِ) نجد هذه الجملة مجملة فلا يعرف ذلك التسويم ولا نوع العذاب المستحصل منه الذي كان آل فرعون يسّلطونه على قوم (موسى) (عليه السلام).

---

[١]ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ٣٥٢/٣.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٨٢.
[٣]الاقتباس هو: (أن يضمن المتكلم كلامه شيئاًمن القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف دون أن يشعر بذلك): علم البديع: (بسيوني عبد الفتاح): ١٣٧/٢.
[٤]البقرة:٤٩.
[٥]ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١٧٣/٤.

لذا فصّل سبحانه بالبدل ليفسّر إجمال هذه العبارة، وهو(بدل كل من كل) و((سُوءَ)اسم للعذاب الجامع للآفات والدّاء)[1]، والتفصّيل أوضح وأن عبارة(يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) هو ذبح الابناء واستحياء النساء أي(يفعلون ما يوجب زوال حياءهن من المنكرات)[2]،وقيل: (يتخذوهن إماء)[3]، والدليل على إن قوله(يُذَبِّحُونَ) بيان لقوله: (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) مفسراً بسائر التكاليف الشاقة سوى الذبح، وجعل الذبح شيئاً فيها آخر سوى سوء العذاب احتيج إلى (الواو)[4].

فبالترك ثبت أنّ البدل تفصّيل مفسّر لجملة (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) وفيه دلالة على عظم ما يتلقاه قوم موسى (عليه السلام) من أنوع العذاب، وأنه سبحانه أرسل إليهم موسى (عليه السلام) بالبينات، ليخلصهم من هذا العذاب ففيه بيان تفصّيلي لفضله تعالى على بني إسرائيل.

ومن كتاب له (عليه السلام): إلى قثم بن العباس* و هو عامله على مكة : (وَ مُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلَّا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَ الْبادِ فَالْعَاكِفُ الْمُقِيمُ بِهِ وَ الْبَادِي الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ)[5].

بدأ الإمام بكلام يحمل في طياته تنبيهاً لفت به أنظار السامعين من خلال الجملة المبهمة الدلالة (وَ مُرْ أَهْلَ مَكَّةَ) موضحاً لها تفسير لذلك الإجمال (أَنْ لَّا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً)، فيكون بذلك قد بيّن معنى(وَ مُرْ أَهْلَ مَكَّةَ) بنهيه أهل مكة عن أخذ الأجرة ممن يسكن بيوتهم، واحتج الإمام لذلك بالآية مفسراً لها: (سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ)، (كان هذا حجة متبعة يجب الأخذ بها ، أما وقد استدل بالآية فلابد من صرف ظاهرعن الحقيقة إلى المجاز، وحمل الأمر على الضيافة المستحبة؛ لأن موضوع الكلام مختص بالمسجد الحرام ، والآية نص فيه وردّ على المشركين الذين صدوا الناس عنه والتعبد فيه، **وهذه الآية كاملة(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)**[6]، والمسجد الحرام شيء وبيوت بين مكة التي هي موضع الكلام شيء آخر ولا صلة بين الاثنين لا موضعاً ، ولا حكماً، ولا أي شيء سوى علاقة الجوار، وهي تصلح للإستحباب لا للوجوب، أي لصرف الظهور عن الحقيقة، وهي الإلزام إلى المجاز وهو الرجحان.[7]

وبذلك نجد أن الإمام قد فصّل المراد من الجملة في النص نفسه لاستشعاره حاجة الجملة إلى جواب مفصّل لذلك الإبهام.

---

[1] التبيان في تفسير القرآن :١/٢١٧. ،ومجمع البيان:١/١٠٤.
[2] الميزان: ١/١٩٠.
[3] ينظر:الجوهر الثمين:١/٩٦.
[4] التفسير الكبير:٣/٦٨. .
* قثم بن عباس: وهو أخو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب جد النبي(ص) ، وكان الإمام ولاه مكة المكرمة، وبقي عليها حتى استشهد الإمام ، واستشهد قثم بسمر قند في زمن معاوية: ينظر في ظلال نهج البلاغة: ٣/ ٥٣٦.
[5] شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٣٣.
[6] الحج:٢٥.
[7] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤/١٧٤.

و من كتاب له (عليه السلام) إلي قثم بن العباس عامله على مكة :(أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْعُمْيِ الْقُلُوبِ الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ الْكُمْهِ الْأَبْصَارِ الَّذِينَ يَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ يُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ وَ يَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ وَ يَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ وَ لَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ وَ لَا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ وَ النَّاصِحِ اللَّبِيبِ التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ وَ إِيَّاكَ وَ مَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ وَ لَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً وَ لَا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلًا وَ السَّلَامُ)[١] .

يظهر استعماله للإبهام في الجملة في قوله (كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي) فهي جملة مجملة غامضة الدلالة، ومن ثم فصّل وبيّن فقال: (أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ...)، مؤكداً الخبر بـ(أَنَّ) حيث كان للإمام عيون وجواسيس على معاوية، فكتب إليه أحدهم أن معاوية أرسل دعاته في السر إلى مكة أيام الحج لينفثوا السموم والأكاذيب ضد الحق وأهله، فكتب الإمام إلى (قثم) هذا الكتابليحتاطللأمر، ويسد الطريق على العدو. وأراد الإمام أن يصور للمتلقي بوساطة(فن التقسيم)*، أهل الشام بأوصاف تستلزم البعد عن الله لغرض التنفير عنهم(الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ الْأَبْصَارِ)، وعمد إلى الاسم الموصول (الَّذِينَ) المجمل لزيادة تشويق السامع إلى أوصافهم حيث جملة الصلة وتفصيلها بأنهم(يَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) أي يخالطون الحق بالباطل ويعمون فيه، فالمراد أنهم يعلمون أن الإمام على الحق، وإن معاوية على الباطل لكنهم يكتمون ذلك ويغطونه بشبهة عثمان والطلب بدمه وإلى غير ذلك من أباطيلهم، وهم يطيعون معاوية في معصية خالقهم، ويشترون عاجل الدنيا بآجل الأبرار ، وهو ثواب الآخرة ولفظ (الشراء) مستعار لاستعاضتهم ذلك العاجل من ذلك الآجل، مؤكداً وعده بوساطة(النفي والاستثناء)، ومكرراً إياه بانحصار الفوز بالخير ممن عمل الخير ترغيباً فيه والمجازاة بالشر في فاعله تنفيراً عنه.

ثم ختم الإمام أمره بفعل الأمر المجمل(فَأَقِمْ)، ومجيء الإجمال مرة أخرى في الموصول الاسمي(مَا) في (مَا فِي يَدَيْكَ) بأن يقيم على ما في يديه من العمل مقام من هو أهل ذلك وهو الحازم المتثبت في آرائه، الصليب في طاعة الله، الناصح اللبيب له ولأوليائه، التابع لسلطانه، المطيع لإمامه ،ثم أجمل بجملة التحذير(إِيَّاكَ) والموصول الاسمي (ما) مما يتعذر منه وهو كل أمر عدّ في الشرع معصية وتقصيراً عن أداء حقه، ثم من البصر في النعمة والفشل والضعف عند البأساء والشدة لكون ذلك معداً لزوال وحلول النقمة، والبطر رذيلة تستلزم رذيلتي الكبر والعجب، وتقابل فضيلة التواضع والفشل رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة.[٢]

وهنا يتضح مضمون الكتابة المجملة التي كتبها له عينه أي (جاسوسه)، فحملتنا تلك الكتابة إلى تفصيلات مشوقة بينت تنبيه الإمام لعامله على مكة ليعتمد على مضمون الكتابة وفيما تقتضيه السياسة ليحتاط للأمر ، وقد أنطوى النص على

---

[١] شرح نهج البلاغة(عبده) : ٣٨٢ـ٣٨٣.
* سيأتي الكلام عنه في القادم من الأطروحة.
[٢] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٢٩٦/٤.

أكثر من إجمال ثم التفصيل وبذلك الإجمال والتفصيل يكون الوالي على أهبة الاستعداد لتسلم المسؤولية الإدارية بحزم وثبات، فجعل الوالي يتساءل أولاً بفعل الإجمال عن مضمونه، ثم يحقق له الجواب ثانياً بفعل التفصّيل ، فيقع حينئذٍ التفصّيل على نفس مشرئبة مستعدة، فيقع منا موقعاً يكون فيه ثبات الحكم.

ويناظر ذلك قوله عليه السلام: (وَ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ وَ يَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ فَاحْذَرْهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ وَ عَنْ يَمِينِهِ وَ عَنْ شِمَالِهِ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ وَ يَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ)[١].

هذا من كتاب له (عليه السلام) إلى زياد بن أبيه، وقد بلغالإمام أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه وتبرز هنا بنية الإجمال في جملة (يَأْتِي الْمَرْءَ) ودلالة الفعل (يأتي) هنا لتدل على جانب حركي مكاني، ثم تأتي عناصر التفصيل الأربعة في قوله: من (بَيْنِ يَدَيْهِ)وَ(مِنْ خَلْفِهِ) وَ(عَنْ يَمِينِهِ) وَ (عَنْ شِمَالِهِ) ، وهذه الاتجاهات الأربعة ذات الدلالة المكانية متضمنة في جملة الإجمال (يَأْتِي الْمَرْءَ). وهي تتميز فيما بينهابعلاقات المغايرة، ف(بَيْنِ يَدَيْهِ) أي: الأمام إذ يطمّعهم الشيطان في العفو ويغريهم بالعصيان ، والأمام مغاير هنا للخلف، حيث يذكرهم الشيطان خلفهم ويحسن لهم جمع المال وتركه لهم، و(اليَمِين) هنا مغاير للشمال، فاليمين يحسن لهم الشيطان الرئاسة والثناء، وأما الشمال فيجب الشيطان لهم اللهو واللذات.[٢]

إنَّ تعدد هذه الاتجاهات على التوالي ينم عن حركة دؤوبة للشيطان في غواية الإنسان الذي جعل الأخير مرتكزاً لها، فكلما أخفقت محاولة غواية جاءت الثانية، ثم الثالثة....، وهذه الصورة البارزة تدفع المتلقي نحو اليقظة والتنبه على أحابيل الشيطان، وتجنب العثرات، وبهذا نجد إنَّ الإجمال قد هيمن على بنية الجملة فأحالها إلى الغموض، ومن هنا جاء التفصيل ؛ ليوضح ذلك الإجمال وينأى الغموض عن النص بفعل التفصيل والتوضيح وكشفه للمتلقي.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (وَ اعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَ تَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ وَ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَ تَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ وَ لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ.... وَ سَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ وَ صِحَّةِ الْأَبْدَانِ وَ سَعَةِ الْأَرْزَاقِ)[٣].

وهذا الكلام من جملة أوامر أمر بها الإمام (عليه السلام) ولده (الحسن) (عليه السلام) والإجمال يكمن في موضعين في النص بقوله: (وَ أَمَرَكَ) و(وَ سَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ)، وفصل جملة (وَ أَمَرَكَ) بقوله: (أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَ تَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ)، إشارة إلى قوله تعالى:

---
[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٩١- ٣٩٢.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٣١٠/٥.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٧٥.

(وَاسْأَلُواْاللّهَمِنفَضْلِهِإِنَّاللّهَكَانَبِكُلِّشَيْءٍعَلِيمًا)[١]، ذلك أن إفاضة الرزق والرحمة وكل فضل منه تعالى.

أما جملة الإجمال الثانية(وَ سَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ...) فقد فصلها بقوله: (مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ وَ صِحَّةِ الْأَبْدَانِ وَ سَعَةِ الْأَرْزَاقِ)، إذ يشير الإمام(عليه السلام) هنا إلى ثلاث من النعم والمواهب التي أودعها الله في خزائن رحمته ولا يستطيع أي مخلوق إعطاء هذه النعم للإنسان وهي:

أولاً: العمر الطويل: الذي يتيح للإنسان أن يتحرك لبناء ذاته وتزكية نفسه وزيادة حسناته.

ثانياً: الصحة والسلامة: من دون هذه الصحة والسلامة يترتب على زيادة العمر سوى مزيد من الألم والمعاناة ، وأحياناً يؤدي إلى الابتعاد عن الله والإعراض عن رحمته.

ثالثاً: الرزق الوفير: لأن الإنسان من دون إمكانات مالية غير قادر على أداء الكثير من الحسنات والخيرات من قبيل صلة الرحم، وكفالة الأيتام، وإعانة المحتاجين، وبناء المدارس، والمستشفيات، ونشر علوم الإسلام، ومعارف أهل البيت(عليهم السلام)، وضيافة المؤمنين، وما إلى ذلك.[٢] هذه هي خزائن رحمة الله تعالى الذي لا يقدر على إعطائها أحد غير الله سبحانه وتعالى ، وبهذا التَّفصيل يكون الإمام قد أوضح ما كان مبهماً وبه حاجة إلى توضيح في النص.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (وَصِيَّتِي لكم أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً وَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وَ أَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ وَ خَلَاكُمْ ذَمٌّ)[٣].

هذا الكلام قاله(عليه السلام) بعد أن أصابته ضربة ابن ملجم اللعين قبل استشهاده، وجاء الإجمال في جملة (وَصِيَّتِي لكم) وهي جملة مجملة؛ لأن المراد منها مبهم غير واضح الدلالة، ففصله (عليه السلام) بقوله: (أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً...)فقد وصى (عليه السلام) بأمرين هما عمود الإسلام وبهما يقوم:

أحدهما: أن لا يشركوا بالله شيئاً، وهو التوحيد الخالص، والشهادة به أول مطلوب بلسان الشريعة.

والأخرى: الاهتمام بأمر النبي(صلى الله وعليه وآله وسلم) والمحافظة على سنته، ومن سنته وجوب إتباع كل ما جاء به والمحافظة عليه، وإقامة هذين الأمرين مستلزم للخلو من الذم، واستعار الإمام هنا لفظ (العمود) لهما ملاحظة لشبههما بعمودي البيت في كونهما سببين لقيام الإسلام وعليهما مداره كالبيت على عمده.[٤]

---

[١] النساء:٣٢.
[٢] ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ١٠/ ٥١٥- ٥١٦.
[٣] شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٥٦.
[٤] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٢٥/٤.

ويبدو أنَّ عظم هذه الوصية مضموناً وهي عدم الإشراك بالله، التزام سنة رسول الله(صلى الله وعليه وآله وسلم) هو الذي دعا لإبهامها في الجملة المجملة (وَصِيَّتِي لكم)، أولاً ثم تفصيلها ثانياً، ويعضد ذلك مجيء الأفعال المضارعة المجزومة (بلا) الناهية في (لَا تُشْرِكُوا) و(لَا تُضَيِّعُوا) ، ومجيء أيضاً أفعال الأمر (أَقِيمُوا) وَ(أَوْقِدُوا) لتكشف للمخاطب شدة حرص المتكلم على ضرورة تنفيذ هذين المطلبين ، وخلاهما ذم أي سقط عنهما الذم.

ومثل ذلك قوله (عليه السلام): (يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ وَ يُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ)[١].

نهى الإمام(عليه السلام) بطريقة بليغة عن جمل مبهمة يحذر بها من أشخاص معينين من قبل الولوج في بيان أسبابها، وذلك من خلال التفخيم والتعظيم الناتج من قوله(إِيَّاكَ) والذي هو من صنيع التحذير.[٢] وقد ذكر ذلك التحذير وأسباب النهي عنه على سبيل الإجمال الذي سيعقبه تفصيل يحدد أسباب التحذير من مصادقة الأحمق ، والبخيل، والفاجر، والكذاب. إذ بين (عليه السلام) الحذر منمصادقة الأحمق، ونفر عنه في قوله: (فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ)، وبين (عليه السلام) الحذر من مصادقة البخيل، ونفّر عنه بقوله: (فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ)، والحذر من مصادقة الفاجر وبينه بقوله: (فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ) ، وأخيراً حذر من مصادقة (الكذاب) ونفَّر عنه بتشبيهه بالسراب، وأشار إلى وجه الشبه بقوله: (يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ وَ يُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ)، أي يجعل الأمور العسرة البعيدة قريبة المتناول، ويبعد الأمور السهلة القريبة ويجعلها بعيدة المتناول، بحسب أغراضه وكذبه مع أنه ليس كذلك في نفس الأمر كالسراب الذي يظن ماء وليس به.[٣] وبذلك تظهر دلالة أسلوب الإجمال على التفخيم في الأمر، ثم بينه(عليه السلام) تفصيلاً كما بيّن في هذا النص.

ومنها قوله (عليه السلام): (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ حَقّاً عَلَى الْوَالِي أَلَّا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ وَ لَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ وَ أَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ وَ عَطْفاً عَلَى إِخْوَانِهِ أَلَا وَ إِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلَّا فِي حَرْبٍ وَ لَا أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْراً إِلَّا فِي حُكْمٍ وَ لَا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ وَ لَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ وَ أَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لِلَّهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ وَ لِي عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ وَ أَلَّا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ وَ لَا تُفَرِّطُوا فِي صَلَاحٍ وَ أَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ)[٤].

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٤٨.
[٢]ينظر: معاني النحو:٥٣٧/٢.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٠٥/٥.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٩٩.

قدّم الإمام(عليه السلام) ما يجب على الوالي لمطلق لرعيته بوجه عام وجاء الإجمال في الجملة بقوله: (فَإِنَّ حَقّاً عَلَى الْوَالِي)، وتفصيله للحقوق الكلية في أمرين:

الأول: أَلَّا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ وَ لَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ، أي لا يغيره عنهم ما أختص به من الفضل والطول؛ لأن تغيره عنهم خروج عن شرائط الولاية.

الآخر: وَ أَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ وَ عَطْفاً عَلَى إِخْوَانِهِ،أي أن الإنسان الجالس في مسند الرئاسة والقدرة لا ينبغي له الاستبداد والابتعاد عن الناس بل بعكس ذلك يجب تحليه كلما ازدادت نعمة الله عليه أن يقترب من الناس أكثر فأكثر ويتواصل معهم من مواقع المحبة والشفقة وهم الذين يصفهم(عليه السلام) : بأنهم(إخوانه) لأن شكر هذه النعمة لا يتيسر إلاّ من هذا الطريق.

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ وَ خُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ وَ إِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ وَ السَّلَامُ).[١]

هذا من كلام قاله(عليه السلام) في رسالة أرسلها إلى معاوية مع جرير بن عبد الله البجلي، وجاء الإجمال في الجملة بقوله: (خَيِّرْهُ) فالمراد من التخيير مبهم غير واضح، ففصله(عليه السلام) عبر التضاد بين (حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ)و(سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ)، وجاءت (أو) هنا للتخيير إذ أن دلالة التخيير يجب أن تقع بعد الطلب، وقبلَ ما يمتنع فيه الجمع.[٢] أي فعل أحد الأمرين وهو أما الحرب المجلية أي التي تجلي المقهورين فيها عن ديارهم، أو سلم مخزية أي سلام فيه ذلٌّ وفضيحة وجاءت الأداة الشرطية(إنْ) التي يؤتى بها للدلالة على الشرط غير المقطوع بوقوعه لـ(أن الأصل في (إنْ) أن لا يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه)[٣]، فالمعنى قائم على معادلة بين فعل اختيار السلم الذي بدوره يقود إلى البيعة وإذا بايع بعد الامتناع، فقد دخل تحت الهضم ورضي بالضيم وذلك هو الخزي.[٤]

وبذلك يكون (عليه السلام) قد بين إجمال جملة (خَيِّرْهُ) في النص، لتعظيم الأمر المتضمن في التخيير نرى الإمام(عليه السلام) أجمل بداية، ثم فصله ليبينه فيما اشتملت عليه من خيارات مهمة تنهي الأمر مع معاوية بكلمة واحدة : البيعة، أو الحرب.

---

[١] شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٤٧.
[٢] ينظر:الكتاب:١٨٤/٣. وحروف المعاني الزجاجي: ٥١. ومعاني الحروف:٧٧. واللمع: ١٧٥.
[٣] الإيضاح:٩١.، وينظر الطراز: ٢٩٨/١.
[٤] ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ١٥٦/٤.

ونختم كلامنا بقوله(عليه السلام): (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ)[١].

هذا الكلام قاله الإمام لعاصم بن زياد بعدما شكاه أخوه(العلاء بن زياد الحارثي) قائلاً الإمام له، وماله؟ قال العلاء: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا ، فقال الإمام عليّ به، فلما جاء قال الإمام ياعدوّ نفسه لقد أزلك الشيطان وجعلك هائماً لا تهتدي إلى رشد، كيف تقعد عن العمل وأنت مسؤول أمام الله عن أسرتك ومجتمعك، وهل منحك الله العقل لتلبس العباءة وتقيم الصلاة؟ فرد عاصم عليه: ياأمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك، فرّد الإمام : ويحك إني لست كأنت، ثم نبّه الإمام على مسألة صاغها له بطريقة الإجمال مؤكداً الجملة المبهمة الدلالة ب(إنّ) في (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ).

فهنا نرى المتلقي يتلهف إلى سماع المبهم من تلك الجملة الغامضة الدلالة ففصله الإمام بقوله: (أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ)، يتضح لنا من خلال الرد المفصّل أنه على القائد أعباء قاسية وجسيمة ، وأولها: إقامة العدل والمساواة بين الناس في السّراء والضرّاء على أن يبدأ القائد بنفسه وأهله. وإن وجد فقير واحد في رعيّته عمل بدفع المضرّة عنه، وإن عجّز شاركه في مكاره العيش لئلا يزداد ألماً على ألم ، أو يعيبه ويعيره ببلواه عائب ومعيّر ما دامت هذه هي حال الخليفة ودنياه، إذن خشونة الإمام في عيشه جزء من جهاده وعمله من أجل الفقراء والمستضعفين ، وفضيلة من فضائل القادة والحاكمين، أما خشونة (عاصم) وأمثال عاصم فجمود وانهزام.[٢]

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٠٦.

[٢]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٢٤٠/٣.

المبحث الثاني: دلالة أسلوب الإجمال في نسبة الجملة:ـ

هو ما كان مفسراً لجملة مبهمة النسبة الإسنادية بين(المسند، والمسند إليه) ، ويأتي تفصيلها بـ(التمييز) أو(ببدل الاشتمال).

والتمييز المبين لإبهام النسبة: هو ما يبين إجمال نسبة الشيء إلى شيء.[١]، أو هو ما يرفع الإبهام في الجملة كقولك: (طاب زيدُ نفساً) ، و(تصبب عرقاً)، و(تفقأ شحماً).[٢]ألاّ ترى أن الطيبة في قولك (طاب زيدُ) مسندة إليه، والمراد شيءُ من أشيائه، ويحتمل ذلك أشياء كثيرة كلسانه ، وقلبه، ومنزله، وغير ذلك، وكذلك التصببُ ، والتفقؤ يكون من أشياء كثيرة.[٣].

وبذلك يفيد التمييز إزالة الغموض والإبهام ويحدد القصد، وذلك نحو أن تخبر بخبر ، أو تذكر لفظاً يحتمل وجوهاً ، فيتردد المخاطب فيها، فتنبّهه على المراد بالنّص على أحد محتملاته تبيناً للغرض ولذلك سُمّي تمييزاً ، أو تفسيراً.[٤]

أما النسب في الجمل المفصّلة (ببدل الاشتمال) فهي مجملة، فبدل الاشتمال (هو بدل شيء من شيء ، ويشتمل عامله على معناه بطريقة الإجمال : كأعجبني زيدُ علمه، أو حسنه، أو كلامه)[٥]، فـ(الثاني بدل من الأول وليس إياه، ولا بعضه وإنما هو شيء اشتمل عليه، والمراد بالاشتمال أن يتضمن الأول الثاني فيفهم... إن المعجب ليس زيداً من حيث هو لحم، ودم، وإنّما ذلك معنى فيه)[٦]، مشتمل عليه.[٧]، كالعلم، أو الحسن، أو الكلام.[٨]، ومن هنا جاءت تسميته بهذا الاسملاشتمال الفعل المسند إلى المبدل منه على البدل؛ ليفيد ويتم، فإن العامل ـ الإعجاب ـ قد اشتمل على جميع ما يمكن أن يعجب من زيد على طريق الإجمال ثم التفصيل إذ أنه(يدل عليه دلالة إجمالية؛ لكونه لا يناسب نسبته إلى ذات المبدل منه، ففي قولك: أعجبني زيدُ علمه، الإعجاب لا يناسب نسبته إلى ذات زيد التي هي مجموع لحم ، وعظم، ودم، فيفهم السامع أن المتكلم قصد نسبته إلى صفة من صفاته كعلمه، أو حسنه، وفي قولك: سُرق زيدُ ثوبه، إنّما يفهم السامع إن المتكلم

---

[١]ينظر: معاني النحو:٢/٠٧٥٠.
[٢]ينظر: م.ن:٧٥٠ـ٧٥٢. ، وشرح المفصل ابن يعيش:٧٠/٢
[٣]ينظر: شرح المفصل(الزمخشري): ٣٦.، وهمع الهوامع:٦٨/٤.
[٤]ينظر شرح المفصل(الزمخشري):٣٦.
[٥]حاشية الصبان: ١٨٥/٣.
[٦]شرح المفصل ابن يعيش:٢٦٠.
[٧]فشرطه أن يكون مشتملاً على الثاني ، والثاني قائم به: ينظر : لباب علل البناء والإعراب (العكبري) :٤٣١/١.
[٨]ينظر: حاشية الصبان :١٨٥/٣.

قصد نسبته إلى شيء يتعلق به كثوبه، أو فرسه، فقد دل العامل المنسوب إلى المبدل منه في الظاهر إجمالاً[١].

فجاء بدل الاشتمال ليكشف هذا الإجمال ويوضحه تفصيلاً ، وقد لمس النحاة هذه الدلالة في هذا البدل ، يقول الرضي: (والفائدة في بدل البعض والاشتمال: البيان بعد الإجمال، والتفسير بعد الإبهام لما فيه من التأثير في النفس، ذلك أنّ المتكلم يحقق بالثاني بعد التجوّز والمسامحة بالأوّل)[٢]، تفصيلاً للمذكور أولاً.

وقد تضمت نصوص نهج البلاغة هذا النوع من الإجمال فقد قصد الإمام الإجمال أولاً، ثم التفصيل ثانياً ؛ ليكون أوقع في النفس ،ومما ورد في النهج من هذا النوع من الإجمال.

من ذلك قوله (عليه السلام) في كلام له كان يقوله لإصحابه في بعض أيام صفين: (وَ طِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً وَ امْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً)[٣].

ورد التفصيل بـ(نفساً) وقد نصب على التمييز، ليبيّن إجمال النسبة (طِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ)، في مقام تحريك الهمة، والترغيب في الجهاد من خلال توطين النفس وتهوينها للموت الذي هو غاية ما يلاقونه من الشدائد في الحرب ، بالبشارة بما هو أعظم وأجل من الحياة الدنيا المطلوبة بترك القتال وهو ما أعدّ لهم من الثواب الباقي، وهذا كما يقول أحدنا للمنفق ماله مع حبّه له طب نفساً عّما ذهب منك ، فإن الصدقة مضاعفة لك عند الله وتجدها خيراً ، وأعظم أجراً، ثم أمره بالمشي إلى الموت مشياً سهلاً لا والمعنى أقبلوا على الموت راغبين لا كارهين.[٤]

وبهذا يؤكد (عليه السلام) الجهاد بأمرين من قبيل اللازم ، والملزوم ودل (التمييز المفصل) على أن الجملة الإسنادية (وَ طِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ) مجملة غامضة الدلالة، وأن الإتيان[٥]، بـ(التمييز) حقق دلالة طيب النفس بـ(النفس) وتهوينها للموت، وإن الشهادة في سبيل الله هي ضالة أهل الإيمان فأكد الإمام (عليه السلام) على عدم الاكتفاء برفض الخشبة والخوف من الشهادة بل لابدّ من استقبالها بكل رحابة الصدر.

---

[١]حاشية الصبان :١٢٥/٣.
[٢]شرح الرضي على الكافية:١٠٧٨.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ٨٩.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني)٣٤٢/٢، وفي ظلال نهج البلاغة:٣٢٦/١.
[٥]ينظر: شرح نهج البلاغة (الشيرازي):٦١/٣.

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): (فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً وَ إِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ وَ إِنِ اجْتَهَدْتَ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ)[١].

هذا الكلام مقطع من وصية أدلى بها إلى الإمام الحسن(عليه السلام)، وقد جاء بالتمييز (نَصِيحَةً)، تفصيلاً لإجمال النسبة في الجملة المضارعة المنفية (لَمْ آلُكَ)، ودلالته على الاستمرارية ، فالإمام وبسبب شفقته ومحبته الشديدة لولده لم ولن يدع رأياً نافعاً ونظراً مفيداً لولده إلاّ وذكره نافياً من خلال الجملة المنفية فيه(لَنْ تَبْلُغَ.... مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ) لتدل على الزمن المستقبل البعيد على سبيل التأبيد، ومما يدل على هذا الزمن ورود الجملة الاعتراضية (وَ إِنِ اجْتَهَدْتَ)، فالاجتهاد لا يكون في زمن قصير، وإنما يكون في زمن طويل، ولاسيما أنه حيال علم غزير، ونظر طويل، والجملة الاعتراضية قد تجيء لتأكيد الجملة التي اعترضت فيها.[٢] فالإمام الحسن (عليه السلام) وهو ولد شاب لا يمكن أنّ يحيط بالأمور كإحاطة والده الإمام علي (عليه السلام).

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام) في حكمة: (كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكاً وَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيماً)[٣].

نجد أنّ الإمام علياً (عليه السلام) يرصد فضيلتين أساسيتين يمثلان وجهاً من وجوه الرقي الإنساني ألاّ وهما (القناعة) ، و(حسن الخلق)، وجاءت هاتين الفضيلتين عبر الإجمال في نسبة الجملة وقوله: (كَفَى بِالْقَنَاعَةِ)، وتحتمل تلك الجملة دلالات متعددة، لذا جاء (عليه السلام) بـ التمييز (مُلْكاً) فأوضح مسألة كفاية القناعة، واستعار هنا لفظ (المُلْك) للقناعة لأن غاية الملك الغناء عن الخلق والترفع عنهم بذلك والالتذاذ به والقناعة مستلزمة لهذه الغايات، وجاء معطوفها ونسبته المجملة في قوله (وَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ) وأوضحها بـ التمييز(نَعِيماً) واستعارته أيضاً للفظ النعيم لحسن الخلق باعتبار استلزامها للالتذاذ.[٤]

ويناظر ذلكقوله(عليه السلام): (كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ)[٥].

هذه دعوة صريحة إلى ضرورة التمسك بجانب مهم من جوانب السلوك الأخلاقي، وجاء الإجمال في نسبة الجملة الغامضة الدلالة (كَفَاكَ) فلا يفهم دلالتها، وجاء (عليه السلام) بالتمييز (أَدَباً)ليوضح مسألةاجتناب الرذائل ، فمن ينسجم مع

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٧٣.
[٢]ينظر: الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم، طلال يحيى ، بحث منشور في مجلة (آداب الرافدين) ع: ٢٥ لسنة ١٩٩٣: ٢٢١- ٢٢٢.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):٤٧٦.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني)٥/٤٥٧.
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده):٥٠٦.

نفسه، وينصف الناس منها فهو الأديب المهذب، وليس من الآداب والأخلاق في شيء أن تطلب من غيرك ما تركته أنت عن تقصير وعمد.[١]

وأيضاً قوله (عليه السلام): (فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ وَ أُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ)[٢].

نلحظ أنّ التمييز (وَاعِظاً) جاء ليوضح ويفصّل إجمال النسبة بين الفعل (كَفَى) والفاعل(بِمَوْتَى) إذ جاء ليبيّن شّدة الاعتبار والعظة في ذكر الموت، ومعاينة أحوال الموتى، وذلك في معرض التنبيه والتحذير لهم، إلى جانب قيد الحال في الجملتين الأخيرتين وما رسمه من صورة الموتى في حال حملهم وإنزالهم، فمن دون هذه القيود يجيء تركيب الجمل مبهماً غير دال على ما كان يهدف إليه البيان العلّوي.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (وَ لَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً وَ مَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلّاً).[٣]

مدح للدنيا باعتبار استعمالها على الوجه المقصود بالعناية الإلهية وهو الاعتبار بها دون الرضا بها لذاتها واتخاذها وطناً ، ودار إقامة وفاعل(نعم) هو دار من لم يرض ، والمخصوص بالمدح هو الدنيا، و(دَاراً) و(مَحَلّاً)، منصوبان على التمييز ومفسران لإجمال نسبة الجملة المنفية في (لَمْ يَرْضَ بِهَا) و(مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا) ، وهما يقومان مقام اسم الجنس الذي هو فاعل(نعم)إذا حذف ، وههنا مسألتان:

أحدهما: أنّ اسم الجنس الذي هو اسم نعم وبئس تضاف في العادة الألف واللام، وقد جاء مثله في الشعر كقوله: فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم.[٤]

الأخرى: أنه جمع بين اسم الجنس والنكرة التي تبدل منه، وقد جاء مثله في قوله: فنعم الزاد زاد أبيك زاداً وإنما أضاف داراً إلى من لم يرض بها، ومحلاً إلى من لم يوطنها؛ لأنّ الدنيا إنما تكون داراً ممدوحة باعتبار كونها دار من لم يرض بها ولم يوطنها لاستلزام عدم رضاهم بها ، للانتفاع بالعبر بها واتخاذ زاد التقوى وأولئك هم المتقّون السعداء بها ، ويحتمل أن يكون داراً ومحلاً منصوبين على التمييز عن قوله(لَمْ يَرْضَ بِهَا، ولَمْ يُوَطِّنْهَا).[٥]

وهذا أوفق لبيان إجمال نسبة الجملة المنفية في(لَمْ يَرْضَ بِهَا) و(ولَمْ يُوَطِّنْهَا) ، ولولا التمييز في(دَاراً)، و(مَحَلّاً). لما عرفت دلالة الإجمال وبذلك أزال الغموض والإبهام في نسبة الجملة مبيناً إياه للسامع ولتعطينا درساً أخلاقياً ودينياً فيه مزيد من التوبيخ للسامع في عدم اتخاذ الدنيا داراً دائمة ، بل هي دار مؤقتة ، فعلى الإنسان أن يضع في مخيلته أنه معرض للموت حتى يقل عمله في الدنيا بحسب الضرورة، وعليه أن يضاعف عمله للآخرة.

---

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤٥٤/٤.
(٢) شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٦٧.
(٣) م.ن: ٣٢٥.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني) :٥١/٤.
(٥) ينظر : م.ن:٥١/٤..

وقوله أيضاً (عليه السلام) في القرابة: (أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَ لَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ)[١].

هذا المقطع من النص يشير إلى النهي عن العدول عن سد خلة الأقرباء وأولي الأرحام ذوي الحاجة بالفضل من المال، وصرفه في غير وجهه من المصارف غير المرضية لله سبحانه، وجاء بدل الاشتمال في (أَنْ يَسُدَّهَا)، مفصّلاً الإبهام في (أَلَالَايَعْدِلَنَّأَحَدُكُمْعَنِالْقَرَابَةِ)، أي لا يعدلن عن سد حاجة القرابة ، مثل أعجبني زيد ثوبه: أي أعجبني ثوب زيد.[٢]فالتفصّيل أوضح في عدم حرمان القرابة مما يتمتع به الإنسان من إمكانات وثروات، وكنّى الإمام بالسد الذي هو حقيقة في منع جسم لجسم عن المنع المعقول وهو منع الاختلال في حال الإنسان كناية بالمستعار، وأراد بالزيادة والنقصان الذين لا يعتبر تأثيرهما في صلاح حال الإنسان وعدم صلاحه، فإن الفضل الزائد في مال الإنسان على القدر الذي يدفع ضرورة بحسب الشريعة ليس زيادته معتبرة في صلاح حاله، ولا نقصانه معتبراً في فساد حاله فلا يزيده إذن إنّ أمسكه ولا ينقصه إن أهلكه وهذا كما يقول الإنسان لمن يريد أن يسهل عليه أمراً حقيراً يتشدد في طلبه : إنّ هذا الأمر لا يضّرك إن تركته ولا ينفعك إن أخذته أي بالنسبة إلى صلاح حالك.[٣]، أو يحتمل بالزيادة والنقصان في الثواب والأجر في الأجل والثناء والذكر في العاجل أي: لا يزيده صلاح حال عند الله وعند الناس يكون سبباً لفساد حالهعند الله، فإمساك الفضل من المال عمّن له إليه ضرورة من عباد الله سبب للشقاء العظيم ، والعذاب الأليم في الآخرة، وأما عند الناس فعليك بمطالعة مقالاتهم في ذّم البخل والبخلاء.[٤]

يتضح لنا مما تقدم أنّ مجيء البيان في (بدل الاشتمال) قد أزال الإبهام والإشكال في نسبة الجملة المبهمة الدلالة ولولاه لظلت نسبة الجملة مفتقرة إلى إيضاح، لذا كان التشويق باعثاً لكل مؤمن يرجو رحمة ربه ويتمنى دخول جناته أن يهب لمساعدة ومعونة الأقرباء ليظفر بثواب الآخرة وبركات الدنيا وينال الذكر الطيب والأحدوثة الحسنة.

ومثل ذلك قوله(عليه السلام): (وَ قَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَ ظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ)[٥].

نجد أن النسبة في(قَلَّبْتُهَذَاالْأَمْرَ) مبهمة؛لأن علم المخاطبين بتقليب الإمام لهذا الأمر مجمل غير واضح الدلالة، فحدد الإمام نسبة العلم باستعماله بدل الاشتمال (بَطْنَهُ، وَ ظَهْرَهُ) ، وأفاد التفصّيل (ببدل الاشتمال) أنه درس هذا الأمر بدقة وإمعان من شتى جهاته حتى أقلق راحته ومنعه من النوم، فلم يجد بداً من قبوله فحقق بذلك(البيان بعد الإجمال ، والتفسير بعد الإبهام لما فيه من التأثير في النفس)[١].

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):٥٠.
[٢]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١٧١/١.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٣٨/١.
[٤]ينظر:م.ن: ٢٣٨/١.
[٥]شرح نهج البلاغة (عبده):٨١.
[١]شرح الرضي على الكافية:١٠٧٨.. ، وينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم:٤١/٤.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام) : (فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً وَ أَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشِّقْوَةِ)[٢].

نلحظ أن جملة (فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ) مجملة النسبة إلى الإنسان ، ففصّل (عليه السلام) هذه النسبة في (أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ) وهو بدل اشتمال من (ذِي غَفْلَةٍ).[٣] فبالتفصّيل أوضح أن ستر الأجل عن الإنسان موجب للغفلة عنه فإذا انضاف إلى ذلك خداع الأمل الناشئ عن وساوس الشيطان في تزينه المعصية وتسويفه التوبة مع كونه موكولاً به وقريناً له كما قال سيد المرسلين (صلى الله وعليه وآله وسلم)، (ما من مولود إلاّ ويولد معه قرين من الشيطان) ، كانت الغفلة أشد والنسيان أكد، وبهذا فسّر لنا إجمالية مبهمة**(فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ)،** فالحسرة على ذي الغفلة من ماذا؟ ففصلها (عليه السلام) ببدل الاشتمال (بأَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ) حُجَّةً عليه في اغتنامه لذّة العيش في الحياة وتصوير الشيطان للإنسان الخداع له ولطول الأمل فكان في التفصيل أوقع الأثر في النفوس (لأن السامع إذا لم يفهمه انتظر فإذا فُسر ، أو فُصّل تمكّن في ذهنه أكثر)[٤].

ونختم كلامنا بقوله (عليه السلام): (وَ يُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ وَ يَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ وَ يَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ)[٥].

يسجل (بدل الاشتمال) في (دَرَّهَا) حضوره في التفصّيل لمعرفة الإبهام في الجملة(يَحْتَلِبُونَالدُّنْيَا)، واستعار الإمام لفظ (الدَّرَّ) لمتاع الدنيا وطيباتها، ولفظ (الاحتلاب) لاستخراج متاعها بوجوه الطلب من مظانه ملاحظاً لشبهه بالناقة، وإنما كان ذلك بالدين؛ لأن إظهارهم لشعاره وتمسكهم بظواهره لغرض تحصيل الدنيا وأخذهم ما لا يستحقونه منها، فإن محاربتهم له(عليه السلام) إنما كانت كما زعموا للأخذ بثأر الخليفة عثمان، وإنكار المنكر على قاتليه وخاذليه، ولذلك تمكنوا من تآلف قلوب العرب وأكثر جهال المسلمين على حربه (عليه السلام) وأخذ البلاد.[٦]

وبذلك التفصّيل في بدل الاشتمال (دَرَّهَا) أوضح النسبة الإجمالية المبهمة في الجملة، فأضفى حلاوة في المعنى تعمل على لفت انتباه المتلقي حينما يقع على مسامعه هذا الكلام.

---

(٢) شرح نهج البلاغة(عبده): ٨٦.
(٣) ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١/٣٢٦.
(٤) حسن الصنيع في البيان والمعاني والبديع:١٩.
(٥) شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٨٣.
(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/٢٩٥.

المبحث الثالث: دلالة أسلوب الإجمال في(حذف جملة جواب الشرط):-

يُعرف الشرط بأنّه: (تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وقيل: ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجاً عن ماهيته، ولا يكون مؤثراً في وجوده، وقيل: الشرط ما يتوقف بثبوت الحكم عليه)[١].

ويمثل الشرط واحداً من الأساليب المهمة في العربية: إذ يعتمد على مبدأ التعليق في صياغة بنيته التركيبية فهو(أسلوب لغوي ينبني بالتحليل على جزأين الأول منزلة السبب، والثاني منزل منزلة المسبب، يتحقق الثاني إذا تحقق الأول ، وينعدم الثاني إذا أنعدم الأول؛ لأنّ وجود الثاني متعلق على وجود الأول)[٢].

والحق أن التركيب الشرطيّ هو جملة، وهذه الجملة تتألف من عبارتين لا استقلال لإحداهما عن الأخرى، تسّمى العبارة الأولى (شرطاً) ، وتسمى العبارة الثانية (جواباً ، أو جزاءً)[٣]، لذلك تُعد الجملة الشرطيّة بجزأيها جملة واحدة تعبر عن فكرة تامة واحدة، وهي وحدة كلامية يعبر بها عن واحدة من الأفكار استحدثت بها.[٤]، ويشترط في الجملة الشرطية ما يشترط في الجملة الفعلية ، والجملة الاسمية، وهو أن تكون محتملة للصدق ، والكذب.[٥]

إذن فمن ناحية البناء فالتركيب الشرطي يتألف من جملتين بسبب طبيعة العلاقة الإسنادية في كل جملة، لكن من ناحية المعنى هو جملة واحدة ؛ لأنّ كل جزء من الجملة الشرطية ينزل منزلة المفرد في عدم إتمام المعنى إلاَّ بذكر الجزء الثاني، لكن العلاقة بينهما مركبة، وقد عبر عنها(ريمون الطحان) بـ (جمل بشقين)[٦]، إذاً السامع حينما يسمع الجملة الشرطية فهو ينتظر الجواب؛لأنّ المعنى يكتمل بها، وعلى هذا الأساس عد (الجرجاني) جملة الشرط وجوابه جملة واحدة ناظراً إلى المعنى التام مثال ذلك **وقوفه عند النص القرآني الآتي(وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)[٧].** إذ يقول: (الشرط كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما على الانفراد، ولا في واحدة دون الأخرى)[٨]، وهذا ما قرره المخزومي إذ رأى أنَّ (الجرجاني) على حقّ في جعل جملتي الشرط والجزاء جملة واحدة؛لأن الجملتين في تركيب الشرط ترتبطان بوساطة أداة الشرط ارتباطاً وثيقاً لا يتصور معه استقلال إحدى العبارتين عن

---

[١] التعريفات:٩١.
[٢] في النحو العربي نقد وتوجيه:٢٨٤.
[٣] ينظر: م.ن:٢٨٤.
[٤] ينظر: م.ن:٢٨٥.
[٥] ينظر: شرح المفصل:٩٧/٢.
[٦] الألسنية العربية:٩٠.
[٧] النساء:١١٢.
[٨] دلائل الإعجاز:١٨٩- ١٩٠.

الأخرى.[١]، إذاً فأسلوب الشرط يُبنى على أساس جملة واحدة تتكون من جزأين يتعلق أحدهما بالآخر، وهذه الجملة هي (جملتان بالنظر العقلي، والتحليل المنطقي، أما بالنظر اللغوي فعبارتا الشرط والجزاء جملة واحدة وتعبير لا يقبل الانشطار ؛ لأنّ الجزأين المعقولين فيها، إنمّا يعبران معاً عن فكرة واحدة، لأنك إذا اقتصرت على واحدة منهما أخللت بالإفصاح عمّا يجول في ذهنك وقصّرت عن نقل ما يجول إلى ذهن السامع)[٢].

وقد تتعرض الجملة الشرطية إلى الحذف في بعض أجزائها(كالجواب) ، فيكون هذا الحذف أبلغ من الذكر، فـ(لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام عن علّو بلاغته، ولصار إلى شيء مُسترك مسترذل، ولكان مبطلاً لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرقة)[٣]، وفي هذا الحال سيذهب المتلقي مذاهب شتى بحثاً عن جملة ينظر إليها جواباً يفصّل به إجمال شيوع الشرط دون الجزاء، ومن هنا يدخل الإجمال على الكل المعنوي ، والجزء المراد من أسلوب الشرط بأسره، فأما إجمال الكل المعنوي فنعني به أن أسلوب الشرط ممكن أنّ يُعدّ مبهم الدلالة كلياً لعدم وجود جواب يُكمل مع جملة الشرط المعنى الكلي منها معاً، وأما الجزاء المراد فيدخله الإجمال تحديداً في جملة (الجواب) فتذهب النفس هنا مذاهب شتى في تقدير الجواب المحذوف، وفي الدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف ولا تتسع له العبارة **كقوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا)**[٤]، نجد أن (فُتِحَتْ) جاءت بدون (واو) فهي جواب (إذا) ومجيئها بدون(الواو) يشير إلى شدة مواجهتهم بالعذاب ، فأبواب جهنم مغلقة لا تفتح إلاّ عند وصولهم إليها(إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) حتى تواجههم بصنوف العذاب وألوان الألم.. أما أبواب الجنة فتفتح قبل مجيء الذين اتقوا وتجهز قبل وصولهم وتعد تكرماً لهم وتعظيماً كما في **قوله تعالى(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)**[٥]، والتقدير: حتى إذا جاؤها وقد فتحت أبوابها سعدوا وحصلوا على النعيم المقيم الذي لا يحيط به الوصف ، وجاءت (الواو) في(وَفُتِحَتْ) فقد فتحت لهم أبواب الجنة قبل أن يأتوها تكريماً لهم، وتعظيماً لشأنهم.[٦]

---

[١]ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه:٢٨٥.
[٢]ينظر :م.ن:٣٠٩.
[٣]الطراز:٥١/٢.
[٤]الزمر:٧١.
[٥]الزمر :٧٣.
[٦]ينظر: علم المعاني (بسيوني عبد الفتاح فيود):١٩٢/٢.

ومما ورد في نصوص نهج البلاغة من هذا النوع من الحذف قوله (عليه السلام) (فَيَا لَهَا أَمْثَالًا صَائِبَةً وَ مَوَاعِظَ شَافِيَةً لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً وَ أَسْمَاعاً وَاعِيَةً وَ آرَاءً عَازِمَةً وَ أَلْبَاباً حَازِمَةً)[١].وقع الحذف في قوله(عليه السلام) : (لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً وَ أَسْمَاعاً وَاعِيَةً وَ آرَاءً عَازِمَةً وَ أَلْبَاباً حَازِمَةً)، فأجمله (عليه السلام) ليمتلك النص القدرة الفائقة على الإثارة والتأثير في النفس، وأسر مشاعر المتلقي؛ لأنه سلط الأضواء وركّز انتباه المتلقي في الحالة الشعورية التي أراد عرضها من خلال النص عن طريق إسقاط جواب(لو) وحذفها، مما يجعل المتلقي أكثر تعايشاً مع التجربة وتفاعلاً معها وتصوراً لأبعادها، مما لو ذكر جواب (لو) في هذه الحالة سيفوّت على المتلقي والمتكلم الغرض المقصود من النص ، ويفقد قيمته وقابليته في نقل التجربة، في حين يريد الإمام من خلال هذا النص المبالغة في تعظيم أمر هذه الأمثال والمواعظ ،وشدة وقعها إذا صادفت قلوب زاكية(لأصابت، أو لشفت) في استعدادها لقبول الهداية وقربها من ذلك، وآذاناً مصغية ، وعقولاً متفتحة، وقلوباً واعية، وظاهر أن هذه الأمور هي من أسباب نفع الموعظة.[٢]

والكاتب حين يكتب، والخطيب حين يخطب، إنما يرتكز إلي خزين ثقافي متنوع تكّون من خلال حفظه، وتأثره بنصوص متعاقبة على ذهنه.[٣]، وهو أساس انبثاق تجربته الإبداعية إذ لا يأتي النصّ من فراغ، فمُبدعو النصوص ليسوا سوى نتاج ثقافي لسياقات الموروث الأدبي؛ لأنهم يكتبون عن فيض هذا المخزون الثقافي في ذاكرتهم كأفراد، وفي ذاكرة اللاوعي الجمعي لمجتمعاتهم ، وكان الإمام (عليه السلام) مدركاً لقيمة الأثر الكبير من شعر ، ومثل ، وحكمة، فقد استحضر في نصوصه من ذلك قوله(عليه السلام) : (وَ قَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَ نَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ وَ الْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ)[٤]. يحمل هذا النص نوعاً من التناص النثري ، وذلك في قوله: القول المشهور بين العرب(**لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ**)[٥]، وجاء الجواب محذوف ومجملاً في هذا الموضع؛ لكونه أوفق من الذكر؛ لأنه يستحسن الإيجاز في شكوى الحال... والعتاب... والتوبيخ....وتقريب الفهم وإخفاء الأمر على غير السامع ومرجع إدراك أسرار البلاغة إلى الذّوق الأدبي والإحساس الروحي.[٦] وجاء المثل ليصور مدى الخديعة التي لحقت بالمؤمنين جرّاء قبولهم التحكيم في أثناء واقعة صفين مع قادة جيوش أهل

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده) :١٠٦.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٣٨٢/٢.
[٣]ينظر: الخطيئة والتكفير :٣٢٣.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده):٨٠.
[٥]وقصة هذا المثل أنَّ قصيراً بن سعد اللخمي مولى جذيمة الأبرش أحد ملوك العرب نهى ملكه عن الذهاب إلى الزباء ملكة الجزيرة حينما كتبت إليه في أن يقبل بضم مُلكها إلى ملكه ، والغاية من ذلك الإيقاع به وقتله ؛ لكونه قتل والدها ، فلم يستمع جذيمة إلى مشورة قصير بعدم الذهاب إليها؛ لكونها تدّبر مكيدة ، فذهب إليها فقتلته انتقاماً لأبيها، فقال (لو يطاع لقصير أمرُ) فذهب ذلك مثلاً لمن يخالف نصح الناصح،: ينظر: مجمع الأمثال : ١/ ٢٤٤. ، والأمثال في نهج البلاغة: ١٢٠- ١٢١.
[٦]ينظر: جواهر البلاغة: ٢٢٦.

الشام موضحاً لهم الإمام أنّ أمر رفع المصاحف بوجوههم خديعة ومكراً، لكنهم رفضوا ذلك وهدّوه بالقتل إن لم يستجيبللتحكيم، فكان من الإمام هذا القول.

والحذف هنا يعكس دلالة التحسر ، ومن شأنه أن يفتح مجال الاتساع لتصور المعاني المحتملة لجوابه فيؤدي بالتالي إلى الغرض الذي يرمى إليه المبدع في توكيد المعنى وترسيخه في نفس المتلقي وإقناعه به، وفي هذا الصدد يقول ابن سنان الخفاجي: (لو قلت: لو رأيت علياً (عليه السلام) بين صفين لرأيت شجاعاً، أو لرأيت رجلاً يقتل الأبطال أو ما يجري هذا المجرى، لم يكن في العظم عند السامع بمنزلة حذف الجواب ؛لأنه يذهب مع الحذف كل مذهب، ولا يعّول على نفس ما كان يرد في اللفظ فقط)[١].وذلك ؛لأن نفس السامع مع الحذف كما يرى بعض البلاغيين تتسع في الظن والحساب، وتذهب فيه كل مذهب.[٢]

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام) : (هَا إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً وَ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً بَلَى أَصَبْتُ لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا وَ مُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَ بِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ)[٣].

يشير الإمام (عليه السلام) إلى العرفان والوصول إلى مقام الأشراف الذي لا يصّل إليه إلاّ الواحد الفذّ من العالم ممنّ لله تعالى فيه سّر، وله به اتصال، ودلَّ المحذوف في جواب (لو) (لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً) على غرض دلالي يكمن في التفخيم لحقيقة العلم الكامن في صدر الإمام (عليه السلام) الذي (يمنعه عن إظهاره عدم وجدان من يحمله عنه)[٤]، أو ربما يكون عدم تأهيّل أصحابه لأن يستوعبوا ما كان عنده من الفيض المعرفي، وإلى هذا أشار ابن أبي الحديد بقوله: (ومن الذي يطيق حمله! بل من الذي يطيق فهمه فضلاً عن حمله!)[٥]، وهنا تكمن حقيقة الحذف التي تجعل ذهن السامع يجول في معرفة ذلك المحذوف، **كقوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ)**[٦]، فيتجلى أثر الحذف هنا في إضفائه صفة التفخيم، ثم يذكي مشاعر التعجب منه، والإعجاب به ، والإكبار له في نفس المتلقي، فيكون أشد تمكناً من نفسه وأقدر على إحداث الاستجابة المطلوبة منه، وهذا ما أكدّه الجرجاني بقوله: (إنّ ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن)[٧].والذي يعضد دلالة الإجمال في المحذوف بجواب (لو) ويسانده وجود الأداة (بلَى) وهي مختصة لإبطال النفي سواء أكان خبراً أم استفهاماً فهي تنقض النفي المتقدم.[٨]، ولما كانت(لو) التي للتمني هي في الأصل (لو) الشرطية الامتناعية، وقد أشربت معنى التمني وهو

---

[١]سر الفصاحة:٢٠٢.
[٢]ينظر:العمدة:٢٥١/١. ، وسر الفصاحة: ٢٠٢، والنكت في إعجاز القرآن: ٧٦- ٧٧.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده) :٤٦٦.
[٤]شرح نهج البلاغة(البحراني):٤٣٩/٥.
[٥]شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد)٢٥١/٥.
[٦]الأنعام:٢٧.
[٧]دلائل الإعجاز:١١٢. ، وينظر: خصائص التركيب:١١٢.
[٨]ينظر: معاني النحو:٦٤٨/٤.

الأمر الذي نصّ عليه الكثير من البلاغيين.[١]، وقد علل المغربي هذا التطور في استعمال (لو) بقوله: (ووجه استعمالها كثيراً للتمني أنّها في الأصل تدخل على الممنوع والمحال، والمحال هو المتمنى كثيراً.[٢]، فالتمني ما يكون بعيداً هنا ومستحيلاً ويتضمن معنى النفي أيضاً. وقد فسر الإمام في أنّ الذي يفهم علمه ويهضمه خائن يتخذ من علمه أداة للصوصية،ويستطيل به على الأكفاء والأولياء ، وكونه مستعملاً لآلة الدين وهو العلم في الدنيا واستعماله فيها كالتكسب به، ومستظهراً بنعم الله وهي العلم على عباده كالفخر عليهم ومغالبتهم واستعمال حجة الله وما علمه منها في مقابلة أوليائه وتلبيس الحق بالباطل، وممن لا يصلح لحمله فهو المقلد وكونه غير صالح لحمله من وجهين، كونه لا بصيرة له في جوانب العلم وتفاصيله، وكونه يقدح الشك في قلبه الأول عارض من شبهة،وذلك لعدم العلم وثباته في نفسه بالبرهان والحجة الواضحة.[٣]وبهذا أشار الإمام إلى طلاب العلم في عهده فهم من بين قاصر ، ومقصر لا يصلح للعلم وحكمته، فظلت تلك الأمنية دليلاً قاطعاً على أن الجواب المحذوف في قوله (لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً) لا سبيل إلى تفصيّله ؛لأنه مجمل مبهم الدلالة ويمكن تقديره(لأفاد منه)، فمن يتمنى تلك الأمنية وهو في تلك الحالة من التحسر والتأسف فما الذي يمكن أن نخاله فيه من موقف، لذا أن الموقف والأمنية تدعوا دائماً إلى أبعد مما نتصور ، فيبقى الجواب في حيز الإجمال لكونه أمنية مستحيلة الحصول عليها ، وهذا ما تدلنا عليه (لو) الشرطية التي هي (للتمني) وحرف امتناعلامتناع ومتضمنة معنى النفي.

ويناظرذلك قوله (عليه السلام): (أَمَّا وَصِيَّتِي فَاللَّهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وَ أَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ وَ خَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ وَ خُفِّفَ عَنِ الْجَهَلَةِ رَبٌّ رَحِيمٌ وَ دِينٌ قَوِيمٌ وَ إِمَامٌ عَلِيمٌ أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ وَ أَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَ غَداً مُفَارِقُكُمْ غَفَرَ اللَّهُ لِي وَ لَكُمْ إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ فِي هَذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ وَ إِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ وَ مَهَابِّ رِيَاحٍ وَ تَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ)[٤].

تأريخ البشر وتجاربنا اليومية تكشف هذه الحقيقة في أنّ الحياة كظلال الأشجار والقدُرآت كظلال الغيوم فهي تمر بسرعة وتزول أثارها ، لكن العجيب عدم التفات الإنسان على رغم رؤيته لكل هذه الأمور، فكأنه غبر مشمول بهذا القانون.

وقد هيأ (جواب الشرط المحذوف) فراغاً بنيوياً يهتدي القارئ إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في سياق النص وبدلالة قرينة المشار إليها بـ(فَذَاكَ) ، وهي أبلغ من أي جواب آخر، إذ إنَّ (حذف الجواب في مثل هذه الأشياء أبلغ في المعنى من إظهاره ألاّ ترى أنّك إذا قلت لعبدك: والله لئن قمت إليك ، وسكت عن الجواب،

---

[١]ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين:٥٣٣.
[٢]شروح التلخيص مواهب الفتاح:٢٤١/٢ـ ٢٤٢.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٤٣٩/٥.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٠٣.

ذهب فكره إلى أشياء من أنواع المكروه فلم يدر أيّها يبقى ، ولو قلت: لأضربنكّ، فأتيت بالجواب، لم يتبق شيء غير الضرب)[١].

وهكذا الأمر في لفظ(فَذَاكَ) التي جاءت في سياق الجملة الشرطية (إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ فِي هَذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ) فقد جاء فعل الشرط مشترطاً الثبات في مواطن الزلّل (الْمَزَلَّةِ) وهذا يتطلب أمرين: ـ

أولهما:ـ تحقق عنصر الثبات في مواطن يكثر فيها الزلل، وهذا يتطلب وعياً وقوة.

والآخر:ـ المشار إليه(فَذَاكَ) الذي حلّ في فراغ جواب الشرط المحذوف، فإنه يترك المجال أمام السامع في أن يختار، ويصّور ، أو يتخيل نوع الحياة، وطبيعة المجتمع الذي يثبت وطأة أهله عند مزلاته ، وصرعاته، ففيها يتمثل عنصر الاختبار في تكوين رؤية خاصّة به في حالة ثبوته وثبوت غيره على المبدأ ، والعقيدة.

إذن حذف جواب الشرط في سياق النصّ أتجه إلى مؤدّى وظيفي هو فتح مجال الاتساع أمام نفس المتلقي في تخيل الدلالة الإيحائية للألفاظ، وتصور المعاني المحتملة، وبذلك تزداد قيمة النص في قدرته على التأثير والإثارة.

ونظير ذلك قوله (عليه السلام) : (: الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ وَ الْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَ إِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ)[٢].

لقد حذف (عليه السلام)جواب الشرط في(فَإِنْ أَجَابَهُ) : أي إن كان الإنسان عالماً بالأمور الدينية ثم لم يعمل بها سلبه الله تعالى علمه، ولم يمت إلاّ وهو معدود في زمرة الجاهلين، ويمكن أن يفسر على أنه أراد بقوله(ارْتَحَلَ) ارتحلت ثمرته ونتيجته وهي الثواب ، فإنّ الله تعالى لا يثيب المكلف على علمه بالشرائع إذ لم يعمل بها؛ لأن إخلاله بالعمل يحبط ما يستحقه من ثواب العلم لو قدرنا أنه استحق على العلم ثواباً، واتى به على الشرائط التي معها يستحق الثواب.[٣] فالإمام (عليه السلام) لم يفصح بجواب الشرط الأول لما فيه من خير وجزاء، وهكذا الجزاء غير محدد يكون في الدنيا والآخرة، **قال تعالى: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[٤]، وقوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[٥]**، والمراد بخشية الله هنا العمل بطاعته، والمراد بالعلم هنا هو العمل بالذات.... هذا إلى آيات كثيرة تدل بصراحة أنّ الحساب والجزاء غداً على العمل لا على مجرد العلم، منها :(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ)[٦]، **وقوله تعالى: (وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ)[٧]**، فهذا يدلنا على أن كل عمل فهو هباء إلاّ ما يخدم الحياة ويجعلها أكثر خصباً وعدلاً وأمناً.[٨]، فالعلم عند الله سبحانه هو العمل النافع وعنه أخذ الرسول (صلى الله وعليه

---

(١)شرح المفصل:٩/٩.
(٢)شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٩٩ .
(٣)ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٣٦٧/٥.
(٤)الزمر:٩.
(٥)فاطر:٢٨.
(٦)آل عمران:٣٠.
(٧)النحل:١١١.
(٨)ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤٢٨/٤.

وآلهوسلم)، وأخذ الإمام جميع معتقداته وآرائه عن الرسول الله(صلى الله وعليه وآله وسلم).[١]

بينما نجد التركيب الثاني قد ذكر جوابه (وَ إِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ)وهو ارتحال العلم، أو ثوابه عنه، أما سبب حذف فعل الشرط من التركيب الثاني فلدلالة ما تقدمه عليه. وقد استعار الإمام لفظ(الارتحال) لزوال العلم باعتبار عدم استعداد تلك وصلاحيتها كالراحل عن وطن لا يصلح لاستيطانه، وقيل أراد بالارتحال عدم المنفعة مجازاً إطلاقاً لاسم ذي الغاية على غايته، إذ كانت الغاية من الارتحال عدم المنفعة بالمرتحل.[٢]

نجد في الحذف أنَّ النفس تحس بالإيناس ، والارتياح وهكذا ما أكده الجرجاني(الاّ أنكّ ترى النفس كيف تتفادى من إظهار المحذوف، وكيف تأنس إلى إضماره وترى الملاحة كيف تذهب أن أنت رمت التكلم به)[٣].

فنحس من خلال الحذف بجمال النص وقوة أسره للنفس هذا التأثير السحري ينعدم فيما لو صرح بالمحذوف فيصبح حينئذٍ النص فاقداً لقدرته في إشارة الانفعال ذلك لأن دلالة النص الإيحائية ستقتصر على دائرة ضيقة لا تتعداها إلى سواها.

ومن المفارقات الدلالية التي وجدت في نصوص نهج البلاغة وجود جواب الشرط لكن الجواب أيضاً يفضي إلى الإبهام مما يستدعي بالمتلقي مجال الاتساع والتحليل في إيجاد دلالة تصور طبيعة ذلك الجواب لذلك نختم كلامنا بقوله (عليه السلام):(أَ رَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَ أَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَإِ وَ الْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَ الْمَجَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعاً)[٤].

وهذا من كلام له (عليه السلام) كلم به بعض العرب، وقد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب (عليه السلام) منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم، فبيّن له (عليه السلام) من أمره معهم ما علم به أنه على الحق، ثم قال له (عليه السلام): بايع، فمد الرجل يده وبايع الإمام (عليه السلام)، والرجل يعرف بكليب الجرمي[٥].

وجاءت جملة جواب الشرط هنا مجملة وهي من قوله (مَا كُنْتَ صَانِعاً؟) وهي جملة استفهامية استفاماً حقيقي[٦]، ومجيء الاستفهام في جواب (لو) أمر غير وارد، وجاء بالاستفهام هنا من غير رابط، فلا يحسن أن يكون الجواب من غير رابط، اذا كانت جملة استفهامية، إلاإذا كان الاستفهام بالهمزة، قال الرضي :(وإذا كان جواب الشرط مصدّراً بهمزة الاستفهام، سواء أكانت الجملة فعلية أم اسمية لم

---

[١] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤٢٨/٤.
[٢] ينظر شرح نهج البلاغة(البحراني):٤٨٧/٥.
[٣] دلائل الإعجاز: ١١٧.
[٤] شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٢٣٧.
[٥] ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٧٧.
[٦] ينظر:منهاج البراعة: ١٠/ ١١٣.

تدخل الفاء)[١]، غير أن أداة الاستفهام في النص المتقدم هي (ما)، وقد أجيز حمل أدوات الاستفهام الأُخر على الهمزة بعدم اقترانها بالفاء، وقد تدخل الفاء فيها، لعدم عراقتها في الاستفهام[٢]. فعدم ارتباط (ما) في النص المتقدم له ما يسوغه وأن كان الرضي يتحدث على الفاء في جواب الشرط الجازم، ولأن الجواب (ما كنت صانعا؟) لا يستحسن أن يقرن باللام، إذإن (ما) حينئذ تكون نافية لا استفهامية، فاقتران جواب الشرط – هنا – هو اقتران معنوي وهو أفضل من الاقتران اللفظي؛لأنه يعطي دلالات إضافية زيادة على دلالة التعليق (الارتباط) ومن هذه الدلالات إثارة ذهن المخاطب ووضعه في تفكيره الغاية القصوى في التأمل والتدبر ومدى استجابته لقول الحق الذي بان له بعد أن سأله أمير المؤمنين (عليه السلام) عما أرسلهأصحابهأن يعلمهم به، وسمع منه واقتنع هذا الرجل بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) على حق، وخصومه على باطل وضلال[٣]، وبهذا ضرب الإمام (عليه السلام) الروعة في البلاغة والتفنن في الأسلوب الشرطي فبعد مجيء الشرط مجملاً جاء جوابه أيضاً مجملاً، وفي عدم الإفصاح عنه والتبيين غاية جعلها الإمام (عليه السلام) هنا في هذا النص ومن هذه الغايات:

١ـ ليترك المخاطب في دوامة التفكير وإعمال العقل وصولاًإلى المنطق السليم والجواب المقنع الذي يحتمل الحق بعد أن قام الإمام بالبرهان والحجة القاطعة وهدايته إلى طريق الحق.

٢ـ إن الكلام (إذا نقل من أسلوبإلىأسلوبكان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد)[٤]، لذلك لم يكد هذا الرجل يسمع كلام الإمام (عليه السلام) حتى بايعه[٥].

---

[١]شرح الرضي على الكافية : ٤/ ١١٣.
[٢]ينظر: م. ن :٤/ ١١٣.
[٣]ينظر: تراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة، دراسة نحوية، كريم حمزة، كلية التربية/بابل، ٢٠١١م.:
[٤]الكشاف: ١/ ١٢٠.
[٥]ينظر:شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ٦/ ٣٢٥.

المبحث الرابع: دلالة أسلوب الإجمال في الجملة(الخبرية،والإنشائية) :

الجملة العربية نوعان: خبرية، وإنشائية، فالخبر:ـ هو(ما جاز على قائله التصديق والتكذيب)[١]، وقد بيَّن الخطيب القزويني(ت٧٣٩هـ) معنى الصدق، والكذب في الخبر فقال: (اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب جمهور إلى أنه منحصر فيهما، ثم اختلفوا فقال الأكثر منهم صدقه مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له، هذا هو المشهور وعليه التعويل)[٢].

أما الإنشاء فهو(كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته)[٣]؛ لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه.[٤].

غير إن(من الجمل ما يحتمل الإنشائية ، والإخبارية فيختلف الحكم باختلاف التقدير)[٥]، فإنها تحتمل الإخبار كدلالتها على الإنشاء، فهنا يدخل الإبهام في الجملة دون القطع بأحد الأمرين، كقوله تعالى:(قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا)[٦]، فإن جملة(أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا) تحتمل الدعاء فتكون معترضة، والإخبار صفة ثانية.[٧]، وكقولك:((رزقك الله)،و (عافاك الله)، فهذا يحتمل الدعاء والإخبار)[٨]، فإذا كان دعاء كانت الجملة إنشائية؛ لأن الدعاء لا يخضع للتصديق والتكذيب، وإن لم يكن دعاء كانت الجملة خبرية قابلة للصدق ، والكذب.

ومن هنا دخل الإجمال في تردد الجملة بين الخبرية ، والإنشائية، فيبهم على المتلقي تحديد المعنى المطلوب للجملة.

ومن ورود هذا النوع من الإجمال في نصوص نهج البلاغة: ـ

---

[١] المقتضب:٨٩/٣.
[٢] الإيضاح في علوم البلاغة:١٠.
[٣] الإشارات والتنبيهات:١٠٣.
[٤] ينظر: التعريفات(الشريف الجرجاني):٣٠.
[٥] مغني اللبيب:٩١/٢.
[٦] المائدة:٢٣.
[٧] ينظر: مغني اللبيب:٩١/٢.
[٨] الجملة العربية تأليفها وأقسامها:١٧٣.

ومنها قوله(عليه السلام) : (رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى وَ دُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا وَ أَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا رَاقَبَ رَبَّهُ وَ خَافَ ذَنْبَهُ قَدَّمَ خَالِصاً وَ عَمِلَ صَالِحاً اكْتَسَبَ مَذْخُوراً وَ اجْتَنَبَ مَحْذُوراً وَ رَمَى غَرَضاً وَ أَحْرَزَ عِوَضاً كَابَرَ هَوَاهُ وَ كَذَّبَ مُنَاهُ جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ وَ التَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ وَ لَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ اغْتَنَمَ الْمَهَلَ وَ بَادَرَ الْأَجَلَ وَ تَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ)[١].

بيّن الإمام عبر هذه العبارات مقدمة طريقة روّاد القرب إلى الله، وسالكي مسيرة التقوى وتهذيب النفس ، وعبر أسلوب الإجمال في (رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى ...)، إذ تتأرجح دلالة الإجمال في الجملة بين الدعاء والإخبار.

ويرى الزمخشري إنَّ إخراج الأمر في صورة الخبر أبلغ من صريح الأمر؛ لأنه يفيد تأكيد الأمر والمبالغة في الحثّ عليه، حتى كأنه شرع فيه إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه، ونحو قولهم في الدعاء(رحمك الله)، أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها.[٢]

وتتمثل فاعلية هذا النوع من الخطاب بأسلوب الخبر بما فيها من مؤدى وظيفي في إيقاع التفاؤل في نفس المخاطب ليتفاعل بما أقدم عليه من أفعال فيها رضا وقبول دلت عليها صيغة الماضي ؛ لكونها من الأمور الحاصلة إذ حقها الإخبار عنها بأفعال ماضية بصيغة أسلوب الأمر (الدعاء)، (رَحِمَ) التي مادته اللغوية منسجمة مع الأفعال (الوعي عند السماع، والدنو عند الدعوة، والنجاة عند أخذ سبل الهداية ، ومراقبته الدائمة لله سبحانه وشهوده للأعمال بغية الورع والتقوى من الذنب .. وجعل الصبر مطية نجاته، أي يصبر على طاعة الله رغبة في النجاة من غضبه وعذابه، ويسلك سبيل الهدى ، ويتجنب طريق الردى، ويغتنم الفرصة قبل الفوات ، ويبادر الأجل قبل حضوره فيتزود من العمل الصالح ، ولم يقصر فيه)، فمن تحلى بهذه الفضائل يكون قد أعد زاده للسفر إلى الله والحركة نحوه.

وبهذا تبقى الجملة في حيز الإجمال حيث ترددها بين الدعاء والإخبار، فهي لا تخلو من الدعاء، وبذلك لا تحتمل الجملة الصدق ، والكذب، وأما أن تكون الجملة(خبر) فهي تحتمل الصدق ، والكذب فهي محتملة الوجهين معاً في آن واحد.

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): (هَلَكَ مَنِ ادَّعَى وَ خَابَ مَنِ افْتَرَى مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ وَ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ)[٣].

جاء سياق النص متحدثاً عن مصير من يزعم الإمامة وولاية الناس بالباطل، ولقد انطوى النص على جملتين أجمل فيهما الخبر بالإنشاء في قوله: (هَلَكَ مَنِ ادَّعَى وَ خَابَ مَنِ افْتَرَى)، فيحتمل أن تكون القضيتان دعاء، ويحتمل أن تكون إخباراً أي هلك من أدعى ما ليس له أهلاً ، وعنى الهلاك الآخروي،وخاب من كذب أي لن يحصل مطلوبه إذا جعل الكذب وسيلة إليه.[٤] وكان معنى قوله (مَنْ أَبْدَى

---

[١]شرح نهج البلاغة (عبده): ٩٨.
[٢]ينظر:الكشاف:٢٤٥/١، والبرهان في علوم القرآن:٣٥١/٣.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):٥٨.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٢٠٩/١.

صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ)، أراد به نفسه (عليه السلام) ونبَّه على أنّه المتجرد لإظهار الحق في مقابلة كل باطل، وردّ الجهال من جهلهم، وحملهم على مُرِّ الحق وصعبة في كل وقت يكون في معرض الهلاك بأيديهم وألسنتهم، وأراد التنبيه على الجهل فذكر أدنى مراتبه ونبّه بها على أن أقل الجهل كافٍ في الرذيلة فكيف بكثيره وذلك بقوله: (وَ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ)، وأراد مرتبته في الناس ، وعدم تصوره لدرجة نفسه ومنزلتها بالنسبة إلى آحادهم ، وكفى بهذا القدر مهلكاً فإنّه منشأ كثير من الرذائل المهلكة كالكبر، والعجب ، وقول الباطل ، وادعاء الكمال للناقصين وتعدي الطور في أكثر الأحوال.[1]، كما في أدعاء الذين قبله ومعاوية الخلافة وسعيهم في هلاك الإمام وإفساد الأمر عليه لإبداء صفحة الإمام للحق.[2]

إن الإخبار والإنشاء في هاتين الجملتين يؤديان إلى النتيجة نفسها في جعل الأمر المتحدث عنه الإمام مصحوباً بالتعليل المنطقي الذي يستدرج(عليه السلام) من خلاله المسلمين في أن الذي يدعي الإمامة بلا حجة ، ولا دليل فقد خاب وافترى، فمن صارع الحق صرعه وكفى بالمرء جهلاً أن يتجاوز الحدود بالافتراءات والإدعات الكاذبة، فهذا هو الجاهل الأحمق الذي يضع الأمور في غير موضعها.[3]، مستثمراً الإمام ضمن تردد الجملتين في الإبهام بين (الدعاء، والإخبار)، والإجمال في نسبة الجملة وتوضيحه بالتمييز (جَهْلًا) في قوله:(كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا) أن لا يعرف قدره.

لذّا جاء الإجمال هنا في ترجيح أحد المعنيين (الدعاء، والإخبار)، في تلك الجملتين المجملتين(هَلَكَ مَنِ ادَّعَى وَ خابَ مَنِ افْتَرى)، فتبقى في حيز الإجمال.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ النَّبَاتِ وَ الشَّجَرِ وَ الْمَاءِ وَ الْحَجَرِ وَ اخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ تَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ وَ كَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ وَ طُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ وَ تَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ وَ الْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ وَ جَحَدَ الْمُدَبِّرَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ وَ لَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ)[4].

يطرح الإمام (عليه السلام) هنا سلسلة من الموجودات المتنوعة في هذا العالم لكلّ منها مميزاتها العجيبة ، وخصائصها الجمّة ، والمراد من السماء مجموعة العالم العلوي من الثوابت ، والسيارات إلى المجرات ، والشمس والقمر في عظم أجرامها والضياء الصادر عنها ، وحركتها وتنقلهما في منازلهما ، وما تستلزمه تلك الحركات من التأثيرات والإعدادات لوجود المركبات العنصرية من المعدن والنبات والحيوان ، وكون القمر مستفيداً للنور من الشمس ، وغير ذلك مما لا يعلم تفصيّله إلاّ الله سبحانه، وكذلك إذا نظرت إلى النبات والشجر وجواهرهما، وأشكالهما واختلاف أجزائهما في الألوان والمقادير ، والثمار ، وكذلك الماء في كونه على غاية من الرقة واللطافة، وكون الحجر بعكس الوصفين مع أن أكثر المياه

---

[1] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):١/٢١٠.
[2] ينظر:غريب نهج البلاغة:٢٩٥.
[3] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١/١٣٨.
[4] شرح نهج البلاغة (عبده):٢٦٠.

إنما تنبع من الأحجار، وكذلك النظر إلى هذا الليل والنهار واختلافهما في هذا العالم وتعاقبهما، وما يستلزمانه من المنفعة المختصة بكل منهما ممّا أمتن الله تعالى على عباده بها، وكذلك إذا اعتبرت تفجير هذه البحار وما تستلزمه من المنفعة، وكذلك إذا اعتبرت بكثرة الجبال وقلالها وعروضها وأطوالها وما اشتملت عليه من معادن الجواهر وغيرها، وكذلك تفرق اللغات ، واختلاف الألسنة وجدت ذلك النكر، والاختلاف شاهداً بوجود صانع حكيم.(١)

أردف الإمام بعد كل هذا الصنع العظيم بالدعاء لمن جحد فضله ، أو الأخبار عن لحوق الويل له. وهنا تتردد جملة (فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ وَ جَحَدَ الْمُدَبِّرَ)، بين الدعاء، والخبر، وقال سيبويه: الْوَيْلُ مشترك بين (الدعاء، والخبر) (٢)، ونقل عن عطاء بن يسار أنّ (الْوَيْلُ) وادٍ في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حرّه، ورفع(الْوَيْلُ) بالابتداء لتعجيل المساءة ، والعذاب لمن أنكر الخالق المقدّر للأشياء ، والمدبر لها، وهم الذين زعموا أنهم كالنبات الذي ينبت في الصحاري والجبال من غير زارع، فهم كذالك لا يهلكهم إلاّ الدهر (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)(٣). زيادة على ذلك أن تقديم المسند إليه(الْوَيْلُ) قد خلق جواً نفسياً مملوءاً بالخوف والحذر، فكان تقديمه أكثر وقعاً وتأثيراً في النفس، لتزداد إيماناً بالله وثقةً بقدرته وحكمته.(٤)، والخبر (لمن أنكر).

أما رأي النحاة في (ال) الداخلة على أسماء الفاعلين(الْمُخْتَلِفَاتِ) ، و(الْمُدَبِّرَ) فهي اسم موصول.(٥)، و الْمُدَبِّرَ : هو العالم بعاقبة الأمر وما يشتمل عليه من المصلحة ويعود إلى القضاء ، وتأخير الدعاء على الجاحدين بعد إيضاح الحجة عليهم هو الترتيب الطبيعي، والجاحدين هم صنف من العرب أنكروا الخالق والبعث وقالوا بالدهر المفنى.(٦)، وبهذا تكون جملة (فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ وَ جَحَدَ الْمُدَبِّرَ)، مترددة بين الدعاء، والإخبار فكانت ذات دلالة مبهمة لا يعرف المراد منها بدقة.

ويناظر ذلك قوله(عليه السلام): (فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذَلِكِ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ لَا رَهَجَ لَهُ وَ لَا حَسَّ وَ سَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَ الْجُوعِ الْأَغْبَرِ)(٧).

فجملة(فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ)، تحتمل الدعاء، والخبر معاً فالدعاء هنا من الإمام على أهل البصرة بالوَيْلٌ ، حيث يتوعدهم من ذلك اليوم الذي هو من أعلام الغيوب التي تنبأ لها الإمام(عليه السلام)، وإما أنّ تكون الجملة خبراً إذ يخاطب أهل البصرة

---

(١)ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٨٤/٤ـ ٨٥.
(٢)ينظر:الكتاب:١/ ٣٢٨.
(٣)الجاثية:٢٢ـ ٢٣.
(٤)ينظر:التقديم والتأخير في نهج البلاغة دراسة نحوية أسلوبية، رافد ناجي وادي الجليحاوي، كلية التربية، بابل، ٢٠٠٩م:١٧.
(٥)ينظر:الموصول وصلته في نصوص نهج البلاغة، دراسة وصفية تحليلية، ميسم عبد الحسن حيدر العقابي، كلية التربية للبنات،جامعة /بغداد،٢٠١١م.:١٢٢.
(٦)ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٨٥/٤.
(٧)شرح نهج البلاغة(عبده):١٥٠.

بما سيقع بهم من فتنة الزنج، وظاهر أنه لم يكن لهم غبار ولا أصوات ،إذ لم يكونوا أهل خيّل، ولا قعقعة لجم فإذن لا رهج لهم ، ولا حسّ، وظاهر كونهم من نقم الله للعصاة، وإن عمت الفتنة، إذ قلما تخص العقوبة النازلة بقوم بعضهم كما قال تعالى: (وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً)[١].

وقال ابن أبي الحديد: كنّى الإمام بالجيش عن جدب ، وطاعون يصيب أهل البصرة حتى يبيدهم، وكنّى بالموت الأحمر عن الوباء، وبالجوع الأغبر عن الجدب والمحل، والجائع يرى الآفاق كأنّ عليها غبرة وظلاماً.[٢]

نجد أنّ الإجمال دخل الجملة في قوله: (فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ)، من جهة احتمالها دلالتي الخبر، والإنشاء معاً ، فمرة نجدها تحتمل الدعاء، ومرة أخرى نجدها تحتمل دلالة الخبر، فهي محتملة الدلالتين معاً، فتبقى بذلك الجملة في حيز الإبهام ؛لعدم تحدد دلالتها على واحد بعينه.

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَ لَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ وَ لَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَ لَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَ لَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَ لَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَ لَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَ نَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ وَ وَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ ....)[٣].

فالجملة في قوله(الْحَمْدُ لِلَّهِ)، تحتمل الإنشاء، والإخبار.[٤]، فهي مجملة محتملة الوجهين معاً، فإذا كانت إنشاءً كانت (دعاء) فهو لا يخضع للتصديق والتكذيب؛ لأنه عبارة عن تقديم الحمد لله تعالى على الكل جرياً على عادة افتتاح الخطب وتصديرها، وسرُّ ذلك تأديب الخلق بلزوم ثناء الله تعالى والاعتراف بنعمه عند افتتاح كل خطاب لاستلزام ذلك ملاحظة حضرة الجلال ، والالتفات إليها عامة الأحوال.[٥] ومعنى الحمد هو الثناء على الجميل من نعمه أو غيرها.[٦]، أما إن كانت الجملة (الْحَمْدُ لِلَّهِ)، إخباراً فهي خاضعة للتصديق ، والتكذيب فهو إخبار ، فالحمد أن تذكر محاسن غيرك، سواء أكان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية كالصبر ،والعلم ،والرحمة ،والشجاعة، أم على عطائه وتفضله على الآخرين، ولا يكون الحمد إلاّ للحيّ العاقل، وهذا أشهر ما فرق بينه وبين المدح، وبهذا يكون الشكر أخص من المدح ؛لأنه لا يكون إلاّ على النعمة خاصة، ولا يكون ألاّ صادراً من منعم عليه.[٧]تتردد دلالة جملة (الْحَمْدُ لِلَّهِ)،بين الخبر والإنشاء، فالله سبحانه وتعالى أولى بالحمد من غيره ؛ لأنه مجزل العطايا والهبات والخيرات وهو المنعم المفضل ، وهذا يتضمن معنى الدعاء والشكر له، أمّا دلالة الإخبار فالحمدُ له مطلقاً، بل حمده واجب على كل مخلوق من مخلوقاته ولا سيما الإنسان. صاغ الإمام لنا

---

[١]الأنفال:٢٥.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٣٥٢/٢.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):١٥.
[٤]ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها:١٧٣.
[٥]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٧٩/١.
[٦]ينظر:البحر المحيط:١٨/١.، والكشاف: ٣٧/١.
[٧]ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):٣٤/١.

بعبارات عذبة رائعة وترتبط مع عملية الحدس التأملي ارتباطاً وثيقاً بالعفوية في الخطاب والتلقائية بناء على انصهار الذات في بوتقة الشعور والذوبان في التأمل الوجودي ، وبما يحقق أعلى مستوى من الانثيال في اللغة ؛ لكي يترجم ذلك الإشراق المنبعث من داخل الروح كالبرق الخاطف في ما يتضمنه ذلك الخطاب من فعل دعائي نسبة إلى الدعاء، أو بما يتضمنه من فعل كلامي (نسبة إلى الإخبار) في كلامه ارتقى إلى مستوى التأمل.

ونختم كلامنا بقوله(عليه السلام): (عَزَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ)[١].

ففي قوله(عليه السلام) : (عَزَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي) إجمال فهي جملة تحتمل الإخبار والإنشاء معاً.[٢] فهي إن كانت إخباراً، ففيها إشارة إلى ذم من تخّلف عنه ، وحكم عليه بالسفه وعدم إصابة الرأي حال تخّلفه عنه، وذلك أنَّ المتخّلف لما فكر في أي الأمور أنفع له أن متابعيه أو المتخلفين عنه، ثم رأى أن التخلف عنه أوفق له كان ذلك أسوء الآراء وأقبحها، فهو في الحقيقة كمن أقدم على ذلك بغير رأي يحضره أو لأن الرأي الحق كان غارباً عنه.[٣] وذلك كون تربية الإمام(عليه السلام) في حضن النبي(صلى الله وعليه وآله وسلم)، على الحق والاستقامة، وبفضله كاتب الوحي ، وشاهد المعاجز والأعظم من ذلك كونه باب مدينة علم رسول الله(صلى الله وعليه وآله وسلم)،إلى جانب علمه بالشهود إضافة لعلمه بالظاهر فإن كلامه(عليه السلام) لا يعرف معنى للإغراق والمبالغة قط.[٤]

وإن كانت جملة(عَزَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي) إنشائية فقد جاءت على سبيل الدعاء عليهم.[٥]**كما إنَّ في قوله تعالى: (حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ)**[٦]، أي بعداً وترحاً لمن تخلف عن أوامري.

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٤.
[٢]ينظر: سرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ١٠٢/١.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ١٨٨/١.
[٤] ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ٢٨٢/١.
[٥] ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد)،وينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١/ ١٠٤.
[٦]النساء:٩٠.

المبحث الخامس: دلالة أسلوب الإجمال في جملة الاستفهام المجازي(الإنكاريّ ،والتعجبي):-

أولاً:الاستفهام الإنكاريّ:-

الإنكار: معناه(الجحود...، والاستنكار استفهامك أمراً تنكره)[١]، والإنكار أما أن يكون للتوبيخ، أو للتكذيب، وهو التعبير والتقريع على أمر قد وقع في الماضي، أو على أمر يخاف المرء أن يقع في المستقبل، فهو بمعنى: (ما كان ينبغي أن يكون هذا)، نحو(أتعصي ربك)، فالغرض منه الذم على ماضٍ والارتداع عن المستقبل.[٢]**كما في قوله تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ)**[٣]، بمعنى لا ينبغي أن يكون هذا الفعل منهم.

والإنكار عند عبد القاهر الجرجاني: هو تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجوابأما ؛لأنه قد أدعى القدرة على فعل لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له: (فافعل) فيفضحه ذلك، وأما لأنه جوز وجود أمر لا يوجد مثله.[٤]، وسّر التعبير بالاستفهام مكان التوبيخ؛للفتهم وإثارة انتباههم وطلب الجواب منهم لعلهم يفكرون بجدية في حالهم، ويصلون بأنفسهم إلى ما يصلح مستقبلهم.[٥]

وجعل السكاكي(ت٦٢٦هـ) الإنكار رديفاً للتوبيخ.[٦]، وقسم القزويني(٧٣٩هـ) الإنكار على إنكار توبيخ، وإنكار تكذيب: وهو الابطال الذي يفيد النفي، قال: (الإنكار إما للتوبيخ بمعنى، ما كان أن يكون نحو: أعصيت ربك !، أو بمعنى لا ينبغي أن يكون ، كقولك للرجل يضيع الحق: أتنسى قديم أحسان فلان؟ ، وكقولك للرجل يركب الخطر أتمزح في هذا الوقت؟ أتذهب في غير الطريق؟، والغرض بذلك تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه ، فيخجل ، أو يرتدع عن فعل ما هّم به، وإما للتكذيب بمعنى(لم يكن).[٧]، **كقوله تعالى: (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا)**[٨]، **وبمعنى: (لايكون)، نحو(أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ** (٩) ، وبقى هذا التقسيم في المحدثين.[١٠].

ولقد ورد أسلوب الاستفهام الإنكاري في مواضع متعددة من الخطاب القرآني بألفاظ يسأل عنها بعبارة(ما أدراك)، استشعاراً منه تعالى لإجمال هذه الألفاظ عند

---

[١]لسان العرب:٧/٩١-٩٢.
[٢]ينظر:شروح التلخيص: مواهب الفتاح:٢/٢٩٦.
[٣]المائدة:٥٠.
[٤]ينظر:دلائل الإعجاز:٩٤.
[٥]ينظر: من بلاغة النظم العربي:٢/١١٧.
[٦]ينظر: مفتاح العلوم:٣١٤.
[٧]الإيضاح(القزويني): ٧٨.(٩)الصافات :١٥٣.
[٨]الإسراء:٤٠.
[١٠]ينظر: علم المعاني(عتيق): ٨٨.، وعلوم البلاغة(المراغي):٨٢،

المتلقي إذ لا يقر على المعنى لها مفصل، ويبدو أن هذا النوع من الاستفهام الصادر منه تعالى لا يأتي إلاّ في مواطن الاستعظام والهيبة، فكأنه تعالى يخبر رسوله (صلى الله وعليه وآله وسلم)،بلفظ ثمّ يعود ليسأل عنها الرسول(صلى الله وعليه وآله وسلم)، إدراكاً منه تعالى ، إذ جاز لنا التعبير بأن هذا المستفهم عنه لا يخطر معناه على بال أحد حتى الرسول(صلى الله وعليه وآله وسلم)،المخاطب نفسه، فيأتي سبحانه بهذا اللفظ مستفهماً عنه؛ لأنه مجمل الدلالة للمتلقي، ثم يفصله.[1]، **كقوله تعالى: (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ)**[2]، فنجد إن لفظةَ(الْعَقَبَةُ) قد جاءت مستفهماً عنها بقوله: (وَمَا أَدْرَاكَ)، فدخلها الإجمال بدلالة الاستفهام لتفخيم شأنها وتعظيمه. وقد فصلها سبحانه وتعالى بقوله:(ذكر بيان العقبة من فك رقبة والإطعام في يوم ذي مسبغة)[3]، وبذلك تحققت دلالة اللفظة المجملة(العقبة) تفصيلاً وبياناً.

ومثل هذا الإجمال والتَّفصيل ورد في نصوص نهج البلاغة منها قوله (عليه السلام) : (قَالَ (عليه السلام) : لِقَائِلٍ ، قَالَ بِحَضْرَتِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ :ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ، أَ تَدْرِي مَا الِاسْتِغْفَارُ ، الِاسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ ، وَ هُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ ، أَوَّلُهَا النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى ، وَ الثَّانِي الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً ، وَ الثَّالِثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ ، وَ الرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا ، وَ الْخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَ يَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ ، وَ السَّادِسُ أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ)[4].

الناظر يقف على جملة الاستفهام الإنكاري على(أَ تَدْرِي مَا الِاسْتِغْفَارُ)، وانطوت دلالتها على الإجمال بفعل الاستفهام الإنكاري وغرضه الذي خرج إليه(التوبيخ) ب(أَ تَدْرِي)، وأجمله مرة أخرى عبر استفهامه ب(ما) ثم بيّن بعد ذلك من خلال اسم (الِاسْتِغْفَارُ)، الحق الذي له درجة العليين ويستحقها صاحبها به واقع على مجموع المعاني الستة التي أشار إليها وذكرها ليتعرف حقيقته منها، ويكون إرادة هذا المعنى من لفظ الاستغفار بعرف جديد شرعيّ إذ مفهومه اللغوي أنه طلب المغفرة، إلاّ أنه لما كان طلبها مشروطاً بحصول المعاني المذكورة أطلق لفظ المشروط على الشرط واستعمله فيه، وبهذا أشار الإمام إلى الاستغفار التام بشرائطه أنه لا يتم بدونها وهي:

١ـ(النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى): أي الشعور بالذنب، والخوف من عاقبته وآثاره، وتأنيب النفس على فعله وهو ما يسمى ب(نقد الذات).

٢ـ (الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً): هذا هو العلاج الشافي والدواء الكافي لاستئصال الداء من الجذور.

---

[1] ينظر:الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني:١٥٧.
[2] البلد:١١-١٦.
[3] .تفسير الميزان:٢٠/ ٤٢٢.
[4] شرح نهج البلاغة(عبده):٥٠٧

٣- (أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ): لأن على اليد ما أخذت حتى تؤدي الشيء الذي أخذته إما بعينه أن كان لا يزال قائماً، وإما بمثله ، أو قيمته مع التلف ، ولا يسقط بمجرد العزم على ترك العودة كبعض الحقوق الإلهية.

٤- (أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا): إذ فاتك شيء من العبادات الواجبة كالصلاة ، والصيام فعليك أن تقضيه كما فات، سواء تبت من ذنوبك، أم لم تتب.

٥- (أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَ يَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ): وهو المال الحرام ومن أكل منه حتى أشتد العظم ونبت اللحم فينبغي له أن يخفف وزنه بطريق أو بآخر حتى يبقى جلده وعظمه فقط، أما من أكل لقمة واحدة من الحرام أو أكثر فيخفف وزنه بمقدار ما أكل من الحرام.

٦- (أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ): كفر عن سيئاتك بفعل الحسنات، وعن تقصيرك بالجدّ والاجتهاد في خدمة الناس ومغالبة النفس وأهوائها الشيطانية.[١]

وبذلك تظهر دلالة أسلوب التفصيل بعد الإجمال وعبر الاستفهام الإنكاري(أَتَدْرِي مَا الِاسْتِغْفَارُ)،ولغرض التفخيم ، ففخم أمر الاستغفار المجمل ابتداءً وعبر الاستفهام ، ثم بيّنه الإمام تفصّيلاً.

ثانياً : الاستفهام التعجبيّ: -

سبق الحديث عليه في الفصل الأول إذ يأتي في مواطن التعظيم والتفخيم، مستفهماً عنه الإمام فيكون مجمل الدلالة للمتلقي، ثم يفصّله الإمام لينأى بالإبهام عنه فتنكشف دلالته المرداة منه.وفي هذا المبحث سيتم التكلم عنه في نوعه المستفهم عنه وبعنوان(دلالة الإجمال في جملة الاستفهام التعجبي):-

ومنه قوله (عليه السلام): (وَ قِيلَ لَهُ (عليه السلام) كَيْفَ نَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ (عليه السلام) : كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَى بِبَقَائِهِ وَ يَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ وَ يُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ)[٢].

فالاستفهام التعجبي المجمل في قوله :(كَيْفَ نَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ)؟ فأجمل الكلام ولم يفصح عن فحوى الإجمال وقوله(كَيْفَ يَكُونُ حَالُ)، فلم يصرح بداية الجواب ، ومجملاً ومستفهماً مرة أخرى ب(كَيْفَ)؟ ثم بالموصول الاسمي(مَنْ)، ثم بيّن بعد ذلك أجابته عن طريق الموعظة والتشكي ب(يَفْنَى بِبَقَائِهِ)أي بحياته، فكان استمرار الزمان وتعاقب أجزائه مقرباً للأجل كان لبقائه سببيّة في فنائه، و(سْقَمُ صِحَّتِهِ)، وهل يعرض العطب لغير السليم؟ وسبب الأمن الخوف (وَ يُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ)أي: من حيث لا يحتسب أنه يموت في الساعة التي مات فيها. و(المَأْمَن) هنا

[١]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤/٤٥٧- ٤٥٨.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٤٦٠.

(مصدر)، والمراد أن الداخل على المرء ونزول مايكره به من الموت ، وأهوال الآخرة هو أمنه في الدنيا وسكونه إليها وغفلته عما وراءها مما لا بد منه، ويحتمل أن يكون (المَأْمَن) محل الأمن وهو الدنيا، ومعنى كونه يؤتى من مأمنه، أي أن ما يدخل عليه من الأدواء التي تلحقه هو من أحوال الدنيا التي هي مأمنه وعوارضها التي يعرض له من مأمنه حال أمنه فيه بحيث لا يمكنه الاحتراز منه.[١]

فكان في تعدد الإجمال هنا تشويق للمتلقي لمتابعة مايقوله الإمام (عليه السلام)، ومن ثم توكيده في نفس المتلقي.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام) : (مَا لِابْنِ آدَمَ وَ الْفَخْرِ ؟ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَ آخِرُهُ جِيفَةٌ وَ لَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ وَ لَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ)[٢].

نجد أنّ الإمام جاء مستفهماً عن جملة الاستفهام التعجبي في قوله(مَا لِابْنِ آدَمَ وَ الْفَخْرِ؟)، متعجباً من الذين يفتخرون بأنفسهم، وهنا يكمن الإجمال في عدم معرفة الإنسان حقيقته المادية ، ثم بيّن الإمام (عليه السلام)، ووضَّح تلك الحقيقة المادية للإنسان في أن أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وعلقة، وَ آخِرُهُ عظام نخرة جِيفَةٌ قذرة، وهو في ريعان شبابه وأوّج قوته لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فهو لا حول ولا قوة له، وخصّهم بنفي الرزق لأنفسهم، ودفع الموت عنهم... وغرض الإمام من ذلك أن يعرف الإنسان حدّه، ويقف عنده، ولا يرى نفسه كبيراً ، والخلائق صغاراً.

وهذا السياق المفصل أكسب الكلام البليغ أعظم إقناع، وأفضل وسيلة للرد وإزالة الإشكال عن الإجمال في جملة الاستفهام التعجبي وعبر قول الإمام(عليه السلام): (مَا لِابْنِ آدَمَ وَ الْفَخْرِ؟).

---

[١] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٥/٤٢٧.
[٢] شرح نهج البلاغة(عبده): ٥١٢.

لما كان التفصيل هو إيضاح للمجمل، إذن لا بد له من أدوات يُعْرَفُ بها الكلام ومن تلك الأدوات ما يكون بسيطاً وحسب، ومنها ما يكون مركباً، وسأعرضُ في هذا الفصلبيان ما يكون لفظاً مع معرفة كل أداة وبيان أثرها في النص.

المبحث الأول:دلالة أسلوب التفصيل ب(أنْ) المخففة:-

(أنْ): من أشهر حروف التفسير وأوسعها تداولاً.[١]وتأتي للتفسيربشروط معينة فصلها النحاة، ولا سيمَّا الفراء.[٢] والمبرد.[٣] وابن السراج.[٤] وابن يعيش.[٥] وطائفة من المتأخرين.[٦]

ويمكن إجمالها بما يأتي:

١ـ أن يتقدمها جملة تامة المعنى، تليها الجملة التفسيرية المصدرة بـ(أنْ)، أي إنّ الجملة بعد (أنْ) تستقل بنفسها، فلا ترتبط بها بعلاقة عمل، ولذلك منع سيبويه وكثير من النحاة أن تكون تفسيرية في قوله سبحانه وتعالى: (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[٧]؛ لأن (أنْ) إنما تجيء بعد كلام مستغن، ولا تكون في موضع المبني على المبتدأ.[٨]أي أنّ الكلام لا يُفَّسرُ إلاّ بعد تمامه.[٩]وعلى هذا لا يجوز أن يتصل بحرف التفسير شيء من صلة الفعل، كحرف الجر مثلاً؛ لأنه لوتصل به لصار من جملته، ولم يكن تفسيراً له.[١٠]

٢ـ أن تتضمن الجملة السابقة ل(أنْ) التفسيرية فعلاً فيه معنى القول من دون حروفه.[١١] ؛ لأنه لو صُرّح بفعل القول لخَلُصَت الجملة التي بعده للحكاية.[١٢] وقد اشتُهِرَ عن ابن عصفور(ت٦٦٩هـ) تجويزه وقوع (أنْ) مفسرة بعد القول الصريح، إذ قال عند كلامه على هذه الأداة: (ولا تقع إلاّ بعد القول وما في معناه)[١٣].

٣ـ أن لا يتقدم معمول ما بعدها على الجملة المفسرة.[١٤]

---

[١]ينظر: حروف المعاني والصفات:٥٨. ، ومعاني الحروف:٧٣.
[٢]ينظر: معاني القرآن : ١/ ٨٠ـ ٨١.
[٣]ينظر:المقتضب: ٣٥٨/٢.
[٤]ينظر: الأصول في النحو :٢٣٧/١.
[٥]ينظر: شرح المفصل: ٨/ ١٣٩ـ ١٤٢.
[٦]ينظر: الجنى الداني :٢٣٩. ، ومغني اللبيب:٤٩/١ ، وهمع الهوامع:١٣/٢.
[٧]يونس:١٠.
[٨]ينظر :الكتاب:١٦٣/٣.
[٩]ينظر:المقتضب:٤٩/١.
[١٠]ينظر:الكتاب:١٦٣/٣، وشرح المفصل: ١٤٢/٨. وأعراب القرآن لجامع العلوم الباقولي: ٣/ ٧٩٧.
[١١]ينظر: معاني القرآن(للفراء):١/ ٨٠ـ ٨١.
[١٢]ينظر:ارتشاف الضرب:٤٢٤/٢. وهمع الهوامع:١٣/٢.
[١٣]شرح جمل الزجاجي:٤٨٣/٢.
[١٤]ينظر:إرتشاف الضرب:٤٢٤/٢.

٤- أن يأتي بعد (أنْ) جملة لا مفرد، إذ لا يجوز: اشتريت عسجداً أنْ ذهباً، بل يجب الإتيان هنا بـ(أي) بدلاً منها، أو ترك حرف التفسير.[١]

٥- أن لا تسبق(أنْ) المفسرة بحرف الواو، وهو شرط نبّه عليه الفراء.[٢]أولاً، ثم نصّ عليه العكبري.[٣]، وجعله أحد الشروط في كونها أداة تفسير، وتنبغي الإشارة هنا إلى ما عُدَّ ضمن المسائل الخلافية بين المدرستين، وهي مسألة تتعلق بطبيعة(أنْ) المفسرة،إذ ذهب جمهور البصريين إلى القول بوقوعها في الكلام.[٤] في حين ذهب الكوفيون إلى إنكار ذلك ، وخرجوها على المصدرية.[٥]، أو الزيادة.[٦].

وقد وافقهم في ذلك ابن هشام الأنصاري إذ قال: (وعن الكوفيين إنكار أن التفسيرية ألبتة، وهو عندي متجه؛ لأنه إذا قيل: كتبت إليه أنْ قم، لم يكن(قم) نفس (كتب)، كما كان الذهب نفس العسجد في قولك: هذا عسجد أي: ذهب)[٧]

وقد ناقش ابن هشام الأنصاري في رأيه هذا غير واحد من شارحي كتابه ومنهم الدماميني(ت٨٢٧هـ) إذ قال: (وهذا الكلام عن المصنف رحمه الله تعالى مبني على أن (قم) في المثال المذكور تفسير ل(كتبت) نفسه، فأبطله، وليس الأمر كما فهمه، إنما التفسير في ذلك للمتعلق ب(كتبت)، وهو الشيء المكتوب ، و(قم) هو نفس ذلك الشيء.[٨]

أما الكوفيون فقد ردّ قولهم بمصدريتها أو زيادتها،فقال أبو حيان الأندلسي:(وليس بصحيح ؛ لأنها غير مفتقرة إلى ما قبلها، ولا يصح أن تكون المصدرية إلا بتأويلات بعيدة)[٩]

وما ذهب إليه أبو حيّان صحيح ، فثمة فرق واضح بين أن المصدرية ،والتفسيرية نجمله بما يأتي: وهوأنّ (أنْ) التفسيرية تختلف عن المصدرية في أن مدخولها لا يقتصر على الفعل فحسب، بل تدخل على الجملتين الاسمية والندائية، كما أنها يشترط أن تسبقها جملة يكون فيها معنى القول، وأن تتأخر عنها جملة ، وأن لا يكون في الجملة السابقة حرف من أحرف القول فلا يقال: (قلت له: أن أفعل)؛ لأن

---

[١]شرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٢٣٢. ، ومغني اللبيب:٥٣/١.
[٢]ينظر: معاني القرآن:٦٩/٢.
[٣]ينظر: التبيان في إعراب القرآن(للعكبري):١/ ٤٤٢.
[٤]ينظر:مغني اللبيب:٣١/١.، وينظر:ارتشاف الضرب:٤٢٤/٢.
[٥]ينظر: الجنى الداني :٢٣٩، وهمع الهوامع:١٨/٢.،وينظر: ارتشاف الضرب:٤٢٤/٢.
[٦]ينظر:البحر المحيط:٦٣٧/١.
[٧]مغني اللبيب:٥٣/١.
[٨]ينظر:تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب:٦٧/١، وينظر: المنصف من الكلام: ٦٧/١.
[٩]همع الهوامع: ١٨/٢.

هذا مقول المنطوق لا معنى القول نفسه، وأن لا يدخل عليها جار فلا يجوز أن يقال: كتبت إليه بأن أفعل وإلاّ لكانت مصدرية لا تفسيرية.[١].

في حين اختصت المصدرية بجواز وقوعها في بداية الجملة الابتدائية أو المستأنفة كما في قوله تعالى: (وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[٢]، كما أنه يجوز الفصل بينها وبين معمولها ب(لا) النافية.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن ما نقل عن الكوفيين فيما يتعلق بهذه المسألة فيه نظر، إذ لم نقف على نص يعزى إلى زعماء المذهب في إنكار(أنْ) التفسيرية، بل إنّ الفراء وهو من زعمائهم قال بوقوعها في كتاب الله عزّ وجل، وحمل على ذلك آيات متعددة.[٣]منها قوله تعالى:(فَانطَلَقُواوَهُمْيَتَخَافَتُونَأَنلَّايَدْخُلَنَّهَاالْيَوْمَعَلَيْكُممِّسْكِينٌ)[٤]، عرضت هاتان الآيتان جانباً من قصة نفر ورثوا عن أبيهم جنة كان يطعم منها المساكين والفقراء بعد أن يدّخر قوته، فلّما وافاه الأجل أقسم أولاده فيما بينهم حرمان المساكين من خيرها طمعاً منهم، فغدوا إليها مبكرين لصرم ثمارها وعند وصولهم وجدوها محروقة ومدمرة، فعلموا أن الله سبحانه وتعالى قد عجّل لهم العقوبة بحرمانهم من ثمرها نتيجة لسوء نيتهم.[٥]و(أنْ) في قوله (أَنلَّايَدْخُلَنَّهَا) مفسرة لما في التخافت من معنى القول، وقد قال بهذا الرأي الفراء.[٦] والزمخشري.[٧] والرازي.[٨]والنسفي.[٩]ومحمد بن أحمد الكلبي.[١٠]وابن كثير.[١١]والبيضاوي.[١٢]وأبو السعود. [١٣] والشوكاني. [١٤] ومن المحدثين: ابن عاشور .[١٥]ومحمود الصافي.[١٦] في حين ذهب أبو حيان(ت١٤٠٦هـ).[١٧]والآلوسي. [١٨]إلى أنها تحتمل أن تكون مصدرية أيضاً. والذي يبدو للباحث أن التفسير أرجح؛ لأنها فسرّت فحوى ومضمون التخافت الذي هو عبارة عن التشاور فيما بينهم بعدم السماح للمساكين في

---

[١]ينظر:مغني اللبيب:١/٥٥.
[٢]البقرة:١٨٤.
[٣]ينظر: معاني القرآن: ١/ ٨٠- ٨١، ٤٧٠، ٤٧١. ٢/٤١.
[٤]القلم: ٢٣ - ٢٤.
[٥]ينظر:الدر المنثور: ٨/ ٢٥٠ - ٢٥١.
[٦]معاني القرآن: ٣/ ١٧٥ - ١٧٦.
[٧]الكشاف: ٤/ ١٤٤.
[٨]التفسير الكبير: ٣٠/ ٧٩.
[٩]مدارك التنزيل: ٣/ ٥٦٩.
[١٠]التسهيل لعلوم التنزيل: ٤/ ٢٥٩.
[١١]تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٠٧.
[١٢]أنوار التنزيل: ٥/ ٣٧٢.
[١٣]أرشاد العقل السليم: ٦/ ٢٨٧.
[١٤]فتح القدير: ٥/ ٣٦١.
[١٥]التحرير والتنوير: ٢٩/ ٨٣.
[١٦]الجدول: ٢٩/ ٤١.
[١٧]البحر المحيط: ١٠/ ٢٤٢.
[١٨]روح المعاني: ٢٩/ ٤١.

الدخول إلى جنتهم، ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود (لَّا يَدْخُلَنَّهَاالْيَوْمَعَلَيْكُممِّسْكِينٌ) بدون (أَن).[١]ولو كانت مصدرية لما جاز حذفها من السياق، كما حملها على المصدرية وجه يحوج إلى تقدير محذوف وهو حرف الجر والتقدير خلاف الأولي، ويلحظ أن قوله: (وَهُمْيَتَخَافَتُونَ) جملة حالية بينت حالهم في انطلاقهم ، لا حال الانطلاق.[٢]

ومن الجدير بالإشارة إليه أن صيغة المضارع المسبوقة ب(لا) الناهية في قوله:(لَّايَدْخُلَنَّهَا) قد دلّت على زمن المستقبل القريب من زمن الحاضر.[٣]بقرينة لفظية تضمنها السياق هي قوله(اليوم) وقد أكد فعل النهي بنون التوكيد لزيادة تحقيق ما تقاسموا عليه من عدم تمكين الفقراء من دخول الجنة.[٤]واسند فعل النهي إلى المسكين والمخاطب غيره قصد المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول.[٥] وجملة(أن لَّايَدْخُلَنَّهَا) جملة مفسرة محلها الرفع ؛ لأنها فسرت جملة واقعة خبراً هي جملة(يَتَخَافَتُونَ) وهو ما يدعم بدوره ما ذهب إليه غير واحد من العلماء من أنّ الجملة المفسرة بحسب ما تفسره .[٦]

وقد علل النحاة أداءها للتفصيل بأنها بمعنى(أي) التفسيرية، أي أنها تقوم بأداء مهمتها البيانية كما تفعل(أي) التفسيرية، وإلاّ فثمة فروق دلالية بينهما فـ((أي يفسّر بها كل مبهم من المفرد ، نحو: جاءني زيد أي عبد الله، والجملة كما تقول: هريق دمه أي مات ، قال:

ترمينني بالطرف، أي: أنت مذنبُ وتقلينني لكن إياك لا أقلي

وأن لا تفسر إلاّ مفعولاً مقدر اللفظ دال على معنى القول مؤد معناه))[٧]

وبعد هذه الإضاءة الموجزة ل(أنْ) التفسيرية لا بد من الدخول في هذا النمط من التفصيل (لفظاً) وبيانه للمتلقي.

من ذلك قوله (عليه السلام): (يَاابْنَ عَبَّاسٍ ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحاً بِالْغَرْبِ أَقْبِلْ وَ أَدْبِرْ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ وَ اللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً).[٨]

---

[١]ينظر: قراءة عبد الله بن مسعود، رسالة ماجستير، عبد الله حسن أحمد، كلية الآداب ـ جامعة الموصل، بإشراف الأستاذ الدكتور طارق عبد عون الجنابي: ١٩٨٧.
[٢]ينظر:الجدول: ٢٩/ ٤١.
[٣]ينظر: رصف المباني: ٢٦٨.، ومعاني المضارع في القرآن الكريم، للأستاذ حامد عبد القادر، مجلة مجمع اللغة العربية، ج١٣، لسنة ١٩٦١، القاهرة: ١٥١.
[٤]ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/ ٨٣.
[٥]ينظر:إرشاد العقل السليم: ٦/ ٢٨٧.
[٦]ينظر: الجملة التفسيرية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، كريم ذنون داوود: ٤٢ ـ ٤٣.
[٧]الكافية في النحو(ابن الحاجب):١٣٧٢/٢، وينظر شرح الرضي على الكافية: ٤٣٨/٤.
[٨]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٣٨.

قال الإمام هذا القول لابن عباس عندما جاء برسالة من عثمان وهو مُحَاصَر يسأله فيها الخروج إلى ماله (بينبع) ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد أن سأله مثل ذلك من قبل، (كان الناس يهتفون باسم أمير المؤمنين للخلافة، وينادون به، وعثمان محصور، فأرسل إليه عثمان يأمره أن يخرج إلى ينبع، وكان فيها رزق لأمير المؤمنين، فخرج ثم استدعاه لينصره فحضر، ثم عاود الأمر بالخروج مرة ثانية)[١].

فقولالإمام **(ما يريد عثمان إلا أن يجعلني.....)**، جاءفي صدد الحديث عن شيء في غاية الأهمية وتأكيده لذلك الشيء بأسلوب القصر(النفي والاستثناء) (**مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ**)، واستعار لفظ الجمل الناضح، ورشح بذكر **الْغَرْبِ** وأشار إلى وجه المشابهة بقوله (**أَقْبِلْ وَ أَدْبِرْ**)، وإن مثل هذا الحدثيثير الانتباه والاهتمام، مواصلاً تشويقه للمتلقي بسماع المبيّن من المبهم في قوله: (**بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ**) و(أنْ) هنا مفسرة بمعنى أي ومثلها في قوله (**ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ**).

والتفسير هنا شرح لمضمون البعث إليه، وشرح لكيفية تصريفه في حال حصره ومضايقة الناس له وبعثه إلى الناس في أمره، ويلحظ مجيء الأداة (ثم) التي تدل على الترتيب في الأخبار، وهو ما عرف عند النحاة فيما بعد بالترتيب الذكري.[٢]، وقالوا فيها أيضاً أنها داخلة في التوكيد.[٣] ويلحظ في السياق المجمل، تكراره الفعل (بعث) وتركه أثراً واضحاً إلى درجة تبلغ الإثارة والانتباه في (السأم والملل) من بعث الإمام إلى الناس في أمره ، فضلاً عن الرابط الحاصل في الطباق بين(أخرج، وأقدم) عن طريق (أنْ) التفصيلية وتفسيرها لحدث البعث إليه، فقد وردت (أنْ) هنا لتبيين إجمال الفعل حتى يكون الأمر أكثر رهبة وشوقاً لمعرفة المراد من غيره وحضور هذه الأشياء مجتمعة أدت إلى القسم(والله) وتأكيده القسم ب(لقد) فقد جاءت(اللام) المقترنة بـ(قد) فقدر بعض النحاة قسماً محذوفاً في مثل هذا التركيب.[٤]فألمح الإمام هنا إلى خوفه في مبالغة الذّب عن عثمان حتى خشي الإمام لكثرة أحداثه أن يكون آثماً في الذّب والاجتهاد، في ذلك تكون (أنْ) التفصيلية قد بينت إبهام الأفعال المجملة في النص وجعلها واضحة للمتلقي.

---

[١]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٣٦٨/٣.

[٢]نقل ابن قاسم المرادي عن ابن عصفور قوله: ما ذكره الفراء أن المقصود ب(ثم) ترتيب الأخبار، لا ترتيب الشيء بنفسه: ينظر الجنى الداني:٤٠٧.

[٣]ينظر: الجنى الداني:٤٠٧. ومعاني النحو:٢٣٦/٣.

[٤]ينظر:اللامات :٨٥.، وينظر:الكتاب:١١٠/٣

ويناظر ذلك قوله(عليه السلام): **(وَ أَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أَنْ يُوَفِّقَنِي وَ إِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَ إِلَى خَلْقِهِ مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ وَ جَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلَادِ وَ تَمَامِ النِّعْمَةِ وَ تَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ وَ أَنْ يَخْتِمَ لِي وَ لَكَ بِالسَّعَادَةِ وَ الشَّهَادَةِ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَ سَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً وَ السَّلَامُ)**[١] .

هذه الرسالة تلقاها مالك الأشتر من الإمام حين ولاه على مصر، وكان الأشتر من زعماء العرب وفرسانهم وأكياسهم ومن رؤوس الشيعة الموالين لأهل البيت، وكان الإمام يعتمد عليه ويدخره للمهمات.[٢]حوىهذا العهد على المعاني الأساس والمزايا المهمة التي تنظم أمور البلاد وعمارتها والاهتمام بالرعية واستصلاح أحوالهم ، و(أنْ) في قوله (عليه السلام)(أَنْ يُوَفِّقَنِي) مفسرة لدلالة الفعل(أسال) ، إذ كشفت هذه الجملة عن فحوى السؤال فالإمام يختم هذا العهد بسؤال الله أن يوفقهما لما فيه رضاه ورضا الله في أمور من الإقامة على العذر الواضح إلى الله وإلى خلقه، وحسن الثناء في العباد وجميل الأثر وهو ما يؤثر من الأفعال الحميدة في البلاد، وأن يتم نعمته عليها وتضعيف كرامته لهما والخاتمة بالسعادة وما يوصل إليها من الشهادة، ونبه بقوله: إنا إليه راغبون على صدق نيته في سؤاله ، ثم ختم بالسلام على رسول الله والصلاة عليه وآله.[٣] ويلحظ إسناد الفعل (أسأل) مع ما أقسم إليه ب(الله) في إجابة سؤاله برحمته التي وسعت كل شيء وبقدرته العظيمة على إعطاء كل رغبة مع تأكيد الجملة ب(أنا) ما لا يخفى من الاهتمام والعناية في توفيقه لإجابة الله تعالى ورضاه عنها، وبهذا تكون (أنْ) في النص مفسرة لحدث السؤال وهو بمثابة التكلم والدعاء.

ومثال ذلك قوله(عليه السلام): **(فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَ بَيْنَ فَصِيلِهَا وَ لَا يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ [فَيُضِرَّ] ذَلِكَ بِوَلَدِهَا وَ لَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً وَ لْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَ بَيْنَهَا وَ لْيُرَفِّهْ عَلَى اللَّاغِبِ وَ لْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ وَ الظَّالِعِ وَ لْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ وَ لَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ وَ لْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ وَ لْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ وَ الْأَعْشَابِ حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدَّناً مُنْقِيَاتٍ غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَ لَا مَجْهُودَاتٍ لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ وَ أَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)**[٤].

هذه الوصية مشتملة على تعليم عامله على جباية الصدقات وقوانين العدل في أخذها من أهلها . وأمره بالشفقة عليهم والرفق بهم، فالرفق بالرعية من أهم المطالب للشارع (صلى الله وعليه وآلهوسلم) ، تلزمها تآلف قلوبهم واجتماعها عليه وعلى ما جاء به من الحق إلا أنه هاهنا أهم والحاجة إليه أشد وذلك أن الغرض هنا

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٢٠.
[٢]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤٦/٤.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٣٦١/٥.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٥٩.

أخذ ما هو أعز المطالب عند الناس من أيديهم وهو المال ومشاركتهم فيه فقلوبهم هنا أقرب إلى الانفار مما يدعون إليه من سائر التكاليف وهم إلى المداراة والرفق أشد حاجة لذلك أكد (عليه السلام) وصيتهللعامل بالرفق بهم والمساهلة منهم حفظاً لقلوبهم.[١]

وجاءت (أنْ)في قوله (**أَلَّا يَحُولَ**) تفسيرية لما في الفعل (أوعز) من معنى القول، وهو فعل مجمل وقد جاءت (أنْ) التفصيلية لبيان مضمون ذلك (الأمر) وطبيعته حتى لا يبقى مبهماً عند السامع، فهو يأمر أمينه عند تسلم المال أن لا يحول بين ناقة وفصيلها، ولا يحلب جميع لبنها ؛لأن الأمرين يضران بالولد، ولا يجهدنها ركوباً وتخصصها به دون صواحباتها؛ لأن ذلك مما يضر بها والعدل بينها في ذلك مما يقل معه ضرر الركوب وهو من الشفقة الطبيعية، وكذلك الترفيه عن اللاغب والتأني بالناقب والظالع، كذلك أن يوردها فيما يمر به من الماء والكلأ، وأن يروحها في ساعات الرواح للغاية التي ذكرها وهو أن يأتي بحال السمن والراحة، ثم رغبة بكونه أعظم لأجره وأقرب لهداه ورشده لطريق الله، فأعظم لأجره كونه أكثر مشقة وكثرة الثواب تابعة لكثرة المشقة ، واقرب لرشده فلسلوكه في ذلك على أثره (عليه السلام) واقتدائه بهداه الذي لم يكن عارفاً به.

ومن الجدير بالإشارة أن التفصيل ب(أنْ) وما بعدها من الجمل الفعلية والتي جاءت بصيغ النهي والأمر دلت على النصح والإرشاد والموعظة والالتزام بتلك الأوامر.

ومثيل ذلك قوله (عليه السلام): (فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى أَنِ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ وَ لَا يُجَاوِزَاهُ وَ تَكُونُ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَ قُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ فَتَاهَا عَنْهُ وَ تَرَكَا الْحَقَّ وَ هُمَا يُبْصِرَانِهِ وَ كَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا وَ الِاعْوِجَاجُ رَأْيَهُمَا وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَ الْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَ جَوْرَ حُكْمِهِمَا وَ الثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ وَ أَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ).[٢]

الخطاب هنا لمن أنكر رضاه بالتحكيم بعد الرضا به، وقد حكى فيه إجماع رأي جماعتهم على اختيار الرجلين وهما (أبو موسى الأشعري)و(عمرو بن العاص).

و(أنْ)في قوله(أَنْ يُجَعْجِعَا) بينت حدث الفعل (فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا) (والأخذ) صار بمثابة التكلم، وأخذه عليهما أن يحبسا نفسيهما على العمل بالقرآن ولا يجاوزاه، وتكون ألسنتهما ، وقلوبهما معه، وأطلق لفظ القلوب على الميول الإرادية مجازاً ،إطلاقاً لاسم السبب على المسبب كقوله تعالى: (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)[٣]، وذلك هو شرط رضاه (عليه السلام) بالتحكيم. فكان الإمام يعني بمثابة القول لهم والعمل

[١]شرح نهج البلاغة(البحراني):٢٢٩/٥.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٤٧.
[٣]التحريم:٤.

بالقول المأمور به عليهما، وكان الأخذ مضمونه (أَنْ يُجَعْجِعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ وَ لَا يُجَاوِزَاهُ ....) ففسرت (أنْ) حدث الأخذ ومضمونه وعما اشترط الإمام عليهما.

وقوله أيضاً (عليه السلام): (نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ وَ مُنِعَ الْغَمَامُ وَ هَلَكَ السَّوَامُ أَلَّا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا وَ لَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا)[١].

يعرض النص أمراً في غاية الأهمية أن الذنوب والأعمال الخارجة عن أوامر الله تؤثر في رفع الرحمة وسر ذلك أن الجواد الإلهي لا بخل فيه ولا منع من قبله، وإنما يكون ذلك بحسب عدم الاستعداد ، وقلته وكثرته، وظاهر أن المقبلين على الدنيا المرتكبين لمحارم الله معرضون عنه غير متلقين لآثار رحمته بل مستعدون لضد ذلك (سخطه وعذابه) بحسب استعدادهم بالانهماك في محارمه والجور في سبيله.

وجاءت (أنْ) في قوله (عليه السلام) (أن لَّا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا) مفسرة لما في الدعوة في الفعل (نَدْعُوكَ) من معنى القول والتضرع إلى الله عزّ وجل، فالفعل (نَدْعُوكَ) مجمل المضمون وأن عبارة (ان لَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا) مفصلة له؛ لأنه (عليه السلام) في صدد الحديث عن الذنوب والأعمال الخارجة عن أوامر الله والتي لها تأثير في رفع رحمة الله، وأن مثل هذا الحدث المبهم يتطلب إيضاحاً لأن النفس حين تسمع المبهم تتشوق لسماع المبيّن ولأن الإيضاح بعد الإبهام إنما (يعمد إلى استعماله لضرب من المبالغة فإذا جيء به في الكلام فإنما يفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم وإعظامه ؛ لأنه هو الذي يطرق السمع أولاً)[٢]، وقد استدعى الموقف هذه المناجاة التي ابتهل بها الإمام إلى الله حينما منعت فيها السماء بركاتها عن الأرض وأهلها حتى ضاقت عليهم بما رحبت فأشتد الفزع فإلى الله المفزع، وأفضل أنواع الدعاء هو ترك الذنوب ، أو التوبة منها إليه فكان الموقف عظيماً يتطلب الدعاء والتضرع إلى الله فهو تعالى مسبب الأسباب وهو يقلبها كما أراد.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (وَ إِنِّي أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَ الْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ يَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا وَ يَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً وَ يَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً)[٣].

تضمن النص النصح والإرشاد بصورة خاصة لعثمان ؛ لإنقاذه من خطورة الموقف الذي كان فيه وليطفئ عنه غضب الأمة، والأهم من كل ذلك رضا الله تبارك وتعالى، وأشار الإمام إلى نقطة مهمة تتعلق بمصير عثمان تحذره من مغبة سوء فعاله والفعل (أَنْشُدُكَ) مجمل مبهم ، فجاء (عليه السلام) ب(أنْ) التفصيلية حتى تنير لنا دلالة الفعل (أَنْشُدُكَ) فقال(أنْ لَّا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ)، وقد كان الرسول (صلى الله وعليه وآله وسلم) أخبره بهذه العبارة التي نقلها بعد قوله أو بما يناسبها .[٤]، وبهذا تكون (أنْ) التفصيلية تفسير وبيان للفعل (أَنْشُدُكَ) في أن

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٧١.
[٢]المثل السائر:١٩٦/٢.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٢٧.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٦٦٤/٣.

المقتول عثمان، وأثر ذلك بحجة دم عثمان حصل كل ذلك القتال وسفك الدماء، وما زلنا نشهد حتى عصرنا الراهن بعض التبعات والاختلافات التي تحدث بين المسلمين.[١].

وقوله (عليه السلام): (وَ أَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تُمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ وَ أَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ)[٢].

ورد هذا النص بشأن قدرة الله سبحانه وتعالى وخلقه الكواكب التي لها خصائصها الثابتة، وبواسطتها يدور الكوكب في فلكه، ولا يتجاوز الحد المقرر له، ولولا ذلك لاضطرب وانهار ، و(أنْ) في قوله (عليه السلام) و(أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً) وردت تفصيلية وما بعدها بينت حدث الفعل و(وَ أَمَرَهَا) مفسرة لما في الأمر من معنى القول، إذ كشفت هذه الجملة (أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ) عن فحوى الأمر هاهنا هو الوقوف مستلمة لأمره أي كناية عن كمال قدرته ووقوع مراده.[٣]

ويلحظ أن في إسناد الفعل (أمر) إلى ضمير الغيبة (الهاء) وتأكيده الفعل (لأمره) ما لا يخفى من الاهتمام والعناية بقدرة الله وقضائه في خضوع الأمر له ، فالأمور كلها مستسلمة لقدرته وعظمته.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (وَ أَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ)[٤].

جيء ب(أنْ) في قوله (أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ ...) تفسيراً لفعل الأمر لما فيه من معنى القول، إذ يأمر الإمام (عليه السلام) مالك الأشتر في وصيته هذه حين ولاه مصر بأن يكسر نفسه عند الشهوات، وهو أمر بفضيلة العفة، وأن يكفها ويقاومها عند الجمحات وهو أمر بفضيلة الصبر عن إتباع الهوى وهو فضيلة تحت العفة، ثم حذره من النفس مؤكداً إياها بالأداة (أنّ) لتمكين الخبر في ذهن السامع وتقويته من النفس الأمارة بالسوء إلاّ ما رحم الله وهو اقتباس من قوله تعالى (إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ)[٥]، وبهذا أفادت (أنْ) الإيضاح والتفصيل في بيان حدث الفعل(أمره) المجمل.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (وَصِيَّتِيلَكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً وَ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وآله) فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وَ أَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ وَ خَلَاكُمْ ذَمٌّ أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ وَ الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَ غَداً مُفَارِقُكُمْ إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي وَ إِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي وَ إِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وَ هُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ فَاعْفُوا أَ لَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ)[٦].

أورد الإمام هذا النص على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم(لعنه الله)، و(أنْ) في قوله (أَنْ لَّا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً ...) تفسيرية لما وصّى(عليه السلام) ولديّه

---

[١]ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ٣٤٣/٦- ٣٤٤.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٢٧.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٣/ ٤٤٦.، وينظر: في ظلال نهج البلاغة:١٩/٢.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٢٠.
[٥]يوسف:٥٣.
[٦]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٦٥- ٣٦٦.

(الحسن) و(الحسين)(عليهما السلام)، والوصية هنا بمعنى القول لهما، إذ وصى (عليه السلام) بأمرين هما عمود الإسلام وبهما يقوم:ـ

أحدهما: أن لا يشركوا بالله شيئاً، وكلمة (شيء) هنا نكرة في سياق النفي وتفيد العموم والشمول، والمعنى لتكن أقوالكم وأفعالكم خالصة لوجه الله، ولا تخافوا أو ترجوا أحداً إلاّ الله ، ولا تستمسكوا إلاّ بحبله وحده لا شريك له.

والثاني: الاهتمام بأمر النبي (صلى الله وعليه وآله وسلم) والمحافظة على سنته، ووجوب إتباع كلما جاء والمحافظة عليه فإذن المحافظة على كتاب الله من الواجبات المأمور بها بالالتزام، والظاهر إن إقامة هذين الأمرين مستلزم للخلوّ من الذّم، ولفظ (العمود) مستعار لهما ملاحظة لتشبههما بعمودي البيت في كونهما سببين لقيام الإسلام وعليهما مداراه كالبيت على عمد، وخلاكم ذم: أي فقد أعذرت وسقط عنك الذّم. ثم أشار (عليه السلام) إلى إجمال آخر في نص الوصية وهو فن (التقسيم) إذ ذكر أقساماً ثلاثة في قوله(الْأَمْسِ) و(اليوم) و(الغد)، مما ترك أثراً بديعياً في حسن ألفاظه ونظم عباراته وجودة معانيه كسا النص حلل الحسن لما جاء من براعة التفصيل في أجزاء الزمن الثلاثة ففي الماضي كان صاحبهم الذي يعرفونه بالقوة والشجاعة وقهر الأعداء وعليه مدار أمور الدنيا والدين، وفي الحاضر صار عبرة أي : محل عبرة فحذف المضاف أو معتبراً فأطلق اسم المتعلق على المتعلق مجازاً، وفي المستقبل مفارق لهم ، ثم أردفه ببيانه وتقسيمه لأمره مع قاتله على تقديري(فنائه ، وبقائه) ويشبه أن يكون في الكلام تقديم وتأخير والتقدير (فانا وليّ دمي) ، وروي: أولى بدمي فإن شئت أقمت القصاص وإن شئت عفوت فإن أعف فالعفو لي قربة ، وإن أفن فالفناء ميعادي، وإن شئتم تعفو فالعفو لكم حسنة فأعفوا، وذكر قسميّ بقائه وفنائه ثم عقبهما بذكر حكمهما مقترنين واقتبس الآية في معرض الذّب إلى العفو ترغيباً (وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[١]، وجاءت (أنْ) التفصيلية في قوله(أَنْ يَغْفِرَ) تفسير لمضمون حدث الفعل(تحبون) لأنه مجمل وجيء في سياق استفهام بـ(أ لا) والذي خرج لمعنى (العرض) وهو طلب الشيء بلين ورفق.[٢]

وبهذه الوصية نلاحظ فيها ضروب من التفنن في إجماله الكلام ثم تفصيله، وعلّة ذلك أن يحدث تساؤلاً وتشويقاً من قبل المتلقي، ثم ليتمكن الخبر في ذهن السامع وعبر التفصيل ب(أنْ) التفصيلية، وما فسرته من إبهام وغموض في الحدث المجمل.

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ وَ لَا مَشْكُوكٍ فِيهِ وَ لَا مَكْفُورٍ دِينُهُ وَ لَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ وَ صَفَتْ دِخْلَتُهُ وَ خَلَصَ يَقِينُهُ وَ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ)[٣]

---

[١] النور:٢٢.

[٢] ينظر: علم المعاني (عتيق): ٩٢.

[٣] شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٤٧.

ينفي الإمام (عليه السلام) في هذا النص كلّ أنواع الشرك والشك والكفر بالآيات التكوينية والتشريعية، فليس من سبيل للشك في دينه ولا في خالقيته وربوبيته في عالم التكوين، و(أنْ) في قوله (عليه السلام) (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مفسرة لما في حدث الفعل (أَشْهَدُ) من معنى القول ، فذكر الله تعالىأحوالاً شهد بوحدانيته عليها:

الأول: كونه غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ: أي ليس كمثله شيء.

والثاني: وَ لَا مَشْكُوكٍ فِيهِ: أي في وجوده فإن ذلك ينافي الشهادة بوحدانيته.

الثالث: وَ لَا مَكْفُورٍ دِينُهُ: لأن الجحود لدينه يستلزم النقصان في معرفته فكان الاعتراف به كمالاً لمعرفته وللشهادة بوحدانيته .

الرابع: وَ لَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ: أي إيجاده للموجودات وكونه ربّاً لها ثم عقب وصف المشهود له حال تلك الشهادة بأوصاف الشاهد بها باعتبار شهادته، هي كونه صادق النية في تلك الشهادة، أي باعتقاد جازم، وصافي الدخلة، أي نقي الباطن من الرياء والنفاق، وخالص اليقين بوجود المشهود وكمال وحدانيته من الشكوك والشبهات فيه، وثقيل الموازين بكمال تلك الشهادة والقيام بحقوقها من سائر الأعمال الصالحة.[١]

وبذلك يكون مضمون فعل الشهادة (أَنْ لَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ وَ لَا مَشْكُوكٍ فِيهِ وَ لَا مَكْفُورٍ دِينُهُ وَ لَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُه..)بوساطة (أنْ) في النص مفسرة لمضمون حدث الفعل (أَشْهَدُ).

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): (ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ (عليه السلام) وَ وَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ وَ غَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَ مَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وَ جَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلًا يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ وَ يَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ)[٢]

يدل كلامه (عليه السلام) على أنّ البيت الحرام كان منذ آدم (عليه السلام) والتواريخ شاهدة بذلك.[٣]، و(أنْ) في قوله (عليه السلام) **(أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ ....)** تفسير للفعل(**أَمَرَ**) وهو فعل مجمل الحدث ولما فيه من معنى القول، فأمر الله سبحانه وتعالى آدم وولده بحج بيت الله الحرام وقيل: أنه كان خيمة يطوف حولها آدم، ثم بناها ابنه شيث بالحجر والطين.[٤]، فصار مرجعاً لما تنجع من أسفارهم كما قال تعالى: **(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً)**[٥]، وبه مقام الموسم أيام الحج فيكون فيه التجارات والأرباح كما في قوله تعالى: **(لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ)**[٦]، ولتهوي إليه ثمار الأفئدة كما في قوله تعالى: **(فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم**

---

[١] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٧٠٣/٣.
[٢] شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٩٣.
[٣] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ١٦٥/٤.
[٤] ينظر في ظلال نهج البلاغة: ٣/ ١٣٠.
[٥] البقرة:١٢٥.
[٦] الحج:٢٨.

مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)[١]،ولفظ الثمار هنا مستعار للخلق باعتبار أن كلامهم محبوب لأهله وآبائه فهو كالثمرة الحاصلة لأفئدتهم ، ويحتمل أن يريد بثمار الأفئدة الأشياء المحببة المعجبة من كل شيء ، كما قال تعالى: **(يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ)**[٢]، ولما استعار لفظ الهوي رشح بذكر المهاوي إذ من شأن الهوي أن يكون له موضع، و(عميقة) صفة للفجاج، **كما قال تعالى: (يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)**[٣]، ووصف العمق له باعتبار طوله والانحدار فيه من أعلى البلاد إلى مكة، ووصف الجزر بالانقطاع لأن البحر يقطعها عن سائر الأرض والبحار يحيط بها، وكنى بهز مناكبهم ،عن حركاتهم في الطواف بالبيت، إذ كان ذلك من شأن المتحرك بسرعة.

وبذلك فسرت(أنْ) التفصيلية مضمون فعل الأمر المجمل(أمر) الذي أمره الله تعالى لآدم وولده في حجهم بيت الله الحرام، وبذلك جعل في أمره هذا وتفصيله الأمر من (حج بيت الله الحرام) حرماً آمناً يحرم بحرمته من حوله وما حوله ومن تحته ومن فوقه، وجعله الله بيتاً مباركاً يأتوه ابناؤه شعثاً غبراً على كل ضامر ومن كل فج عميق يزجون بالتلبية زجيجاً ويعجون بالتكبير عجيجاً ، فعمرّ بيت الله الحرام منذ زمن آدم (عليه السلام) والأمم والأنبياء من ولده أمة بعد أمة وقرناً بعد قرن.

---

[١]إبراهيم:٣٧.
[٢]القصص:٥٧.
[٣]الحج:٢٧.

المبحث الثاني: دلالة أسلوب التفصيل في (ضمير الفصل):-

ضمير الفصل ((يقع بين المبتدأ والخبر أو ما أصله مبتدأ وخبر، وأشترط الجمهور أن يكون الأول معرفة، وأما الثاني فمعرفة أو كالمعرفة في أنه لا يقبل (ال) نحو (زيد هو المنطلق)، وقوله :(وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا)[١]))[٢].

والفصل مصطلح بصري.[٣]ويسميه الكوفيون عماداً.[٤] ويحدد النحاة الوظيفة النحوية لضمير الفصل أو العماد ويعللون سبب تسميته بقولهم(هو الإعلام أول الأمر بأن ما بعده خبر لا تابع ؛ ولهذا سميّ فصلاً ، لأنه فصل بين الخبر والتابع، وعماداً ؛لأنه يعتمد عليه معنى الكلام)[٥].

وقد أسماه قسم من نحوي الكوفة(دعامة ؛لأنه يدعم به الكلام أي يقوى به)[٦]،وحدد النحاة له وظيفة نحوية هي تمييز المعنىمن حيث إنّ بفعله يتميّز المعنى بدقة فيقوى لدى السامع، فيفيد بذلك التوكيد.[٧] وقيل للاختصاص.[٨] ويجب أن يكون مطابقاً لما قبله إفراداً ، أو تثنية ، أو جمعاً ، أو تذكيراً، أو تأنيثاً.[٩]والغالب أنه لا محل له من الإعراب.[١٠]ومن النحاة من لا يجعله فصلاً، بل مبتدأ وما بعده خبر له.[١١]

وقد أوضح (مكي بن أبي طالب القيسي) مواضع إعراب ضمير الفصل في قوله تعالى: (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ)[١٢]، قال في إعراب :(((هُمُ الْمُفْسِدُونَ) ابتداء وخبر في موضع خبر أن، ويجوز أن تكون (هم) فاصلة لا موضع لها من الإعراب أو تكون توكيداً للهاء والميم في أنهم والمفسدون: الخبر))[١٣]، والرأي الذي ترجمه (إن وجود ضمير الفصل في الجملة يحمل المعنى على زيادة التأكيد فعند قولنا : زيد المنطلق، وهو معلوم على وجه الوجوب ثم إذا أردنا تأكيد هذا الوجوب أدخلنا ضمير الفصل فقلنا : زيد هو المنطلق)[٤١]، فضمير الفصل هنا جمل المعنى تأكيداًوأفاد المبالغة والقصر، ويتضح هذا المعنى في قول الزمخشري في تفسيره

---

[١]المزمل:٢٠.
[٢]معاني النحو: ٥١/١، وينظر مغني اللبيب: ١٥٣/٢-١٥٧.
[٣]ينظر:الكتاب:٣٩٤/١. ، وتسهيل الفوائد: ٢٩. ، وشرح الكافية: ١٦٨/٢.
[٤]ينظر معاني القرآن: ٥١/١.
[٥]مغني اللبيب:١٥٥/٢.
[٦]همع الهوامع:٢٣٦/١. ، وينظر شرح الرضي على الكافية: ٤٥٦/٢.
[٧]ينظر: شرح المفصل:١١١/٣. والكتاب :٣٩٤/١. وشرح الكافية: ١٦٨/٢.
[٨]ينظر: همع الهوامع: ٢٣٦/١
[٩]تسهيل الفوائد:٢٩. وينظر شرح الكافية: ٢٣/٢.
[١٠]ينظر: أعراب القرآن للنحاس: ٣٣٠/١. والكتاب : ٣٩٤/١.
[١١]ينظر: معاني القرآن: ٤٠٩/١، والكتاب: ٣٩٥/١.
[١٢]البقرة:١٢.
[١٣]مشكل أعراب القرآن(مكي ابن أبي طالب القيسي): ٧٩.
[٤١]البرهان الكاشففي إعجاز القرآن (للزملكاني): ٢١٩.

لقوله تعالى: (أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[١]، (هم فصل وفائدته .... إيجاب وإن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره)[٢]، ثم يؤكد هذا المعنى فيقول: (فانظر كيف كرر الله عزّ وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الإشارة ، وتكريره وتعريف المفلحين، وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك)[٣]، ومن تفسير الآية نفسها يقول الرازي: (هم: فصل له فائدتان: أحدهما: الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة. وثانيهما: حصر الخبر على المبتدأ فإنك لو قلت الإنسان ضاحك فهذا لا يفيد إن الضاحكية لا تحصل إلا في الإنسان أما لو قلت: الإنسان هو الضاحك فهذا يفيد أن الضاحكية لا تحصل إلا في الإنسان)[٤]، ويذكر السيوطي ((أن من طرائق التقديم: ضمير الفصل نحو قوله تعالى: (فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ)[٥]،أي لا غيره وكذلك قوله تعالى: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)[٦]))[٧]، والواقع أن دلالة ضمير الفصل في الجمل الاسمية كما وجدنا قد أفاد التوكيد المبالغةومعنى الحصر.

وينقل السيوطي في هذا المعنى ما قيل في عروس الأفراح((وقد استنبطت دلالته على الحصر من قوله تعالى: (فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ)[٨] ؛لأنه لو لم يكن للحصر لما حسن ؛لأنّ الله لم يزل رقيباً عليهم، وإنما حصر بتوفيته أنه لم يبق لهم رقيب غير الله تعالى))[٩]، وقد يدخل ضمير الفصل على جملة متضمنة معنى القصر قبل دخوله فيفيد توكيد ذلك القصر كما في قوله تعالى: (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[١٠]، ومثله قوله تعالى: (وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[١١]، وبهذا يحدد النحاة الوظيفة البيانية التي يؤديها ضمير الفصل في تأكيد الخبر وحصره والمبالغة فيه وإزالة اللبس والغموض عنه، ومن هنا تتضح لنا دلالة ضمير الفصل من تسمياته المتعددة. فهو فصل ؛لأنه هو عملية(الإعلام من أول وهلة بكون الخبر خبراً لا صفة)[١٢]؛ ولأنه يميز الخبر في إجماله بالنعت و(عماد) لأنه يعتمد عليه معنى الكلام ووضوحه في المعنى و(دعامة) ؛لأنه يدعم به الكلام ويؤكده ويقويه بما يوضحه من الأمر المبهم ومن هنا فهو يحدد للمبتدأ بما يليه من معنى ويشخصه ويخلصه من التردد بين اسناديته وتبعية ما بعده إليه (صفة) أما إذا ترك المبتدأ بلا

---

[١]لقمان: ٥.
[٢]الكشاف (الزمخشري): ٤٦/١.
[٣]م.ن:٤٦/١.
[٤]التفسير الكبير للرازي: ٣٤/٢.
[٥]الشورى:٩.
[٦]الكوثر:٢.
[٧]الإتقان في علوم القرآن(للسيوطي):١٥٣/٣.
[٨]المائدة:١١٧.
[٩]الإتقان في علوم القرآن(للسيوطي):١٥٣/٣.
[١٠]البقرة:٣٧.
[١١]البقرة:١٢١.
[١٢]همع الهوامع:٢٣٦/١. وينظر: معاني النحو: ٥١/١.

توجيه دلالي فإن الإجمال يتسرب إليه من ناحية التعلق بما يليه ، ذلك أن ثمة فارق دلالي بين النعت والخبر وفيما يخص نسبتها إلى المبتدأ في أن الخبر يكمل مع المبتدأ جملة لها معنى متكامل ويشكلان حالاً مضمونياً معيناً فهما (ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدّاً)[١]، وهما (كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه،....)[٢]، على حين أن النعت هو(التابع المكمل متبوعه ببيان صفة من صفاته نحو(مررت برجل كريم) أو من صفات ما تعلق به ـ وهو سبَبَهُ ـ نحو(مررت برجل كريم أبوه)[٣]،إذن النعت يضفي خصيصة دلالية على المبتدأ وبذلك لا يشكل مع المبتدأ حالاً مضمونياً يتصف بالثبوت الدلالي، كما هو الحال مع الخبر.

ومما سبق نستخلص: إنَّ (ضمير الفصل) يؤتى به لتفصيل ما أجمل وأبهم ما قبله (المبتدأ) ومن ثم تمكين المعنى والخبر في ذهن السامع وترسيخه فسماع المتلقي للإجمال في المبتدأ يؤتى بالخبر ليفصل ذلك الإبهام ، وبهذا يتضح المعنى بوضوح وبيان ، والبيان بعد الإبهام يكون أوقع في النفس وأليق في مقام الإخبار ؛لأن الخبر جاء والنفوس إليه متطلعة وله مترقبة. وقد جاء ضمير الفصل في نصوص نهج البلاغة على النحو الآتي:

كما في قوله (عليه السلام): (لَأَنْسُبَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ وَ التَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ وَ الْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ وَ التَّصْدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ وَ الْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ وَ الْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ)[٤].

نلاحظ أن ضمير الفصل (هو) أول ما يلفت النظر في هذا النص، مؤكداً الخبر بعده ومفصلاً له عبر تتابع مستمر لتكرار بيان نتيجة كل مبتدأ مجمل والمتمثل في إعادة قرينة الفقرة السابقة في أول الفقرة التي تليها وهو ما يسمى بـ(تشابه الأطراف)[٥]. الذي منح النص تناغماً موسيقياً مميزاً له وقعه الخاص في النفوس، فإن الإجمال بالمبتدأ ونتيجته عبر ضمير الفصل وكالآتي:ـ

الأول: إن الإسلام هو التسليم أي الدخول في الطاعة لله .

الثاني: التسليم هو اليقين؛لأن التسليم الحق إنما يكون عن تيقن .

الثالث: اليقين هو التصديق: وهو وجوب طاعة الله وإقرار بصدق الله.

الرابع: التصديق هو الإقرار والاعتراف بوجوبه.

---

(١)الكتاب: ٧/١.

(٢)شرح المفصل:٢٠/١.

(٣)شرح ابن عقيل:١٥٨/٣، وينظر: اللمع في العربية:١٦١. وينظر:معاني النحو:١٧٦/٣.

(٤)شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٦١.

(٥)وهو(أن ينظر الناظم أو الناثر إلى لفظة وقعت في آخر المصراع الأول أو الجملة ، فيبدأ بها المصراع الثاني، أو الجملة التالية): جواهر البلاغة:٣٩١. وينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى:٣٦٣.

الخامس: الإقرار هو الأداء: وهو العمل ، فلأن أداء ما أعترف به لله من الطاعة الواجبة لا يكون إلاّ عملاً.

السادس: الأداء هو العمل فالإسلام هو العمل لله بمقتضى أوامره وبذلك ثبت (تأكيد تخصيص كل منهما بالآخر)، وعبر ضمير الفصل (هو) الذي أخبر أنّ المسلم عند الله هو الذي يستسلم للحق، ويؤمن به، ويعلنه قولاً ، ويجسده عملاً، وهذا هو المسلم الذي تجري عليه أحكام الإسلام في الحياة الدنيا ويكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ)[١].

أمر (عليه السلام) عبر فعل الأمر (اتَّقُوا) بالخشية من الله ونفّر عنها، مؤكداً الخبر على السامع عبر الأداة (إنَّ) ومفصلاً الإجمال في معمول اسم أن (الشَّاهِدَ) بقوله (هُوَ الْحَاكِمُ) وبذلك يكون (الْحَاكِمُ)خبر لا صفة، فبيّن بالتفصيل ليدل على كل من كان الشاهد عليه فهو حاكمه فوجب عليه أن يتقيه، فالله بكل شيء عليم سراً كان أم علانية إذن فلا منج من الحساب والعقاب لمن يعصي الله في الخفاء.

ونلاحظ في ضمير الفصل هنا المبيّن دلالة ترهيب وترويع فجدير بالإنسان أن يتقي الله حقّ تقاته ؛ لأنه تعالى الحاكم فيه وهو الشاهد عليه، فقد حوى النص على مزيّة التأثير والإمتناع ليردع النفس عن شهواتها ومنكراتها. وبذلك يلجأ الإمام إلى (خطاب النفس خطاباً مباشراً، فيدعوها إلى أن تحاسب وتراقب ، فيتناول معانيه من قرب، ويلمس النفس بيده دون تلميح أو إشارة أو همس من بعيد)[٢].

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): (وَ رَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَ لَا تُخِلُّوهَا وَ لَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَ الْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ وَ يَكْتَنِفُونَهَا حِفَافَيْهَا وَ وَرَاءَهَا وَ أَمَامَهَا لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا وَ لَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا)[٣].

هذا النص من كلام له(عليه السلام) في حث أصحابه على القتال عبر أوامر أمرها في مصلحة الحرب في (رَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا) فإن إمالتها مما يظن به العدو وتشويش واضطرابُ حال فيطمع ويقدم، والنفي في فلا تخلوها ، ولا تجعلوها إلا بأيدي أشجع القوم، وإن يحف بها الأبطال البسلاء؛ لأنها النظام الذي يجمع المحاربين، وعليها تدور رحى المعركة، مؤكداً الخبر بالأداة(إنَّ) واسمها (الصَّابِرِينَ) ومفصلاً الإبهام في الاسم عبر ضمير الفصل (هم)، وتأكيده الخبر في الموصول الاسمي (الذين) وصلته الفعلية(يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ) ومعطوفها (يَكْتَنِفُونَهَا حِفَافَيْهَا وَ وَرَاءَهَا وَ أَمَامَهَا) وضمير الفصل (هم) فيه مزيّة(تخصيص) بين طرفي الإسناد بعضهما ببعض ولمن يحفظ الراية ويحفها بوصف الصبر على نزول الحقائق: أي الشدائد الحقة المتيقنة التي لا شك في نزولها؛ كي يسارعوا إلى حفظها

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٩٤.
[٢]القيم الخلقية في الخطابة العربية:٢٣٢.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٨٢.

والإحاطة بها رغبة في تلك المحمدة.[١] وجاء النفي بالأداة (لَا يَتَأَخَّرُونَ) ومعطوفها و(لَا يَتَقَدَّمُونَ)، ونصب الفعلان (فَيُسْلِمُوهَا)وَ (فَيُفْرِدُوهَا)بإضمار (أن) عقيب الفاء في جواب النفي.يتضح مما سبق أن معرفة خواص التركيب وأسرار أساليب البلاغة وما فيها من دقيق الوضع، وباهر الصنع، ولطائف المزايا، يسترعى لُبك إلى أن التقييد بضمير الفصل يؤتى به لزيادة الفائدة، وتقويتها عند السامع.[٢]

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (وَ اعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ وَ أَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ وَ أَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ وَ أَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي)[٣].

نجد أن ضمير الفصل(هو) فصّل ليبيّن جملة من صفات الله وأفعاله بفعل الأمر (وَ اعْلَمْ) مؤكداً الخبر بـ(أَنَّ) وموظفاً (الطباق) في تصويره الجوانب المتناقضة في الحياة ، ولتعمل على إثارة المتلقي وتحفزه في الترقب والتنبه وصولاً إلى الترابط الدلالي المتولد من حركة الثنائيات المتضادة، فالله سبحانه وتعالى هو القادر على الحياة وله أن يحيّباعتبار أن أسباب الموت والحياة تنتهي إليه،وكذلك الخالق هو المميت فإن فاعلالخلق هو مقدر الموت الذي ينتهي إليه أسبابها، وكذلك المفني هو المعيد، والمبتلي هو المعافي باعتبار انتهاء أسباب الفناء والإعادة والابتلاء والمعافاة إليه.

هذه المتضادات وإسنادها إلى مبتدأ واحد أكدها ضمير الفصل(هو) فقوى بذلك المعنى في ذهن السامع وفصله وخلصه من التردد في إسناده كون منشأ تلك الأفعال هو الله عزّ وجل.

ويناظر ذلك قوله(عليه السلام): (وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ)[٤].

فقد جاء الضمير (هم) لرفع الإجمال من أن يكون الذين صفة لهم، وهو لا يريد ذلك بل بيّن بالتفصيل وليدل على أن الراسخين في العلم هم (الذين) أغناهم الله عن اقتحام السدد المضروبة، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً، وبذلك يكون الضمير متوسطاً بين المبتدأ والخبر، وجاء في نطاق إجمال بالفعل (وَ اعْلَمْ) وتأكيد ذلك الإجمال بالأداة (أَنَّ) ثم إجماله المبتدأ (الرَّاسِخِينَ) ثم تفصيل ذلك الإبهام في خبر مسند إلى المبتدأ (الراسخين) وتفسيره بالخبر (الذين) وصلته الفعلية(أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ) ليشير إلى تمام الجملة وعدم حاجتها إلى ما يتممها عن طريق تمكين المتلقي من تلابيب المعنى ، فضلاً عما قام به من وظيفة تمثلت في تأكيد الخبر وقصره والمبالغة في أمره تعظيماً لشأن أولئك الذين رسخت أقدامهم في العلم

---

[١]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٥٥٩/٣.
[٢]ينظر: جواهر البلاغة: ١٥٨.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٧٢.
[٤]م.ن: ١٢٣.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ)[١].

هذا النص جزء من خطبة له تحدث فيها عن عجيب خلق أصناف الحيوان، وقد أفاد ضمير الفصل (هو) الواقع بين المبتدأ (**فَاطِرَ النَّمْلَةِ**) والخبر(**فَاطِرُ النَّخْلَةِ**)، والقصر والتأكيد عن طريق إعادة الاسم الظاهر مرتين (مرة على سبيل الإجمال، ومرة على سبيل التفصيل) وفي ذلك مزيد من التشويق للمتلقي ومن ثم تقرير الحجة أن وجود النملة والنخلة اشتمل كل منهما على دقيق تفصيل الخلقة وغامض اختلاف شكل وهيئة وكل ما اشتمل على ذلك فله صانع مدبر حكيم خصّ كلاً منهما بما يشتمل عليه وهذه الحجة هي المسماة في عرف المتكلمين بالاستدلال بإمكان الصفات.[٢]

ومثيل ذلك قوله (عليه السلام): (وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ وَ الْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ وَ الْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ)[٣].

فصّل الإمام(عليه السلام) عبر ضمير الفصل (هو) تعلق المبتدأ بما بعد الضمير ،فأورد (هو) فصلاً وفائدته: الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة ،وللتوكيد أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره)[٤].

لذا فصّل الإمام ذلك الإجمال بالإخبار عنه بجمل اسمية (**النَّاصِحُ**...)ومعطوفها (**وَ الْهَادِي**...) و(**الْمُحَدِّثُ**...)، ثم إجماله الخبر مرة أخرى عبر الاسم الموصول(الذي) ثم تفصيله عبر صلته الفعلية المنفية(**لَا يَغُشُّ**)و(**لَا يُضِلُّ**)وَ (**لَا يَكْذِبُ**)، وأجمل ما في التفصيل وصفاته حضور الاستعارة ب(التشخيص) في تصويره المعنى فهو الناصح، ووجه الاستعارة أن القرآن يرشد إلى وجوه المصالح، كما أن الناصح كذلك، ورشح بكونه (لا يغش) ، وكونه (الهادي) أي لا يضل إلى طريق الله، ثم استعار لوصف (**الْمُحَدِّثُ**) ورشح بكونه (لا يكذب)، ووجه الاستعارة اشتماله على الأخبار والقصص الصحيحة، وفهمه واستفادته عنه كالمحدث الصادق.

وبهذا حقق الإمام غرضه (وهو تشويق المتلقي) للخبر وبضمير الفصل (هو) ثم تلوينه النص بالاستعارة لغرض المبالغة والتأكيد في الخبر، بما يضمه القرآن من كلمات مقدسة تنصح قارئها وسامعها بإنسان يحثه إيمانه وتقواه على إبداء النصح والهداية لكل من يطلبها بلا غش أو خداع فأكد بذلك معنى الخبر وجعله واضحاً للمخاطب.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (وَ إِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ)[٥].

وعند ما أراد (عليه السلام) إيضاح ما للعاملين للآخرة لا للدنيا فقط، نجده يفصله بضمير الفصل (هم) ليبين وجه سعادتهم بها، واستثمارهم للكمالات المسعدة

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٦٠.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٨٤/٤.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٤٣.
[٤]الكشاف: ٨٥/١. وينظر مجمع البيان: ٤٠/١. والجوهر الثمين:٦٧/١.
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٢٥.

في الآخرة منها، ولن يحصل ذلك إلاّ بالهرب من اليوم، وهو تورية عن (الدنيا)، وكنى بالهرب منها عن الإعراض الحقيقي عن لذاتها، والتباعد من اقتنائها ولذاتها لإستلزام الهرب من الشيء التباعد عنه والزهد فيه، والظاهر أن التباعد منها بالقلوب إلا ما دعت الضرورة إليه واتخاذها مع ذلك سبباً إلى الآخرة من أسباب السعادة ومستلزماتها ، أوضح تلك السعادة بـ(**الْهَارِبُونَ**) وهو خبر مسند إلى المبتدأ وهو اسم إنّ (**السُّعَدَاءَ**) وليس صفة تابعة له. وبذلك أزال ضمير الفصل الشبهة عن إجمال المبتدأ في تردده وتعلقه بما بعده، فنصص ضمير الفصل تعلّق المبتدأ بما يليه فبيّن أنه مسنده وهو (الخبر) فألف بذلك مع الخبر معنى متكاملاً يدل على الثبوت دون أن يبقى ما بعد المبتدأ مجملاً في تعلقه بما قبله.

ونختم كلامنا بقوله (عليه السلام): (أَيُّهَاالْمُؤْمِنُونَ إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ وَ مُنْكَراً يُدْعَى إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَ بَرِئَ وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَ كَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى وَ قَامَ عَلَى الطَّرِيقِ وَ نَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ)[1] .

استعمل (عليه السلام) ضمير الفصل(هي) في (**كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا**) و(**كَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى**) ، ليؤكد معنى الخبر وقصره على المبتدأ كون (**كَلِمَةُ اللَّهِ**) شأنها الارتفاع والعلو وهي المرتفعة دوماً بذاتها، ثم نقيضها في التضاد وكون(**كَلِمَةُ الظَّالِمِينَ**) شأنها الانخفاض والحضيض وكونها السفلى التي لا ترتفع مهما علا الباطل وطغى في الزمان(**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**)[2]، وهذا واضح كون الحق وهو (**كَلِمَةُ اللَّهِ**)شأنها الإشراق كطلوع الفجر بضيائه، وكون الباطل وكلمة الظالمين شأنها شأن الأفول وغياب الشيء وظلامه وانحطاطه وهذا ما أكده (ضمير الفصل) كون الذي ينكر بسيفه فهو جدير بأن يوصف كونه أعلى درجات الشجاعة والجرأة هذا إذا لم يكن طبعه الرياء ومقصوده فيكون بذلك قد أصاب سبيل الهدى والرشاد إلى طريق الحق والإسلام، ونراه يستعير هنا لفظ (التنوير) لوضوح الحق في قلبه وجلائه من شبه الباطل وانحرافاته.

وبذلك تحقق (ضمير الفصل) وتوكيده معاني القصر التي يدخل عليها فهو دعامة يدعم به الكلام أي يقوي ويؤكد.[3]

مما تقدم نصل إلى أنَّ ضمير الفصل أداة لفظية من أدوات التفصيل ترد في النص فتزيل الشبهة عن إجمال المبتدأ في تعلقه بما بعده، ويؤلف مع الخبر معنى متكاملاً يدل على الثبوت دون أن يبقى ما بعد المبتدأ مجملاً في تعلقه بما قبله.

---

[1] شرحنهجالبلاغة(عبده): ٥٠١.
[2] الرعد:١٧.
[3] ينظر: مغني اللبيب:١٥٥/٢.

المبحثالثالث:دلالة أسلوب التفصيل ب(مِن) البيانية:-

لـ (مِنْ) معانٍ أشهرها: ابتداء الغاية، والتبعيض،والعموم، وتخصيص العموم، وبمعنى الباء، أو على، أو في، وقد تكون سببية أيضاً.[١]

وتأتي (مِنْ) للتفصيل وهي التي تسمى (من التبيين)[٢]، وهي التي تكون مع مجرورها مبينة لجنس المبهم الواقع قبلها، وتتعلق مع مجرورها بحال محذوفة لهذا المبهم إن كان معرفة، أو بصفة محذوفة له إن كان نكرة. نحو قولك : عندي خاتم من ذهب، وباب من ساج : أي جنس الخاتم ذهب،وجنس الباب ساج، ونحو:أخذت عشرين من الدراهم) ،فإذا كنت أشرت بالدراهم إلى دراهم معينة أكثر من عشرين فـ(من مبعضة)؛لأن العشرين بعضها ، وإذا كانت الدراهم عشرين فهي مبينة؛لأنك قصدت بالدراهم الجنس.[٣] ، والظاهر أن (من) يؤتى بها للتنصيص على التمييز، أما النصب فقد يحتمل التمييز وغيره أحياناً، وذلك نحو قولك (ما أحسنه خطيباً) و(وما أحسنه من خطيب) فقولك (خطيباً) يحتمل الحال والتمييز، فإذا قلت (من شاعرٍ) تعين أنه تمييز.[٤]

وجاء في (الأصول) : (فأمّا قولهم: حسبك بزيد رجلاً، وأكرم به فارساً، وما أشبه ذلك، ثم تقول: حسبك به من رجل، وأكرم به من فارس، ولله دره من شاعر وأنت لا تقول: عشرون من درهم ، ولا هو أفره منك من عبد، فالفصل بينهما أن الأول كان يلتبس فيه التميز بالحال فأدخلت(من) لتخلصه للتميّز ألا ترى أنك لو قلت: (أكرم به من فارساً، وحسبك به خطيباً، لجاز أن تعني في هذه الحال، وكذلك إذا قلت: (كم ضربت رجلاً، وكم ضربت من رجل، جاز ذلك؛لأن (كم) قد يتراخى عنها مميزها، فإن قلت: كم ضربت رجلاً؟ لم يدر السامع أردت، كم مرة ضربت رجلاً واحداً، أم كم ضربت من رجل ، فدخول(من) قد أزال الشك)[٥].

وبهذا تعمل(مِنْ) على إزالة الإبهام من النص وتفصيله بدقة وتخصيصه بالتمييز لقصد المبالغة في الكلام والتشويق فيه فيكون أوقع في النفس(لأن الآتي بعد الطلب أعز من المنساق بلا طلب)[٦].**ومن الدلالات التفصيلية لـ(مِنْ) البيانية في نصوص نهج البلاغة:**

---

[١] ينظر: الإتقان في علوم القرآن:٥١٧/١-٥١٨.
[٢] ينظر: شرح الرضي على الكافية:٢٦٦/٤، والتبيان:٢٩٧/١، والكشاف:٢٥٧/١، والبرهان في علوم القرآن:٢١٥/٢.،والإتقان في علوم القرآن:٥١٧/١.
[٣] ينظر:شرح الرضي على الكافية:٢٦٦/٤.
[٤] ينظر: معاني النحو:٧٦١/٢، وينظر تسهيل الفوائدوتكميل المقاصد:١١٥.
[٥] الأصول في النحو:٢٦٦/١-٢٢٧.
[٦] حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك:٢٩٠/٢.

قوله (عليه السلام): (عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ .... قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ وَ سَلَكَ سَبِيلَهُ وَ عَرَفَ مَنَارَهُ وَ قَطَعَ غِمَارَهُ وَ اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا وَ مِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا)[١].

هذا الكلام من خطبة له(عليه السلام) أشار فيها إلى صفات من يحبه الله سبحانه، وجاءت (مِنْ) تفصيلية لإيضاح تمسك ذلك العبد ب(**أَوْثَقالْعُرَى**) الذي يقرب معناه من معنى (**الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا**) وكون المراد منهما التمسك بسبيل الله وأوامره (استعارة) ووجه المشابهة أن العروة كما تكون سبباً لنجاة من تمسك بها، وكذلك الحبل، وكان أجودها ما ثبت وتمتن ولم ينفصم كذلك طريق الله المؤدي إليه يكون لزومه والتمسك بأوامره سبباً للنجاة من أهوال الآخرة وهي عروة لا انفصام لها وأوامرها حبال لا انقطاع إليها.[٢] وجملة النص جاءت مؤكدة ب(إنَّ) تنبيهاً للسامع لما سيقوله من كلام ليقوى في ذهنه ويترسخ، وتكراره لفظة (عبد) ، ثم تأكيد الخبر بـ(قد) وتكراره اللفظ المراد ف بالاسم في (طريقه) و(سبيله) و(العرى) و(الجبال) كل هذه التكرارات تؤكد المعنى في ذهن السامع بذلك العبد وقوة تمسكه بسبل الله سبحانه وأوامره وكل هذه الدلالات الترغيبية في النص أوجبت مجيء (مِنْ) البيانية التفصيلية بقوله(**مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا**) ومعطوفها (**مِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا**) للتحفيز في الالتزام بأوامر الله تعالى، والتسليم والمسارعة في تنفيذ الأحكام والعبادات، وردع النفس الأمارة بالسوء من الأهواء والشهوات المفسدة المهلكة.

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي الْقُلُوبِ وَ مِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَّ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَ الصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ وَ الْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الْإِمَّةِ وَ مُعْلِنِهَا)[٣].

نجد أن النص مساق لبيان الهجرة في قوله (وَ الْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ) ثم قال: (مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِحَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الْإِمَّةِ وَ مُعْلِنِهَا)، وهنا (من) جاءت بيانية ولأداء مهمة التفصيل ف(ما هنا نافية) (أي لم يكن لله في أهل الأرض ممن أسر دينه أو أعلنه وأظهره حاجة، ومن هنا لبيان الجنس)[٤] وأنكر الشارح ابن أبي الحديد كون ما نافية، وقال: ويلزم منه كون الكلام منقطعاً بين كلامين متواصلين وجعلها هو بمعنى المدة، أي والهجرة قائمة على حدها ما دام لله في أهل الأرض بالتكليف.[٥]

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):١١٧.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤١٢/٢.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٦٧ـ ٢٦٨.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):١١٧/٤.
[٥]ينظركشرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٤٧/٤.

وهو كقولك في الدعاء اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي. فيكون لفظة (الحاجة) مستعاراً في حقه تعالى باعتبار طلبه للعبادة بالأوامر وغيرها كطلب ذي الحاجة لها، ثم يردف البحراني قوله: أنه غير بعيد أن تكون(ما) نافية مع اتصال الكلام بما قبله ، ووجهه أنه لما رغب الناس في طلب الدين والعبادة فكأنه أراد أن يرفع حكم الوهم بما عساه يحكم به عند تكرار طلب الله للدين والعبادة من حاجته تعالى إليها من خلقه حيث كرر طلبه منهم بتواتر الرسل والأوامر الشرعية ، فيصير معنى الكلام أنّ الهجرة باقية على حدها الأول في صدقها على المسافرين لطلب الدين فينبغي للناس أن يهاجروا في طلبه إلى أئمة الحقّ ، وليس ذلك لأن الله تعالى إلى أهل الأرض فمن أسر دينّه أو أظهره حاجة فإنه تعالى الغني المطلق الذي لا حاجة به إلى شيء.[١]

وبهذا تحتمل(من) في هذا النص كونها بيانية تفصيلية في كون الله غني عن العالمين، وعن معصية من عصاه، وطاعة من أطاعه سواء أعلن طاعته في دار الإسلام، أم أسرّها خوفاً وتقية في بلاد الكفر.

ومنها قوله (عليه السلام): (وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَ مَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ (عليه السلام) عَلَى فِرْعَوْنَ وَ عَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَ بِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَ دَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ أَ لَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَ بَقَاءَ الْمُلْكِ وَ هُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَ الذُّلِّ فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَ جَمْعِهِ وَ احْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَ لُبْسِهِ)[٢].

هذا الكلام قيل عندما دخل موسى وهارون(عليهما السلام) على فرعون يدعوانه إلى الله تعالى، وهما يلبسان مدارع الصوف، وبيدهما العصي، وشرطا له بقاء ملكه ودوام عزه أن أسلم وأطاع ... وسخر فرعون ممن يشترط له هذا وعبر الاستفهام بالتحضيض.[٣] وبالأداة(هلاّ) لغرض الإنكار ،والفعل الماضي(أُلْقِيَ) عليهما آثار الغنى والمال، واستعمل (مِنْ) هنا لأداء مهمة التفصيل لذلك الغنى وهو (الذهب) أي جنسه من الذهب كالأساورة، فكان إعظام الذهب ولبسه هو من شعار الغنى، أما الصوف فهو من شعار الفقر وهو سبب حامل له، وعلى ذلك جاء استكبارفرعون وتعجبه من شرطهما له بدوام العزّ والملك بإسلامه.[٤] إذن جيء ب(مِنْ) لتفسير مجمل قوله: (مِنْذَهَبٍ) أي أن الأساورة جنسها من ذهب، فدخول (مِنْ) هنا أزال الشك والإبهام من كون الذهب من جنسه وهو مصاغ، فلو رفعت (مِنْ) هنا لتردد في كون الذهب غير مصاغ ومن غير جنسه .

---

[١]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):١١٨/٤.، وينظر في ظلال نهج البلاغة:٨٧/٣.

[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٧٨.

[٣]التحضيض: ومعناه طلب الشيء بحث ومن أدواته لولا، لوما، وهلاّ، وإلاّ، وتختص بالدخول على جملة فعلية وفعلها ماضٍ أو مستقبل .ينظر:علم المعاني(عتيق):٩٢.

[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):١٦١/٤.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (فَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَ أَنِيقِ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ وَ رَبِيبَ شَرَفٍ يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ وَ يَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ وَ شَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَ لَعِبِهِ.... فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا وَ تَرْكِ الْأَحِبَّةِ إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ وَ يَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ وَ دُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ)[١].

لا شك أن الموت والترهيب منه كان الباعث الذي ألهم الإمام(عليه السلام) كل تلك المعاني في مشاهده لإقرار حقيقة حيّة إلاّ وهي أن من وراء أيام الحياة أجلٌ محتوم يلاقي الإنسان فيه ربه،فلا حياد عن الموت وأهواله ، وهذه الخطبة من الخطب الرائعة التي قال عنها ابن أبي الحديد(وأقسم بما تقسم الأمم كلها به، لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن، أكثر من ألف مرة، ما قرأتها قطّ إلاّ وأحدثت عندي روعة وخوفاً وعظة وأثرت في قلبي وجيباً وفي أعضائي رعدة، ولا تأملتها إلاّ وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي، وأرباب ودي، وخيلت في نفسي أني أنا ذلك الشخص الذي وصف حاله)[٢] ، فالجمل تبتدأ ب(كم) الخبرية، لتدل على الكثرة، ثم المجاز للأرض في لفظة (الأكل) ولتأتي (مِنْ) البيانية وتفصيلها لذلك الأكل من عزيز جسد: أي طري، وأنيق لون أي معجب اللون،وغذيّ ترفُ : قد غذي بالترف وهو التنعم المطغي، وبذلك فصلت (مِنْ) مفهوم الأكل للأرض وأزيل التردد في الإبهام بعد(كم) الخبرية ، عبر التميز المجرور ب(مِنْ) من عزيز جسد.... ، ثم يصف الإمام تعلل الإنسان بالسرور إذ نزلت به نازلة وعيشه بالحياة ولهوها، فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا أي سرعان ما يفارقها؛لأن من كان على جناح طائر، فأوشك به أن يسقط ، فعرض له حاله الأخذ في الموت المعتاد للناس ولتأتي دلالة (كم) الخبرية مرة أخرى عبر قوله(فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ ....) حيث دلالة (كم)أيضاً على التكثير، وجاء بالتفصيل لتميزها المجرور عبر(مِنْ) البيانية التفصيلية في (مِنْ مُهِمٍّ ...)، فيجوز أن يكون (له مال مدفون يسأل عنه حال ما يكون محتضراً، فيحاول أن يعرّف أهله به فلا يستطيع، ويعجز عن رد جوابهم)[٣]، ثم دعاء مؤلم أي نداء بعض أحبائه يناديه باسمه فيسمع النداء ومع هذا يتجاهل عجزاً عن الجواب من كبير كان يعظمه كوالده الحنون، أو صغير كان يرحمه كطفله وفلذة كبده.إن استخدام الإمام (مِنْ) التفصيلية فيه إقناع وإمتاع من أجل تقوية المعنى في ذهن السامع، والمبالغة في ذلك الأمر وإضفاءه صبغة مميّزة للنص مفادها انفعال السامع مع المنشئ للنص في ذلك الموقف.

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٢١- ٣٢٢.
[٢]شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٣٢٦/٣.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٣٣٣/٣.

ومنه قوله (عليه السلام) في سحرة اليوم الذي ضرب فيه :(**مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَ أَنَا جَالِسٌ فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا ذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَ اللَّدَدِ فَقَالَ ادْعُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَ أَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي**) [١].

رأى الإمام رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في منامه، فشكا إليه ما لاقاه من أمته، وكان ذلك في آخر ليلة التي قتل في صبيحتها.[٢]، سياق الكلام وتنغيمه ، ووجود علامات الترقيم كلها قرائن تدل على أن (ماذا) للاستفهام المجازي، والدلالة على ذلك وجود الإجابة عما استفهم عنه و(**ذَا** ههنا بمعنى الذي كقوله تعالى :(مَاذَا تَرَى)[٣]، أي ما الذي ترى يقول: قلت له: ((ما الذي لقيت من أمتك؟ وما ههنا استفهامية كأيّ، ويقال ذلك فيما يستعظم أمره، كقوله سبحانه(الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ)[٤]))[٥] ، وجيء ب(مِنْ) التفصيلية لبيان ذلك الأمر المستعظم في تفخيمه والمبالغة فيه بقول(**مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَ اللَّدَدِ**) أي الاعوجاج والخصام، وجواب الإمام هذا يدل على أنه كان في غاية الكرب حيث تقصيرهم في إجابة ندائه ودعوته إلى الجهاد حتى انتهت الحال إلى قتله، وبالتالي عدم رضا رسول الله (صلى الله وعليه وآله وسلم)عنهم بدليل أمر النبي الإمام بأن يدعو عليهم، فسأل الإمام الله سبحانه وعبر الطباق وما يمتلكه من تعبير فني قائم على التباين والتناقض ، ولترتبط دلالته بمقدار ما يثيره في داخل السياق الأسلوبي من مشاعر ثرية تتصل بالصورة العامة للموقف.[٦] وما يبثه من خلجات نفسه الثائرة على الواقع ، فكشف الإمام بذلك عن الألم الذي يستوطن نفسه فدعا الإمام عليهم أن يبدله بالخبيث طيباً ، ويبدلهم بالطيب خبيثاً، فاستجاب له سبحانه، ونقله إلى جواره ، وسلطّ عليهم معاوية يسومهم خسفاً، ويسوقهم عنفاً، ولا يعطيهم إلاّ السيف.[٧]

إذن حقق التفصيل ب(مِنْ) البيانية في النص عدة غايات:

١- تفصيل المبالغة والتعظيم في الاستفهام في (**مَا ذَا لَقِيتُ ؟**).

٢- بيان جهة العذابمِنْ(أمته) من الاعوجاج والخصام.

٣- شدة كربه وغضبه (عليه السلام) مما لاقاه منهم من تقصير في إجابة ندائه وفي خروجهم معه إلى الجهاد.

٤- عدم رضا رسول الله (صلى الله وعليه وآله وسلم)عنهم بدليل أمر النبي الإمام بأن يدعو عليهم.

---

[١] شرح نهج البلاغة(عبده):٩١.
[٢] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٣٤٧/١.
[٣] الصافات:١٠٢.
[٤] القارعة:١-٢.
[٥] شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد:١٦٢/١.
[٦] ينظر: فلسفة البلاغة(رجاء عيد) :٤٦٩.
[٧] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٣٤٧/١.

وبذلك يتضح أن (مِنْ) البيانية ترد لإيضاح وتنصيص أن ما بعدها تمييز خالص ينكشف بها الأمر، ويزال الإبهام؛لأنها أداة لفظية من أدوات التفصيل للمعنى وتحديده.

وقوله أيضاً (عليه السلام): (فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذَلِكِ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ لَا رَهَجَ لَهُ وَ لَا حَسَّ وَ سَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَ الْجُوعِ الْأَغْبَرِ [١]).

الخطاب لأهل البصرة وما سيقع لأهلها من الهلاك فسرّ ذلك الهلاك عبر التفصيل بـ(مِنْ) البيانية في قوله: (مِنْ جَيْشٍ) و(مِنْ نِقَمِ اللَّهِ)، قال ابن أبي الحديد (كنّى بهذا الجيش عن جدب وطاعون يصيب أهلها حتى يبيدهم)[٢]، مِنْ نقم الله للعصاة، مكرر الحرف (لا) لتنبيهه ولتقويته الخبر في ذهن السامع في أمر ذلك الجيش وكونهم لا رهج لهم أي لا غبار لهم ولا حس أي صوت خفي، مكرراً التنبيه عبر حرف (السين) وهو من حروف المعاني)[٣]، الذي يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال.[٤]فضلاً عن أدائها الوظيفة الأساس في تأكيد الخبر.[٥] وهو تأكيد الوعيد في (سيبتلي)في ابتلاء أهل البصرة بالموت الأحمر: وهو كناية عن الوباء، وسميّ الموت الأحمر ؛لشدته.[٦] والجوع الأغبر : فهو أشد الجوع ما أغبر معه الوجه ، وغبر السحنة الصافية لقلة مادة الغذاء أو رداءته فلذلك سميّ أغبر: ، وقيل لأنه يلصق بالغبراء وهي الأرض.[٧]

جاء التفصيل هنا ب(مِنْ) البيانية بعد التفخيم والتعظيم للأمر وعبر لفظة (فَوَيْلٌ) التي تحتمل دلالتي الخبر والإنشاء، فضلاً عما تحتمله اللفظة من دلالة التهويل والترهيب للأمر ، فكان في التفصيل بيان عظم لما سيحدث لأهل البصرة من أخبار ولما سيقع لأهلها من فتنة الزنج.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ وَ كَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ)[٨].

يتحدث الإمام عن الغيّبة وهي (ذكر المؤمن المعين بمايكره، سواء كان ذلك في خلقه أم في خُلقه أم مختصاته)[٩]، وهي من الصفات الذميمة التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها.[١٠]، لذا يستثمر (عليه السلام) صيغة التفصيل بـ(مِنْ) البيانية في قوله(**مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ**) و(مِنْ) هنا بيان لما في قوله (**فِيمَا سِوَاهُ**) فكأنه يقول: لا يجوز لأحد أن يعيب أخاه ؛لأنه إما أن يكون بذنب قد ركب العائب مثله أو أكبر منه

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):١٥٠.
[٢]شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٣٥٢/٢.
[٣]ينظرك معاني الحروف:٤٢.
[٤]ينظر:مغني اللبيب:١٣٨/١.،والهمع:٣٥٧/٤.
[٥]ينظر:أقسام الكلام:٣٣٦.
[٦]ينظر:شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٣٥٢/٢.
[٧]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٩٤/٣.
[٨]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٩٦.
[٩]أخلاق أهل البيت:١٤٨.
[١٠](يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ):الحجرات:١٢.

أو أصغر، فأن كان بذنب قد ركب مثله أوأكبر كان له في عيبه لنفسه شغل عن عيب غيره، وأن كان أرتكب أصغر منه فهو ممنوع على تقدير جرأته على الغيّبة وصدوره عنه لأنها من الكبائر. وبذلك يفصح الإمام وعبر التفصيل ب(مِنْ) البيانية عن سلوك خطير ينطلق منه محذراً على أن هذا الجرم عظيم، فهي اكبر ما عند الله من الكبائر ذلك أن سلوك سبيل الله بسائر وجوه الأوامر والنواهي، ولن يتم ذلك إلاّ بتصافي بواطنهم واجتماعهم على الألفة والمحبة حتى يكونوا بمنزلة عبد واحد في طاعة الله مولاه، ولن يتم ذلك إلاّ بنفي الضغائن والأحقاد فكانت بذلك الغيبة ضد المقصود الكلي للشارع فكانت مفسدة كلية، وكبيرة من الكبائر.

وقوله (عليه السلام): (مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ وَ مَخَطَّ حُفْرَتِهِ فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ وَ مَنْزِلِ وَحْشَةٍ وَ مُفْرَدِ غُرْبَةٍ)[١].

عبر الإمام عن القبر وكنى به في(**بَيْتِ وَحْدَةٍ**) عبر التفصيل ب(مَنْ) البيانية في (**مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ**) والتي جاءت لإيضاح ذلك الإبهام في التعجب في قوله (فياله)وقيل (يا) لمجرد التنبيه، وقيل: للنداء والمنادى محذوف أي ياقوم، واللام للتعجب.[٢] و(مِنْ) البيانية هنا أفادت تأكيد المعنى وتقويته وترسيخه وإيضاحه بالأوصاف المنفرة وتميزه في كونه (**بَيْتِ وَحْدَةٍ**) و(**مَنْزِلِ وَحْشَةٍ**) و(**مُفْرَدِ غُرْبَةٍ**)، فعلى الإنسان العمل لحلول هذا المنزل عليه ولما بعده. إذن عملت (مِنْ) البيانية على تنصيص ما بعدها بتمييز خالص يكشف عن أمر مبهم، ويزال بذلك الإبهام عنه والتردد فيه.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلَاتٍ)[٣] .

عملت(مِنْ) هنا على تفصيل المراد بدقة عبر تميزها المجرور (**أَكْلَةٍ**)، فكل إفراط مفسد، سواء أكان في الأكل أم في سواه، والمعدة بيت الداء، فمن أفرط في حشوها أبتلي بمرضها، واضطر إلى الحمية، وقد تؤدي الأكلة بحياته.... أيضاً، ما كان أغناه عن الحالين! وأيضاً الوقاية خير من العلاج!.[٤]

وقوله (عليه السلام): (مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ وَ رَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ وَ أَخْوَفُهُمْ لَكَ وَ أَقْرَبُهُمْ مِنْكَ)[٥].

نجد الإمام (عليه السلام)صدّر النص ب(مِنْ) البيانية وهي لبيان الجنس.[٦]في (**مِنْ مَلَائِكَةٍ**.......) لتؤدي وظيفة بيان جنس الملائكة ثم أردف قوله إشارة إلى بعض صفاتهم الثبوتية قائلاً: (**هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ وَ أَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَ أَقْرَبُهُمْ مِنْكَ**)، إذ يدل (عليه السلام) (**هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ**) على أنهم يعلمون من تفاصيل مخلوقاته ، وتدبيراته ما لايعلمه غيرهم، كما يقال وزير الملك أعلم بالملك من الرعية، ليس المراد أنه أعلم بماهيته، بل أفعاله وتدبيراته، ومراده وغرضه، أما قوله(عليه

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):
[٢]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤١٤/٢.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):٤٧٠.
[٤]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٣٢٦/٤.
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٥٨.
[٦]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٥٢٠/٣.

السلام): (**أَخْوَفُهُمْ لَكَ**)على أنهم أكثر خلق الله خوفاً له؛لأن قوتي الشهوة والغضب مرفوعتان عنهم، وهما منبع الشر وبهم يقع الطمع والإقدام على المعاصي، وكذلك فإن منهم من يشاهد الجنة والنار عياناً فيكون أخوف؛لأنه ليس الخبر كالعيان، وأما قوله(عليه السلام): (**وَ أَقْرَبُهُمْ مِنْكَ**) فلا يراد القرب المكاني؛ لأنه تعالى منزه عن المكان والجهة، بل المراد هو كثرة الثواب، وزيادة التعظيم والتبجيل.[١]

أفادت (مِنْ) البيانية بيان جنس الملائكة السماوية في المعرفة العظمى لهم بالنسبة لذات الله، والتي تؤدي إلى خوفهم منه في التقصير بأداء الوظائف والمسؤوليات، والخوف الناشئ من عظمته وهيبة مقامه ، والصفتان تؤديان إلى قرب الملائكة من الله.

ومثيل ذلك قوله (عليه السلام): (وَ لَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ وَ لَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ)[٢]

جاءت (مِنْ) البيانية هنا للتميز والتبيّن.[٣] في قوله(**مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ**)، إذ يحدد (عليه السلام) في هذا النص أسلوباً من أساليب تعرف الأنبياء في أن يقوم نبي ببشارة قومه بالنبي الذي يأتي من بعده، فبعضهم كالمقدمة لتصديق بعض كعيسى(عليه السلام) إذ قال: (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)[٤] ، وبين لاحق سماه من قبله كمحمد(صلى الله وعليه وآله وسلم)، وعلى هذه الوتيرة والأسلوب والنظام الإلهي وألطافه على الأنبياء أن يعرف الأنبياء المتقدمين وأوصياءهم أحوال الأنبياء المتأخرين وأوصيائهم ، وكان أيضاً من ألطاف النظام الإلهي على أنبيائه أن يعرف الأنبياء المتأخرين وأوصيائهم أحوال المتقدمين من الأنبياء والأوصياء فعرفهم اللع تعالى ذلك، فتم اللطف لجميعهم.[٥]وبذلك حددت (مِنْ) التفصيلية في النص بيان أن السابق من الأنبياء أطلعه الله تعالى على العلم بوجود اللاحق له من بعده ، واللاحق من الأنبياء واطلاع الله تعالى له بوجود السابق له من قبله.

ونظير ذلك قوله في دلالاتها التفصيلية : (وَ اللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً كَمَا كَانَ يَزْعُمُ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوازِرَ قَاتِلِيهِ وَ أَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ. وَ لَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ وَ الْمُعَذِّرِينَ فِيهِ وَ لَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَ يَرْكُدَجَانِباً وَ يَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ وَ جَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ وَ لَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ)[٦].

---

[١]ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٣٩٥/٢.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٢.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):١٤٢/١.
[٤]الصف:٦.
[٥]ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٥٩/١.
[٦]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٤١.

الكلام من خطبة له (عليه السلام) حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة، وتهديدهم بالحرب، وجاء (عليه السلام) ب(مِنْ) البيانية في قوله: **(مِنْ ثَلَاثٍ)** ليفصل لنا الأمور الثلاثة التي جعلت طلحة يخرج في طلب دم عثمان والأمور المفصلة هي:-

أولاً: فهو أما أن يعلم أنه كان ظالماً.

ثانياً: أو يعلم أنه كان مظلوماً.

ثالثاً: أو يشك في الأمرين، ويتوقف فيهما.

وجاءت تلك الأمور الثلاثة مؤكدة بالقسم (لئن) وهي متضمنة معنى الشرط (دخلت اللام على حرف الشرط فيه مؤذنة بأن ما بعدها جواب قسم مضمر)[١]. والتقدير: (والله لئن) ، وأما الجواب فقد جاء مؤكداً أيضاً بالقسم (لقد)، و(ويستغنى الدليل كثيراً بالجواب عن القسم، قال ابن مالك لوقوعه بعد لقد أو بعد لئن)[٢] والتقدير (والله لقد) ، وبهذه المؤكدات ثبت الخبر عند المتلقي ويزيل الشك عنه.

أما الأمر الأول: فقد كان الواجب على طلحة أن يساعد قاتليه ويوازرهم وينابذ ناصريه لوجوب إنكار المنكر عليه، وهو قد عكس الحال لأنه نابذ قاتليه وثار في طلب دمه مع ناصريه ممن توهم فيه ذلك.

وإن كان الأمر الثاني: فقد كان يجب عليه أن يكون ممن يكف الناس عنه ويعتذر عنه فيما فعل لوجوب إنكار المنكر أيضاً مع أنه ممن آزر عليه الناس وأظهر أحداثه وعظمها كما هو المنقول المشهور عنه.

وإن كان الأمر الثالث: فقد كان الواجب عليه أن يعتزله ويسكت عن الخوض في أمره ولم يفعل ذلك ، بل ثار في طلب دمه.[٣]

لكن لم يفعل طلحة واحدة من هذه الأمور الثلاثة التي فصلها لنا الإمام(عليه السلام) وعبر الأداة(مِنْ) البيانية التي أدت مهمة التفصيل في النص للأمور الثلاثة، وإنما جاء طلحة(بأمر) وجاءت لفظة(أمر) نكرة مبهمة مؤكدة بتكرارها مرتين في النص للدلالة على عظم محل الشيء الذي كررت فيه كلامك، والإشعار بفخامة شأنه وعلو قدره ، أو للدلالة على حقارته والإعلام بهوانه واتضاعه.[٤] وأيضاً فيه محط تعجب الإمام (عليه السلام) منه، وهذا الأمر المهم هونكث طلحة البيعة مع الإمام(عليه السلام)ومطالبته بدم عثمانواصفاً الإمام(عليه السلام) هذا الأمر بكونه(لم يعرف بابه) أي وجهه وسببه، **(وَ لَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ)** أي لم يسلم فيه عذر من التدليس والتضليل.

---

[١] إعراب القرآن للباقولي: ٦٥٩/٢. وينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل(قباوة): ٨٢.
[٢] ارتشاف الضرب: ٤٩٣/٢. وينظر:البحر المحيط: ٢٤٥/١.
[٣] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٦٨٩/٣.
[٤] ينظر: أساليب التأكيد في نهج البلاغة دراسة دلالية ، أصيل محمد كاظم الموسوي، كلية التربية جامعة القادسية،٢٠٠٢م:٩٠.

ونختم كلامنا بقوله (عليه السلام): (تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ وَ مَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَ شُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ وَ فِلَذَ الزَّبَرْجَدِ)[(١)].

شبه (عليه السلام) قصب ذنب الطاووس بالمداري(**مِنْ فِضَّةٍ**) فجاءت(من) هنا تفصيلية لإيضاح جنس المداري.* من الفضة، وكذلك شبه الخطوط الصفرة المستديرة على رؤوس ريش الذنب بخالص العقيان في الصفرة الفاقعة مع ما يعلوها من البريق، وما في وسط تلك الدارات.* من الدوائر الخضر بقطع الزبرجد في الخضرة، واستعار الإمام لفظ(ال**شُمُوسِ**) ملاحظة لمشابهتها لها في الاستدارة والاستنارة. وبذلك جاءت (مِنْ) التفصيلية لتعيين جنس المداري المصوغ من الفضة، ومن ثم نصصت على التمييز فأزالت بذلك الشك والتردد في حالة كونه مصوغ ومن جنس الفضة.

---

(١)شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٢٩.

*المداري: المدرى والمداراة مصنوع من حديد أو خشب على على شكل سن من أسنان المشط ، وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمله من لا مشط له، ينظر: نهج البلاغة(عبده): ٢٩٩.

*الدارات: هالات القمر.

المبحثالرابع : دلالة أسلوب التفصيل في(أمّا) التفصيلية:-

(أمّا) حرف إخباري تضمن معنى الشرط.[١]والتوكيد.[٢]والتفصيل.[٣] وقد اختلف بشأن هذه الأداة، فلم يذكرها أحد من النحويين المتقدّمين من بين أدوات الشرط الجازمة، أو غير الجازمة، وإنّما أقحمها بعض النحويين المتأخرين كابن الحاجب(ت٦٤٦هـ) ، وابن مالك، والرضي، وابن هشام في دائرة الشرط، ظنّاً منهم أنها منها.[٤] واحتّج النحويون بشرطية(أمّا) بلزوم الفاء في جوابها، وهذه الحجّة لا تستقيم من ثلاثة وجوه، أولها: أنّ الفاء ليست رابطة للجواب عند قسم من النحويين، وإنّما هي زائدة لازمة، كما لزمت الباء صيغة (أفعل به) في التعجب.[٥]

والثاني: أنَّ هذه الفاء يجوز حذفها.[٦]، والثالث: وهو الأهم أنها لو كانت رابطة حقاً لجواب الشرط لالتزم فيها قياس الفاء الرابطة فكانت غير لازمة للفعل.[٧] في مثل قول كثير عزّة[٨]:

- وما أنصفت: أما النساء فبغَّضت إلينا، وأما بالنوالِ فضنَّتِ

وقد فرق الدكتور إبراهيم الشمسان بين فاء(أمَّا) ، وفاء الجزاء، قائلاً عن الأولى إنها: (قد ساهمت في تضليل النحاة فحسبوها (فاء الجزاء) .... ولم يُلاحظوا الفرق بين الفائين، وهو أنَّ فاء الجزاء إنّما تجيء في أحوال خاصة يكون الجزاء ممَّا لا يصلح أن يكون شرطاً، أمّا فاء(أمّا) فهي فاء تلازمها ملازمة شديدة، ولا يمكن أن يتم التركيب إلاّ بها معاً .ونخلص من هذا كله إلى أنه لا بد من النظر إليهما على أنهما أداتان مزدوجتان يشكلان نمطاً تركيبياً على هذا النحو: أمَّا...... ف)[٩]، وقد فسّر سيبويه القول التالي(أمَّا عبد الله فمنطلق)، بقوله: (كأنه يقول: عبد الله مهما يكن من أمره فمنطلق)[١٠]، فتوهم كثير من النحويين المتأخرين أنها حرف شرطٍ بمعنى(مهما يكن من شيء)، ولم يعلموا أنّ سيبويه كان قوله فيها تفسير معنى التقريب، لا تقدير إعراب لقولهم: (أما زيد فقائم ب: مهما يكن من شيء فزيد قائم، فليس لأن (أما) بمعنى (مهما)، وكيف وهذه حرف و(مهما) اسم، بل قصده المعنى

---

(١)ينظر:الواضح:١٦٩. ، وينظرالأزهية في علم الحروف:١٥٣.
(٢)ينظر:مغني اللبيب:٧٧/١.
(٣)ينظر: شرح ابن عقيل:٣٨٥/٢. ، والمطالع السعيدة:٤٥٨.
(٤)ينظر:إعراب الجمل وأشباه الجمل:٥٢. ، وفي التركيب اللغوي:٨٤.
(٥)ينظر: حاشيةالصبان:٦٣/٤. ،وحاشية الخضري:٢٠٠/٢.
(٦)يكون حذفها في الضرورة الشعرية، أو في ندور في النثر، ومثال حذفها قول الشاعر:
- فأمّا القتالُ لا قتال لديكمُ ولكنَّ سيراً في عراض المواكب
ينظر: المقتضب:٦٩/٢. ، وآماليالشجري :١٣٢/٣- ١٣٣. ، وشرح المفصل:١٠٤/٩.
(٧)ينظر:إعراب الجمل وأشباه الجمل:٥٥.
(٨)ينظر:ديوانه:٦٥. ، والنوال : العطاء، وضّنت:بخلت.
(٩)الجملة الشرطية عند النحاة العرب:١٣٥.
(١٠)الكتاب:٢١٣/٢.

البحت؛لأن معنى: (مهما يكن من شيء فزيد قائم، إن كان شيء فزيد قائم، أي: هو قائم البتة)[١]، وقال ابن جني: (وليس يمتنع أن يكون تفسير المعنى مخالفاً لتقدير الإعراب.... وسيبويه كثيراً ما يمثل في كتابه على المعنى فيتخيل من لا خبرة له، أنه قد جاء بتقدير الإعراب، فيحمله في الإعراب عليه وهو لا يدري، فيكون مخطئاً، وعنده أنه مصيب ، فإذا نوزع في ذلك قال: هكذا قال سيبويه وغيره)[٢]، وأما التوكيد فيذكر ابن هشام رأي الزمخشري فيقول: (وأمّا التوكيد فقّل من ذكره، ولم أرَ من أحكم شرحه غير (الزمخشري) ، فإنه قال: فائدة(أمّا) في الكلام أن تعطيه فضل توكيد، فتقول : (زيد ذاهب)، فإذا قصدت توكيد ذلك، وأنه لا محالة ذاهب وإنه بصدد الذهاب وإنه منه عزيمة قلت:(أمّا زيدُ فذاهب)، ولذلك قال سيبويه:في تفسيره(مهما يكن من شيء فزيد ذاهبُ)، وهذا التفسير مُدْلٍ بفائدتين: (بيان كونه توكيداً، وأنه في معنى الشرط)[٣]. وقد صرح قسم من النحويين بأنَّ (أمّا) ليست شرطية، وجعلوها حرف تفصيل، أو حرف إخبار.[٤] وأما قولهم بأنها حرف شرط فقد حمّل على المجاز، وقال الدسوقي(ت١٢٣٠هـ) : (التحقيق أنها حرفُ إخبار نائبة عن فعل الشرط؛ لا لأنها موضوعة للشرط.... ولو كانت موضوعة للشرط لاقتضت فعلاً بعدها فهي قد أغنت عن الجملة الشرطية، وعن أداة الشرط، وهي من أغرب الحروف ؛ لقيامها مقام أداة شرط وجمّلة شرطية)[٥]، وذهب بعضهم إلى أنها لا تأتي للشرط إلا في الشعر.[٦]

وقد أثبت الدكتور فخر الدين قباوة عدم شرطية(أمّا) لا في الشعر، ولا في النثر بأدلة كثيرةٍ ختمها بقوله: (والحقُّ أنَّ المعنى الأصلي الثابت ل(أمّا) هو التوكيد والتفصيل ، إما الشرط فمستفاد من القصر الذي تتضمنه، ولذلك كان ذكرها بين أحرف الشرط إقحاماً لا مسوغ له)[٧].

نخلص مما تقدم إلى أن (أمّا) كثيراً ما تأتي لمعنى التفصيل.[٨] ولا سيما إذا تكررت ، وتأتي لمعنى التوكيد.[٩]مما يمنح السياق معنى الثبات في النفس فيرسخ المعنى في ذهن المتلقي ويقوى ومن ثم يكون أوقع في القلوب لما يمنحه من الطمأنينة في الثبات على المعنى وتوكيده، ولهذا قال الجرجاني: (وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة ، مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة عليه، لأن ذلك يجري مجرى

---

[١]شرح الرضي على الكافية:٤٦٩/٤. ، وينظر: شرح الدماميني:٢٩٩/١.
[٢]المنصف لابن جني:١٣١/١-١٣٢.، وينظر:الخصائص:٢٧٩/١- ٢٨٤.
[٣]مغني اللبيب:٧٧/١.
[٤]ينظر: الأزهية:١٥٣. ، والاقتضابفي شرح أدب الكتاب للبطليوسي:٢٨/١.
. وحاشية الصبان:٦٢/٤.
[٥]شروح التلخيص(حاشيةالدسوقي) :٥٥/١.، والجملة الشرطية عند النحاة: ١٣١- ١٣٧.
[٦]ينظر:التهذيب الوسيط في النحو:٢٩٣.
[٧]إعراب الجمل وأشباه الجمل:٥٩.
[٨]ينظر:ارتشاف الضرب:١٨٩٣/٤. ،ومغني اللبيب:٨٣/١
[٩]الأصول في النحو:٦٢/١. ، ومغني اللبيب: ٧٩/١.

تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام، ومن هنا قالوا: إن الشيء إذا أضمر ثم فسّر: كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار)[١].

وسنقف على مجموعة من النصوص التي تناولت فيها التفصيل بالأداة (أمَّا) التفصيلية التوكيدية:-

منها قوله(عليه السلام): (وَ قَدْ رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ فَأَشْرَفَ عَلَى الْقُبُورِ بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ وَ الْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ وَ الْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ وَ نَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لَاحِقٌ أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ وَ أَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ وَ أَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ هَذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى).[٢]

خاطب (عليه السلام) أهل القبور مكرراً من خلالها النداء والمنادى في (يا أَهْلَ)، وكان تكرارها في كل مرة يحمل مضموناً له أثره المهم في رفد النص بالدلالات المكثفة التي تزيد من دلالة المعنى وحفظ الإيقاع وتوازنه ومن ثم زاد من التأثير في نفس السامع بإعطائه القدرة على فهم المعنى، وتقبل النغم، فضلاً عما يصوره التكرار من قدرة وقيمة فكل عبارة فيها لفظ مكرر(يكون حداً فاصلاً لموقف نفسي معين وتحمل ـ أي هذه العبارة ـ دفعة شعورية معينة متناغمة في وقع موسيقي مقسم ومتساوٍ مع لاحقاتها وسابقاتها)[٣].

وكان لحضور (أمّا) التفصيلية وتكرارها هذا الوقع النفسي وما يحمله من مشاعر جاء بها (عليه السلام) لترقيق القلوب القاسية، وتنبيه النفوس الغافلة عن غاية الدنيا ومتاعها لغاية العمل بها كما ينبغي، وجاءت (أمّا) لتفصح عن المصير النهائي الذي سيؤول إليه الإنسان بعد مماته فيما بناه من دورٍ، وما تزوج من النساء، وما جمعه من الأموال ، فكانت النتيجة في الرسم الآتي:

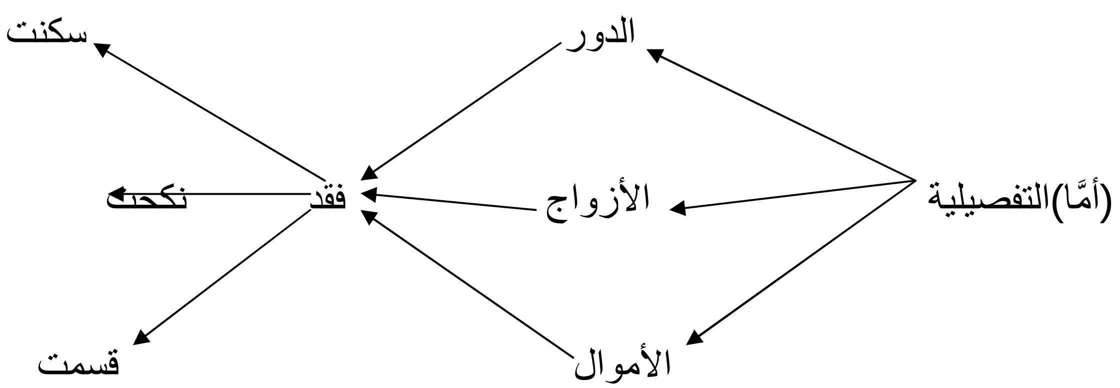

[١] دلائل الإعجاز:١٠٢.
[٢] شرح نهج البلاغة(عبده):٤٦٢.
[٣] الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر:٦٧.

ولما عرّف الإمام (عليه السلام) أهل القبور بدورهم ، وأزواجهم ، وأموالهم وما جرى عليها، مؤكداً خبرها بأداة التحقيق(قد) والأفعال الماضية(سكنت، نكحت، قسمت) التي جاءت مسجوعة مما زاد من انفعال المتلقي وقوة التأثير فيه، لافتاً الإمام أصحابه، قائلاً لهم: مؤكداً الخبر بـ(أمّا) ، ثم تأتي دلالة الأداة (لو) الدالة على المضي والامتناع ؛لأن محال لأهل القبور التكلم والأخبار عما حصل لهم، والنصيحة لأهل الدنيا، ولكن لما كان الحق هو أن خير الزاد التقوى كما نطق به القرآن الكريم في قوله تعالى: (خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)[١]، وكان ذلك أمراً شاهد المتقون في جزائهم بتقواهم ، والفجار في حرمانهم بعدمه لا جرم لو أذن لهم في الجواب وأعطوا آلته لكان جوابهم ما عرفوا من الحق.

وبذلك أفاد التفصيل ب(أمّا) تحقيق الثبات والتوكيد في الخبر ومن ثم دوامه وتعظيم أمره، لكي لا ترتاب القلوب من معرفة ذلك الخبر وتأكيده وهذا ما هو متعارف عليه في كل زمان ومكان عند ذهاب الموتى، وما سيحل لأزواجهم ،ودورهم، وأموالهم.

ويناظر ذلك قوله: (وَ سُئِلَ (عليه السلام) عَنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ وَ النِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ وَ أَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْياً وَ أَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا وَ أَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا وَ أَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا وَ هُمْ أَكْثَرُ وَ أَمْكَرُ وَ أَنْكَرُ وَ نَحْنُ أَفْصَحُ وَ أَنْصَحُ وَ أَصْبَحُ)[٢].

يوضح (عليه السلام) التفصيل من خلال تكراره الأداة(أمّا) بعد إجماله الكلام الذي جاء في سياق السؤال بـ(سُئِلَ) فعندما سُئل(عليه السلام) عن قريش فقد فصّل أنسابهم بـ (أمّا) التفصيلية وكما هو موضح بما يأتي:

١ـ أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ: فمنهم أبو جهل بن هشام بن المغيرة وآل المغيرة، ذاكراً الإمام سجاياهم، إذ كان لمخزوم ريح طيبة كالخزامى ولون كلونه، والولد يشبه الوالد غالباً، ولذلك كانت هذه البطن تسمى ريحانة قريش، وكان المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم تسمى بذلك : وقيل لأنه كان من رجالهم كيس لذلك يحب الحديث إليهم، وفي نسائهم لطف وتصنّع وتحببَّ إلى الرجال ولذلك يحب نكاحهم.

٢ـ أَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ: فمنهم بنو أُمية، وحرب بن أمية وابنه أبو سفيان ، وأسيد بن عتاب، ومروان بن الحكم، ووصف الإمام(عليه السلام) هذا البطن ببعد الرأي ، وهوكناية عن جودته، ويقال : فلان بعيد الرأي إذا كان يرى المصلحة من بعيد لقوة رأيه، ثم بكونها أمنع لما وراء ظهورها وهو كناية عن الحمية.

---

[١] البقرة:١٩٧.
[٢] شرح نهج البلاغة(عبده):٤٦٠.

٣ـ وَ أَمَّا نَحْنُ(بنو هاشم): بكونهم أبذل لما في أيديهم، أي أسخا ، ثم بكونهم أسمح عند الموت بنفوسهم: أي أشجع، ثم عدد ثلاث رذائل لقريش عبر المبتدأ (هم) وصيغة أفعل التفضيل (أكثر، وأمكر، وأنكر) أي أكثر حيلة وخداعاً، وكونهم أكثر مكراً، وأكثر منكراً، وبذلك أفاد تقديم المبتدأ(هم) تحقير الغائبين وهم (قريش) ومن ثم تأكيد دلالة الخبر.

أمّا بنو هاشم فقد دلّ تقديم المبتدأ (نحن) على المبالغة في تعظيم أمرهم وتفخيم شأنهم والتأكيد بكونهم أفصح وأصبح أي أحسن وجوهاً وأجمل، وهما فضيلتان تتعلقان بالبدن، ويحتمل أن يريد بالأصبح كونهم ألقى للناس بالطلاقة والبشر ، وكونهم أنصح فالنصيحة لمن ينبغي فضيلة نفسانية تحت العفة، ومما زاد من روعة التفصيل أن الإمام جاء بالجناس والسجع، محققاً تجاوباً موسيقياً نتيجة تماثل الكلمات تماثلاً تاماً أو ناقصاً ، فتأنس بذلك النفس وتهتز أوتار القلوب فضلاً عن دلالة التأكيد على المعنى بكلامه الرائع.

أفاد التفصيل ب(أمَّا) التفصيلية توكيد وتقوية الحكم، ومن ثم أثارته الاهتمام بشأن المتحدث عنهم وتخصيصهم في ذلك الخبر.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَ يَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وَ تَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَ ظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَ إِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَ ظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَ شَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَ أَكُفِّهِمْ وَ رُكَبِهِمْ وَ أَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ وَ أَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ)[(١)].

حينما يكون الحديث عن صفات المتقين، فنجد حديث من رآهم فوعظ، ونصح وحذر، مؤكداً تلك الرؤية ب(أمّا) ، ثم التضاد بين رؤيتهم في (الليل، والنهار) ليتهيأ للعقول أن تقارن بينهما وفي أعمالهم، ومن ثم تنشط النفوس على التزام النهج السوي والحث على إتباعه،وجاء عبر التفصيل ب(أمَّا) **فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا**،وذلك إشارة إلى تطويع نفوسهم الأمارة بالسوء بالعبادات، وغاية تلاوتهم للقرآن هو تحزين أنفسهم به عند ذكر الوعيد، وهو من جملة استثارتهم لأدواء دائهم، ولما كان دائهم الجهل، كان دواء الجهل العلم، فالخوف من وعيد الله المضاد للانهماك في الدنيا ودواؤه العلم الذي هو دواء الجهل. أمَّا النهار كونهم حلماء وعلماء، وأبرار وهو (البر) الذي يعود إلى العفيف لمقابلته بالفاجر، مؤكداً ذلك الخبر بأداة التحقيق (قد) ، والفعل الماضي **(بَرَاهُمُ)** فقد شبه (عليه السلام)ضمن (التشبيه البليغ) خوفهم ب**(بَرْيَ الْقِدَاحِ)** ووجه الشبه (شدة النحافة)، وهذا التفصيل في أعمال المتقين في الليل والنهار ، يضع السامع على المعنى الحقيقي للتقوى وبيانها للمتلقي كون الدنيا زائلة والسعي الجاد إلى سلوك طريق الله وعبادته ومراقبته سراً وعلانية ليلاً ونهاراً.

[(١)]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٨٨ـ٢٨٩.

وقوله (عليه السلام) أيضاً: (وَ إِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ وَ دَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى وَ أَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ وَ دَلِيلُهُمُ الْعَمَى فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ وَ لَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ)[1].

نتلمس في هذا النص موقفاً شعورياً حازماً بدليل القصر بالأداة(أنمَّا)، إذ أن هذه الأداة (تجيء بخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة....)[2]، مؤكداً (عليه السلام) تسمية الشبهة شبهة؛ لأنها تشبه الحق وهذا هو محض ما يقوله المتكلمون، ولهذا يسمون ما يحتج به أهل الحق دليلاً، ويسمونما يحتج به أهل الباطل شبهة. ثم عمد إلى التفصيل في الأداة (أمَّا) التفصيلية، فالناس أما (أولياء لله أو أعداء له)ثم شرع في تفصيله لأولياء الله وأعدائه في (فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ...)و(وَ أَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ....)، فأمّا أولياؤه فلمّا كانت نفوسهم مشرقة بنور اليقين مستضيئة بمصباح النبوة في سلوك الصراط المستقيم كانت بتلك الأنوار هدى أذهانهم في ظلمات الشبهات وحرزهم عن الهوي في مهاوي الجهالات ، فالهدى هو سلوكهم إلى المطالب الحقة.

وأمَّا أعداء الله فليس دعاؤهم إلى ما يدعون إليه إلاّ ضلالاً عن القصد القويم، وإضلالاً للخلق عن الطريق الحقّ وليس ما يعتمدونه دليلاً يزعمون أنهم يهدون به السبيل إلاّ شبهة هي في نفسها عمى لأبصارهم عن مطالعة نور الحقّ وطمس لأذهان من استجاب لهم عند اهتداء سلوك سبيل الله ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور.وبذلك التفصيل أكسب المعنى وضوحاً وتأكيداً في بيانه لحال الناس فهم أما أولياء لله أو أعداء له.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ وَ أُخِذَتِ الرَّهِينَةُ أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ وَ أَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ)[3].

هذا من كلام قاله (عليه السلام) عند دفن السيدة (الزهراء)(عليها السلام) وهو يناجي به رسول الله (صلى الله وعليه وآله وسلم) عند قبره، ويصور (عليه السلام) حاله بعد استرجاع الوديعة لتلك النفس الطاهرة وبالأداة التفصيلية (**أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ**) وَ (**أَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ**) على سبيل ما أحسه فحزنه دائم، وليله مسهد وهو كناية عن شدة الآلام والأتراح التي تمنع من النوم، ثم كنى بالدار عن الجنة ؛لأنه ممن بشرّ بها.

وبذلك صور الإمام وعبر التفصيل بالأداة(أمَّا) أروع تصوير نابع من وجدان صادق ليجسد لنا مدى الألم والعذاب والحزن الذي عاش فيه بعد وفاة سيدة النساء(عليها السلام).

---

[1]شرح نهج البلاغة(عبده):٧٠.
[2]دلائل الإعجاز:٣٢٧.
[3]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٠٢-٣٠٣.

وقوله أيضاً (عليه السلام): (وَ لَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَ لَا مُشْرِكاً أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ وَ أَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ وَ لَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَ يَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ)[١].

ذكر(عليه السلام) قول الرسول (صلى الله عليه وآله)عبر (فن التفريق)في قوله (مُؤْمِناً وَ لَا مُشْرِكاً) وهو عدم خوفه من المؤمن والمشرك، معللاً السبب عبر التفصيل ب(أمَّا) تأكيداً لذلك الخبر المبهم، وسر الخبر أن المؤمن لإيمانه لا يخاف منه على المسلمين، وأما المشرك فإنّ الله يقمعه ويذله بشركه ما دام مشركاً متظاهراً بالشرك لظهور الإسلام وغلبة المسلمين واتفاقهم على مجانبته ومعاداته وعدم الإصغاء إلى ما يقوله، قاصراً صفة الخوف بالأداة (لكن) عليهم من كل (مُنَافِقِ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ....) أي من المنافق الذي من شأنه إسرار الكفر وإظهار الإسلام وتعلم أحكامه ومخالطة أهله فهو يقول بلسان ما يقولون، ويفعل ما ينكرون، ووجه المخافة منه أنّ مخالطته لأهل الإسلام مع إظهاره له يكون سبباً لإصغائهم إليه ومجالستهم له والاغترار بما يدعيه من أصداقه، وصدق علمه اللساني وقدرته على الشبه المضلة وتنميتها بالأقوال المزوّقة يكون سبباً لانفعال كثير من عوّام المسلمين وفتنتهم عن الدين.[٢]

يتضح من خلالالتفصيل تحديد الرسول عدم الخوف من (المؤمن والمشرك) وإنما الخوف الحقيقي من المنافق.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ أَلَا وَ مَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ وَ أَمَّااسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَ الرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ وَ لَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَ لَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ وَ لَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ لَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ وَ لَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَ لَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ وَ لَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَ لَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ وَ لَبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ)[٣].

هذا كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه، أوضح الإمام(عليه السلام) من خلال الأداة التفصيلية(أمَّا) كل طلب وقول إرادة معاوية وكما يأتي الجواب التفصيلي:

أولاً: (وَأمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ): مؤكداً الخبر بالأداة(إنَّ)،ومن خلال أداة النفي والجزم والقطع بـ(لَمْ)لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ، وذلك أنه (عليه السلام) حين بويع بالخلافة كان معاوية سأل منه إقراره على إمرة الشام فرفض الإمام ،

---

[١]شرحنهجالبلاغة(عبده):٣٦٢.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤/٢٣٩- ٢٤٠.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٥٣- ٣٥٤.

وجاء الطباق الزمني بين (الْيَوْمَ) و(أَمْسِ) لكي ينقل القارئ من زمن إلى آخر، وليؤكد حقيقة مهمة هو رفض اليوم إعطاءه لمعاوية(الشام) كما رفض أمس.

ثانيًا: (وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ...)، كان جواب الإمام عليها من خلال التأكيد بحرف التنبيه (أَلَا) ثم مجيء الجملة الشرطية والأداة (من) في (وَ مَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ) و(مَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ)، وقد جاء جواب الشرط في كلا الجملتين جملة اسمية من مبتدأ وخبر، وقد حذف المبتدأ ؛لأن أصل الكلام (فهو إلى الجنة) و (فهو إلى النار) أي أن هؤلاء الأجناد الذين قتلناهم إنمّا قتلهم الحق : أي كان قتلهم بحق لبغيهم، وكلّ من قتله الحق فمصيره إلى النار، فينتج أنّ مصير من قتل من هؤلاء إلى النار، وكل من كان من أهل النار فلا يجوز التبقية عليه ولا الأسف لفقده.

ثالثاَ: وأمّا قولك: (وَ أَمَّاسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَ الرِّجَالِ) فكان جواب الإمام رداً عليه: أنك في طلبك لما أنت طالب له على شك من استحقاقه وأنا على يقين في ذلك وكل من كان في شك من أمره فليس بأمضى في حربه وقيامه عليه ممن هو على ثقة في أمره ينتج أنك لست أمضى في أمرك على الشك مني على اليقين في أمري، ويفهم من هذا الكلام أن أمير المؤمنين هو أولى بالغلبة لكونه على بصيرة ويقين وحينئذٍ تكذب المساواة بينهما لكون المتقين أرجح في فعله من الشاك . وجاء الجواب الثاني: أن أهل الشام يطلبون بقتالهم الدنيا ، وأهل العراق يطلبون بقتالهم الآخرة، وليس أهل الشام بأحرص على مطلوبهم من الآخرة، وحينئذٍ تكذب المساواة في الحرب والرجال لشرف أهل الآخرة على أهل الدنيا ، ولكون الأحرص أولى بالغلبة والقهر.

رابعاً: وأمَّا قولك: (إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ) فكان جواب الإمام فكذلك (نحن) مشيراً إلى وجوه خمسة بدأ فيها بالأمور الخارجة أولاً من كمالاته وفضائله ورذائل خصمه متدرجاً منها إلى الأقرب فالأقرب.

١ـ شرفه من جهة الآباء المتفرعين عن عبد مناف، وذلك أنّ سلك آبائه (عليه السلام) أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وسلك آباء معاوية أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد مناف، وظاهر أنّ كلّ واحد من أولئك الثلاثة أشرف ممن هو في درجته من آباء معاوية.

٢ـ شرفه من جهة هجرته مع الرسول(صلى الله وعليه وآله وسلم) وخسّة خصمه من جهة كونه طليقاً وابن طليق، وهذه الفضيلة تستلزم فضيلة نفسية وهي حسن الإسلام والنية الصادقة الحقة

٣ـ شرفه من جهة صراحة النسب وخسة خصمه من جهة كونه دعيّاً.

٤ـ شرفه من جهة كونه مؤمناً والمؤمن الحقّ هو المستكمل للكمالات الدينية النفسية ، وخسة خصمه من جهة كونه مدغلاً: أي خبيث الباطن مشتملاً على النفاق والرذائل الموبقة.

ثم جاء الإمام بفعل الذّم(بئس) مكرراً لفظة(خلف) ومخصصاً إياه بالذّم ، فمعاوية خلف يتبع سلف، خلف يتبع في أفعاله ورذائله سلفاً هوى في نار جهنم. حقق التفصيل هنا الإيضاح في المعنى ثم الرد الشافي لكل طلب طلبه منه عدوه، فكان لذلك التأكيد دوره في تحقيق الثبات في النفس والطمأنينة في إطلاق الأحكام لكل طلب طلبه منه عدوه.

وقوله أيضاً(عليه السلام): (فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَ لَا عِلَّةٌ أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ وَ طَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ فَقَالَ أَنَا نَارِيٌّ وَ أَنْتَ طِينِيٌّ .وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ فَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وَ أَوْلاداً وَ ما نَحْنُبِمُعَذَّبِينَ)[(١)].

نبذ (عليه السلام) التكبر ، ثم يلجأ إلى التفصيل والتوضيح ب(أمّا) التفصيلية، وهذا مع دلالة تأكيده بالأداة(إنَّ) في مخاطبتهم أنهم يتعصبون (لأمر) وهذا الأمر أجمله الإمام هنا، وفسّر أن سبب تعصبهم هو الاغترار الذي كان بينهم إذ كان أهل الكوفة في آخر خلافته(عليه السلام) قد فسدوا ، وكانوا قبائل متعددة فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى فيقع به أدنى مكروه فيستدعي قبيلته، وينادي باسمها مثلاً يا للنخع! أويالكنده! ، نداءً عالياً يقصد به الفتنة وإثارة الشر فيتألب عليه فتيان القبيلة التي قد مرّ بها وينادون يا لتميم! أو يالربيعة! فيضربونه فيمرّ إلى قبيلته ويستصرخ بها وتسّل بينهم السيوف وتثور الفتنة.[(١)] مكرراً الإمام (عليه السلام) حرف النفي (لا) فلا يعرف السبب من ثورانهم الفتنة وتكبرهم سبب حقيقي ألا تعرض الفتيان بعضهم لبعض، ثم أخذ الإمام في تفصيل الأوجه الحقيقية للعصبية وأسبابها مؤكداً إياها بالأداة (أمّا) التفصيلية . وكما يأتي:

١ـ **أَمَّا إِبْلِيسُ** فبسبب عصبيته لأصله اعتقاداً منه لطف جوهره وشرفه ، إذ النار أشرف من الطين مع جهله بسّر البشرية ووضع آدم على هذه الخلقة وخلقته التي وضع عليها؛ فلذلك فضّل نفسه قياساً للفرع الأصل في الشرف والخسة فقال: (أنا ناري وأنت طيني)، ولذلك قيل: إنّ أوّل من قاس إبليس.

٢ـ أمّا عصبية الأغنياء والجهّال من مترفة الأمم لكونهم تلامذة إبليس في العصبية، وأشار إلى علة تعصبهم وهي آثار مواقع النعم، ومواقعها هي الأموال والأولاد وسائر ما ينتفع به كما قال تعالى حكاية عنهم: **(وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا)**[(٢)]، وآثار تلك المواقع هي الغنى والترف بها والتنعم والالتذاذ، وكان تعصبهم لذلك وفخرهم به.

وبذلك التفصيل أوضح الإمام (عليه السلام) سبب التعصب لكل من (إبليس والأغنياء) ،عبر الأداة التفصيلية (أمّا) مما أكد الخبر وثبته في ذهن سامعه فصار المتلقي على بيّنة من تعصب هؤلاء الذين ذكرهم.

[(١)] شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٨١.
[(١)] ينظر:نهج البلاغة(البحراني): ١٣٩/٤.
[(٢)] سبأ:٣٥.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (مَعَاشِرَ النَّاس إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ نَوَاقِصُ الْحُظُوظِنَوَاقِصُ الْعُقُولِ فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَ الصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَ أَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَ أَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ وَ كُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَ لَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ [٣].

ولما كانت واقعة الجمل وما اشتملت عليه من هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوباً رأي امرأة أراد (عليه السلام) أنَّ ينبّه على وجوه نقصان النساء وأسبابه إذ جمع بين متعدد تحت حكم واحد وهذا ما يسمى (بفن الجمع)[٤]، والنقص كان من ثلاثة أوجه: (الإيمان، والحظوظ، والعقول)، مفصّلاً ذلك الإجمال عبر التقسيم والتوضيح بالأداة (أمّا) التفصيلية ، وكما هو آتٍ:

(فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَ الصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ)،
ولما كان الصوم والصلاة من كمال الإيمان ومتممات الرياضة كان قعودهن عن الإرتياض بالصوم والصلاة في تلك الأيام نقصاناً لإيمانهن، وإنما رفعت الشريعة عنهّن بالعبادتين المذكورتين لكونهن في حال مستقذرة لا يتأهل صاحبها للوقوف بين يدي الملك الجبار، ويعقل للصوم وجه آخر وهو أنه يزيد الحائض إلى ضعفها بخروج الدم، وأسرار الشريعة أدق وأجلّ أن يطلع عليها عقول سائر الخلق.[١]

و**(أَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ)** ، وأشار (عليه السلام) بأن ميراثهن علي النصف من ميراث الرجال كما قال تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)[٢].

و**(أَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ)**، فبسبب اختلاف أمزجتهن، وقصورهن عن قبول تصرف العقل كما يقبله مزاج الرجل كما نبّه تعالى عليه بقوله: (فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى)[٣]، أي تعرضهن للنسيان في جملة المسائل، بسبب ضعف الذاكرة فيهن.وبهذا التفصيل يثبت التعليل لكل نقص في النساء ، وبيان تخصصه فيه من (نقص الإيمان، والحظ، والعقل) ، وفي هذه الحالات تعليم وإخبار للمتلقي عما نقص في النساء وبيان علّته.

ونختم كلامنا بقوله(عليه السلام): (وَ أَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَ الْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَ اللُّطْفَ بِهِمْ وَ لَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَ إِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَ تَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ)[٤].

---

[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):١٠٠.
[٤]ينظر: جواهر البلاغة:٣٧٧.
[١]ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/٣٦٨.
[٢]النساء:١١.
[٣]البقرة:٢٨٨.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٠٢.

في عهد له (عليه السلام) كتبه للأشتر النخعي وعبر الأمر(**وَ أَشْعِرْ**) أن يشعر المحبة للرعية فهي ضرورية كالعدل، وأي حاكم يلزم نفسه المحبة والعدل للرعية فإنه يجعل من رعيته أصدقاء له وأحباء حتى لو كان من غير دينهم ، وناهياً من خلال الأداة (لا)الناهية أن لا يكون عليهم (**سَبُعاً ضَارِياً**) ولفظ السبع هنا مستعار وأشار إلى وجه الشبه بقوله: (**تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ**) مصنفاً الرعية إلى صنفين وعبر التفصيل بالأداة(أمّا) في (**إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ**)، أي على نفس دينه، (**وَ إِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**) أي الإنسانية فيفرط منهم الخطأ، وتعرض لهم العلل، ومن الذي تخلو صحيفته من هفوة؟ ما دام يعيش مع الناس ويحتك بهم، وحتى الذي يعيش معتزلاً قد يخطئ ويقصر بحق خالقه ولكنه يعفو ويصفح عمن يطلب منه العفو والصفح.

وضح التفصيل نظرة الإسلام للإنسان واحترامه كقيمة عُليا، وبيّن (عليه السلام) لواليه السلوك الصحيح اتجاه الرعّية وتعامله مع أخيه المسلم وغير المسلم في إطار الأخوة القائمة على التعاون والتآلف ، فالإمام شديد العناية بالكرامة الإنسانية، فعلى الوالي المسارعة في الطاعة لأوامر الإمام لتحقيق مبدأ السلوك الصحيح اتجاه الإنسان باعتباره قيمة عُليا في المجتمع.

المبحث الخامس: دلالة أسلوب التفصيل بـ(التمييز):-

التمييز: هو كل اسم نكرة متضمن معنى(من) لبيان ما قبله من إجمال ذات نحو(عندي شبر أرضاً) ، ونسبة نحو: (طاب زيد نفساً)[١].

ويقال له: (التبيين، والتفسير، أو المفسّر ، أو المميز، أو المبيين)[٢]، فالتمييز يفيد رفع إبهام وإزالة اللبس وذلك حين تخبر بخبر، أو تذكر لفظاً يحتمل وجوهاً، فيتردد المخاطب فيها فتنبهه على المراد بالنص على أحد محتملاته تبيناً للغرض ؛ ولذلك سميّ تميّزاً وتفسيراً، وهذا ما أشار إليه ابن الزملكاني (٦٥١هـ) : (وليس يخفى عليك فائدة التميّز، والقصد به التفرقة بين الأجناس وكشف المحتملات، كما يفرق الحال بين الهيئات التي وقع عليها الفعل وله من الفخامة في الجملة ما لا يدفع وضوحه، ومما تلاءم حسنه من جهة النظم والتأليف)[٣].

وتأسيساً على هذا المفهوم يعد التمييز من الأدوات التفصيلية التي تفصل الإبهام الذي يقع في النص سواء كان على مستوى المفرد أو الجملة وبهذا يكون التميّز قسمين:

أ ـ مبين إبهام ذات (مفرد).

ب ـ مبين إبهام نسبة.

الفرع الأول : دلالة التفصيل ب(التمييز المفرد):-

وهو تميز واقع بعد المقادير وشبهها ، وبعد الأعداد وبعد ما هو فرع له.[٤]نحو(عندي راقود خلاً ، ورطل زيتاً، ومنوان سمناً)، فالتمييز في هذه الأشياء لم يأتِ لرفع إبهام في الجملة، وإنما لبيان نوع الراقود، إذ الإبهام وقع فيه وحده؛ لاحتماله أشياء كثيرة كالخل والخمر والعسل، وغير ذلك، ممّا نوعي، والراقود وعاء كالحُبّ.[٥] وبهذا يكون (المجمل الذي بينه التمييز في الحقيقة هو المقدار بالمقدار، لا نفس المقدار)[٦]، أما غير المقدار نحو: اشتريت اثني عشر مثقالاً ذهباً

---

[١]ينظر: شرح المفصل: ٧٠/٢. ، وهمع الهوامع:٦٢/٤. ، وشرح ابن عقيل: ٢/ ٢٤٢.، ومعاني النحو: ٢/ ٧٤٥.
[٢]النحو الوافي: ٣٨٨/٢.
[٣]التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن:١٢٧.
[٤]ينظر: معاني النحو:٧٤٩/٢.
[٥]ينظر: شرح المفصل (للزمخشري):٣٦.
[٦]حاشية الصبان :٢٩٢/٢.

وأحد عشر لتراً نفطاً، فالوزن وقع تميز للعدد في الأولى، والكيل وقع تميزاً له في الثانية.(١)، وسواء كان هذا أم ذاك فتمييز العدد من تمييز الذات.(٢)

والقسم الآخر يقع بعد ما هو فرع له وذلك نحو(اشتريت خاتماً ذهباً) و(عندي باباً ساجاً) و(قميص كتاناً) أي خاتم من ذهب وباب من ساج وقميص من كتان، فالخاتم فرع من الذهب، والذهب أصل له. والباب فرع من الساج والساج أصل له وكذلك ما بعده.(٣)

ومن أمثلة هذا النوع من (التمييز المفرد) الذي جاء في نصوص نهج البلاغة:ـ

ومنها قوله (عليه السلام): (يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ وَ زَوْراً مَا أَغْفَلَهُ وَ خَطَراً مَا أَفْظَعَهُ)(٤).

قال (عليه السلام) هذا القول بعد تلاوته (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)(٥)، فقوله تنبيه وتعجب من بعد ذلك المرام وهو(التَّكَاثُرُ) وجاء بالتمييز في (**مَرَاماً**)و(**زَوْراً**) وَ (**خَطَراً**)، ليفصل به الإجمال في الضمير المفرد(الهاء) في (**لَهُ**)، فإن الغاية المطلوبة لا يدركها الإنسان ؛لأن كل غاية يبلغها ففوقها غاية أخرى قد أدركها غيره فنفسه تطمح إليها، وذلك التعجب من شدة غفلة الزور: أي الزائرين للمقابر، وهذه الغفلة عظيمة وهي محلّ التعجب، وكذلك التعجب من فظاعة الخطر والإشراف على شدائد الآخرة، حيث ما ينتهي إليه الإنسان شيء فظيع وخطير وهو الموت والقبر والحساب والجزاء، وبهذا يعزز التمييز المعنى في النفوس بعد إجماله في الضمير المفرد(الهاء) في (له) ، ومما عزز من معنى الإجمال أيضاً مجيء التنبيه والنداء في حرف النداء(يا) ومجيء (لام التعجب) في (له)، وتجسيد صيغة التعجب في (**مَا أَبْعَدَهُ**) و(**مَا أَغْفَلَهُ**) و(**مَا أَفْظَعَهُ**)، فأظهر الإمام بذلك انفعاله بتلك الصيغ التعجبية لما يراه من غفلة الناس عما يريدونه من إثبات الفضائل والمكارم لأنفسهم بكثرة الأموال والرجال، وهم في غفلة عما يتباهون به من عظام الأموات ورفاته وما ينتظرهم من الحساب والمصير، أفلا يبصرون ما هو آتٍ!.

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (إِنَّاللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَ نَهَارِهِمْ لَطُفَ بِهِ خُبْراً وَ أَحَاطَ بِهِ عِلْماً أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ وَ جَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ وَ ضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ وَ خَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ)(٦).

---

(١)ينظر: معاني النحو:٢/٧٤٩.
(٢) ينظر:م.ن:٢/٧٤٩.
(٣)ينظر:م.ن:٢/٧٤٩
(٤)شرح نهج البلاغة(عبده): ٣١٨.
(٥)التكاثر:١-٢.
(٦)شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٠١.

فقوله (**لَطُفَ بِهِ خُبْراً**) وَ(**أَحَاطَ بِهِ عِلْماً**)، جيء بالتمييز في (**خُبْراً**)و (**عِلْماً**)،تفصيلاً للإجمال عن المفرد وهو الضمير في (به) الذي يعود إلى (ما) في قوله(مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَ نَهَارِهِمْ) وهو تنبيه لهذا الظلوم الجهول على إحاطة علم الله تعالى بجميع أحواله واكتساباته في ليله ونهاره وأنه لطيف الخبر والمعرفة بها ينفذ علمه في البواطن كما يقع على الظواهر.[١]

ومثل ذلك قوله (عليه السلام): (وَ لَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ وَ لَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ وَ ايْمُ اللَّهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً وَ لَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً)[٢].

جاء خبر(عليه السلام) مؤكداً بالقسم مرتين في (وَ لَعَمْرِي) والثاني في (وَ ايْمُ اللَّهِ)، تنبيهاً للسامعين لما يقوله وليعبر بالتميّز عن خطورة ما سيؤول مصيرهم في قوله (لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَما) و(لَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً)، فكان الضمير المؤنث في (لَتَحْتَلِبُنَّهَا) و(لَتُتْبِعُنَّهَا) مبهماً لا يسع المتلقي الوقوف على معناه وجاء بالتميّز ليكتمل المعنى في(دَما) و(نَدَماً)،وليفصح عن نتيجة تقصيرهم في أفعالهم فإن ثمرة تقصيرهم وتفريطهم (الدم) و(الندم) مستعيراً لفظ حلب الدم لثمرة تقصيرهم وتخاذلهم عمّا يدعوهم إليه من الجهاد، ونلحظ في تلك الاستعارة التشبيه في تقصيرهم في أفعالهم بالناقة التي أصيب ضرعها بآفة من تفريط صاحبها فيها

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (وَ الَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ)[٣].

نلاحظ أن اللفظ المفرد العدد(**لَأَلْفُ**) فصّل بالتميز (**ضَرْبَةٍ**)، وجاء التفصيل في سياق التنبيه والتأكيد بالقسم (**وَ الَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ**)، ومجيء أفعل التفضيل (**أَهْوَنُ**) للمقارنة بين الموت في ساحة المعركة ، وبين الموت على الفراش وصدق ظن الإمام في ذلك فهو من نظر إلى الدنيا بعين الاحتقار في جنب نعيم الأبد في الآخرة والذكر الجميل في الدنيا، وحصلت له ملكه الشجاعة.[٤]

وقوله أيضاً (عليه السلام) : (فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً وَ أَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشِّقْوَةِ)[٥].

جاء التمييز (**حَسْرَةً**) مفصلاً للفظ المفرد(الهاء) المبهم في (لها)، وجاء المعنى هنا في سياق النداء والتعجب في قوله (**فَيَا لَهَا**) ، وهنا يحذر الإمام من هجوم المنية على غفلة لما يستلزمه ذلك من شدة الحسرة وطول الندم على التفريط وكيف بالإنسان وقد ضيع الفرصة وحول النعمة إلى النقمة وحجة عليه.

---

[١]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٧٦١/٣.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ٨٢.
[٣]م.ن:٥٥٧.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٥٥٧/٣..
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده): ٨٦.

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (الْعُمُرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللَّهُ فِيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً)[١].

فصّل اللفظ المفرد(سِتُّونَ) بالتمييز في قوله(سَنَةً) ولولا التمييز لبقي اللفظ مبهماً على السامع، وحدد من خلال السنين أمير المؤمنيين(عليه السلام) العمر الذي أمهل الله إليه ابن آدم في المدة المذكورة التي هي مظنة تحصيل الزاد ليوم المعاد فإن ما بعد الستين تضعف القوى النفسية والبدنية وتكّل عن العمل، فوجه (عليه السلام) لومه وتوبيخه للعاص إذا بلغ الستين فإنه قد انقطعت حجته بالأعذار إليه فيما كان يتعلل بعد أن يوهن العظم؟ ، ويشتعل الرأس شيباً؟.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (وَ إِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ أَ لَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَ لَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ لِكُلٍّ فَضْلٌ حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَ خَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ)[٢].

هذا الكلام من كتاب له(عليه السلام) إلى معاوية جواباً ، مؤكداً الإمام عبر الأداة (إنَّ) في كونه كثير الذهاب في الضّلال عن معرفة الحق، وكثير العدول عن العدل والصراط المستقيم في معرفة فضائل أهل البيت النبوة، ونبهه عبر الأداة(أَ لَا) والفعل (ترى) قلبية.[٣] أفضلية بيته الذين انفردوا بفضائل تميزهم عن المهاجرين والأنصار في الحياة وبعد الممات فمن تلك الفضائل أفضليتهم في الشهادة ، وشهيدهم الذي أشار إليه عمه (حمزة بن عبد المطلب) رحمه الله وأشار إلى وجه أفضليته بالنسبة إلى سائر الشهداء من وجهين:

الأول: قولي وهو تسمية الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) له سيّد الشهداء.

الآخر: فعليّ وهو أنَّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) خصه (بسبعين) (تَكْبِيرَةً) فأتضح اللفظ المفرد المبهم وهو(العدد) (سبعين) ولو اكتفى الإمام وقال بسبعين ولم يكمل المعنى لظل اللفظ المفرد غامضاً على المتلقي لعدم معرفته المعنى، وهنا اكتمل المعنى من خلال بيانه في التمييز(تَكْبِيرَةً) إذ خصه رسول الله بسبعين تكبيرةً عند صلاته عليه في أربع عشرة صلاةً، وذلك أنه كان كلما كبرّ عليه خمساً حضرت جماعة أخرى من الملائكة فصلّى بهم عليه أيضاً وذلك من خصائص حمزة(رحمه الله) وشرف بني هاشم في حياتهم وموتهم.[٤]

---

[١] شرح نهج البلاغة(عبده):٤٩٤.
[٢] م.ن:٣٤٦.
[٣] ينظر: معاني النحو: ٤٢٩/٢.
[٤] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٤٤/٤.

و من كلامله (عليه السلام) لبعض أصحابه و قد سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم أحق به فقال : (وَ هَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ وَ لَا غَرْوَ وَ اللَّهِ فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَ يُكْثِرُالْأَوَدَ حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ وَ سَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ وَ جَدَحُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً).[١]

تعجب (عليه السلام) من : (**فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ**) إذ ضحك الإمام تعجباً من قريش عندما احتجوا على الأنصار بكونهم شجرة رسول الله(صلى الله وعليه وآله وسلم) فقال: احتجوا بالشجرة ، وأضاعوا الثمرة، وبكى تعجباً حين فوجئ بأن من قاد الحروب على الإسلام هو وأبوه (أي معاوية ، وأبو سفيان) ، صار يطمح إلى خلافة نبي الإسلام ومنصبه مؤكداً تعجبه بـ(لا) النافية للجنس واسمها(**غَرْوَ**) وخبرها المحذوف وتقديره: (في ذلك) ثم التأكيد في القسم المتأخر (**وَ اللَّهِ**) إذا نظر الإنسان إلى حقيقة الدنيا وتصرف أحوالها، ثم يتعجب أيضاً بـ النداء في (يا) ولام التعجب في (له) وإجماله اللفظ المفرد (الهاء) في (له) وبيانه (بالتمييز) خطباً، مبالغة في استعظامه ذلك الأمر، (**فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ**) أي يغنيه حتى صار كالعجب وهو من باب الإغراق والمبالغة، في كونه يكثر الاعوجاج ، فإن كل امرئ بعد عن الشريعة ازداد الأمر به اعوجاجاً، فالقوم هم (قريش) حاولوا إطفاء مصباح أنوار الله وهنا(مصباح أنوار الله) استعار لخاصة رسول الله (صلى الله وعليه وآله وسلم وأهل بيته)، وكذلك حاولوا سد فواره من ينبوعه أي معدنه، واستعار الإمام هنا أيضاً (**يَنْبُوعِهِ**) لأهل البيت لكونهم معدناً لهذا الأمر ولوازمه، واستعار أيضاً لفظ الوبيء لذلك الأمر، ولفظ الجدح للكدر الواقع بينهم والمجاذبة لهذا الأمر واستعار لفظ الوبيء له باعتبار كونه سبباً للهلاك والقتل بينهم.[٢]

المراد من هذه التعجبات هو ترسيخ المعنى في ذهن المخاطب، وجاء بالتمييز في (**خَطْباً**) للفظ المجمل (الهاء) في (له) لقصد المبالغة والتفخيم عن الأمر المتحدث عنه، فلقد تجاوز العجب عن حده حتى انقلب إلى ضده، وكما (يئست من الفتى حتى كأني أغنى الناس ..... وعجبت حتى كدت أن لا أعجب)[٣].

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (بَلَغَنِيأَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً وَ كَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً وَ أَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً)[٤].

هذا الكلام قاله (عليه السلام) لشريح بن الحارث قاضيه إذ اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً فبلغه ذلك فاستدعاه وقال له هذا الكلام. والإجمال يتجسد في اللفظ المفرد العدد(**بِثَمَانِينَ**) وبيانه بالتمييز (**دِينَاراً**)، ومما عزز الإجمال في اللفظ المفرد (ثمانين) وورود مجملات أخرى في النص كالفعل(**بَلَغَنِي**) فهو فعل ماضٍ مجمل لا يعرف مضمون البلاغ الذي وصله وفسّره هنا عبر الأداة (أنَّ)

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٤٤.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٦٦٠/٣.
[٣]ينظر :في ظلال نهج البلاغة:٤٤٨/٢.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٤٤.

مؤكداً إياه بأنه اشترى داراً بثمانين ديناراً ، ثم الفعل الآخر(**كَتَبْتَ**) وهو ماضٍ ولا يعرف أيضاً مضمون الكتابة فيه، وكذلك الفعل (**وَ أَشْهَدْتَ**) ولا يعرف أيضاً من هم الشهود الذين أشهدهم على شراء هذا البيت، هذه المجملات في النص عززت من انتباه المتلقي وتشويقه لسماعه المبهم الذي فيها.

ونظير ذلك يقول أيضاً (عليه السلام): (وَ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَ قَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً وَ رَأَيْتُصِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ).[١]

غرض كلامه (عليه السلام) هو التبريّ من الظلم، وقصته هنا (عليه السلام) مع أخيه عقيل يعرفها القاصي والداني ، فلقد أكد (عليه السلام) بالقسم (**وَ اللَّهِ**) وتأكيد القسم باللام في (لقد) وتنبيهه الخبر بأداة التحقيق (قد) ومن ثم رؤيته لأخيه عقيل في شدّة فاقته وفاقة عياله، وكونه ذا حقّ في بيت المال، ولكن منع الإمام أسباب ثلاثة من الظلم وهي (الأخوة، الفاقة، والحق الموجود لذّي الفاقة)، وقد جاء الإمام في (**صَاعاً**) وجيء بحرف الجر (من) في قوله (**مِنْ بُرِّكُمْ**) للتنصيص على التمييز المجرور والذي جاء فيه تأخير وتقديم بقوله(**مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً**)، فقدم التمييز المجرور بـ(من) لغرض بيانه وتخصيصه بالمميز(**صَاعاً**) ففصّل بذلك اللفظ المفرد المبهم(**صَاعاً**) وهو من ألفاظ الكيّل ليكون المتلقي على بينة من ذلك الإجمال فيترسخ في ذهنه ويتثبت المعنى المراد.

ونختم كلامنا بقوله (عليه السلام): (فَوَاللَّهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً وَ لَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً وَ لَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً وَ لَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً وَ لَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ .... بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ)[٢].

أكدّ كلامه(عليه السلام) بالقسم البار (**فَوَاللَّهِ**) نافياً من خلال الأداة (ما) والفعل (**كَنَزْتُ**) فهو (عليه السلام) لم يكتنز من الدنيا ذهباً أو فضة، ولا ادخرّ من غنائمها مالاً، ولم يعد لثوبه البالي(**طِمْراً**) أي مجموع الرداء والأزرار يعد ثوباً واحداً فبها يكسو البدن، وجاء التمييز المجرور بالإضافة في قوله(**مِنْ أَرْضِهَا**) للفظ المفرد المبهم (**شِبْراً**) مبيناً فلم يحز أمير المؤمنين شبراً من الأرض باستثناء (فدك) وأُخذت منه ومن فاطمة(عليهما السلام) ولم يعدا يمتلكانها بقوله:(**بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ**) على سبيل التشكي والتظلم ممن أخذ منهما إلى الله سبحانه وتسليم الأمر له والرضا بكونه حكماً.

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٢٦.
[٢]م.ن:٣٩٣.

الفرع الثاني : دلالة التفصيل ب(تمييز النسبة):-

هو (المقابل في الاصطلاح للتمييز المفرد تمييز النسبة)[١]، وهو ما بين إجمال نسبة شيء إلى شيء وذلك نحو: (حسن محمد خلقاً) و(غرز أخوك علماً) و(الفضة أنقى بياضاً) و(الذهب أغلى ثمناً) ، فخلقاً يبين نسبة الحسن إلى محمد، فليس محمد مبهماً وإنما (حسن محمد) هو المبهم من أية جهة هو فميز بالخلق، وكذلك غزارة أخيك ،ونقاء الفضة فهذا نسبة ، وبعضهم يسميه مبيناً لإبهام جملة.[٢]

وهذا النوع من التمييز (مسوق لبيان ما تعلّق به العامل من فاعل، أو مفعول نحو: طاب زيد نفساً ، ومثله قوله تعالى:(وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)[٣]، و(غرست الأرض شجراً) ، ومثله (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا)[٤]، ويعدل من الفاعل أو المفعول إلى التمييز لقصد الاتساع والشمول والمبالغة.[٥]ففي (طاب زيد نفساً) و(حسن أخوك خلقاً) معنى يفيد الشمول، وهناك فرق بين قولك (طابت نفس زيد) و(طاب زيد نفساً) ففي الأول أسندت الطيب إلى النفس مباشرة، وفي الثاني أسندته إلى زيد كله، ثم خصصت النفس بالذكر فقد مدحته مرتين.[٦] على سبيل المبالغة ، ولولا التمييز في(نفساً) لظلت نسبة الجملة في (طاب زيد) في دلالة الإجمال.

فهذا تفصيل بعد إجمال ومعنى ذلك أنك أسندت الطيب إلى زيد جملة ثم فصلت فيما بعد جهة الطيب، والنفس تتشوق إلى الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال ، وجاء في حاشية الصبان أنه (إنما عدل عن هذا الأصل ليكون فيه إجمال ثم تفصيل فيكون أوقع في النفس ؛ لأن الآتي بعد الطلب أعز من المنساق بلا طلب).[٧] وبهذا المفهوم سنتتبّع التطبيقات التي دوًّنها الإمام بهذا النوع من التفصيل في (نسبة الجملة):-

من ذلك قوله (عليه السلام): (وَ أَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ وَأحصاكم عدداً، ووّظف لكم مدداً، أُومِنُ بِهِ أَوَّلا بَادِياً وَ أَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ وَ دَارِ عِبْرَةٍ أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا وَ مُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا)[٨].

---

[١]حاشية الصبان: ٢٨٨/٢.
[٢]ينظر: معاني النحو:٧٥٠/٢. وحاشية الصبان: ١٩٤/٢ـ ١٩٥.، وشرح المفصل: ٧٠/٢.
[٣]مريم:٤.
[٤]القمر:١٢.
[٥]ينظر: شرح ابن عقيل:٢٤٣/٢.
[٦]ينظر: معاني النحو: ٢/ ٧٥٢.
[٧]حاشية الصبان:٢٩٠/٢..
[٨]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٠٣.

كلامه (عليه السلام) عن الرسل ومواعظهم وسائر ما جذب به الله عباده إلى سلوك سبيله، وهو حجة على عصاة أمره أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، وإثبات ذلك يستلزم التأكيد لقوله في عبارة(وَأحصاكم) وهي مجملة النسبة فصلها (عليه السلام) بالتمييز (عدداً) وهو تمييز محول عن مفعول والأصل أحصى عددكم).[١] ، أي أحاط بكم ملائكته وحفظته، ثم (وظف لكم مدداً) : أي وقتَّ لهم الآجال، وكرر(عليه السلام) (الإحصاء والعدّ)؛ لأن الوهم كثيراً ما ينكر إحاطته تعالى بالجزيئات مع عدم تناهيها، في (قرارة خبرة) أي في دار الدنيا التي يبتلي فيها الإنسان ويختبر بالنعم والنقم و(دار عبرة) أي اعتبار بما يحدث بها من مصائب ومتاعب، فالإنسان مختبر في هذه الدنيا ليتميز فيها المخلص والخائن، والمتواضع والمتكبر وفيها محاسبون إذ لا يسلم منها إلاّ فيها ، إن التفصيل في (عدداً) قد أظهر المبالغة والتفخيم فيه حيث(وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا)[٢] ، فضلاً عن إفادته معنى الشمول في كون الله جعل الإحصاء يحوطهم ويجمعهم وكأنه (جعل الإحصاء والعدّ كالحائط المدار عليهم ؛ لأنهم لا يبعدون منه ولا يخرجون عنه)[٣].

ويناظر ذلك قوله(عليه السلام): (وَ لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) **نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَ أَبْنَاءَنَا وَ إِخْوَانَنَا وَ أَعْمَامَنَا مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَ تَسْلِيماً وَ مُضِيّاً عَلَىاللَّقَمِ وَ صَبْراً عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ وَ جِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ)[٤].**

هذا المقطع ذكرّ (عليه السلام) فيه حروبه مع رسول الله(صلى الله وعليه وآله وسلم)، مؤكداً كلامه (باللام) المقترنة ب(قد) للدلالة على توكيد القسم، وقدرّ بعض النحاة قسماً محذوفاً في مثل هذا التركيب.[٥] ثم تأتي دلالة الفعل المضارع**(نَقْتُلُ) واستمرار يته في الحدث ثم تأكيده وتنبيهه عبر القصر (بالنفي والاستثناء) في (مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَ تَسْلِيماً وَ ....)** فزاد بذلك من التنبيهات والتفات السامع إليه لما يقوله من كلام يلفت الأذهان إليه، وجاء بالتمييز في **(إِيمَاناً) لنسبة الجملة المبهمة في (يَزِيدُنَا ذَلِكَ) وليبيّن (عليه السلام) فضله وكيفية صنعه هو وسائر الصحابة في الجهاد بين يدي رسول الله**(صلى الله وعليه وآله وسلم) لغرض قيام الإسلام ، وظهور أمر الله وليتبين للسامعين تقصيرهم بالنسبة إلى ما كان أولئك عليه في جهادهم يومئذٍ.

وبذلك أفصح التمييز في **(إِيمَاناً)** ومعطوفها **(وَ تَسْلِيماًوَ مُضِيّاً عَلَىاللَّقَمِ)، (وَ صَبْراً عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ)** عن معنى الثبات في المبدأ والعقيدة، مما عمقّ المعنى في نفوس السامعين ومبالغته في الأمر المتحدث عنه في أشارته إلى قتّل الآباء والأبناء بأمر من رسول الله(صلى الله وعليه وآله وسلم) وهم على يقين من دينهم، وراحة

---

[١] في ظلال نهج البلاغة:٣٨٢/١.
[٢] الجن:٢٨.
[٣] ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٢/ ٢١٩.
[٤] شرح نهج البلاغة(عبده): ٨١- ٨٢.
[٥] ينظر:الكتاب: ١١٠/٣- ١١٧.، وينظر:اللامات: ٨٥.

من ضميرهم في أنهم على الطريق الواضح الحق ودون أن تعترضهم أية شبهة، فهم على الأمر الحق والوعد الصدق.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (وَ قَدَّمَ زَادَ الْآجِلَةِ سَعِيداً وَ بَادَرَ مِنْ وَجَلٍ وَ أَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَ رَغِبَ فِي طَلَبٍ وَ ذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ وَ رَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ وَ نَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَ نَوَالًا وَ كَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَ وَبَالًا وَ كَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِماً وَ نَصِيراً وَ كَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَ خَصِيماً)[١].

نلحظ في كلامه(عليه السلام) الحث على التقوى والخوف من الله في خطبته (الغراء) ، وتتجلى عبارة(**فَكَفَى بِالْجَنَّةِ**) وهي مجملة النسبة فصلّها بالتمييز (**ثَوَاباً**) وهذا التفصيل يفيد المبالغة والتفخيم للجنة وشمولها للثواب والنوال فعلى الإنسان وجوب السعي إليها دون غيرها، فكل نعيم دون الجنة فهو محقور، مقارناً بها النار وما تتميز به في قوله (**وَ كَفَى بِالنَّارِ**) وهي أيضاً عبارة مجملة النسبة ميزها وفصّلها عبر التمييز (**عِقَاباً**) ولم يذكر قبالة كل صنف مميزاته ليتسنى للمتلقي أدراك صفات كل واحد منها عن طريق مقارنته بالآخر، ولتجعل من النص وحدة متكاملة في سياقات فنيّة تضافرت بقوة على شحن الصورة وتكوينها عبر (فن المقابلة) فالجنة وما يقابلها من الثواب والعطاء والنعيم الأبدي ثم جاء الإجمال في (**وَ كَفَى بِاللَّهِ**) وتمييزه منتقماً، ونصيراً على وجوب الاقتصار على الخشية والاستعانة به، ثم إجماله النسبة في (**وَ كَفَى بِالْكِتَابِ**) وتفسيره (بالتمييز) (**حَجِيجاً**) أي محتجاً وخصيماً على وجوب الانفعال عنه ، وملاحظة شهادته في الآخرة على من لم يتبعه. ونسب الاحتجاج والخصام إلى الكتاب مجازاً.[٢]

وبذلك حقق التفصيل في كل من (ثواباً)، و(عقاباً) و(منتقماً) و(حجيجاً) ، جملة دلالات منها:

١- إنَّ في التفصيل (وعد ووعيد وتهديد) لمن خرج من الدنيا طاهراً نقياً، وورد الآخرة رضياً مرضياً بما قدم لها من صالح الأعمال ومحامد الأفعال، وإسراعه إلى مرضاة الله خوفاً من غضبه وانتهز الفرصة في أيام حياته وعمل للجنة عملها.

أما الوعيد والتهديد فقد كان لأهل الشر والفساد فكفاهم بالنار عقاباً لهم وانتقاماً على سوء أعمالهم في الحياة الدنيا.

٢- إنَّ في التفصيل دلالة الوقوف على حقيقة مهمة (وهي الأمور الغيبية) التي تجرى في الآخرة من الجنة، والنار، وبا ، والكتاب، وكأنه شاهداً على ما ينتظر المؤمنين من الجنة وعطائها، والنار وعقابها للمجرمين، وبا المنتقم والنصير، والكتاب حجيجاً لهم على من لم يتبعه.

---

(١)شرح نهج البلاغة(عبده): ١٠٩.
(٢)ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٣٩٠/٢.

٣ـ القوة في التعبير عن الموقف ، والذي تظهر فيه قناعة الإمام العالية فيما تتولاه الجنة من الثواب للمؤمنين ، والعقاب الأليم للمجرمين في النار، وبا المنتقم من الكفرة ، والنصير لمن كان من أهل الخير والصلاح، ثم القرآن وبرهانه القاطع وحجته الدامغة لمن حاج به وخاصم.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ وَ زَمَنٍ كَنُودٍ يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً وَ يَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً لا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا وَ لا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا وَ لا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا)[١].

ذمّ الإمام الزمان بوصفه بالجوْر والشدة لما أعدّ له مما عددّ من الأوصاف المعدودة شراً، وعبر الخطاب في النداء (**أَيُّهَا النَّاسُ**) للتنبيه لما سيقوله من تحذير من أخطار الزمان ثم تأكيده الخبر ب(إنّا) والأداة (قد) إذ يعد المحسن فيه مسيئاً ، وعبر الطباق بينهما يعلن فيه عن النتيجة للإحسان وهو الإساءة، حيث يعدون إنفاق المحسن لماله رياءً وسمعة أو خوفاً أو رغبة في مجازاة، كل ذلك طعناً في فضيلته وحسداً أن ينال رتبة أعلى.

ثم مجيء عبارة(**يَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ**) وهي مجملة النسبة فلا يسع المتلقي الوقوف على المعنى المبهم الذي فيها ، وجاء (**عُتُوّاً** تمييز محول عن فاعل لأن المعنى يزداد عتو الظالم) والتفسير ب(**عُتُوّاً**) تدل على إفادة الشمول والمبالغة والتفخيم في أمره، وذلك أن الظالم في زمن الظلم وضعف الشريعة ينتهز الفرصة ولا يلتفت إلى وازع الدين فلا جرم كان عتوه فيه أزيد، ثم يوبخ الإمام المقصرين في أعمال الآخرة في (**لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا**) على وفق ما علموا من الشريعة مما ينبغي أن يعمل لها إذ الانتفاع بالعلم إنما يكون إذا وافقه العمل، ثم يوبخ المقصرين في طلب العلم في (**وَ لَا يسْأَلُون عَمَّا جَهِلوا**) بعدم سؤالهم عمّا جهلوا منه، وقلة الالتفات لقصور إفهامهم عن فضيلته واشتغالهم بحاضر اللذات الحسيّة، ثم يوبخ المقصرين في أمر الجهاد وتنبيه لهم بذكر القارعة وحلولها بهم في قوله (**وَ لا يتَخَوَّفُون قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِهم**) ، من هنا تضافر التمييز في (**عُتُوّاً**) والتحول الذي أنتج هذا التمييز مع ما ذكره من أوصاف في ذمه للزمان ووصفه بالجور والشدة، وإظهار المحسن في صورة المسيء وتوبيخه للمقصرين في أعمال الآخرة ولأهل العلم، وللمقصرين في أمر الجهاد كل تلك الأوصاف أعطته دلالة التنبيه والشمول والمبالغة في أمر ذلك الزمان وما سيحل به من شدائد وجور.

وقوله أيضاً (عليه السلام): (وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً وَ سَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ وَ لا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)[٢].

---

[١] شرح نهج البلاغة(عبده): ٦١.
[٢] م.ن:١٢٣.

تكلم على الراسخين في العلم (عليه السلام) فهم الذين يميزون بين ما يمكن العلم به، وبين ما لا يمكن ، ويقفون عند هذا الغيب المحجوب، ويعترفون بجهلهم به، ولا يتكلفون معرفته ، ومن هنا مدح الله اعترافهم بالعجز ، ونلاحظ مجيء عبارة(**مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ**) مجملة النسبة ، وجاء بالتمييز(علماً)، وهو (تمييز محول عن فاعل، والأصل :لم يُحط به علمهم)[١]، وهذا معناه نفي جانب من إحاطتهم بعلم الله، وأنهم يعرفون جزءاً من الغيب المحجوب عنهم ويحيطون به علماً، في حين تدل عبارة(**مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ**) على نفي إحاطتهم كلياً بالغيب المحجوب عنهم، وبذلك عدل التمييز من الفاعل هنا لقصد الاتساع والشمول والمبالغة ونفي إحاطتهم بالكامل لعلم الغيب المحجوب عنهم، وجاء في الأشموني: في التمييز المحول عن الفاعل أنه (قد حول الإسناد عنه إلى غيره لقصد المبالغة)[٢]، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً صادقاً أيضاً على من قطع جملة من منازل السلوك وعجز عمّا وراءها فوقف ذهنه عن التعمق فيه والبحث إذ لا يكلف بما لا تفي به قوته فاقتصر علي ما نطق به الكتاب العزيز، ودلتّ عليه السّنة النبوية وأرشدت إليه أئمة الهدى، ناهياً الإمام عبر الأداة(لا) في (ولا نقدر عظمة الله تعالى على قدر عقلك فتكون من الهالكين)، فالمقدر لعظمة الله بقدر عقله هو المعتقد أن عقله قدّره وأحاط به علماً وهو تصغير لعظمة الله بحسب عقله الضعيف ، وعظمة الله تعالى أعظم وأجل من أن يضبطها عقل بشري، وإنما ينشأ ذلك الحكم لمن حصل له هو الوهِم الحاكم بمثيلة الله تعالى لمدركاته من الأجسام والجسمانيات، وذلك في الحقيقة كفر لاعتقادغير الصانع صانعاً وضلال عن طريق معرفة الله وهو مستلزم للهلاك في تيه الجهل.[٣] ، إذن التمييز في (علماً) والتحول الذي أنتج فيه تفسير لإجمال نسبة الجملة في (**مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ**) ، ولو اكتفى بهذه الجملة من حيث تعلق الإحاطة ونسبتها لبقيت الجملة في حيز الإبهام والغموض لذا جاء التفصيل (بالتمييز) (علماً) فأنقذ النسبة من سطوة الإبهام وأوضح تمام المعنى فصار اعترافهم بعجزهم، واعترافهم بجهلهم بعلم الله وغيبه من المدائح التي مدحهم الله بها ، وليس من شك أنه لو كان في علم المحجوب أدنى منفعة للناس ما حجبه الله عنهم، ومن تكلف وتعسف لإدراك هذا المحجوب تذهب محاولته لغواً وعبثاً.[٤]

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (وَ لَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ إِلَّا وَ عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً وَ تَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً)[٥].

ولما أراد(عليه السلام) حصر وجود الملائكة في أطباق السماوات ، قصر الخبر ب(ليس)و، (إلاّ) تأكيداً للاختصاص إذ المراد أن السماوات مملوءة بالملائكة فبين ساجد لوجه ربه، وبين ساع مجد في أمره، ثم فسّر (عليه السلام) بالتمييز في لفظتي (**عِلْماً**) ، و(**عِظَماً**) **للإجمال في نسبة الجملتين في قوله: (يَزْدَادُونَ عَلَى**

---

(١)ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٧/٢.
(٢)حاشية الصبان الأشموني:٢/ ٢٠٠ـ ٢٠١،
(٣)ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٤٣٨/٣.
(٤)في ظلال نهج البلاغة:٩/٢.
(٥)شرح نهج البلاغة(عبده):١٣٢.

طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ) و**(وَ تَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ)**، مفيداً معنى المبالغة والاتساع وشمولهم العلم فكلما ازدادوا طاعة ازدادوا علماً بعظمته.... أشبه بمن يمارس مهنة خاصة، يزداد بها خبرة على طول الزمن، ومن ازداد علماً زاد تعظيماً، ما في ذلك ريب ؛لأن التعظيم يأتي على مقدار العلم.[١]

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): **(وَ جَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ وَ قَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَ حَسْرَةُ الْفَوْتِ فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ وَ تَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَ بَيْنَ مَنْطِقِهِ ...فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ وَ لَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ وَ لَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطاً بِهِ فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ وَ خَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ وَ تَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ)**[٢].

وكلامه (عليه السلام) هنا في وصف نزول الموت بالغافلين عن الاستعداد له ولما ورائه من أحوال الآخرة، وكيفية قبض الموت لأرواحهم من مبدأ نزوله بهم، وكيفية أحوالهم مع أهليهم وإخوانهم معه، وفائدة هذا الوصف تذكير العصاة بأهوال الموت وتنبيههم من غفلتهم في الباطل بذلك على وجوب العمل له، فإن الغافل حال انهماكه في لذات الدنيا لا يعرف له خوف الموت بل يكون في تلك الحال آمناً منه. وجاء هنا الإجمال في نسبة الجملة في قوله**(ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ)** ثم كرر الجملة الأخرى في**(ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ)** وفسّرت الجملة الأولى عبر التمييز**(وُلُوجاً)** (وهو تمييز محول عن فاعل، والأصل ازداد ولوج الموت)[٣]، وفسّرت الجملة الثانية عبر التمييز (**الْتِيَاطاً**) وأيضاً هو تمييز محول عن فاعل، والأصل ازداد (التياط الموت به) ، وبذلك حصل معنى الشمول والمبالغة في (التمييز) ب**(وُلُوجاً)** ومن هذا المعنى يمكن تمثيل الموت كما ورد في التورات: أن مثل الموت كمثل شجرة شوك أدرجت في بدن ابن آدم، فتعلقت كل شوكة بعرق وعصب ثم جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقي ما أبقي، واستعار لفظ الولوج لما يتصور من فراق الحياة وشموله لكل عضو من أعضاء البدن، كذلك حصل معنى الشمول والاتساع والمبالغة في معنى التمييز(التياطً) أي التصاقاً، أي أصبح الموت أكثر التصاقاً به، عندما يرى الإنسان حال موته حركات ألسنة أهله ولا يسمع رجع كلامهم، فأول ما يفسده الموت هو آلة النطق ثم آلة السمع، وأخيراً آلة البصر، وبهذا يكون الموت أكثر التصاقا به، ثم تخرج الروح من بدنه، فيصير جيفة بين أهله، فتكون النفرة منه، وحتى ليتخيل الإنسان أن الميت يجذبه إليه ويصيرّه بحاله مثل حالته المنفورة عنها طبعاً فيتباعدوا من قربه.

---

[١]ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٣٠/٢.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٦١.
[٣]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١٤٩/٢.

وقوله(عليه السلام): (كَفَى بِالْأَجَلِ حَارِساً)[١].

جاء التمييز (حارساً) ليبين إجمال النسبة بين الفعل (كفى) والفاعل (بالأَجل) ؛لأن التقدير: حسبي الأجل من حارسٍ ، فالإمام(عليه السلام) جاء بالتمييز (حارساً) ليفصّل النسبة فتكون العبارة (كفى حارسُ الأجل)، وبهذا حقق تفصيل النسبة بالتمييز (حارساً) معنى المبالغة والتأكيد على معنى الأجل فليس هناك أسباب للموت غير الأجل المقدر عند الله، واستعار الإمام هنا لفظ(الحارس) باعتبار أنّ الإنسان لا يهلك ما دام أجله كالحارس.

ونختم كلامنا بقوله (عليه السلام) :(وَ أَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللهَ لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً وَ لَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً وَ لَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ وَ لَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً وَ لَا مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً وَ لَا سَلِسَ الزِّمَامِلِلْقَائِدِ وَ لَا وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُتَقَعِّدِ)[٢].

هذا الجواب تقرير لسؤال سأله أخوه(عقيل) له عن رأيه في القتال مؤكداً إياه بـ(أما) ومفصلاً إياه من وجوه:

١ـ تفصيله إجمال النسبة في قوله(**لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي**) بالتمييز (عزةً) وهو تمييز محول عن فاعل لأن المعنى: (لا يزيدني عزةُ كثرة الناس حولي)، والتفسير بالتمييز (عزةً) أبلغ لإفادة معنى الشمول والاتساع والمبالغة ،إذ أن شجاعة الإمام التي لا يزيده معها كثرة الناس حوله عزة، ولا تفرقهم عنه وحشة، فلا يوجد معها صفات كالجبن والعجز والانقياد للعدو، وحكمه هنا من الأوصاف التي ذكرها كونه شجاعاً ويجب الحذر من صولته.

٢ـ قوته في الدين على من أحلّ ذمة الله ونقض عهداً من عهوده.[٣]

مؤكداً الخبر عبر (لا) الناهية والفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد الثقيلة(**وَ لَا تَحْسَبَنَّ**) ، وتنبيهه عبر الاعتراض ـ **وَ لَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ** ـ حريصاً على الحياة خاشعاً مقراً للضيم، فالإمام (عليه السلام) يحرص على شيء واحد هو جهاد الباطل، والموت على الحق.[٤]

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٨٥.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٨٥.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٣٠٠/٥.
[٤]ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٥٤٧/٣.

المبحث السادس:دلالة أسلوب التفصيل ببدلي كل والاشتمال:-

البدل في اللغة(الخلف والعوض)[١]، وفي الاصطلاح: (التابع المقصود بالحكم بلا واسطة)[٢]، ومعنى ذلك أنك إذا قلت مثلاً(أقبل أخوك محمد) فالمقصود فيه بالحكم هو (محمد) وهو المهم ، وأما (أخوك) فقد ذكر تمهيداً لذكر العلم، فالبدل هو المهم وهو المقصود بالحكم، وأما المبدل منه فإنما يذكر تمهيداً وتوطئة لذكر البدل.[٣] وليكون بذلك كالتفسير بعد الإبهام.[٤] ويسميه الكوفيون الترجمة والتبيين والتكرار.[٥] وأما تسميته بالبدل فهو من اصطلاح البصريين.[٦] ويبدو إن تسمية الكوفيين جديرة بالاهتمام ولاسيما أنها تكشف لنا عن الغرض اللغوي من البدل، ولأنها أدق في التعبير عن الوظيفة التي يؤديها في السياق، إذ إن البدل من حيث الوظيفة يقوم بإيضاح المبدل منه وتفسيره بما يزيل عنه كل لبس أو توهم قد يعتريه.[٧] وهو من حيث الشكل أربعة أقسام.[٨]:

بدل كل من كل أو ما يسمى بـ(بدل المطابقة)، كقوله تعالى: (اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ)[٩]، فـ(صراط) بدل من (الصراط) بدل كل من كل.[١٠]، وبدل بعض من كل هو من باب تخصيص العام، كقوله تعالى: (وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ)[١١]، ف (بعضهم) بدل خصّص تعالى به جزءاً مما كان داخلاً تحت حكم العام(الناس)، ولفظة(ثلثه) من قولك :(أكلت الرغيف ثلثه) هي الأخرى دالة على ذلك ؛لأن الثلث بعض الرغيف، ويبدو واضحاً أنّ عملية الأكل وقعت حصراً دون عموم الرغيف فكان خصوصاً للعموم.

وأما بدل الاشتمال: هو ما دلّ على معنى في متبوعه.[١٢] وذلك نحو قوله تعالى:(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ)[١٣].

---

[١] المعجم الوسيط مادة(بدل):٤٤/١.
[٢] شرح الحدود النحوية:٢٥. ، وينظر: شرح ابن عقيل:٢٠٣/٣.
[٣] ينظر: معاني النحو:١٩٧/٣.
[٤] ينظر: النحو القرآني:٥٠٠.
[٥] ينظر:إرتشاف الضرب:١٩٦٢/٤.، وينظر:المصطلح النحوي(للقوزي):١٦٣. ، والمصطلح اللغوي عند ابن خالويه(رسالة ماجستير) دراسة نحوية: صباح حسين محمد، مقدمة إلى كلية الآداب / جامعة الموصل، ١٩٧٧م، بإشراف الأستاذ الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم: ٤٥. ، والمصطلح الكوفي ، مجلة التربية والعلم، د. محيي الدين توفيق:١٨.
[٦] ينظر: حاشية الصبان:١٣٨/٣. ، وهمع الهوامع:٢١٢/٥.
[٧] ينظر: حاشية الشنواني: ٧٦/١ـ ٧٧. ، وأعراب الجمل وأشباه الجمل: ٢٦٧.
[٨] ينظر: المفصل في علم العربية(للزمخشري):١٢١.، وشرح المفصل(ابن يعيش):٦٣/٣. ، وأوضح المسالك إلى إلفية ابن مالك: ٤٠١/٣ـ ٤٠٣.. ، وهمع الهوامع:٢١٢/٢، ومعاني النحو:١٩٨/٣.
[٩] الفاتحة:٦ـ٧.
[١٠] ينظر جامع الدروس العربية:٥٤٥. ، والنحو القرآني:٥٠٠.
[١١] البقرة:٢٥١.
[١٢] ينظر: معاني النحو:٢٠٢/٣.
[١٣] البقرة:٢١٧.

وقوله تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا)[١]، فـ(إذ) بدل اشتمال من مريم، وقوله تعالى: (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ)[٢]، فـ(النار) بدل اشتمال من (الأخدود) ؛لأن الأخدود اشتمل على النار.

أما بدل المغايرة: وهو بدل الغلط والإضراب والنسيان، فإن بدل الغلط نحو قولك: (أقبل محمد خالد)، فإنك عندما قلت (أقبل محمد)تبين لك أنك غلطت بذكر(محمد) وإنما أردت (خالداً) فجئت بها مكان الغلط لا أنها غلط.[٣]

وأما الإضراب: فيكون إذا ذكرت شيئاً ثم بدا لك أن تضرب عنه بذكر آخر بدله كأن تقول:(سأذهب إلى المقهى الكلية) ، فحين ذكرت أنك ستذهب إلى المقهى بدا لك أن تترك ذهابك إليها، وأن تذهب إلى الكلية بدلها، وقوله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ)[٤]،فأخبر أولاً أنهم لا يملكون رزقاً ثم أضرب عن ذلك فقال: بل لا يملكون شيئاً، والذي عليه النحاة أن(شيئاً) مفعول به لـ(رزقاً).[٥]

وأما بدل النسيان : فهو أن تنسى أمراً فتذكر غيره ثم تتذكر ذلك الأمر المنسي فتذكره مبدلاً إياه من المذكور الأول سهواً كقولك: (زارني خالدُ عليُ)، فأنت نسيت أنّ (عليُ) هو الزائر فذكرت (خالداً) ثم تذكرت أن (عليٌّ) هو الزائر فذكرته بدلاً من (خالد).[٦]

إنَّ هذه الأصناف الثلاثة التي تسمى بـ(بدل المغايرة) لم ترد في النص القرآني البتة.[٧] وقد يقع في الشعر على سبيل ادعاء الغلط أو النسيان كقوله: (ألا إنما هند عصا خيزرانة) ، فذكر أولاً أنها عصا، ثم بين أنه غلط بقوله هي عصا فصحح غلطه وذكر أنها خيزرانة.[٨]

يتضح لنا مما تقدم أنَّ (بدل بعض ،والمغايرة) خارجان عن دائرة تفسير المبهم، وأنّ بدلي (كل ، والاشتمال) هما اللذان يقومان بمهمة تفسير المجمل من الكلام ، وهذا ما سيتم الحديث عنهما :ـ

---

[١]مريم:١٦.

[٢]البروج:٤ـ٥.

[٣]ينظر:معاني النحو:٢٠٣/٣.

[٤]النحل:٧٣.

[٥]ينظر: معاني النحو:٢٠٤/٣.

[٦]ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:٤٠٣/٣، وحاشية الصبان:١٨٧/٣. ، وأسرار العربية(ابن الأنبا ري): ٢٦٤/١ـ ٢٦٥.، ومعاني النحو:٢٠٣/٣ـ٢٠٤.

[٧]ينظر: شرح المفصل ابن يعيش:٦٦/٣. ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:٤٠٣/٣. ، وهمع الهوامع:٢١٢/٥.

[٨]ينظر :معاني النحو:٢٠٤/٣.

أولاً: دلالة التفصيل بـ(بدل كل):-

وهذا البدل هو الذي أطلق عليه(سيبويه) (هو هو).[1] وذكر ابن القيم (بدل الموافق من الموافق)[2]، وبدل كل من كل لفظ (ثانٍ يقدر في موضع الأول..... والغرض من ذلك البيان وذلك بان يكون للشخص اسمان، أو أسماء ويشتهر ببعضها عند قوم وببعضها عند آخرين، فإذا ذكر أحد الاسمين، خاف أن لا يكون ذلك الاسم مشتهراً عند المخاطب، ويذكر ذلك الاسم الآخر على سبيل بدل أحدهما من الآخر للبيان، وإزالة ذلك التوهم، فإذا قلت : مررت (بعبد الله زيد)، فقد يعلم أنه عبد الله، فتأتي بالأسمين جميعاً لمعرفة المخاطب.[3] للاسم الذي أردتإيضاحه وتحديده، فورود البدل (زيد) أفاد تشخيص الماهية بدقة تشخيصاً ينأى بها عن الاشتراك مع غيرها أي أنه قد ضيّق من نطاق دلالة المبدل منه (عبد الله) ، وقام بوظيفته في إزاحة اللبس والإبهام عنه وإحداث التأثير في نفس المخاطب، وذلك لأن للإبهام أولاً ثم التفسير ثانياً وقعاً وتأثيراً فيها ليس للإتيان بالمفسر أولاً.[4] إذ لم يتقدمه إبهام، فالبدل هنا يرد لكشف معنى المجمل وتعريفه للمتلقي أيضاً؛لأن فيه (رفع مجاز وإبطال التوسع الذي كان يجوز في المبدل منه)[5]وفي الأغلب يعمل هذا النوع من البدل على تقيد الماهية المطلقة فيبينها ويخلصها من اشتراك الماهيات الأخرى.

وقد ورد هذا النوع من البدل في نصوص نهج البلاغة في:-

منها قوله(عليه السلام): (أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ وَ وَرَدُوا مَنَاهِلَهُ بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ وَ قَامَ لِوَاؤُهُ فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا وَ وَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا وَ قَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي خَيْرِ دَارٍ وَ شَرِّ جِيرَانٍ نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَ كُحْلُهُمْ دُمُوعٌ بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ وَ جَاهِلُهَا مُكْرَمٌ)[6].

أتى (عليه السلام) بلفظة (بِأَرْضٍ) وهي بدل كل من (خَيْرِ دَارٍ)، فأدت عملية التفصيل (لخَيْرِ دَارٍ)، وقد قدّم الجار والمجرور (بأرض) تخصيصاً لمكان الناس من الدنيا ، فكأنه قال والناس في خير دار هي الدنيا، وهم منها بأرض من حالها أن عالمها ملجم بلجام الذل من أهلها عن المّر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم العلم بينهم وغلبة الجهل عليهم، وجاهلها مكرم لمناسبته لهم في الجهل وموافقته لهم على

---

[1] الكتاب:٣٨٥/٢.
[2] بدائع الفوائد:١٩٨/٤.
[3] شرح المفصل (ابن يعيش):٦٣/٣ـ٦٤. ، وهمع الهوامع: ٢١٢/٥.
[4] ينظر: شرح الرضي على الكافية:٣٨١/٢
[5] شرح المفصل(ابن يعيش):٦٦/٣.
[6] شرح نهج البلاغة(عبده):٢٦.

الباطل، ويكون المراد بتلك الأرض إمّا الشام ، أو العراق، وإن حملنا خير دار الشام أو العراق كان قوله بأرض من حالها كذا يجري مجرى البيان.[١]

ويناظر ذلك قوله(عليه السلام): (فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً وَ عُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ سَمْكاً مَرْفُوعاً بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا وَ لَا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَ ضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ)[٢].

فقوله هذا من خطبة له (عليه السلام) في خلق السموات، وورد بدل الكل في قوله (**زَيَّنَهَا**) والزينة هنا عامة، ثم خصصها وفصلها في(**بِزِينَةِالْكَوَاكِبِ**)، فالسماء متزينة بالكواكب وضيائها الذي هو أحسن الزينة وأكملها، فلو لم يحصل صور الكواكب في الفلك لبقي سطحاً مظلماً، فلما خلق الله تعالى هذه الكواكب المشرقة في سطحه لا جرم استنار وازدان بذلك النور والضوء، والمتأمل يجد أنه (عليه السلام) قد قدّم المبدل منه عاماً في قوله (**زَيَّنَهَا**) ثم مجيء التفصيل في البدل مخصصاً وهو (**بِزِينَةِالْكَوَاكِبِ**) فكان له من التوكيد والاختصاص فضلاً عن توكيد اللفظة في (**زَيَّنَهَا**) بزينة ما له من زيادة وفضل توكيد واختصاص لمتبوعه، فالبدل والتفصيل بعد الإجمال جاء هنا تأكيداً واختصاصاً على إزالته الإبهام وإيضاحه للمتلقي وتحديده.

ومثيل ذلك قوله(عليه السلام): (....وَ السِّيَاقَةُ إِلَى الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ فَـ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ: سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَ شَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا)[٣].

جاء الإجمال في المبدل منه (**سَائِقٌ**) وما عطف عليه (**شَهِيدٌ**) **أما التفصيل فقد جيء ببدل كل في** (**سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا**) ومعطوفها (**وَ شَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا**) ، فالسائق يسوقها إلى المحشر هو حكم القضاء الإلهي وأسباب الموت الحاكمة على النفس برجوعها إلى معادها، فإن كانت من أهل الشقاوة فيالها من سوقة متعبة وجزية مزعجة. وإن كانت من أهل السعادة ساقها سائق رؤوفسوقاً لطيفاً ، إما الشاهد فهو من الأنبياء أو العلماء، أو من عقل الإنسان وأعضائه يشهد بعملها من خير أو شرّ.[٤]

وبذلك حققت عملية الانتقال هنا من الإبهام والغموض في (السائق، والشهيد) إلى الوضوح في النص بتفسيرها ببدل كل لذة عظيمة للسامع بعد جذب انتباهه، وكذلك نلاحظ في هذا المثال أن الكشف والإيضاح هما الأساس.[٥]في ورود البدل

---

[١]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ١٦٨/١.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده١٨.
[٣]م.ن: ٢٤٠-٢٤١.
[٤]ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٤٢٠/١- ٤٢١.
[٥]ينظر: جامع البيان(الطبري): ١٧٧/١.، والتبيان (للطوسي): ٣٧٧/٥.، ومجمع البيان (للطبرسي): ١١٠/٣.

الذي قيد الماهية المطلقة في المبدل منه الـ(سائق) والـ(شهيد) ، وعمل على تلك الماهية وتخليصها من الاشتراك مع ماهيات أخرى، فكشف عن معناها وعرفها للمتلقي، ومما زاد من أهمية النص وتثبيت حكمه في أذهان السامعين ورود الاقتباس القرآني المستوحى من قوله تعالى: (وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ)[1]، مما أكسب النص قالباً أسلوبياً متميزاً، يرفد اللذة العظيمة في إبهامه المبدل منه ثم كشفه للمتلقي على ما كان به من إبهام وغموض، وكيف لا يكون ذلك الأسلوب ممتازاً وانفعال المتلقي معه وهو مأخوذ عن أديب بليغ تخرّج من مدرسة القرآن الكريم وتأثر به أيمّا تأثر، فالإمام (عليه السلام) حينما ينقل اللفظة القرآنية من محيطها الدلالي القرآني يوظفها في موقفه الفني، ويستغل ما لهذه اللفظة وما أضافها عليها محيط النص السابق نفسه، ثم يستغل انطباعها واستقرارها في الأذهان في نصه مما يزيد من انفعال متلقيه وسرعة تأثره بتلك اللفظة.

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): (وَ اتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَ جُنُودِهِ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَ أَعْوَاناً وَ رَجِلًا وَ فُرْسَاناً).[2]

نجد البدل التفصيلي (إِبْلِيسَ وَ جُنُودِهِ)، جاءت بدلاً من الإجمال في قوله(عَدُوِّكُمْ)، فأفادت بذلك لفظة(إبليس وجُنُودِهِ) التبيين مع التأكيد، إذ أوضح الإمام للمخاطبين إنَّ عدوهم الرئيس هو إبليس وأولياؤه وأعوانه منبهاً إياهم بالتوكيد (إنَّ) وتقديمه الجار والمجرور (له) على اسمها (جنوداً) لغرض الاختصاص والتنبيه والإشارة إلى إن إبليس له من هذه الأمة جنوداً وأعواناً ورجالاً وفرساناً اتصفوا بصفته واستشعروا شعاره وهو الكبر فينبغي أن يجتنبوهم ويطرحوا شعارهم، وإن يتسلحوا بخلق التواضع.

وقوله (عليه السلام)أيضاً: (هَذَامَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَ بَادِيهَا وَ رَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَ بَادِيهَا أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَ يَأْمُرُونَ بِهِ وَ يُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَ أَمَرَ بِهِ لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً وَ لَا يَرْضَوْنَبِهِ بَدَلًا وَ أَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَ تَرَكَهُ).[3]

وهذا من حلف له (عليه السلام) كتبه بين ربيعة واليمن ، ولقد ورد فيه البدل التفصيلي في (حَاضِرُهَا)وَ (بَادِيهَا) لما أجمله في (اليمن)، وكذلك (حَاضِرُهَا) وَ (بَادِيهَا)، لما أجمله أيضاً في لفظة (رَبِيعَةُ)، وقد جاء البدل والمبدل منه كلاهما معرفة.[4] ثم جيء ببدل آخر وهو في المصدر(أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ) وهو بدل عن الموصول الاسمي (ما) والتي جاءت خبر للمبتدأ(هذا)، وبهذا أوضح (عليه السلام)

---

[1] ق:٢١.
[2] شرح نهج البلاغة(عبده):٢٧٦.
[3] م.ن:٤٣٨.
[4] ولايلزم التطابق بين المبدل منه والبدل، فكما تبدل المعرفة من المعرفة ، والنكرة من النكرة تبدل المعرفة من النكرة وبالعكس ، ينظر: اللمع:١٦٩، والبدل في الجملة العربية:٩٠.

مضمون الاجتماع عبر الجملة الاسمية (أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ) والدلالة على ثبوتها وتأكيدها، ومما زاد في توكيدها ورود (أنَّ) المؤكدة ، وهنا أراد (عليه السلام) توكيد الارتباط بين اليمن وربيعة واجتماعهما على العمل بكتاب الله والدعوة إليه، والعمل به، وأن يقفوا صفاً واحداً بقلوبهم وسيوفهم مع من يدعو إلى الإسلام والحق ويأمر به ويدافع عنه كما قال (وَ يُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ)، وكأنه يعني بهذا نفسه الشريفة؛لأنها أظهر وأكمل من ينطبق عليه هذا الوصف بعد رسول الله (صلى الله وعليه وآله وسلم)، وبذلك أفاد بدل كل من كل في السياق العلوي تفصيل ما أُبهم قبله من اللفظ المجمل، فرفع بذلك الإجمال ونصّ على المعنى المبتغى وضوحاً وتحديداً، فدلالته البيّنة تعمل على الجزم بمراد المتكلم دون تردد.

ومثيل ذلك قوله(عليه السلام): (إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ)[١].

نبّه (عليه السلام) بضمير الشأن (إِنَّهُ) لمن يخاطبهم على حصر وقصر الصفة(بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ) على الموصوف (العِقَابُ)، وذلك للمبالغة في الأمر الشديد، ويحتمل أن يريد شرّ الدنيا وخيرها ، فإن أعظم شرّ في الدنيا مستحقر في عقاب الله. وفي النص ورد البدل التفصيلي في لفظة(عِقَابُ) لما أجمل ببدل الكل في لفظة(شَيْءٌ) ،فالمعنى: (ليس شراً من الشر إلاّ عقابه) ، لما كان البدل (ثان يقدر في موضع الأول)[٢]، فالمعنى (عقاب الشر شرّ من الشر).

وقوله (عليه السلام): (مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ وَ طَالِبُ دُنْيَا)[٣].

ف (طَالِبُ) العلم بدل تفصيّل من(منهومان)، وقد جاء البدل(طَالِبُ) اللفظة الأولى معربة بالرفع ؛ لأتباعها المبدل منه المرفوع للابتداء،و(المنهومان)مبهمان، وقد وردت في العبارة عملية تفصيل ببدل كل (طالب علم) وما عطف عليه(طالب دنيا)؛ لبيان الإبهام المجمل في لفظة(مَنْهُومَانِ)، فأوضح البدل المبدل منه بعد إبهامه وأفاد البيان.[٤] وجاء الخبر (يشبعان) فعل مضارع منفي لينفي الشبع عن المنهومين واستمراريته على الدوام في الحدث ، وليعظم شوق المتلقي لمعرفة هذا المجمل الذي أتبعه المتكلم بالتفصيل، ففي البيان تنشيط للنفس وإيقاظها؛ لأن النفس إذا ما تلقت كلاماً محاطاً بشيء من الغموض والإبهام تشتاق إلى بيانه واستيضاحه، فإذا جاء البيان صادف نفساً يقظة ، متطلعة فيتمكن الكلام منها فيكون أوفى بتأدية الغرض مما قبله؛ لدلالته عليه بالتفصيل.[٥]

ويتضح مما تقدم إن التفصيل قد بيّن لذّة العلم عند أهله فهي تفوق عندهم لذّة المال، وكان أحد العلماء يقول: أين الملوك وابناؤهم مما نحن؟ أمالوا فطنّوا لنا لقاتلونا على العلم بالسيوف، اللذّة توجب العشق، والعاشق لا يشبع، وكلما استكثر ازداد تلهفاً <u>أما منهوم المال فقد صوره الرسول الأعظم بأبلغ صورةٍ وهي قوله: ((لو</u>

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):١٧٠.
[٢]شرح المفصل (ابن يعيش):٦٣/٣.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):٥١٣.
[٤]ينظر:همع الهوامع:٢١٢/٥.
[٥]ينظر: دلالات التركيب دراسة بلاغية، محمد أبو موسى: ٣٠٠.

كان له جبلان من ذهب لتمنى لهما ثالثاً... وأيضاً لو ملك الثالث لتمنى الرابع.. لا تشبعه إلاّ حفرة في التراب)، (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)[1])[2].

وقوله (عليه السلام)أيضاً: (وَ نَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَ أَحْصَاهُ كِتَابُهُ عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَ كِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ وَ وَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ وَ يَقِينُهُ الشَّكَّ).[3]

جاءت الإبدال التفصيلية متتابعة في كل من (**عِلْمٌ**) و(**كِتَابٌ**) و(**إِيمَانَ**)، وهي بدل لما أجمل في (علمه) و(كتابه) و(إيمان) ، وجاء البدلان: الأول، والثاني معربين بالرفع تبعاً لمتبوعهما المرفوعين، ويجوز إعرابهما خبرين لمبتدأ محذوف مقدر، أما الثالث فقد جاء منصوباً تبعاً للمبدل منه المنصوب، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن تكون لفظة(إيماناً) مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف.

وقد دلت الصفة(**غَيْرُ قَاصِرٍ**) بعد البدل (علم) على المدح، وكذلك (**غَيْرُ مُغَادِرٍ**) فهو لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ، ولا في الأرض، وكتابه المبين ولوحه المحفوظ جبرائيل الأمين لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أحاط به علمه وأحصاه.[4] وخصّ (عليه السلام) إيمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود ، أي وقف على ما وعد به المتقون بعين الكشف لكونه أقوى درجات الإيمان ، فإن من الإيمان ما يكون بحسب التقليد، ومنه ما يكون بحسب البرهان وهو علم اليقين، وأقوى منه الإيمان بحسب الكشف والمشاهدة وهو عين اليقين، وذلك هو الإيمان الخالص فيه وبحسب الإخلاص فيه يكون نفي الشرك، وبحسب يقينه يعني اعتقاد أن الأمر كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن أن يكون إلاّ كذا يكون نفي الشك، و(عليه السلام) من أهل هذه المرتبة.[5]

أفاد البدل بالتفصيل بيان عظمة الله تعالى في إحاطته بالعلم، ومدى سعة علم الإمام بالله ، ومدى إيمانه العميق به وإخلاصه له.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (أَلَا وَ إِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ وَ آخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ)[6].

هنا جاء بيان من يجب قتاله بالبدل التفصيلي(**رَجُلًا**) **وَمعطوفه(آخَرَ)** لما أجمله في المبدل منه ولفظة (**رَجُلَيْنِ**)، وجاء الكلام فيه مؤكداً بمؤكدين هما (ألا) و(إنَّ) تنبيهاً وتفخيماً عنهم في كونه يقاتل رجلين هما:

الأول: رجل خرج على الإمام العادل بعد تمام بيعته وادعى أن الإمامة حقّ له، وقد ثبت بالاجماع له وليس لغيره.

---

[1] التكاثر:٢.
[2] في ظلال نهج البلاغة:٤٧٦/٤.
[3] شرح نهج البلاغة(عبده):١٦٩.
[4] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٥٤٤/٣.
[5] ينظر: م.ن:٥٤٤/٣.
[6] شرح نهج البلاغة(عبده):٢٣٩.

والثاني: رجل خرج على الإمام ولم يمتثل له في شيء من الأحكام ،فالأول إشارة إلى أصحاب الجمل، والثاني إلى معاوية وأصحابه.(١)

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (وَ إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُتَّبِعٌ شِرْعَةً وَ مُبْتَدِعٌ بِدْعَةً لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ وَ لَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ)(٢).

جاء الكلام هنا مؤكداً ب(إنمّا) وفيه تنبيه في قصره الناس على لفظة (رَجُلَانِ) وهي مجملة، وجاء بدل كل التفصيلي في (مُتَّبِعٌ شِرْعَةً)ومعطوفها (مُبْتَدِعٌ بِدْعَةً)، حيث إن قسم منهم متبع شرعة: أي طريقاً ومنهجاً وهو منهاج الدين، وقسم مبتدع بدعة بغير برهان سنّة من الله يعتمد عليه، ولا ضياء حجة يقوده في ظلمات الجهل ليلحقوا بأفضل القسمين.(٣)

نجد في البدل التفصيلي تحفيزاً شديداً لدى المتلقي لمعرفة الخبر المبهم عنه ، والذي يجيء في (المبدل منه)،والغرض من ذلك الأسلوب تعظيم المخبر عنه ابتداءً ثم تفصيله إلى المتلقي ثانياً، وهنا تحصل اللذة والمتعة بعد معرفة الخبر وتفصيله.

وقوله أيضاً(عليه السلام): (يَهْلِكُفِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وَ بَاهِتٌ مُفْتَرٍ)(٤).

فالإبهام وقع في (رَجُلَانِ)، والتفصيل في(مُحِبٌّ مُفْرِطٌ) الذي تجاوز وغالى في حبه له، فذهب به ذلك الحبّ مذهب الهلكة، و(بَاهِتٌ مُفْتَرٍ) فكل من الباهت والمفتري كذاب يرمي بالباطل، ولكن الباهت صلف ووقح ؛لأنه يرمي بالحضور ، والمفتري أعم يرمي بالحضور والغياب(كالخوارج) وهم في طرف التفريط وكلاهما رذيلة خارجة عن فضيلة العدل، وهذه الرذائل هي مهاوي الهلاك الأخروي.(٥)

أفاد قيد(البدل) هنا ذّم الإفراط والتفريط فخروج كل منهما عن الحق والعدل.

ويبدو لي أن هدف الإمام (عليه السلام) من تضمين سياقات نصوصه بقيد البدل المبني على التفصيل من خلال بنية ثنائية هو(تحقيق درجة معينة من التوصيل سالكاً بذلك بناء اللاحق على السابق)(٦).

ونختم كلامنا بقوله(عليه السلام):(وَ إِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ وَ إِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ)(٧).

أشار(عليه السلام) بالغائب إلى الإنسان إذ كانت الدنيا عالم غربته ومحل سفره، ومنزله الحقيقي إنما هو منشأه وما إليه مرجعه، وجاعلاً من البدل التفصيلي في (اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ) بدلاً من المجمل (الْجَدِيدَانِ) وإنما سميّ الليل والنهار جديدان

---

(١)ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٦٨٦/٣.
(٢)شرح نهج البلاغة(عبده):٢٤٥.
(٣)شرح نهج البلاغة(البحراني): ٦٩٨/٣.
(٤)شرح نهج البلاغة(عبده): ٥١٥.
(٥)ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٥١٠/٥.
(٦)لسانيات النص:٢٦٩.
(٧)شرح نهج البلاغة(عبده): ٨٦.

لتعاقبهما فليس أحدهما مختلفاً للآخر، مستعيراً لفظة (الحدو) لما يستلزمانه من إعداد الإنسان لقرب أجله المشبه لصوت الحادي الذي يحدو الإبل لسرعة سيرها وقربها من المنزل المقصود لها، والظاهر أن من كان الليل والنهار حاديه فهو في غاية سرعة الرجوع إلى مبدئه ووطنه الأصلي.[١] وقال بعض الشارحين الغائب هنا هو الموت.[٢] ثم نبه (عليه السلام) عبر أداة التأكيد (إنَّ) بالقادم بالفوز أو الشقوة إلى الإنسان حين قدومه على ربه بعد المفارقة فإنه إما الفوز بالسعادة الباقية أو الحصول على الخيبة والشقوة. فعلى الإنسان أن يستعد بأفضل عدّة ليصل بها إلى أحبهما لديه ألاّ وهي السعادة الدائمة في جنات النعيم.

يمكن القول إنّ التفصيل ببدل الكل حقق غايتين في النص:

١ـ تأكيد سرعة قدوم الموت بسرعة (الليل والنهار) اللذين لا يقفان لحظة فما دونها

٢ـ على الإنسان الاستعداد لهذه اللحظة، وهي لحظة الموت والإعداد لها أفضل العدة للفوز بالنعيم والاستعداد بالخيرات والأعمال الصالحات، فالموت قادم لا محالة وبسرعة ولا شيء بعده إلاّ الهناء أو الشقاء، فأعدوا له عدته منذ الآن ؛لأنه لا يمهل الإنسان إذا جاء لحظة، ولا يدع الإنسان ينطق بحرف أو يتنفس بنفس.

[١] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٣٣١/١.
[٢] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٣٢٥/١.

ثانياً: دلالة التفصيل ب(بدل الاشتمال):-

بدل الاشتمال (هو بدل شيء من شيء يشتمل عامله على معناه بطريقة الإجمال ، كأعجبني زيد علمه ، أو حسنه، أو كلامه)[١]، ففي قولك : أعجبني زيد علمه ، الإعجاب لا يناسب نسبته إلى ذات زيد التي هي مجموع لحم وعظم ودم فيفهم السامع أن المتكلم قصد نسبته إلى صفة من صفاته كعلمه أو حسنه، وفي قولك: سرق زيدُ ثوبه، إنما يفهم السامع أن المتكلم قصد نسبته إلى شيء يتعلق به كثوبه أو فرسه.[٢] فجيء ببدل الاشتمال ليفصّل جهة النسبة المجملة على أي معنى هي وقعت في الحقيقة المقصودة. فالمراد من بدل الاشتمال ليس المبدل منه عيناً كما في بدل كل، ولا المبدل منه جزءً كما في بدل بعض، وإنما المراد بلازمة من لوازمه.[٣] قد اشتمل عليه على سبيل الإجمال مع لوازم أخر، فيأتي الاشتمال ليزيح هذه اللوازم المشتملة ويثبت على واحدة منها تفصيلاً وبياناً ، وهذا لا يعني بأن الأول ـ المبدل منه ـ غير مقصود تماماً، وإنما هو مقصود بلازمته، ومن هنا كانت نسبة المبدل منه إلى الفعل نسبة مجملة وحينما يرد البدل يفهم تعلّق النسبة تفصيلاً؛لأن بدل الاشتمال هو من يعلق به الفعل من وجهة نظر دلالية لا نظرية.[٤] وقد ورد في نصوص نهج البلاغة بدل الاشتمال مفصلاً لإجمال النسبة كما في الآتي:-

قوله (عليه السلام): (فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى وَ مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَ بَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ وَ إِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ وَ تَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ)[٥].

وهنا كلامه (عليه السلام) تعيين لما خلقوا له ووعدوا بالوصول إليه وأنه لا حائل بينهم وبينه إلاّ الموت، وقد ورد في النص بدل الاشتمال في قوله**(أَنْ يَنْزِلَ بِهِ)** فصّل النسبة في (الْمَوْتُ)، فنجد أنّ (الموت) لفظة مبهمة مجملة، لذا جاء (عليه السلام) بالبدل (أَنْ يَنْزِلَ) في محل رفع بدل من الموت.[٦] بياناً له، فكان (أوفى بتأدية المعنى المقصود)[٧] منه ، وقصر الخبر (بَيْنَ) على مبتدئه (الموت)، فأكد مضمون الجملة، ثم أكد كلامه (عليه السلام) (بمؤكدين أحدهما لفظي :وهو(القصر)، وثانيهما أسلوبي وهو تقديم ما حقه التأخير)[٨]، فلا محالة مهما طال

---

[١] حاشية الصبان:٢١٢/٥.
[٢] ينظر: م.ن:١٢٥/٣، وينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٥٨/٢.
[٣] فهو نوع من الملابسة غير الكلية والجزئية، ينظر:شرح شذور الذهب :٤٤٦.
[٤] ينظر: الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني:٢٧٧.
[٥] شرح نهج البلاغة(عبده):٨٥ ـ ٨٦.
[٦] ينظر: منهاج البراعة:٣٤١/٤.
[٧] (شرح تلخيص المفتاح)عروس الأفراح:٤٣/٢.
[٨] الجملة الخبرية في نهج البلاغة،دراسة نحوية، رسالة ماجستير قدمها علي عبد الفتاح الشمري، كلية التربية /جامعة بابل:٢٠٠١م:٢٧٨.

عمر الإنسان ، وبلغ نصيبه من الصحة والجاه والثراء، فليس بعد الموت إلاّ الحساب والجزاء بالنعيم على عمل الخير، أو الجحيم على فعل الشر.[١] ولما جاء (عليه السلام) بالموت مجملاً عاد وفصّله بالمصدر المؤول من (أَنْ يَنْزِلَ بِهِ) ، و(موضعه رفع ؛لأنه بدل من الموت)[٢]، وجاء لبيان لازمة من لوازمه وهي النزول بالإنسان، فالمصدرالمؤولمن (أَنْ يَنْزِلَ) هنا بدل اشتمال من الموت.[٣] وذلك ؛لأن المعنى نزول الموت فيكون مثل(أعجبني ثوب زيد)[٤]وبذلك أفاد ببدل الاشتمال إدراك لذة المفارقة التامة وإدراك ألم النار بالمعنى أمر يتحقق حال مفارقة الروح البدن، فالنفس بعد الموت تدرك ما لها من لذة أو ألم فيكشف الإنسان ما يستحقه من جنة أو نار، ثم يؤجل ذلك إلى قيام القيامة الكبرى.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (فَاحْذَرُواعِبَادَ اللَّهِ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ وَ أَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ وَ أَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَ رَجِلِهِ).[٥]

أمر(عليه السلام) من يخاطبهم بالفعل(فَاحْذَرُوا) من(عَدُوَّ اللَّهِ) وهو المجمل وفصّله ببدل الاشتمال(أَنْ يُعْدِيَكُمْ) حيث نصب على البدل من عَدُوَّ اللَّهِ.[٦]وجوز الراوندي(ت٥٧٣هـ) أن يكون موضع (أَنْ يُعْدِيَكُمْ) مفعولاً ثانياً من العدوى.[٧]، وهو سهو منه.[٨] والراجح هو كونه بدلاً من (عَدُوَّ اللَّهِ)، فنلحظ أنه(عليه السلام) قد فصّل لازم الحذرفي أي وجه يقع، إذ أنّ هناك جملة أمور يمكن أن يحذر منها بيد أنه (عليه السلام) أراد الحذر في معنى معين فصّله بقوله(أَنْ يُعْدِيَكُمْ) بدل الاشتمال، فاتضح المعنى من نسبة الحذر بهذا التفصيل(أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ)ومعطوفها(أَنْ يَسْتَفِزَّكُمْبِنِدَائِهِ)، ثم أن يجلب بخيله ورجله (أي المغريات والشهوات) التي يصطاد بها أبناء آدم عدوه اللدود.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام) من عهد له كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر:- (هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَفِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا وَ اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَ عِمَارَةَ بِلَادِهَا)[٩].

صدر (عليه السلام) هذا العهد بذكر أمور هي غرض الولاية، وبها يكون نظام الأمر فمنها ما يعود إلى منفعة الدولة، ومنها ما يعود إلى الرعية، فالذي يعود إلى منفعة الوالي فصّله عبر بدل الاشتمال في قوله (جِبَايَةَ خَرَاجِهَا) ومعطوفها (وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا)، أما ما يعود إلى منفعة الرعية ففصله ببدل الاشتمال في قوله (اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا) وَ (عِمَارَةَ بِلَادِهَا) وهذا التفصيل ببدل الاشتمال (جِبَايَةَ خَرَاجِهَا)

---

[١]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٣٢٥/١.
[٢]شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٦٥/٢.
[٣]ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة:: ١٢٨/١١، وفي ظلال نهج البلاغة:٣٢٤/١.
[٤]ينظر في ظلال نهج البلاغة:٣٢٤/١.
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٧٤.
[٦]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):١٤٨/٤.
[٧]منهاج البراعة(الراوندي):٢٣٧/٢.
[٨]شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٦٢/٤.
[٩]شرح نهج البلاغة(عبده):٤٠١.

وما عطف عليه فصل النسبة المجملة في (مصر)، إذإن البدل القصد به الإيضاح بعد الإبهام وفائدته البيان والتوكيد.(١) ؛لإزالة اللبس والإبهام في المتقدم.(٢) ولما له من التأثير في النفس.

وقوله (عليه السلام) في خطبة له في صفين: (وَ لَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ وَ لَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ وَ لَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي وَ لَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ).(٣)

نجد الإجمال في النسبة في (**الْحَقَّ**) وفصله في قوله(**أَنْ يُقَالَ**) وكذلك دخل الإجمال في النسبة في (العدل) ثم فصله في (**أَنْ يُعْرَضَ**) ، وبيّن (عليه السلام) ذلك التفصيل بعد ما نبه عليه وشدّ من انتباه المتلقي في تفخيمه الخبر وعبر ضمير الشأن (**فَإِنَّهُ**)، حيث من استثقل قول الحق له وعرض العدل عليه كان العمل بالحق والعدل عليه ثقيلاً بطريق أولى، فلا شيء من العمل بهما بثقيل على الإمام (عليه السلام) فضلاً عن إصغائه إليه بل المعلوم من حاله(عليه السلام)مضافاً إلى شهادة قوله(وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) النازل فيه وفي الأمة من ذريته(عليه السلام)، و(عليهم السلام) مواظبة على الحق والعدل في جميع حالاته، ولما نهاهم عن التحفظ منه، ونبههم على عدم ثقل استماع القول منهم فالإمام (عليه السلام) مع الله وللحق ومع الحق، وقد ملك الحق عليه عقله وقلبه، واختلط حبه بلحمه ودمه فكيف يتبرم منه، أو ينفر منه؟.(٤)

فحقق البدلان المفصلان جملة دلالات منها:-

١- عدم استثقال(الإمام) الحق والعدل عليه؛لأنه مع الله والحق والعدل.

٢- عدم تبرئة نفسه من السوء، فهو لا يرى نفسه عظيماً، ولن يبرئ نفسه من الاتهام لها بالتقصير(**وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ**)(٥)، فحتى المؤمن بالله يحتاج إلى معونته وتوفيقه.

٣- نهاهم تكراراً عن المصانعة والنفاق لما فيه من فساد الدين والدنيا، وأن لا يظنوا به مستثقلاً لحق يقال له وأن كان فيه مرارة، فإن عدله(عليه السلام) يستلزم قبول الحق؛لأنه(عليه السلام) يعرف بمن هو أهله دونه وهو الله تعالى.

٤- التواضع للناس الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحق، وهذا يدل على تأديب نفسه في الانقياد لله وتذللها لعظمته، والانفتاح على الرعية وعدم تضييق الحجاب عليهم بالمشورة والمشورة في قول الحق وإرساء العدل وهذا ما أمر به الإسلام ودينه القويم.

---

(١)ينظر: شرح الرضي على الكافية:٣٠٨/٢- ٣٨١.، وشرح المفصل (ابن يعيش):٦٣/٣

(٢)ينظر: همع الهوامع:٢١٢/٥.

(٣)شرح نهج البلاغة(عبده): ٣١٦.

(٤)ينظر:في ظلال نهج البلاغة:٢٧٦/٣.

(٥)يوسف:٥٣.

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): (وَ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ)[١]

عند النظر في النص نرى إجمال النسبة متأتي من نوعين: الأول في قوله: (**وَ كَفَى بِالْمَرْءِ**) وهي مجملة النسبة فصلها التمييز في قوله (**جَهْلًا**) وهو تمييز محول من فاعل ؛لأن المعنى وكفى جهل المرء، وقام بتحويل عملية الإسنادإلى المرء وتفسيره ب(**جَهْلًا**) لإفادة الشمول والاتساع والمبالغة في الكلام.

والثاني: نرى الإجمال في نسبة الجملة في قوله (**الْمَرْءِ**) وفصلها ببدل الاشتمال في المصدر(**أَلَّايَعْرِفَ**) وقد أتى هذا التفصيل لإقصاء الإبهام في نسبة ما يجهل الإنسان ما له ، وما عليه من حقوق وواجبات، أو يعرفها ولكنه يهمل ويقصر، وبذلك لم يدع(عليه السلام) مسألة الجهل مفتوحة على الاحتمالات ؛لأنه يريد الجهل في معنى معين فصلّه بقوله(**أن يَعْرِفَ**) بدلاً من (**جَهْلًا**) بدل الاشتمال (فيكون بذلك التقدير: وكفى بالمرء أن يعرف الجهل) ، فأراد (عليه السلام) معرفة المرء قدره، فما هلك امرؤ عرف قدر نفسه، ومن عرف قدره استراح.[٢]

ومما تجدر الإشارة إليه أن (لا) النافية الداخلة على صيغة المضارع في قوله (**لَّا يَعْرِفَ**) قد أثرت من جانبين: تمثل الأول بالنفي الذي أحدثته في الفعل، وتمثل الثاني: في الدلالة الزمنية للصيغة إذ صرفت دلالتها من الحال إلى زمن الاستقبال، قال المالقي: و(لا) هذه تخلص المضارع للاستقبال لأنها نقيضة ل(تفعل) المخلصة للحال)[٣]، وبذلك صح هنا المصدر من (**أن يَعْرِفَ**) لفعل النفي الدال على جهل المرء في عدم معرفة قدر نفسه وما عليها من حقوق وواجبات.

ونختم قوله (عليه السلام) :(إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) **تَفْوِيقاً وَ اللَّهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ الْوِذَامَ *التَّرِبَةَ)**[٤].

في قوله هذا نبّه (عليه السلام) على الأموال التي ينهم بها بنو أُمية، ويجعلونها دولة بينهم وهي الفيء الذي أنعم الله به على المسلمين ببركة النبي محمد(صلى الله وعليه وآله وسلم) ورسالته، وللإمام منها ما للمسلمين، ولكن عثمان كان يمنعه حقه إلاّ القليل ،ثم أردف كلامه (عليه السلام) بالقسم (**وَ اللَّهِ**)والقسم المقدر ب(لئن) المتضمنة على حرف الشرط بدخول اللام عليها والتقدير (والله لئن) ، ثم مجيء جواب الشرط بالقسم أيضاً باللام والفعل المضارع المقترن بنون التوكيد في(لَأَنْفُضَنَّهُمْ) ومجيء أسلوب القسم بهذه الكثرة يدل على تأكيد الإمام (عليه السلام) مضمون الخبر وهو توعده لبني أمية أن بقي ليحرمنهم التقدم في الأمور، ثم قصد (عليه السلام) في هذا النص التفصيل ببدل الاشتمال في قوله(**التَّرِبَةَ**) لإزالة الإبهام عن الإجمال في النسبة في قوله(**الْوِذَامَ**)؛ لأن نسبة الوذام مجملة غير واضحة الدلالة على وجه البيان، ومن هنا حصل التفصيل بقوله : (**التَّرِبَةَ**) لأنه بدل اشتمال من (**الْوِذَامَ**)، وكأنه قال ليردن الأموال التي اغتصبها الأمويون إلى بيت

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٥١.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٣٥٤/٢.
[٣]رصف المباني: ٥٦٨.
*الوذام: جمع وذمة وهي المعي والكرش: ينظر القاموسالمحيط:١١١٣.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده):٩٨.

المال، ولا يبقي شيئاً منها مشبهاً إياه عبر التشبيه بالمصدر(**لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ**) تماماً كما ينفض القصاب التراب عن الكرش إذا أصابه، فهنا تنفر عنه الطباع ولا يرغب إليه الناس، فيعزلها عن ساير لحماته لمكان ذلك التنفر.[١]، وألفاظ الإمام هنا توحي بالانفعال والغضب من أجل الظلم والجور على الدين وحرماته، ويتضح فيها مدى تمني الإمام في إقامة العدل والحق في بلاد الإسلام وتضحيته من أجل الدين.

---

[١]ينظر: منهاج البراعة(للخوئي): ٣٧٦/١.

المبحث الأول: دلالة أسلوب التفصيل بـ (جملة الصلة):-

الموصول وحده ناقص مبهم الدلالة مفتقر إلى ما يوضّحه ويزيل إبهامه، فإذا قلت:((جاء الذي) أو (رأيت التي)، لم يفهم المعنى المقصود، فإذا جئت بالصلة أتضح المقصود)[١]. كاملاً في التركيب، فالصلة والموصول كالجزء الواحد، ومن هنا يؤدي الموصول وصلته علاقة التفصيل والإجمال (فالموصول وحده اسم ناقص أي ناقص الدلالة فإذا جئت بالصلة قيل موصول حينئذٍ)[٢].

ولهذا وجب تأخير جملة الصلة عنه؛لأنها بيان له.[٣] أما أنماط جملة الصلة فهي أربعة، فأما أن تكون جملة فعلية، أو اسمية، أو شبه جملة، أو جملة شرطية.[٤] ويشترط في جملة الموصول ثلاثة شروط: الأول: أن تكون خبرية أي غير الطلبية والإنشائية، والثاني: خالية من معنى التعجب، والثالث: كونها غير مفتقرة إلى كلام قبلها.[٥] ولا بد في صلة الموصول من ضمير عائد لائق بالموصول يربطها به، فقد حدّ النحاة القدماء الموصول الاسمي بأنه الاسم المفتقر إلى عائد وإلى جملة.[٦] وهذا الضمير الذي يعود على الموصول تجب مطابقته في الأفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث.[٧] إذن الموصول الاسمي والصلة والعائد وحدة لا تتجزأ فلا قيمة للموصول من دون صلته، ولا قيمة للصلة من دون العائد فضلاً عن أن صلة الموصول لها استقلالية في التركيب ضمن الجمل الكبرى وهي لا تفتقر إلى كلام قبلها.[٨] فمهمتها إذاً تفسيّرية إيضاحية للمبهم في الموصول، فضلاً عن عدم استغنائها عن العائد الذي يربطها بالموصول ويفسرها، وقد يستغنى عنه في حالات أعرابية وتركيبية حصرها النحاة في مواضع معينة.[٩]

---

[١]معاني النحو:١٢٨/١.
[٢]شرح المفصل: ١٥٠/٣. ، وينظر معاني النحو: ١٢٨/١.
[٣]ينظر: شرح الرضي على الكافية:٦٨/٣.
[٤]ينظر: الموصول وصلته في نصوص نهج البلاغة دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير، ميسم عبد الحسن العقابي، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، بإشراف الأستاذ الدكتور زهير غازي زاهد، ٢٠١١م.: ٦١.
[٥]ينظر: شرح ابن عقيل:١٤٠/١ـ ١٤١.
[٦]ينظر: حاشية الصبان:٢٣١/١.
[٧]ينظر: شرح المفصل: ١٥٠/٣ـ ١٥١.،وينظر شرح قطر الندى(ابن هشام):١٠٧.
[٨] ينظر: شرح ابن عقيل:٨٦/١.، وينظر همع الهوامع:٨٦/١.
[٩]ينظر: شرح الرضي على الكافية:٢٨/٣.

ومما ورد من أمثلة التَّفصيل(بجملة الصلة) في نصوص نهج البلاغة:ـ

منهاقوله (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسن(عليه السلام): (وَ إِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَ يَشْتَغِلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ ..... فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ وَ اسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ)[١].

نجد في قوله(عليه السلام) صلة الموصول الاسمي (ما) فصّلت بالجملة الفعلية في (قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ) و(قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ) أما الصلة الثالثة ففصلت بالحرف (رب) وهو حرف يفيد التقليل في قوله: (رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ)، والاسم الموصول (ما) هو مجمل شديد الإبهام وقامت جملة الصلة الأولى لها وظيفة معنوية القيام بالمفعولية فـ(ما) مفعول (تستقبل)، إما جملة الصلة الثانية (قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ) فقد أدت وظيفة القيام بالفاعلية للفعل (أَتَاكَ) ومفعوله تقدم وهو الضمير المتصل (الكاف)، وكذلك جملة الصلة في الحالة الثالثة أدت وظيفة الفاعلية للفعل(اسْتَبَانَ) ، فجمل الصلات المفصلة هنا تؤدي وظيفة نحوية، وبلاغية(تفسيّريةإيضاحيةللمبهم)في موصولها الاسمي(ما)، وهذا الكلاموجهه الإمام لولده(عليه السلام)، إذ أشار إلى العلة لمبادرته بالأدب وهي أن يستقبل بجد رأيه وقوة فكره (مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ)، أي:إن الإمام يزوده بالمعلومات الكافية لاعتداله وكماله في آرائه وأفعاله، وتغنيه عن التجارب وأتعابها. أما جملة الصلة الثانية في (قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ) يجد عظم العلم الذي أتاه ، والذي كان أهل التجربة يأتونه ويطلبونه، ثم أوضح له العلم ليتضح من خلال جملة صلة الموصول الثالثة في (رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ) أي:إن الإمام زوده بالمعلومات الكافية التي لم تتضح للإمام إلاّ بعد السعي والشقي لها وفي تحصيلها، وهنا فرق بين من يأتيه العلم صفواً، ويلقى إليه بيناً واضحاً، وقد كفي فيه مؤونة الاكتساب، وبين من سعى إليه وشقى في تحصيله وخاض إليه غمرات الشكوك وظلمات الشبهات، وكل ذلك من الأمور المقنعة له في قبول الوصية والعمل بما اشتملت عليه من الحكم والآداب؛ لأن أهل التجارب إذا كانوا قد جدّوا في تحصيله مع ما وجدوا فيه من المشقة، فلا يجدّ هو ويقبله خالصاً من الكلفة الأولى.[٢]

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٧٠ ـ٣٧١.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٦٣/٤.

وبذلك حققت جمل صلات الموصول دلالة التفصيل في النص ، ولولاها لبقي النص في حيز الإبهام مع الموصول الاسمي(ما) الشديد الإبهام، وبذلك اكتمل النص بياناً وتفصيلاً للمتلقي.

ونظير ذلك من خطبة له (عليه السلام) في صفة خلق بعض الحيوانات: (انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا..... وَ لَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا فِي عُلْوِهَا وَ سُفْلِهَا وَ مَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ* بَطْنِهَا وَ مَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَ أُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً وَ لَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً)[١].

أورّد (عليه السلام) جمل صلات الموصول في كل من (**مَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا**) و(**مَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَ أُذُنِهَا**)، شبه جملة من الجار والمجرور (**فِي الْجَوْفِ**) و (**فِي الرَّأْسِ**) وجاء تقديم الجار والمجرور لغرض التشويق لسماع الخبر المبهم والذي فسر في (**مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا**) و(**مِنْ عَيْنِهَا وَ أُذُنِهَا**)، ومما عزز الإجمال بالموصول وبيانه بالصلة ورود إجمال آخر في النص متضمناً بياناً له أيضاً وهو الإجمال ضمن أسلوب الشرط ب(لو) في قوله: (**لَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا**) ثم مجيء التفصيل ضمن جواب الشرط المقترن باللام في قوله(**لَقَضَيْتَ**) ليفاجأ المتلقي بماهية الخبر المبهم وليشوق المتلقي لمعرفة ما المعنى المبتغى من الإجمال والذي يصلح أن يكون جواباً عن الشرط، فضلاً عما أشاعه التعجب في دلالة المعنوالذي أشار فيه الإمام بالفعل(**انْظُرُوا**) أي بأعينكم كيفيتها التي عليها صورتها وصورة أعضائها، والظاهر أن الإنسان لا يدركها بلحظ البصر إلى أن يعيد إليها بعناية، ولا يكاد عند مراجعة فكره واستدراك أوّله وباديه يعلم حقيقتها وكيفية خلقتها وتشريح أعضائها، بل بإمعان فيه وتدقيق، فيلقى حينئذٍ من خلقها عجباً ويلقى من وصفها تعباً. وبهذا تسبغ جمل الصلات المفصلة دلالة التعظيم والتهويل لله جلّ وعلاّ في دقة صنعه العظيم لتلك الحيوانات.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام) في بعثة الأنبياء: (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَ قَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ وَ بَسِئَ بِهِ وَ وَافَقَهُ حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ وَ صُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ).[٢]

---

*الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن ، وهي مقاط الاضلاع ، وهي أطرافها، الشرسوف رأس الضلع: ينظر: لسان العرب: ٧٧/١١.

[١] شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٦٠.

[٢] م.ن:١٩٩.

في النص نرى الموصول الاسمي مع صلته في (مَا غَرَّقَ) و(مَا حَرَّقَ) إذ وردت (ما) هنا وهي مبهمة شديدة الدلالة على الغموض والإبهام، وجاءت صلة الموصول الاسمي جملة فعلية فعلها ماضٍ على وزن(فعَّل) وهو (غَرَّقَ)، وكذا الفعل (حَرَّق) وهذه الصيغة تفيد التكثير والمبالغة.[١] فإن في (غَرَّق) و(حَرَّقَ) المضاعفين من المبالغة والتكثير ما ليس في (أغرق وأحرق)، المزيدتين بالهمزة، والكلام هنا على تأكيد الإمام وتشبيه بـالأداة (كَأَنِّي) وتشبيه (فَاسِقِهِمْ) وهذه اللفظة معرفة بالإضافة مجملة فيحتمل أن يريد بها الإمام(فاسقاً معيناً) كعبد الملك بن مروان فيكون الضمير حينئذٍ في (فاسقهم) عائداً إلى بني أُمية ومن تابعهم، ويحتمل أن يريد مطلق الفاسق أي من يفسق من هؤلاء فيما بعده ويكون بالصفات التي ذكرها من صحبة المنكر وألفه له وموافقته لطبعه إلى غاية عمره، وكنى عن تلك الغاية بشيب المفارق، وصبغت به خلائقه أي صار المنكر ملكة له وخلقاً.[٢] ونراه (عليه السلام) يلجأ مرة أخرى إلى التشبيه وعبر الأداة (الكاف) مشبهاً الفاسق (كالتيار) أي بتيار البحر الطامي، لا يبالي ما غرق، ووجه الشبه كونه عند غضبه لا يحفل بما يفعله في الناس من المنكرات كما لا يَحفلُالبحر بمن غرق فيه، وكذلك شبه حركته في المنكرات والظلامات بوقع النار في الحطب، ووجه الشبه كونه لا يبالي بتلك الحركات كما لا تبالي النار بما أحرقت.

وبهذا التفصيل في وجه الشبه في قوله: (لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ) و(لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ) تتضح صلة الموصول المبهم(ما) والتي تدل على المبالغة والتكثير في كون الفاسق الذي اعتاد القبيح والمنكر حتى هرم عليه، وصار طبيعة له يندفع وراءه ماضياً في سبيله بلا وعي تماماً كلجة البحر أو النار لا تبالي بمصير ما تحرقه أمامها وتأكل بنارها كل شيء.

ويناظر ذلك قوله(عليه السلام): (لَا تُقَاتِلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ).[٣]

جاء خطابه موّجهاً إلى أصحابه ينهاهم فيه عن قتال الخوارج بعده بـأداة النهي (لا) والفعل المضارع(**تُقَاتِلُوا**) وأومأ إلى علة استحقاق القتل من خلال التفصيل بصلة الموصول(**مَنْ**) في قوله(**طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ**) و(**طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ**)، للتنبيه على خطأ ما تصوروه وما ذهبوا إليه، ومثل هذا المعنى أدركه المتلقي بالموصول الاسمي (مَنْ) وصلته الفعلية للدلالة على تنبيه خطأ المخاطب[٤]. وجاءت الثنائية

---

[١]ينظر: التعبير القرآني (فاضل السامرائي):٢٤.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٥٩٧/٣.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):٨٤.
[٤]ينظر: جواهر البلاغة: ١٣١.

الضدية بين (الحق ، والباطل) لتثير فكر المتلقي وتبعثه على التأمل في أمر الخوارج. فالخوارج لم يطلبوا الباطل مع العلم بكونه باطلاً، بل طلبوا الحق بالذات فوقعوا بالباطل بالعرض، ومن لم يكن غرضه إلاّ الحق لم يجز قتله؛لأنهم ليسوا بطالبين للباطل من حيث هو باطل فلا يستحقون القتل، وفرق بين من يطلب الحق لذاته فيظهر عنه في صورة باطل، وبين من يطلب الباطل لذاته فيظهر في صورة الحق حتى يدركه، فالثاني هو المستحق للقتل دون الأول، وأومأالإمام بمن طلب الباطل فأدركه إلى معاوية.[١]

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): (مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ)[٢].

يتضح في النص أن الاسم الموصول(من) جاء مسنداً إليه للإشارة إلى نوع الخبر في مقام الذم وقد فصلته جملة الصلة الفعلية في قوله(**أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ**) لتشير إلى أن الخبر شيء من سوء الجزاء وهو (الهلاك) وذلك ل(من تجرد لنصرة الحق في مقابلة كل أحد هلك عند جهلة الناس لضعف الحق عندهم وغلبة حب الباطل على نفوسهم)[٣]، وكنى هنا الإمام(عليه السلام) بإبداء صفحته عن إظهار نفسه ونصبها لذلك.

ويبدو مما تقدم ومن تفصيل جملة صلة الموصول الاسمي(من) أنها قد حققت دلالة ضمنية، فمنحت النص صفة البيان والكمال له، بعد أن كانت دلالة الاسم الموصول مجملة تفتقر إلى البيان والتفسير ففسرها الإمام عبر الصلة واتضح المعنى في كون من يتصدى لمعاندة الحق وحربه مستخفاً به وبأهله فقد هلك.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ وَ مَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ)[٤].

أراد(عليه السلام) لفت انتباه المتلقي بالنداء بـ(أَيُّهَا النَّاسُ) إلى أمر غاية في الأهمية، وليشير إلى هذا الأمر بالاسم الموصول المجمل ب(من) في معنيين: الأول في مقام المدح، والثاني في مقام الذّم. ومن خلال التضاد الحاصل في جملة صلة الموصول، جاء التفصيل ليبين دلالة الخبر الدال على المدح في (سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ)، فالذي يسلك الطريق الواضح أي طريق الدين المستقيم وصراطه ينال ما يبتغيه، أما التفصيل بجملة صلة الموصول التي بينت دلالة الخبر

---

[١] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٣٢٦/٢.
[٢] شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٧١.
[٣] شرح نهج البلاغة(البحراني):٤٤٨/٥.
[٤] شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٠٢.

الدال على الذم(خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ)، أي الذي يخالف الصراط المستقيم للدين الحنيف يقع في الحيرة والضلالة والتخبط مع الميول والأهواء والشهوات.

وبهذا التفصيل بجملة صلة الموصول الفعلية يرسم لنا الإمام الخط الكبير والعريض والواضح في بيانه، والذي يمكننا ملاحظته: إنه(الأسلوب العملي المتنوع في حركته التعبيرية الذي يدفع بالفكرة إلى الإنسان في محاولة تصحيح ما أنحرف من حياته، أو تقويم ما أعوج من سلوكه، أو فتح ما أغلق من آفاقه في الحياة)[١]

وكذلك قوله(عليه السلام): (أَلَا وَ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَ تَرْغَبُونَ فِيهَا وَ أَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَ تُرْضِيكُمْ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَ لَا مَنْزِلُكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَ لَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ أَلَا وَ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَ لَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا وَ هِيَ وَ إِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا وَ أَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا وَ سَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا وَ انْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا وَ لَا يَخِنَّنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَةِ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا وَ اسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِوَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ)[٢].

هذه خلاصة نظرته (عليه السلام) في دار الفناء، ضمن منظور الإسلام، وضمن نظرته الشمولية للحياة وللعبد والآخرة التي سوف يحاسب المرء على مثقال ذرة شرفيها ، وجاءت جمل الصلات المفصلة في (**أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَ تَرْغَبُونَ فِيهَا..**) و(**خُلِقْتُمْ لَهُ**) و(**دُعِيتُمْ إِلَيْهِ**) و(**زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا**) و(**اسْتَحْفَظَكُمْمِنْ كِتَابِهِ**)، أما الأسماء الموصولة التي وردت في النص فهي (التي) وهي للمفرد غير العاقل فقد عبر عنها بمعنيين: الأول (دار **الدُّنْيا**) في قوله: (**أَلَا وَ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا...**) فالإشارة إلى الدنيا ومتناقضاتها ((بلفظ القريب (هذا) تحقيراً لشأنها لسرعة زوالها عن أهلها ورحيلهم عنها مؤكداً دلالة ذلك الخبر ب(إلا) و(إنَّ) فنفر بذلك الإمام (عليه السلام) عن الدنيا وتمنيها لرغبة فيها وعن الغضب لقوتها والرضا بحصولها بكونها ليست الدار والمنزل الذي خلقوا له ودعوا إليه، واستلزم ذلك التنبيه على ما ورائها والعمل له.

ئأما المعنى الثاني: والذي عبر عنه (بالتي) أيضاً وهو للمفرد غير العاقل في (دار الآخرة في قوله: (**وَ سَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا**) إذ جاء التعبير هنا في سياق الأمر ب (**وَ سَابِقُوا**) وتفصيل الصلة فيهتحفيز للمتلقي بالمسابقة إلى الدار التي دعوا إليها وخلقوا لأجلها وهي (دار الآخرة) وأن ينصرفوا بقلوبهم لها؛لأنها هي الدار الباقية فعليهم هنا أن يزهدوا الزهد الحقيقي في دار الدنيا وعدم الاكتراث لها في مباهجها ولذاتها وزينتها الفانية وأن ينصرفوا بقلوبهم عنها ، وأما الموصول الاسمي الثاني والذي جاء في النص فهو(**الَّذِي**): وهو اسم موصول مبني

---

[١]دنيا الشباب:٢٠.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٤٠.

للمفرد العاقل وهو الأصل ويستعمل لغير العاقل، وهذا عدول عن الأصل.[1]وجاء الموصول الاسمي في **(وَ لَا مَنْزِلُكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَ لَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ)**، وجاء أيضاً في تفصيل الصلة تنفير عن الدنيا نافياً من خلال الأداة (لا) وتكرارها في **(وَ لَا مَنْزِلُكُمُ)** و**(لَا الَّذِي)** ليؤكد النفي في كون الدنيا ليست المنزل ومكان الإقامة الذي خلق لأجله الإنسان ولا يدعى إليه. وقد جاء ذكر الموصول الاسمي(ما) في النص في قوله**(وَ لَا يَخِنَّنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَةِعَلَى مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا)** وهنا ينفي الإمام عبر أداة النفي (لا)، ثم تكرار لفظة**(يَخِنَّنَّ) (خَنِينَ)**لتحقيرها وهو بكاء مع إخراج الصوت من الأنف، أي لا يبكي الإنسان بشدة وقسوة على ما يفوته من حطامها الفاني، فعلى الإنسان الزهد فيها والمحافظة على طاعة الله وعبادته والمحافظة على أوامر كتابه ونواهيه.

وجاءت صلة الموصول الاسمي(ما) هنا وهو شديد الدلالة على الإبهام مع صلته المبهمة في **(زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا)** حتى يبقى ذلك الزوي أي ما الإنسان من الدنيا مبهماً على السامع وذلك أوفق من الإفصاح بصلة مبينة ما دام الحديث يجري عما يفوت الإنسان من مغرياتها وملذاتها التي لا حصر لها، وقد عبر أيضاً بالموصول الاسمي (ما) في قوله **(وَ اسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ)**، فجاءت الصلة في **(اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ)**للتعظيم وهي جملة فعلية مبهمة على السامع، فالاستحفاظ من أي شيء؟ وجاء البيان والتفسير في **(مِنْ كِتَابِهِ)** يعني اصبروا على طاعة الله ففي الطاعة استتمامٌ لنعمه سبحانه وتعالى عليكم وظاهر أن طاعة الله سبب عظيم الإفاضة لنعمه الدنيوية والآخروية، وأكد الأمر بالمحافظة على ما استحفظكم من كتابه(أي القرآن الكريم) وما فيه من تعاليم وأحكام ترشد إلى الخير الدائم التام الآخروي الذي لا نسبة لخير الدنيا إليه، وبأنه لا منفعة في المحافظة على ما في الدنيا مع تضييع الدين وإهماله.وجاءت الأسماء الموصولة في النص للإشارة إلى الوجه الذي يبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب.[2].**ويماثل ذلك قوله (عليه السلام) : (وَ حِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ وَ حِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ)**[3].

هذا الكلام من وصية له (عليه السلام) لابنه الحسن(عليه السلام) كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين، وقد وردت صلة الموصول الاسمي(ما) في **(مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ)** و**(مَا فِي يَدَيْكَ)** و**(مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ)** في حالاتها الثلاثة شبه جملة جار ومجرور،إذ شبه (عليه السلام) على الاقتصاد في المال وهو حفظ ما في يده من المال الحفظ الذي ينبغي وهو الواسطة بين التبذير والبخل.[4] فترقيع الثوب الخلق، والقناعة بالكفاف أفضل من الاستعراض وأخذ أوساخ

---

[1]الموصول وصلته في نصوص نهج البلاغة(دراسة وصفية تحليلية) رسالة ماجستير، ميسم عبد الحسن العقابي، بإشراف الاستاذ الدكتورزهير غازي زاهد، كلية التربية بنات، جامعة بغداد:٢٤.
[2]ينظر: جواهر البلاغة: ١٣١.
[3]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٧٨.
[4]ينظر:في ظلال نهج البلاغة:٣٤/٣..

الناس.[١] وبهذا يتبين دور جملة صلة الموصول التفصيلية في دائرة النصح والإرشاد التي دارت فيها وصيته(عليه السلام)لابنه.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَ هُمْ بِصِفِّينَ أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً يُسِيغُونَ الْغُصَصَ وَ يَشْرَبُونَ الرَّنْقَ قَدْ وَ اللَّهِ لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ وَ أَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَ مَضَوْا عَلَى الْحَقِّ أَيْنَ عَمَّارٌ وَ أَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ وَ أَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ وَ أَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ وَ أُبْرِدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ ثم قَالَثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ فَأَطَالَ الْبُكَاءَ .ثُمَّقَالَ(عليه السلام) : أَوِّهِ عَلَى إِخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَ تَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ أَحْيَوُا السُّنَّةَ وَ أَمَاتُوا الْبِدْعَةَ دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَ وَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ)[٢] .

أتى(عليه السلام) بجمل الصلات المفصلة في (سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَ هُمْ بِصِفِّينَ) و(رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَ مَضَوْا عَلَى الْحَقِّ) و(تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ) و(تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَ تَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ)، للموصول الاسمي المجمل(الذين) وهو جمع(الذي) بالياء في الرفع والنصب والجر؛ لأنه مبني كمفرده، ويختص بالعاقل وهو الأصل في الاستعمال، ويأتي لغير العاقل.[٣]وصدر الإمام (عليه السلام) النص بقوله(مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا) و(ما) هنا استفهام للإنكار ومحلها الرفع بالابتداء.[٤] إذ أخذ بالتذكير بنفي ضرر الموت وعدم الحياة عن إخوانه من الصحابة الذين قتلوا بصفين، وزهد في تلك الحياة بكونها محل تجرع الغصص وشرب الكدر من الآلام والأعراض ومشاهدة المنكرات، ثم عاد مرة أخرى مكرراً الموصول الاسمي(الذين) للتنبيه ولفّت أنظار المتلقين في قوله (أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ) ومن ثم تفصيله الإجمال عبر صلته في (رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَ مَضَوْا عَلَى الْحَقِّ)، وقد وردت دلالة (أَيْنَ) الاستفهامية هنا في موضع التأمل ، وأخذ العبرة وفي أغلب ما استعملت في هذا المعنى.[٥] وفي هذا المعنى تأمل وتصور لأبعاد تلك الشخصيات ليخرج لنا الإمام بهم بدرس أخلاقي وهو العبرة لمن اعتبر في (ابن ياسر، وابن التيهان، وذو الشهادتين)[٦]. ونظراؤهم من إخوانهم أي الذين قتلوا بصفين معه من الصحابة كابن بديل وهاشم ابن عتبة ونحوهما، الذين ركبوا طريق الحق ومضوا عليه. وجاء التفصيل بجملة الصلة الثالثة في قوله: (تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ) وهنا تأتي دلالة الفعل (تَعَاقَدُوا) أي **اتفاقهم** على المنية وعلى المقاتلة إلى غاية أن يقتلوا. ثم أخذ الإمام في التشكي والتوجع

---

[١]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٥١٥/٢.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٥٥.
[٣]ينظر: شرح اللمحة البدرية:٢١٨/١. ، وهمع الهوامع:٢٨٥/١. ، والكامل في الدراسات النحوية ونشأتها(محمد محمود هلال):١٥٤.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٣٤/٣.
[٥]ينظر: الخطبة: خ ١٢٩، ١٨٨، ١٩٩، ١٤٤، ١٨٢، ٢٥٤.
[٦]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٧١٧/٢.

على فقدهم في قوله(أَوِّهِ عَلَى إِخْوَانِيَ)، ثم أخذ يعدد فضائلهم التي هي غاية الشريعة المطلوبة منهم في التفصيل بجمل الصلات الفعلية(الماضية):(تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ) وَ(تَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ) و(أَحْيَوُا السُّنَّةَ وَ أَمَاتُوا الْبِدْعَةَ)و(دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا)وَ(وَثِقُوا بِالْقَائِدِفَاتَّبَعُوهُ) ، وهذه الفضائل هي تلاوة القرآن وإحكامه بفهم مقاصده ومعانيه، والتدبر للفرض: أي فهم ما لأجله العبادات شُرّعت وإقامتها والمواظبة عليها نظراً إلى أسرارها، ثم إحياؤهم السنن النبوية وإماتة البدع المخالفة لها، وإجابتهم للدعوة إلى الجهاد لإقامة الدين، ووثوقهم إليه في سبيل الله يعني نفسه وإتباعهم له ، وبذلك يحشد الإمام(عليه السلام) مجموعة من الصلات التفصيلية لكي ينبه ويبين من خلالها على مكانة أصحابه الذين استشهدوا بمعركة صفين، ويعظم شأنهم، ولتأتي دلالة الإيضاح بالصلة بعد الإجمال بالموصول لتدل على الشمولية والإحاطة بالخبر[١]. ومن ثم تأكيده للمتلقي لتنطوي دلالة الإعجاب والتعظيم في نفس المتلقي لمكانة تلك الشخصيات العظيمة في التأريخ . **ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ وَ سَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ وَ مُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ مِثْلِ كِسْرَى وَ قَيْصَرَ وَ تُبَّعٍ وَ حِمْيَرَ وَ مَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ وَ مَنْ بَنَى وَ شَيَّدَ وَ زَخْرَفَ وَ نَجَّدَ وَ ادَّخَرَ وَ اعْتَقَدَ وَ نَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَ الْحِسَابِ)**[٢].وهذا الكلام من كتاب له (عليه السلام) كتبه لشريح بن الحارث قاضيه، وفيه جاء التفصيل بجملة الصلة في (اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ) إذ بينت إبهام الاسم الموصول(ما) وجاءت الصلة الثانية المفصلة بالجملة في (جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَر...) فبينت إبهام الاسم الموصول (من) ، وكلا الصلتين جملة فعلية ماضية في (اشْتَرَى...) و(جَمَعَ...) ، وقد صدر (عليه السلام) النص عبر أداة الشرط (فما) في قوله: (فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِي) والدليل على أن (ما) هنا شرطية دخول الفاء على جوابها وهو(فَعَلَى مُبَلْبِلِ..)[٣]، وقد جاءت (ما) الموصولة مع صلتها(اشْتَرَى) مجملة مجهولة؛ لأن (عليه السلام) لم يفصح عن أي شيء اشتراه؟ فانتفت هنا وظيفة الإيضاح فأحتاج الإبهام هنا إلى ما يفصله، لذا جاء (عليه السلام) بقوله(مِنْ دَرَكٍ) فاستعملت (من) بيان لاسم الموصول (ما) أي من ضمان الذي اشتراه.[٤]

فهنا يعلق (عليه السلام)الدرك والتبعة اللازمة في هذا المبيع بملك الموت قطعاً لأمل الدرك والتبعة وتذكيراً بالموت لغاية الأمل له، وكنى عنه بمبلبل أجسام الملوك وسالب نفوس الملوك الجبابرة، والطغاة، ومزيل ملك الفراعنة مثل كسرى، وقيصر

---

[١] ينظر: حاشية الدسوقي :٥٨٥/١.
[٢] شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٤٥.
[٣] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٣٨٣/٣.
[٤] ينظر:م.ن:٣٨٣/٣.

، وتبع . أما الصلة الثانية في قوله(وَ مَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ) فقد ورد الموصول الاسمي وصلته هنا مؤدياً وظيفة العطف على ما قبله بوساطة الحرف(الواو) فهو مقصود بالحكم، ومعطوف على(الفراعنة)أي: مزيل مالك الذي جمع المال، أو على (كسرى وقيصر) والأخير أظهر.[1]وبهذا يبين (عليه السلام) وعبر الصلة في (جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ) على من كدس المال وأكثر منه وأدخر، وبنى القصور وشيدها وزخرفها وزينها بالبسط ونحوها، ونظر للولد: أي فكر في عاقبته ما جمع له، فأشخاصهمأي من يأتيهم ملك الموت فجميعاً في يوم العرض والحساب جزاءهم،إذ يجردهم الموت من كل شيء ويسوقوهم عراة من كل شيء إلى العرض على الله للحساب والجزاء تماماً كما فعل من قبل ويفعل من بعد بالجبابرة والقياصرة. وبذلك أدت جملة الصلة التفصيلية في كلا الجملتين وظيفة التفسير والإيضاح لما أُبهم في الموصول الاسمي الأول: (ما) والثاني: (من)، فانتقل النص وبفضل صلة الموصول التفصيلية من النقص إلى الكمال لإيضاحه المعنى واكتماله.

ونختم كلامنا بقوله(عليه السلام): (أَمَّابَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ وَ إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي الْجَهْدِ وَ لَا ازْدِيَاداً لَكَ فِي الْجِدِّ وَ لَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مؤُونَةً وَ أَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلَايَةً إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحاً وَ عَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً)[2] .

وهذا من كلام له(عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر، لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر ، ثم توفى الأشتر في توجهه إلى مصر قبل وصوله إليها. وكانت جمل الصلات المفصلة هي (**وَ لَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ**) و(**لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَئُونَةً**) وَ(**إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحاً...**) وأما الأسماء الموصولة فهي (ما) المجملة شديدة الإبهام وفصلها ب(**تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ**) و(**هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤونَةً**) والاسم الموصول الثاني هو (الذي) وفصله (**كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ**). ، **وأما جملة الصلة الأولى في(لَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ)**، فجاءت جملة الصلة المفصلة بعد الاسم الموصول (ما) في (تحت يدك....) شبه جملة ظرفية، وجاءت (من) البيانية لإيضاح أمر (النزع) وهو(سلطانك) وقد صدر المقطع بالإجمال في أداة الشرط (لو) ومجيء جملة جوابهفي (لوليتك) إذ أدت وظيفة البيان الدلالي لما ورد في جملة الشرط من إبهام حيث وعده الإمام على تقدير تمام عزله من ولايته على توليته (**مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَئُونَةً**) ، وجاء الإجمال هنا في الموصول الاسمي(ما) وجاءت صلته جملة اسمية مبتدأ بضمير منفصل (هو) ثم إجماله الخبر مرة أخرى عبر النكرة وأفعل التفضيل

---

[1] ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:١٠٤/١٧.
[2] شرح نهج البلاغة(عبده):٣٨٣.

(أيسر) وبيانه وتمييزه الإجمال عبر التمييز في (مؤونةً) ومعطوفها(ولايةً)، إذ يوليه الإمام ما هو أسهل عليه كلفةً وأحب إليه ولايةً تسكيناً لقلبه عن مصر بالترغيب فيما هو خير منها. مؤكداً الإمام(عليه السلام) كلامه ب(إنَّ) وتعريفه ضمن أداة التعريف ب(ال) في (الرجل) والمقصود فيه(مالك الأشتر) في معرض الثناء عليه بما استجمعه من الخصال الحميدة في قوله(**إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحاً وَ عَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً**)، وجاءت صلة الموصول هنا في قوله (**كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَكَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحاً**...)(مصدرة بفعل ماضٍ على وزن (فعل) ، ودلت (كان) على حصول الفعل في زمان ماضٍ بعيد. إذ دلت صفاته أنه كان لإمامه ناصحاً، وعلى عدوه شديد ناقماً: أي منكراً ومغيراً، ومحمد بن أبي بكر وإن كان له الأمر الأول في (ناصحاً)الاّ أنه في الأمر الثاني وهو (**عَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً**)،ضعيف،إذ كان معاوية يهاب الأشتر ويتحاماه إذ فعل به الأفاعيل في صفين، ولولا رفع المصاحف لقضى عليه الأشتر، وما أغتاله معاوية إلاّ خوفاً من بأسه وصلابته.[1] نجد أن الأسماء الموصولة قد أفادت دلالة التنبيه على خطأ المخاطب، فضلاً عن تعظيم شأن المحكوم به.[2] نجد أنّ الاسماء الموصولة قد أفادت دلالة التنبيه على خطأالمخاطب، فضلاً عن تعظيم شأن المحكوم به.[3]

اظهرت تراكيب جمل صلات الموصول المفصلة روعة وجمالية في النص بفضل دلالاتها المعبرة عن الغموض في النص وبيانها للمتلقي، فزال بذلك الإبهام في النص فضلاً عن دلالات التعليل التي انطوى عليها النص، فقد أغنت المتلقي بمضامينها الثمينة فأنتجت لنا نصاً غاية في الروعة والجمال بفضل دلالات التفصيل للمبهم في الكلام.

---

[1] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٥٩٣/٣-٥٤٠.
[2] ينظر: جواهر البلاغة: ١٣١.
[3] ينظر:م.ن:١٣١.

المبحث الثاني: دلالة أسلوب التَّفصيل بـ(جملة بدل كل):

أجاد الكوفيون في تسمية البدل بالتفسير والمفسر [١]، وكذلك تسميته بـ"التبيين"[٢]؛لأنه يأتي لبيان المبدل منه وتفسير ، إذاً الوظيفة الدلالية للبدل تكمن في (الإيضاح ورفع الالتباس وإزالة التوسع والمجاز)[٣]، ويؤدي البدل مهمته التفصيلية بوجهين في اللغة هما:(البدل المفرد) و(البدل الجملة)[٤].

فكما يفسر البدل المفرد اللفظ ، يفصله جملة (تركيباً) إذ (تبدل الجملة من الجملة إذا كانت الثانية أو فى من الأولى بتأدية المراد)[٥]، كقوله تعالى **:(وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ* أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ* وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)**[٦]، فجملة أمدكم الثانية بدلاً من الأولى، وأجازوا في قول الشاعر:

(أقول له أرحل ولا تُقيمنَّ عندنا وإلا فكن في السرِ والجهرِ مُسلماً)

(أن تكون (لا تقيمن) بدلاً من (أرحل) ولم أر من انتفاء ذلك بأنه فلان من مذهب الجمهور، فينبغي تحرير النقل في ذلك)[٧].

وقد تبدل الجملة من المفرد أيضاً[٨]. كقوله تعالى:

١- ينظر : معاني القرآن (الفراء): ١/ ٧٩، وحاشية الصبان: ٣/ ١٨٣، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء: ٢٢٦-٢٣٠.

٢- ينظر: حاشية الصبان: ٣/ ١٨٣، وهمع الهوامع: ٢١٢/٣.

٣- أسرار العربية: ١/ ٢٦٤.

٤- ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣/ ٤٠٧ – ٤٠٨.

٥- حاشية الصبان : ٣/ ١٩٤.

٦- الشعراء: ١٣٢.

٧- المنصف من الكلام: ٢/ ١٣٠.

٨- ينظر: أسرار العربية: ٣/ ٤٠٨.

(وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ)[١]، فإن جملة (**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ**) الاسمية في محل نصب بدل من قوله (**خَيْرًا**) الواقع مفعول به لفعل محذوف تقديره (أنزل خيراً).

فيقوم بدل تفسير جملة من مفرد على تخليص المبدل منه من الإبهام ويفصح عنه بمعناه، فتتضح دلالته تشخيصاً؛ لأن بدل الكل سواء أكان جملة أم مفرداً يؤدي وظيفة التفصيل للمجمل، والتفصيل هو من مقتضيات الخطاب التي يستعان بها لإيضاح مضمون الكلام بتحديد دلالته، ولما كانت الأداة التفصيلية – هنا – تابعاً من التوابع – وهو البدل – لذلك اتسم بسمة "الورود الالتحاقي" لأن وجوده يناط بوجود مبهم سابق من النص يستدعيه[٢]، وبذلك يعمل البدل على تقييد الماهية المطلقة في المبدل منه ويعمل على معرفة تلك الماهية ويخلصها من الاشتراك مع ماهيات أخر، فيكشف عن معناها ويعرفها للمتلقي.

ومما ورد في النهج دالاً على التفصيل بجملة بدل الكل:

---

[١]- النحل: ٣٠.

[٢]- ينظر: رسالة التوابع في نهج البلاغة، دراسة نحوية دلالية، وداد حامد عطشان السلامي، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الكاظم محسن الياسري، كلية الآداب/ جامعة الكوفة ١٤٢٨ – ٢٠٠٧م : ١٧٤.

قوله (عليه السلام) في الفتن:

(إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَ إِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ وَ يُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ)[١].

نلاحظ أن جملة **(يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ، وَ يُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ)**هي بدل من كل تفصيللللإجمال**في قوله :(إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَ إِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ)**،وإنما كانت بدل، لأن الجملتين بمعنى واحد، وذلك لـ(أن الفتن عند إقبالها وابتداء حدوثها، يلتبس أمرها ولا يعلم الحق منها من الباطل، إلىأن تنقضِ وتدبر، فحينئذ ينكشف حالها، ويعلم ما كان مشتبها منها)[٢]، ومثال ذلك فتنة الجمل، وفتنة الخوارج، كان كثير من الناس فيها في مبدأ الأمر متوقفين، واشتبه عليهم الحال، ولم يعلموا موضع الحق إلىأن انقضت الفتنة، ووضعت الحرب أوزارها، وبان لهم صاحب الضلالة من صاحب الهداية[٣]. وجاء البدل التفصيلي هنا لغرض التأكيد، فضلاً عما أشاعتهاالأفعال المضارعة في (ينكرن) و(يعرفن) في الاستمرار في الحدوث، ومجيء التوازن الصوتي في الترجيع بين ألفاظ فقرتين ختمتا بصوت (التاء) وهو صوت شديد انفجاري[٤]. ليعبر عن قوة تلك الفتن وشدتهاوما تحدثه في أذهان الخلق من هرج ومرج واضطراب في الأمور، وأكثر ما يكون ذلك عند إدبارها كالفساد وإذا ما قيست جملة البدل بجملة المبدل منه في **:(إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَ إِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ)** نرى إثباتاً وتأكيداًبالأداة (إنَّ)، ومجيء الأداة الشرطية (إذا) مما يدل على تحقق الأمر ووقوعه، لان الأداة (إذا) من الأدوات الشرطية المقطوع بوقوع الشرط بعدها[٥].وقد أسهم التضاد بين (أقبلت، أدبرت)، (ينكرن، يعرفن) و(مقبلات، مدبرات) في التعبير عن شدة تلك الفتن وما تحدثه من الآلآمإذا نزلت بالإنسانفضلاً

(١)–شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ١٤٠.

(٢)- شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢/٣٣٠.

(٣)- ينظر: م. ن :٢/: ٣٣٠ وفي ظلال نهج البلاغة : ٢/ ٥٦.

(٤)ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٨.

(٥)- ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (القزويني): ١٠/ ٨٨-٨٩.

عن الوقع الموسيقي المؤثر الذي أسهم في تشكيل الإيقاع الصوتي الرائع بين ألفاظ الفقرات المتضادة

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام):

(فَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَ يُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ)[١].

وهذا الكلام من وصية له (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام) وهي ولايته صدقات أمواله، وفيها أذن له أن يأكل من الأموال بالمعروف دون إسراف وتبذير ولا بخل وتقتير وينفق في وجوه البر المتعارفة غير المنكرة في الدين، وجاءت الأفعال في (يأكل) و(ينفق) مضارعة لتدل على استمرار الحدث وتجدده في **(يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ) وما عطف عليه(يُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ)** وهما جملتان بدليتان مفصلتان للإجمال في المبدل منه (يقوم...) وهذا الفعل يدل على التجدد المستقبلي واستمراريته.

وبالتفصيل افادت جملة دلالات منها:-

١- أنه (عليه السلام) سلك إلى ما يريد سبيل البيان بعد الإبهام لتشويق النفوس وشد الانتباه إلى ما يقوله من كلام.

٢- أنه كرر ذكر القيام مرتين، مرة على سبيل الإجمالوأخرى على سبيل التفصيل، وبذلك أفاد معنى التوكيد والثبات وترسيخ طريقة القيام في ذهن السامع.

٣- أفاد التفصيل مدى اهتمام الإمام بهذا الأمر وبهذا أبهمهأولاً ثم فصله ثانياً؛لأن التفصيل في القول في بعض المواضع يكون أبلغ وقعاً في النفوس وألذ[٢].

---

[١]-شرحنهج البلاغة (محمد عبده): ٣٥٧.

[٢]- ينظر: مصباح السالكين: ٣/ ٢٧٨.

وقوله (عليه السلام):

(لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ وَ لْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ وَ لَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ وَ لَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ كَقَيْضِ* بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ* يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً وَ يُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً) (١).

وهذا الكلام من خطبة له (عليه السلام) في الحث على التآلف، حيث نهاهم (عليه السلام) أن يشبهوا (جفاة الجاهلية) وهنا جملة مجملة، أي في عدم تفقهّم في الدين وعدم عقليتهم لأوامر الله، وجاء تفسير (جفاة الجاهلية) الجملة المبهمة بجملة بدلية مفصلة وهي (قيض بيض)، أي شبههم ببيض الأفاعي في أعشاشها، ووجه الشبهأنهاإن كسرها كاسر أثم لتأذي الحيوان به، وقيل؛لأنه يظن القطا فيأثم كاسره، وان لم يكسر يخرج حضانها شراً (إذ تخرج أفعى قاتلاً فكذلك هؤلاء إذأشبهوا جفاة الجاهلية لا يحل لأحدإذاهموأهانتهم لحرمة ظاهر الإسلام عليهم، وان أهملوا و تركوا على ما هم عليه من الجهل وقلة الأدب خرجوا شياطين(٢).

ونلاحظ إن جملة البدل التفصيلية جاءت من التشبيه التام (أي المرسل المفصل) وهو الذي ذكرت أركانهاالأربعة(٣). وبهذا فإن الصورة بدت كاملة الإيضاح، وأدت المعنى كاملاً دون غموض أو إبهام، فلا يلتبس على المتلقي ما المقصود من التشبيه في جملة البدل التفصيلية.

---

*قيض: قشرة البيضة العليا اليابسة: ينظر لسان العرب: ٩/٩٠.

*أَدَاح: الدَّحُ يدحه دحاً: وضعه على الأرض ثم دسه حتى لزق بها، ينظر لسان العرب: ٣/ ٢٥٨.

(١)- نهج البلاغة (محمد عبده): ٢٣٣.

(٢)- ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني) : ٣/ ٦٧٠.

(٣)- ينظر: علم أساليب البيان (غازي يموت) : ١٤٨.

ومثيل ذلك قوله قوله (عليه السلام):

(وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ)[١].

قال الشيخ محمد جواد مغنية: (وجملة لاشيء معه بدل من وحده، حيث أجاز ابن هشام وغيره أن تبدل الجملة من المفرد)[٢].

وردت لفظة (وحده) مجملة ففصلها (عليه السلام) بجملة بدل الكل (لَا شَيْءَ مَعَهُ)، وجاءت الجملة هنا اسمية دالة على الثبات والدوام في المعنى، فهي بدل إيضاح وتأكيد لهذه الوحدة المجملة في المبدل منه (وحده).

والبدل في (لَا شَيْءَ مَعَهُ) هو جملة منفية بـ(لا) النافية للجنس وأورد بعدها نكرة (شيء) فدلت على عموم النفي على وجه الكلية، وهذا أوفق لتحقيق معنى الوحدانية، فبعد فناء الدنيا يعود سبحانه وتعالى وحده لا شيء معه كما كان قبل وجوده، ومما عزز دلالة الإجمال والتفصيل هو دلالة تأكيد منطوق الكلام ضمن ما يعرف بفن (التذييل)* حيث إن جملة البدل التفصيلية (لا شيء معه) هي تذييل، أي تأكيد لمنطوق الكلام الذي قبله وهو **(وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ... وَحْدَهُ)** تأكيداً بتفرد الباري سبحانه وتعالى بالوحدانية المطلقة.

ونظير ذلك قوله (عليه السلام) حين ولي غسل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):(وَ مَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ..)[٣].

وهنا أبدلت جملة **(يُصَلُّونَ عَلَيْهِ)** من المفرد **(هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ)** فقامت جملة البدل التفصيلي على (الإيضاح ورفع الالتباس، وإزالة التوسع والمجاز فيه)[١]، وبذلك

---

[١]- نهج البلاغة (عبده): ٢٦٥.

[٢]- في ظلال نهج البلاغة: ٣/ ٧٥.

التذييل: هو (تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد)، تحرير التحبير: ٣٨٧، الإيضاح: ١١٤، والتلخيص: ٢٢٧.

[٣]-شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٢٩٥.

اتضحت دلالة الإبهام في المبدل منه، وقد استعمل البدل في (يُصَلُّونَ) فعل مضارع للدلالة على استمرارية الحدث إلى سماعه الصلاة من الملائكة إلى حين موارات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ضريحه*، وبهذا أفادت جملة البدل التفصيلي على عظم مكانة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند الله سبحانه وتعالى حتى أنه يوكل ملائكته بالصلاة عليه، واستمرارية هذا الفعل في الاستمرار به وحدوثه على الدوام.

ومنها قوله (عليه السلام):

(فَاللَّهَ اللَّهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ وَ آجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ وَ سُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى وَ مَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ فَمَا تُكْدِي أَبَداً وَ لَا تُشْوِي أَحَداً لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ وَ لَا مُقِلًّا فِي طِمْرِهِ) [٢].

وهذا الكلام من خطبة له (عليه السلام) تسمى القاصعة تتضمن ذم إبليس على استكباره، وتحذير الناس من سلوك طريقة التكبر ونبذ العصبية، ووصف التكبر بكونه مصيدة إبليس العظمى مستعيراً لفظة المكيدة الكبرى لجذب الخلق إلى الباطل وضلالهم عن طريق الله، وشبه مساورة الكبر للنفوس بمساورة السموم القاتلة للأبدان وكنى عن وجه الشبه **(فَمَا تُكْدِي أَبَداً وَ لَا تُشْوِي أَحَداً)**، فكما لا تخطئ السموم وحركاتها في الأبدان مقاتلها، كذلك لا تخطئ سموم التكبر من رميها القلوب بسهام التكبر والبغي وسائر الوساوس المهلكة.

وجاء الإجمال هنا في المبدل منه ولفظة **(أحداً)** وفسرها عليه السلام بقوله :**(لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ) وما عطف عليه (لَا مُقِلًّا فِي طِمْرِهِ)** وهما جملتان بدليتان مفصلتان للمجمل المفرد في لفظة **(أحداً)**.

---

[١]- أسرار العربية: ١/ ٢٦٤.

[٢]-شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٢٨٠.

* ضريحه: والضريح: الشَّقُّ في وسط القبر، لسان العرب: ٣/ ٣٥٨ ضرح.

وجاءت صياغة جملتي البدل على النفي و (لا) النافية للجنس وهذا مما يجعل سياق النفي فيها أبلغ وأشمل، ولتفيد دلالة العموم والشمول، إذأفادت (لا) في قوله (لَا **عَالِماً لِعِلْمِهِ) وماعطفعليه (لَا مُقِلًّا فِي طِمْرِهِ)**نفي أن يرد هذه الرذيلة العالم أو الفقير، فهذه الرذيلة تؤثر حتى في نفس العالم في علمه، والفقير في فقره، فلايردها العالم بعلمه فإنهارذيلة ولا المقل المفتقر في طمره.لمنافاة حاله في قلته وفقره الكبر.

ومن هنا نفهم أن رذيلة الكبر تنسب إلىإبليس؛لأنه أول من ظلم وتكبر، وأنه يوسوس للعالم ،الجاهل ،والغني، والفقير، فيقول للعالم أنت بعلمك فوق الناس أجمعين، وللجاهل أنت بذكائك غني عن التعلم والسؤال، وللغني أنت مالك الملك تؤتي الملك من تشاء، وللفقير: ليس لله عليك من فضل[1].

إذن يتضح مما سبق من خلال جملة البدل التفصيلية إن التكبر من الصفات الرذيلة التي لا تكاد يقابلها ما يقاومها من العقول ويمنع تأثيرها في النفوس **(لا العالم بعلمه) و(لا الفقير في طمره)..**

وقوله (عليه السلام):

(ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَ ذَوِي الصِّنَاعَاتِ وَ أَوْصِ بِهِمْ خَيْراً الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَ الْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ وَ الْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ وَ أَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَ جُلَّابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَ الْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَ بَحْرِكَ وَ سَهْلِكَ وَ جَبَلِكَ وَ حَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَ لَا يَجْتَرِءُونَ عَلَيْهَا فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ وَ صُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُه) [2]**.**

نلاحظ أن جملة **(الْمُقِيمِ مِنْهُمْ)** ومعطوفها و**(الْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ) ومعطوفها(الْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ)** هي جمل تفصيلية وهي بدل كل من الإجمال في قوله **(بهم)**،إذ الحديث هنا عن فئة التجار وأهل الصناعة، وأمرالإمام (مالك بن الأشتر) أنيستوصي بهم خيراًوعبر التفصيل بأصنافهم وهم :(المقيم منهم) و(المضطرب في تجارته بماله)

---

[1]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١٣٤/٣.

[2]ـشرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٤١٢.

و(المترفق ببدنه) وهم أهل الصنائع، وأشارإلى وجه الحكمة في الوصية بهم والعناية بحالهم من وجهين:

أحدهما: منفعتهم مؤكداً ذلك وعبر الأداة (إن)،إذإن التجار ينقلون سلع البلاد التي تزيد عن حاجة أهلهاإلى بلاد أخرى هي في أمس الحاجة إليها ويتعذر على البلد المنتج والمستهلك الاجتماع في مكان واحد للبيع والشراء وهذا ما أرادهالإمام**بقوله (وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها).**

ثانياً: ينقل التجار مع السلع عقيدتهم وثقافتهم، وعن طريقهم انتشر الإسلام في كثير من الأقطار، مؤكداً القول بـ(إن) في قوله **"(فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته)** فالتجار، والصناع من حيث المجموع لا يثيرون الفتن ولا يتآمرون مع أعداء الوطن، فهم من الكادحين الذين يعيشون بكد اليمين وكل من كان كذلك فيجب الاستيصاء بهم والوصية بالخير في حقهم، وبهذا أوضحالإمام وعبر التفصيل بجمل البدل الكل التفصيلية كل فئة من الفئات التي أوصى بهم الإمام بالخير وهم فئة التجار وذوي الصناعات من **(المقيم منه) ومعطوفها(المضطرب بماله) ومعطوفها(المترفق ببدنه).**

ومثيل ذلك قوله (عليه السلام):

(قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ وَ ذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ)[١].

وهذا من كلام له (عليه السلام) حكاية لحال أهلالجاهلية[٢]. فقد ترددوا في أمرهم فهم حائرون لا يعرفون جهة الحق فيقصدونه وغابت أذهانهم في سكرة الجهل فهم على سُنَّةٍ من آل فرعون وطريقته، وذكر هنا لفظة (سُنة) لأنه يريد بها مشابهتهم في بعض طرائقهم، وآل فرعون إتباعه، وقد ورد أن**(عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ)** مجملة فسرها (عليه السلام) بقوله **(مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ)**، وقد تكرر العامل وهو (من) في البدل "من منقطع" لأنهأريد به توكيداًأن هذه السنة هي بعض مما صنعه آل فرعون إذ كانوا الغاية في الاستهتار والإفساد[٣]. وقد وصف الذين أوغلوا في الفتن واضطربوا في حيرة الضلالة وانتشوا من سكرة الجهل والغرور بالسائرين على هذه السنة التي أجملها مبهماً ابتداءً، ثم عاد ففصلها بالبدل مكرراً العامل ليؤكد انتهاء هذا البعض إلى سنة آل فرعون المنقطعين إلى الدنيا منهم والمفارقين، ونلحظ مجيء الأداة (أو) لتصب في هذا المنحى الدلالي وهو دلالة التقسيم أو التفريق أو التفصيل[٤].

وقوله (عليه السلام):

(أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ وَ كَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَ مُضَرَ)[٥].

ينبه (عليه السلام) على فضيلته في الشجاعة والنجدة، وجاء المسند إليه معرفة وهو ضمير المتكلم (أنا) ليفيد بذلك التعيين واثبات الحديث في مقام التكلم، مستعيراً لفظة

---

[١]–شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٢٠٥.

[٢]- ينظر: م.ن: ٢٠٥.

[٣]- ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢/ ٣٦٠.

[٤]ينظر: الجنى الداني:٢٨٨- ٢٨٩. ومغني اللبيب:٨٧.

[٥]-شرح نهج البلاغة (محمد عبده) : ٢٨٥.

(الكلاكل) للجماعة من أكابر العرب الذين قتلهم في صدر الإسلام وفرق جمعهم، ووجه المشابهة كونهم محل قوة العرب ومقدمهم، كما أن الصدر من الحيوان كذلك. والمراد بقوله (وضعت)، هو إذلالهموأهانتهم، يقال: وضعه فاتضع، إذا غضى منه وحط منزلته، وجاءت جملة البدل التفصيلي في قوله (رَبِيعَةَ وَ مُضَرَ) للإجمال في قوله (قرون) مما يدلل على عظم شجاعته مستعيراً لفظة (القرون) لأكابر ربيعة ومضر ممن قاتلهم وقتلهم، ووجه الاستعارة كون كل واحد منهم لقبيلته كالقرن يظهر فيها فيصول به ويمنع من عدوها كذي القرن من الحيوان بقرنه، وأراد بالنواجم من علا منهم وظهر أمره. ورشح بذكر الكسر، وكنّى به عن قتلهم، وقتله للأكابر من مضر معلوم، في بدو الإسلام، فأما القرون من ربيعة فإشارة إلى من قتله منهم في وقائع الجمل وصفين بنفسه وجيشه كما يقف على اسمائهم من يقف على تلك الوقائع(١).

ونقف في الجانب التفصيلي في (ربيعة ومضر) وعلى تقديم الإمام (عليه السلام) (ربيعة) على (مضر) مع أن مضر أشرف وأرفع لكون النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ينسب إليهم، إلاأنها أُخرت؛ لأن من تقديمها تتوالى حركات كثيرة وهذا ثقيل، أما في تقديم (ربيعة) فيكون الوقوف على (مضر) بسكون الراء فيضعف الثقل بقلة الحركات المتوالية، ويسهل النطق(٢). زيادة على ذلك هناك غرض معنوي من هذا التقديم، فالتقديم والتأخير في نهج البلاغة لم يأت مراعياً ًللجانب اللفظي على حساب المعنى، بل الأول تبع للثاني ومتمم له، فقدم الإمام (ربيعة) على (مضر)؛ لأن ذكر المرء صولاته وشجاعته في مواجهة من كان عنه بعيداً وغريباً، وما ذاقوه

---

(١)- ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ١٨٣.

(٢)- ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٧٤.

منه من ألم وهزيمة وهي ربيعة أبلغ في التقديم لمن منه كان قريباً وبه عارفاً - وهي مضر - قبيلته التي ينسب إليها[١].

وبذلك وظفت الجملة البدلية لبيان المجمل في (المبدل منه) فنأت به عن معنى الغموض وأخذت به الدلالة على الوضوح، وأخرجت من دائرة التردد والحيرة إلى دائرة الثبات المضموني لتقر بذلك شكلاً جديداً واضحاً ومعبراً عن الفكرة المرجوة بدقة وتقنية عالية.

ومثيل ذلك قوله (عليه السلام):-

(أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ وَ عَصَيْتَ إِمَامَكَ وَ أَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ وَ أَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ وَ اعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ)[٢].

فقوله (عليه السلام) كان موجهاً لعامله عبد الله بن عباس[٣]، وجاء كلامه في هذا الكتاب فيه تحذير عن الذي بلغه عنه في قوله **(فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ وَ عَصَيْتَ إِمَامَكَ)**، وجاء الإجمال هنا في المبدل منه لفظة (أمرٌ) وفصله بجملة تفصيلية **(أَنَّكَ جَرَّدْتَ)** مؤكدة هذه الجملة التفصيلية بالأداة (إن) المشددة و(أمر) فاعل للفعل "بلغني" مرفوع، والجملة التفصيلية في محل رفع بدل من اللفظة المجملة قبلها؛ لأن (الجملة التفسيرية تكون بحسب ما تفسره فإن كان له محل من الإعراب فهي لها محل كذلك وإلاّ يكن لما تفسره محل فلا محل لها)[٤]، وفي هذا الموضع جاء البدل والمبدل منه كلاهما نكرة للدلالة على عظم الأمر، وفخامته، وإن الانتقال من الإبهامإلى البيان

---

[١]- التقديم والتأخير في نهج البلاغة – دراسة نحوية أسلوبية، رسالة ماجستير/ قدمها الطالب رافد ناجي وادي الجليماوي، كلية التربية (صفي الدين الحلي)/ جامعة بابل بإشرافالأستاذ المساعد الدكتور سعدون احمد علي الربيعي: ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩م : ١٣٣.

[٢]–شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٣٨٨.

[٣]- ينظر: م. ن: ٣٨٨.

[٤]- وقد ذكر أن هذا الرأي لأبي علي الشلوبين، موصل الطلاب إلى قواعد الأعراب: الأزهري: ١/ ٦٤، ومغني اللبيب: ٢/ ٦٥.

تشعرنا باهتمام الإمام (عليه السلام) بمسألة استغلال عامله لوظيفته وهو تجريده الأرض وجعلها خالية جرداء بعد أن أخذ ما في بيت المال، أو أكل خيرات الأرض وجعلها خراباً يباباً كما يفعل الجراد، منذراًالإمام له وعبر فعل الأمر (وأعلم) ومؤكداً دلالته عبر الأداة (أن) حساب الله أعظم من حساب الناس وبهذا عبر الإمام عما يحز في نفسه من غضب ليتنبه العامل في غفلته، وان حساب الدنيا والناس له فيها هين من الحساب الأعظم منه وهو الوقوف يوم العرض الأكبر وموقف الحشر والحساب أمام مالك الملك يومئذ لا ينفع الندم ولا الحزن عما فاته في الدنيا.

وبهذا التفصيل تتجلى عظمة وفخامة الأمر الذي بلغه الإمام (عليه السلام) من عامله.

وهذا مما يدلل على انضباطه العملي أمام دعوة المسؤولية التي يتحملها وفي دعوة عماله إلىالأمانة وعدم الخيانة فكانت كلماته رائعة تحدث الانفعال في نفوس السامعين نتيجة ابتداءه الأمر مبهماً ليترك المجال للمتلقي التأمل في الأمر ومن ثم بينه ليقف المخاطب على المراد من هذا المبهم من جهة أخرى

ومثله قوله (عليه السلام):

(وَ اعْلَمْ يَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ وَ أَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ)[١].

وردالإجمال هنا في قوله (أَعْظَمَ أَجْنَادِي)، وكأن سائلا يسأل: ما أعظمأجناده في نفسه؟، وفسر ذلك الإبهام وعبر جملة البدل التفصيلية وهي (أهل مصر)، وقد صاغ الإمام جملة البدل المفصلة على الاسمية بتقديم لفظة (أهل) وقد حققت دلالة غاية في الروعة وهي دلالة الثبوت في الشيء، وهنا نبه وأكد (عليه السلام) على إحسانهإلى "محمد بن أبي بكر" بالأداة "قد" والفعل الماضي "وليتك"، أي بتوليته أعظم أجناده

[١]ــشرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٣٦٢.

في نفسه ليتبنى عن التذكير بتلك النعمة ما يريد أن يوصيه به، مؤكداً ذلك التنبيه بـ(أن) يخالف على نفسه الأمارة فيما تأمر به من السوء والفحشاء وسائر مناهي الله إلى ما يحكم به العقل والشرع من طاعته، وأن يدافع عن دينه ويجاهد شياطين الإنس والجن عنه مؤكداً ذلك الخبر بالاستثناء بـ(لم.. وإلا) ولو لم يكن له من الدهر إلا ساعة فينبغي أن لا يشغلها إلا بالمجاهدة عن دينه.

ونظيرذلك قوله (عليه السلام):

(أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَ بِهَا الْمَعَاذُ زَادٌ مُبْلِغٌ وَ مَعَاذٌ مُنْجِحٌ دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ وَ وَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ)[١].

قوله هذا في مواعظ الناس بتقوى الله، وجاءت جملة "زاد مبلغ" بدل كل تفصيلي عن اللفظة المجملة في "الزاد" وما عطف عليه جملة "ومعاد منجح" بدل كل تفصيلي عن اللفظة المجملة في قوله "المعاذ": أي أن تقوى الله هي الزاد المبلغ إلى الجنة والسلامة في الدنيا والأخرى والمعاذ المنجح الذي دعا إليهاالأنبياءوالأئمةالأطهار وأسمعوها للأجيال، والسعيد من استمع وأطاع (**أَسْمَعُ دَاعٍ**) وأراد هنا بأسمع الداعين وأشدهمإسماعاً وتبليغاً هو الرسول محمد "صلى الله عليه واله وسلم" وأراد "بخير واعٍ" وهو المسارعين إلى داعي الله الذين هم أفضل القوابل الإنسانية[٢].

ومثيل ذلك قوله (عليه السلام):

(فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ وَ جَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ وَ خَبَايَا الْأَفْعَالِ وَ جَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَ انْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ)[٣].

---

[١]–شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ١٦٩.

[٢]- ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٤٤.

[٣]–شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ١٦٢.

وهذا المقطع من خطبة له (عليه السلام) في وصف يوم القيامة، إذ بعد عملية تدمير الكون، يحيي سبحانه أهل القبور من الأولينوالآخرين، ويجمعهم بعد تفرقهم ثم يميزهم (فريقين)، وهذه اللفظة وردت مجملة فسرها (عليه السلام) بجمل البدل التفصيلية في قوله :(أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ) وماعطفعليه(انْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ) فعمل التفصيل على بيان حال الناس يوم القيامة فهم فريقان: سعداء وأشقياء. أيأن المتبعين للشرع والقائلين به هم المنعم عليهم المثابون، والتاركين له المعرضين عنه هم المنتقم منهم المعاقبون.

وقوله (عليه السلام):

(قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ وَ عَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ وَ يُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ)[1].

وهذا الكلام من خطبة له (عليه السلام) في بيان صفات الفاسق، وقد جاء الإجمال في (قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ) مؤكداً بـ"قد" وجاء التفسير لهذه الجملة المبهمة ببدل الكل (يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ وَ يُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ) والمعنى إن الفاسق يسهل على الناس أمرالآخرة في موضع يحتاجون فيه إلى ذكر وعيد الله وتذكيرهم بأليم عقابه([2])، وجاء ذلك في مقام الذم والتوبيخ له، وما يؤازر دلالة الاستمرار في الحدث بناء جملة التفصيل في (يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ) ومعطوفها (ويُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ) على زِنة المضارع للدلالة على استمرارية تأمين الناس من عظيم الوعيد وأهوال الآخرة، وكذلك تهوين وتصغير عندهم جرائمهم التي ارتكبوها في جنب ما تصوروه من الوعد الكريم ويساعدهم ميل طباعهم إلى المشتهيات الخارجة عن حدود الله فيما ودوا ما اقترفوه.

فكانت حقاً جملة (يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ) وما بعدها تفصيل لقوله :(قد حمل الكتاب على أرائه، فأي رأي هذا الذي يحمله الفاسق وهو لم يقف عند الشبهات،

---

[1]–شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ١١٨.

[2]- ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٤١٤.

وحدود الحلال البين والحرام البين؟ فهو يقيس الحق؛ بمنافعه الشخصية لا بمقاييسه المقررة فيهون للناس من جرائمهم وبقوله: إن الله غفور رحيم، وهذا حق في غفران الله وعدم القنوط من رحمته، لكن من الورع أن لا يلتبس على الإنسان الحلال بالحرام، ومن الأولىأن يتجنب المسلم إلى مواقعة الحرام كيلا تجره إلى غضب المولى عز وجل وعذاب النار

وقوله (عليه السلام) في حكمة له:

(يَا بُنَيَّ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعاً... إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ وَ أَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمْقُ وَ أَوْحَشَ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ وَ أَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ)[١].

الإجمال وقع في قوله (**أَرْبَعاً**) وقد فصله بقوله:(إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ)وماعطفعليه (أَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمْقُ) وماعطفعليه (أَوْحَشَ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ) وماعطفعليه(أَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ)، وكأن قائلا يقول: ما هي هذه الأربعة التي أمر بها الإمام (عليه السلام) ولده بحفظها؟، فجاء الجواب بـ" إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ...الخ).

وتمت صياغة جمل البدل التفصيلية على الاسمية في (أن أغنى الغنى العقل) للدلالة على الثبوت والاستقرار فأزال بذلك الإنكار عن الممعن فيه، حتى لا يبقى مجال لإنكاره، فكان ذلك أكثر توكيداً، وفيه (ضرب من المبالغة)[٢]، وفضلا ًعن مجيء صيغة اسم التفضيل في (أغنى) و(أكبر) و(أوحش) و(أكرم) وهي مضافة على التوالي إلى كل من (الغنى) و(الفقر) و(الوحشة) و(الحسب)، ففصل بذلك دلالة إن أغنى الغنى هو (العقل) الذي يقدر عواقب الأمور، ويدفع بصاحبه الى التواضع وفعل الخيرات، ويبتعد عن الرذائل والمهلكات كالكذب والظلم والعجب، ثم فصل اسم التفضيل (أكبر) المضاف إلى (الفقر) بكون أكبر الفقر هو (الحمق) وهو الذي لا ينتفع بعظة، ولا يستفيد من تجربة، ويتعجل الأمور بلا روية، ولا يدرك عواقبها إلاَّ بعد الفوات، وفصّل قوله (أَوْحَشَ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ) وهو رذيلة الكبر وتضاد

---

[١]-شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٤٤٨.

[٢]- المثل السائر: ٢/ ٢٤٣.

الواقع، ونفّر عنها بكونها أوحش الوحشة، والمعجب بنفسه ثقيل على كل قلب، ولذا يعيش غريباً من قومه، وأخيراً فصّل (أَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ) وأساسه الصبر والرفق وسعة الصدر، والبعد عما يشين الكرام وأهل المروءات[١].

فكانت هذه الجمل بيان للمجمل في لفظة (أربعاً)، ولولا ذكر التفصيل لهذه الجمل لما عرف معنى تلك الأربع التي أوصىالإمام (عليه السلام) ولده وحفظها، فكانت تلك النصائح الأربعة مواعظ شافية للقلوب، ونابعة من الجوهر الإنساني لا غيرفي سبيل توجيه المجتمع نحو سلوك مقترن بغية الوصول إلى حالة من التكامل التربوي.

ونظير ذلك قوله (عليه السلام):

(لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ وَ مَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ وَ يُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّلَمَةَ)[٢].

فقد جاء قوله (عليه السلام) :(يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ) وماعطفعليها (مَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ) ووماعطفعليها (يُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّلَمَةَ)، وهي جمل البدل التفصيلية للإجمال في قوله (ثلاث علامات)، وكأن سائلا يسأل: ما هي علامات الظالم الثلاث؟، فقيل: (يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ) و(مَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ) و (يُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّلَمَةَ)، وكانت جمل البدل التفصيلية مبنية على الفعلية للدلالة على استمرارية الفعل في الحدوث والتجدد في (يحتقر) و(يظاهر)، فالظالم المستهتر يحتقر من فوقه وهو عصيان لله وتعديه لحدوده العادلة، والثانية (مَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ)، أي يقسو على من دونه، والثالثة (يُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّلَمَةَ)، أي يتعاون مع ظالم على شاكلته للقاسم المشترك بين الاثنين، وهو الإثم والعدوان[٣].

---

[١]- ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٤/ ٢٤٠.

[٢]–شرح نهج البلاغة (محمد عبده) : ٤٩٧.

[٣]- ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٤/ ٤٢١.

وبهذه الجمل التفصيلية يتم تفصيل المجمل لثلاث علامات ولولا التفصيل لما عرفت تلك الدلالات، فجميعها في الظالم وعلاماته فأتحفنا الإمام هنا بصفات الظالم وعلاماته، لكي نتجنب هذا الانحراف السلوكي في مفاهيم الإسلام وحدوده.

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام):

(فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ وَ يُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ وَإِحْيَاؤُهُ الاِجْتِمَاعُ عَلَيْهِ وَ إِمَاتَتُهُ الاِفْتِرَاقُ عَنْهُ)[1].

وهذا من كلام له (عليه السلام) إلى الخوارج، وقد وردت جملة (لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ) وهي مجملة وفسرت بقوله :(وَإِحْيَاؤُهُ الاِجْتِمَاعُ عَلَيْهِ)، وما بعدها أيضاً الجملة، فجملة (وَ يُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ :(وَإِمَاتَتُهُ الاِفْتِرَاقُ عَنْهُ) لغرض التوضيح وإزالة الإبهام عن جملة المبدل منه، وقد صدرت جملة المبدل منه الأولى المبهمة بأداة الحصر (إنما) في قوله (فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ) وقصره حكم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن، وقد أسند هنا لفظتي (الإحياءوالإماتة) مجازاً باعتبار كونهما في الإجماع عليه والعمل به مظهرين لمنفعته وفائدته كما يفعله موجد الحياة، إما إماتته فالافتراق عنه وإهماله والإعراض عنه، وهذا هو سبب بطلان منفعته وعدم منفعته كما يفعله مميت الشيء ومبطل حياته[2].

ونرى صياغة الإمام (عليه السلام) جملتي البدل التفصيلية في (وَإِحْيَاؤُهُ الاِجْتِمَاعُ عَلَيْهِ) و(إِمَاتَتُهُ الاِفْتِرَاقُ عَنْهُ) على الفعلية للاستمرار في حدوث الفعل ودوامه، وهذا يدل دلالة واضحة إن اجتماع الحكمين على العمل بالقرآن هو أحياء للقرآن وللأمة، أماإهمالهوالإعراض عنه هو إماتة للقرآن وللأمةالإسلامية وبالتالي اختلافها وفشلها وذهاب ريحها، وهكذا تكمن فائدة جمل البدل التفصيلية، فائدتها في بيانها الكلام السابق بالكلام اللاحق فتكون كعلاقة تجلي وتوضيح لما أبهممن الجمل

---

[1]–شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ١٨٥.

[2]- ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢/ ٢٤٩.

المجملة على المتلقي، ولولا جمل التفصيل لبقي الكلام غامضاً على المتلقي ولم يستبان منه شيء.

ونختم كلامنا بقوله (عليه السلام):

(وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَ رِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ)[١].

أتى "عليه السلام" بجملة بدل الكل في (رِزْقٌ تَطْلُبُهُ) ومعطوفها و(رِزْقٌ يَطْلُبُكَ) وهما جملتان تفصيليتان للإجمال في قوله (الرِّزْقَرِزْقَانِ) وهذا مما يدل على إن الله عزَّ وجلَّ قسم مطلق الرزق إلى قسمين: مطلوب وطالب، وأراد بالرزق المطلوب ما لم يجر في القضاء الإلهي كونه رزقا له، وبالطالب كما علم الله أنه رزقه، وأنه لابد من وصوله إليه.

وجاء الفعل مضارع في كلا الجملتين في (رِزْقٌ تَطْلُبُهُ) و(رِزْقٌ يَطْلُبُكَ)، للدلالة على الاستمرارية في الحدث ودوامه في كون الذي (تطلبه) لا تدركه لكون القضاء الإلهي لم يجربه، وكل ما لا تدركه فينبغي أن لا تحرص عليه، وأما الذي (يطلبك) فإنه لا محالة يأتيك، وإن لم تأته مؤكداً دلالة عدم إتيانهبالأداة (إن) حيث أكد سيبويه فائدتها للتوكيد بقوله :(وإما "أن" فتكون بمنزلة لا القسم.. وتكون توكيداًأيضاً)[٢]، وقال الصيمري:(وأن المشددة والمخففة منها معناها: التوكيد)[٣]، وكذلك جاء التأكيد بالضمير المنفصل (أنت) مؤكداً لمضمون الخبر في الفعل (يطلبك)، إذن كل ما كان آتيك لا محالة، فينبغي أن لا تحرص في طلبه.

---

(١)–شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٣٨٠.

(٢)- الكتاب: ٤/ ٢٢٢.

(٣)- التبصرة والتذكرة : ١/ ٤٥٦، وينظر: التوكيد في القرآن الكريم (دراسة نحوية) ستار علي ياسين (أطروحةدكتوراه)، إشراف د. محمد عبد اللطيف عبد الكريم، كلية التربية/ الجامعة المستنصرية، ١٩٩٩ .:

وإذا ما قيست جملة التفصيل إلى جملة الإجمال في بدل الكل ولفظة (رزقان) فإنها قد جاءت في سياق تنبيه والفعل (وأعلم) ثم التنبيه الثاني والذي جاء بأسلوب النداء (يَا بُنَيَّ)، ولما تحمله من دلالة اللطف والرفق واللين والخلق الحسن، مؤكداً ذلك التنبيه بالأداة (أن) المشددة وتكراره لفظة (الرزق) فبالإضافة لما تحمله هذه اللفظة من دلالة تؤثر في تعميق المعنى وبيانه للمتلقي، فأنها تخلق إيقاعاًنغمياً يثري دلالة المعنى ويؤكده، فضلاً عن تكراره حرف (الراء) فأسهم ذلك في تصعيد التوقيع الموسيقي، الأمر الذي يجعل المتلقي يشعر بحالة الكلام الحق ويتنبه له في كون الرزق، أما (تطلبه) وأما (يطلبك) وذلك إنما يكون على حسب ما يعلمه الله تعالى من مصلحة المكلف فتارة يأتيه الرزق من غير اكتساب ولا تكلف حركة، ولا تجشم سعي، وتارة يكون الأمر بالعكس[1].

[1]–ينظر:شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٤/ ٤٣١.

المبحث الثالث: دلالة أسلوب التفصيل في جملة جواب الشرط:

الشرط:هو (تعليق حصول مضمون جملة هي جملة جواب الشرط بحصول مضمون جملة أخرى هي جملة الشرط كـ(إن جاء زيد أكرمته)[١]، والذي أوجد هذه العلاقة بين الجملتين هو أداة الشرط. وهذا ما أشارإليه ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) بقوله :(وتدخل على جملتين، فتربط أحداهمابالأخرى، وتصيّرهما كالجملة، نحو قولك:(إن تأتني آتك"، والأصل :(تأتني آتيك)، فلما دخلت (إن) عقدت أحداهمابالأخرى)[٢].

إذن التركيب الشرطي يتركب من جملتين، لا بجملة واحدة، فالشرط جملة واحدة وهو العلامة لوجود جوابه، وقد ذكر الراغب الأصفهاني الشرط بقوله :(كل حكم معلوم متعلق بأمر يقع بوقوعه وذلك الأمر كالعلامة له)[٣]، والأمر نفسه عند ابن يعيش، إذ قال:(ومعنى الشرط العلامة والأمارة، فكان وجود الشرط علامة لوجود جوابه، ومنه أشراط الساعة أي : علاماتها)[٤].

وجواب الشرط جملة أخرى، وهذا ما أشار إليه (ابن السراج) بقوله :(والجزاء وجوابه جملتان تنفصل كل واحدة منهما عن صاحبتها، فلا يجوز أن يختلطا)[٥]، فالسامع حينما يسمع الجملة الشرطية، فهو ينتظر الجواب؛لأن المعنى يكتمل بها.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أن هذا التقسيم قد جعل الجملة الشرطية جملتين؛ الأولى للشرط والأخرى للجواب، فـ(الشرط والجزاء جملتان وجب تصاحبهما فجرى مجرى الجملة الواحدة)[٦]، ويشترط في الجملة الواحدة ما يشعر في الجملة الفعلية والجملة الاسمية، وهو أن تكون محتملة للصدق والكذب[٧].

---

[١]- شرح الحدود النحوية، للفاكهي: ٢٧٥، وينظر: الكليات: ٢٥٥.
[٢]- شرح المفصل: ٨/ ١٥٦، وينظر موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للنهاوندي: ١/ ١٠١٣.
[٣]- المفردات في غريب ألفاظ القرآن: ٣٤٠.
[٤]- ينظر:شرح المفصل: ٨/ ١٥٦.
[٥]- الأصول في النحو: ٢/ ١٧٩.
[٦]- المقتصد: ١/ ٢٨٧، ينظر: الجملة الشرطية عند النحاة العرب/ ١٢٨ – ١٢٩، وفي النحو العربي، نقد وتوجيه: ٢٨٦.
[٧]- ينظر: شرح المفصل: ٢٤١/٨.

وقد شبه سيبويه العلاقة التلازمية بين الشرط وجوابه بالتلازم بين ركني الجملة الاسمية ؛(لأنه لا يستقيم واحد منهما إلابالآخر، فشبهوا الجواب بخبر لمبتدأ، وان لم يكن مثله في كل حالة)[١]، فلو قلت :(زيدُ)، لم يكن كلاماً يحتمل الصدق والكذب، فإذا قلت: (منطلقُ)، تم الكلام، فكذلك إذا قُلتَ: (إن تأتني)، لم يكن كلاماً تاماً حتى تقول :(آتك)[٢].

وبهذا يكون التركيب الشرطي عبارة عن جملتين فعليتين وليس جملة واحدة، قال ابن يعيش :(الشرطية في التحقيق مركبة من جملتين فعليتين، الشرط فعل وفاعل، والجزاء فعل وفاعل)[٣].

وبهذا تؤدي جملة جواب الشرط وظيفة البيان الدلالي لما يراد من جملة الشرط، ولا يتضح المعنى من أحداهما من دون ذكر الأخرى، ولا يستقيم ذكر طرف واحد من دون ذكر الطرف الآخر، فالجزاء بمثابة تفصيل وتفسير لما يمكن أن نعده مبهم الدلالة وهو (الشرط) من دون ذكر جوابه للمتلقي ليتكامل المعنى الكلي لكل منهما معاً، ومن هنا نخلص إلى أن جواب الشرط هو بمثابة جملة، و(الجملة هي بمثابة كلام قائم بنفسه، فإذا أتيت فيها بما يتوقف فهمه على ما قبلها إذن بتعلقها به)[٤]، وهي أيضاً (اللفظ المفيد) و(معلوم أن الشرط من دون الجزاء، والجزاء من دون الشرط لا يفيد)[٥]، فعلم بذلك أن جملة الجواب هي بيان وتفصيل للشرط.

ويتبين لنا ومن خلال هذا الكلام أنالإمام (عليه السلام) قد أفاد من التفصيل بجملة جواب الشرط وبيانه للمبهم لما في دلالة الشرط، فكانت شواهده في هذا الباب غاية في الصياغة ومنها:

ومنهقوله (عليه السلام):

---

[١]- الكتاب: ١/ ٢٥٩.
[٢]- ينظر: الأصول في النحو : ٢/ ١٥٦.
[٣]- شرح المفصل: ٨/ ١٥٦.
[٤]- ينظر: شرح المفصل: ١٥٠/٣شرحقطر الندى: ١٠٧.
[٥]- حاشية الصبان: ٨/ ١٥٦.

(فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ وَ لْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ وَ لْيَفُكَّ بِهِ الْأَسِيرَ وَ الْعَانِيَ وَ لْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَ الْغَارِمَ وَ لْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَ النَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ فَإِنَّ فَوْزاً بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا وَ دَرْكُ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)[١].

ابتدأ النص بإجمال بليغ وعبر الأسلوب الشرطي بـ(من) في قوله :(فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا)، ثم شرع (عليه السلام) يفصل وعبر جواب الشرط التفصيلي مواضع خمسة لوضع المال:-

الأول: صلة الرحم في قوله :(فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ).

الثاني: حسن الضيافة في قوله :(وَ لْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ).

الثالث: فك الأسير والعاني، والأسير هنا المسجون والعاني عطف عليه للتفسير.

الرابع: إعطاء الفقير والغارم وهو من عليه دين في قوله :(وَ لْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَ الْغَارِمَ).

الخامس: الحقوق الواجبة على أهلها كالزكاة والمستحبة كالصدقات في قوله :(وَ لْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَ النَّوَائِبِ)، أي ما يلحق الإنسان من المصادرات والغرامات التي يغل بها الإنسان من أيد الظالمين وألسنتهم، والإنفاق في ذلك من الحقوق الواجبة على الإنسان[٢].

وجاءت جملة جواب الشرط التفصيلية الأولى في قوله :(فليصل به القرابة)، بصيغة الأمر المقترنة بالفاء، وبعدها أربع جملٍ طلبية أيضاً وبصيغة الأمر، والتوسع بالعطف بعد جواب الشرط بصيغة الأمر واجب في هذا النص؛لأن اقتصار الجواب على جملة واحدةٍ يجعلها وحدها معلقة على الشرط وبالمحصلة يكون الجواب ناقصاً وغير مقبول؛لأنه بحاجة إلى جميع الجمل المعطوفة، كي يستوفي موارد الإنفاق

١- شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ١٩٧.
٢- ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني) : ٣/ ٥٩٣.

فالذي يعطيه الله مالاً ليس ملزماًأن يصل القرابة به فقط، وإنما مصادر الإعطاء كثيرة، وقد فصلها الإمام عبر جمل جواب الشرط التفصيلية المعطوفة على جملة جواب الشرط الأولى المقترنة بالفاء في قوله :(فليصل به القرابة).

وأشار بذلك إلى الإنفاق ابتغاء الثواب أي عدم الرياء والسمعة وابتغاء وجه الله مؤكداً الخبر عبر الأداة (إن) وتنكير المسند إليه في لفظة (فوزاً) ؛لأن تنكيرها يفيد (نوع)[١]، الفوز فقط الذي يحصل بأيشحص من أشخاصه، هو شرف مكارم الدنيا من الذكر الجميل بين الناس والجاه العريض، ودرك فضائل الآخرة وهي درجات الثواب الجزيل الموعود.

إذاًأفاد دلالة التفصيل في هذا النص دلالات عدة منها:

أولاً: إن في تفصيل وجوه الإعطاء والذي يضاف إليه الفضل والأجر في الدنيا والأخرى فيه تعظيماً وتفخيماً لمكانة ذلك المطيع لله ووضعه المعروف بموضعه في أعلى جنات الخلد مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ثانيا: نجد في التفصيل ترغيب وحث وتحفيز على إنفاق المال ووضعه موضعه في طرق الخير والمعروف.

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام):

(فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَ لَا مُبْطِئَاتٍ وَ لَوْ لَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَ إِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ وَ لَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ وَ لَا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ)[٢].

جاء تفصيل بجمل جواب الشرط التفصيلي في :أولاً (لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ)، والجملة هنا متصدرة بفعل ماضي منفي بـ(ما) ومقترنة باللام، وجاء التفصيل الثاني

١- ينظر:جواهر البلاغة: ١٣٩.

٢- شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٢٥٢.

في جملة معطوفة على جملة التفصيل الأولى وهي (وَلَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ)، والثالثة (وَ لَا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ)، وكلا الجملتين متصدرة بأداة النفي (لا)، أماالأداة الشرطية في النص فهي (لولا) و(لا) دخلت على (لو) فتغير ما تدل عليه الأخيرة من معنى، ذلك لأن (لولا وإنما هي (لو) و(لا)، جعلتا شيئاً واحداً)[1]، فالأداتانإذاً أداةواحدة معنى تدل عليه وهو امتناع الشيء لوجود غيره، (أي: يمتنع جوابها لوجود شرطها)[2]، وإذا كان ذلك هو المعنى الذي تدل عليه (لولا) فإن وظيفتها في (جملة الشرط) وظيفة محددة (لأنها تستعمل في حالات ثبوت عبارة الشرط والقطع بتحققها)[3]، فهنا امتنع جواب الشرط (لما جعلهن موضعاً...) فلم يكن الله عزَّ وجلَّ يجعل في السماء موضعاً لعرشه و(لَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ)، و(لم تكن قابلة لصعود الملائكة (بالكلم الطيب والأعمال الصالحة للخلق)، لولا وجود الإقراروالإذعان من السماوات، واستعار الإمام هنا لفظ (الإذعان) ويحتمل أن تكون ليست استعارة وإنما حقيقة نظراًإلىأن السماوات لها أرواحاً مدبرة عاقلة[4].

ومثل ذلك قوله (عليه السلام):

(وَ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ وَ مَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَ مَغَارِسَ الْجِنَانِ وَ أَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَ وُحُوشَ الْأَرَضِينَ لَفَعَلَ وَ لَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَ بَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ وَ لَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ وَ لَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَ لَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا)[5].

جاءهذا النص لبيان مهمة الأنبياءوهي تبليغهم حدود الله وشرائعه إلى عباده وعلى ألسنتهم بهدف إيمان الناس بالله تعالى والعمل بشريعته عن قناعة لا عن رغبة أو

[1]- المقتضب: ٣/ ٧٦.
[2]- الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية: ١١٩.
[3]- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٥٩.
[4]-ينظر:شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٧١٢.
[5]- شرح نهج البلاغة (محمد عبده) : ٢٧٨.

رهبة.. وهذا هو الهدف الأساس من بعثة الأنبياء، فلا موجب إذاً؛ لأن يزودهم الله سبحانه وتعالى بكنوز الدنيا وحدائقها وطيورها ووحوشها.

وعبر هذا المعنى الأساس:

جاءت الأداة (لو) الشرطية لتشهد جملتين شرطيتين، ونرى أن الجملة الأولى للشرط شهدت توسعاًإذ فصل بين فعل الشرط (أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ) وجوابه التفصيلي المثبت المقترن باللام في (الفعل) بفاصل كلامي موسع وهو قوله (لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ وَ مَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَ مَغَارِسَ الْجِنَانِ وَ أَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَ وُحُوشَ الْأَرَضِ)، وهذا التوسع في الكلام لغرض منه إفهام المتلقي وإيضاح المعنى له.

وجاءت الأداة الشرطية (لو) مرة أخرى وبفعل الشرط المبهم لدلالة (فعل) ثم جاء (عليه السلام) بجمل تفصيلية لهذا الإجمال في التركيب الشرطي في قوله :(لَسَقَطَ الْبَلَاءُ) ومعطوفها و(بَطَلَ الْجَزَاءُ) وَ(اضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ) وَ (لَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ) و(لَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ) و (لَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا).

وهنا لم يعمد الإمام (عليه السلام) على التوسع في المعنى بفاصل كلامي بين الشرط وجوابه وذلك لوضوح المعنى وإتمامه في الشرط السابق وجوابه، فلو فعل الله سبحانه و تعالى من فتحه كنوز الذهب ومعادنه ومغارس الجنان وحشره الطيور والوحوش لأنبيائه، لفعل لأنهاأمور ممكنة، والله سبحانه وتعالى قادر على جميع الممكنات، فلو حصل ماذا سيجري بالنتيجة؟ وجاء التفصيل في جمل الشرط التفصيلية، **أولاً:** سقوط البلاء: وهو بلاء المتكبرين بالمستضعفين من أولياء الله، إذ لا مستضعف يبتلون به إذاً، وذلك إنالأنبياء (عليهم السلام) كانوا ينقطعون إلى الدنيا حينئذٍ عن جناب الله فينقطع عنهم الوحي، فينقطع الابتلاء بهم ولما أتوا به من التكليف، وكذلك يسقط بلاء الأنبياء بالفقر والصبر على أذى المسكنة من المكذبين لهم بالضرب والقتل.

ثانياً: ويبطل الجزاء: أي جزاء العبادات والطاعات، أما لسقوط البلاء بها أو لأن الطاعات إذن تكون عن رهبة أو رغبة، فيسقط الجزاء الآخروي عليها، وكذلك يبطل جزاء الأنبياء الذين كانوا يستحقونه بحسب فقرهم وصبرهم عليه.

ثالثاً: وتضمحل الأنبياء: أي الأخبار الواردة من قبل الله تعالى على ألسنة رسله والوحي إليهم، ذلك إن الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما يقرب من أحداهما يبتعد من الأخرى، والأنبياءإن كانوا أكمل الخلق نفوساً، إلاأنهم محتاجون إلىالإعراض التام عن الدنيا وطيباتها وهو الزهد الحقيقي.

رابعاً: ولكان لا يجب لقابلي كلام الأنبياءأجور المبتلين، وكذلك لا يجب لقابلي النبوة منهم أجور المبتلين بالتكذيب والأذى.

وخامساً: وكان لا يستحق المؤمنون ثواب المحسنين إلىأنفسهم، لمجاهدة الشيطان عنها وتطهيرها عن الرذائل وتحليتها بالفضائل، وذلك لأن إيمانهم بهم يكون عن رغبة أو رهبة، لا عن حقيقة وإخلاص لله تعالى.

سادساً: ولا لزمت الأسماء معانيها، والمعنى أنه لم تكن المعاني لازمة الأسماء فيمن سمي بها، مثلاً من سمي مؤمناً لا يكون معنى الإيمان الحق لازماً لاسمه فيه، إذ كان إيمانه بلسانه فقط عن رغبة أو رهبة، وكذلك من سمي مسلماًأو زاهداً بل من سمي نبياًأو رسولاً لا يكون في الحقيقة كذلك لانقطاع النبوة والرسالة عنه، أي تصدق الأسماء بدون مسمياتها الحقيقية، أي وضع كلمة المؤمن والنبي بغير مدلوله الحقيقي، والاسم في غير مسماه.

وبهذا التفصيل وعبر جمل جواب الشرط التفصيلية يضع الإمام (عليه السلام) المبدأ الأساس لعدم هبة الله عزَّ وجلَّلأنبيائه الغنى والأموال والقوة، فخلقهم عزَّ وجلَّأهون الناس في فقرهم لكنهم أشد تقوى من الله وأشد إيماناً به، وأمانة له وإخلاصاً وهداية للناس، فلا تثنيهم شهوات الدنيا الزائفة ولا أموالها عن دينهم، ولا تهزمهم الملوك والجبابرة عن عزمهم وعقيدتهم بدينهم الذي ارتضاه لهم سبحانه وتعالى، فهم متجردون للحق لا عن رغبة أو رهبة، وإنما عن إيمان حق وثبات فيه بدون

تزعزع عنه وعن صراطه المستقيم، فكان حبهم لله تعالى يعادل حب الدنيا وما فيها وهذا هو الإيمان الخالص لوجهه الكريم **(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)**(١). فكان كلما أشتد بلاؤهم في الدنيا عَظُم دينهم عندهم وأشتد تمسكهم به، فلا شيء عندهم إلا الله والحق، ولا يعتزون إلا به، ولا يخافون إلا منه، فهم بذلك عظيمو البلاء وعلى قدر بلاؤهم يكافئون بالجزاء الأوفى في جنات الخلد والنعيم.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام):

(وَكَيْفَ وَ لَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَ بَهَائِمِهَا وَ مَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَ سَائِمِهَا وَ أَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَ أَجْنَاسِهَا وَ مُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَ أَكْيَاسِهَا عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا وَ لَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَ تَاهَتْ وَ عَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ وَ رَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً).(٢)

وهذا النص من خطبة له (عليه السلام) في التوحيد، ونجد التركيب الشرطي مبدوء بالاستفهام بـ(كيف)، في (وَكَيْفَ وَ لَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَ بَهَائِمِهَا..) وخرج الاستفهام هنا لغرض مجازي هو التيئيس(١)، وجاء جواب الشرط التفصيلي منفي بـ(ما) النافية في قوله :(مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا)، وقد عطف على جملة جواب الشرط المنفي جملة معطوفة أخرى ومنفية بالأداة (لا) في قوله :(وَ لَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا)، ثم عطف عليها بجملة فعلية مثبتة مقترنة باللام في قوله :(وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَ تَاهَتْ)، ثم عطف عليه بعدة جمل فعلية، وتعد هذه الجمل (الجمل المعطوفة في جواب الشرط غير الجازم) من الجمل التي لا محل لها من الإعراب؛لأنها عطفت على جملة لا محل لها من الإعراب(٢).

---

(١)- البينة: ٥.

(٢)شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٢٦٤ – ٢٦٥.

١- ينظر: علم المعاني (عتيق): ٧٤.

٢- ينظر:الجملة التي لا محل لها من الإعراب في القرآن الكريم، د. طلال يحيى الطوبجي، دار دجلة، عمان،ط٢٦٦:٢٠٠٧،١.، والجملة تأليفها وأقسامها:٢٢٢.

ومجموع هذه الجمل يشكل جواب تفصيلي للشرط المتقدم ذكره في (وَكَيْفَ وَ لَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا ..).

وقد أسهمت اللام في جواب الشرط المقترن بها في قوله :(ولتحيرت) في شدة تماسك الجواب واحتفاظه بأهم ما يميزه ويدل عليه بوساطة هذه الرابطة، ونلاحظ تتابع النفي بـ(ما) و(لا) في جواب الشرط ودلالته هنا لتأكيد دلالة النفي، وتأكيد امتناع الجواب، زيادة على تأكيد مضمونها وهو: عجز الكائنات الحية بشتى أنواعها، من يعقل منها، وما لا يعقل، على خلق بعوضة على تفاهتها لعجزت خاسئة معترفة بعجزها ولا نعرف الطرق إلىإيجادهاوإحداثها.

ومثيل ذلك قوله (عليه السلام):

(فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً وَ لَا تُصِيبُوا مُعْوِراً وَ لَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَ لَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى)[1].

وهذا النص من وصيَّةٍ له (عليه السلام) لعسكره قبل لقاء العدو بصفين، وجاءت جملة جواب الشرط المفصلة في قوله :(فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً) وهي جملة طلبية بصيغة النهي (لا تقتلوا) وقد عطف عليها بثلاث جمل تفصيلية أخرى وطلبية أيضاًوبالصيغة نفسها في (وَ لَا تُصِيبُوا مُعْوِراً) و (لَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ) و (لَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى)، وتشكل هذه الجمل أجوبة تفصيلية للشرط المبهم في قوله :(فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ)، وهذه الجمل التفصيلية مهمة هنا وعلى المقاتلين الالتزام بها لأنها من وصايا الإمام (عليه السلام) في الحرب: بأن لا يقتلوا مدبراً: أي مولياً هارباً، ولا يصيبوا معوراً، وهو الذي أمكنتهم الفرصة في قتله بعد انكسار العدو، كالمعور من الصيد، وقيل: أراد بالمعور المريب وهو الذي وقع فيه الشك أنه محارب أم لا: أي لا تقتلوا إلا من علمتم أنه محارب لكم.

وان (لَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ): أي لا تقتلوا جريحاً.

---

[1] -شرح :نهج البلاغة (محمد عبده): ٣٥٢.

وإن (لَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى) أي لا تثيروا شرورهن بأذى وان بلغن الغاية المذكورة من شتم الأعراض وسب الأمراء[1].

وتفيد دلالة التفصيل هنا تربية المقاتلين على السمو والطاعة والمسارعة في تنفيذ أوامرالإمام (عليه السلام) في وصايا الحرب والالتزام بها، فكانت توصياته تثير النفوس لأنها صدرت عن موروث تجاربه في القتال، وعن خبرته الطويلة بالوقائع والأيام التي شهدها بنفسه مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين فكانت وصيَّة حربية ذات طابع ديني نلمس فيها امتزاج الحياة الحربية والدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

ويقول (عليه السلام)أيضاً:

(وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ وَ نُوراً مِنَ الظُّلَمِ وَ يُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ وَ يُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ)[2].

أجمل (عليه السلام) الكلام بداية عبر التركيب الشرطي والذي جاء في سياق تنبيه والفعل (**وَ اعْلَمُوا**) مؤكداً ذلك التنبيه بـ(أنَّ) توثيقاً لمضمونه في قوله :(وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ) فيأتي التفصيل بجواب الشرط في قوله :(يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ وَ نُوراً مِنَ الظُّلَمِ)، أي من ظلم الجهل بأنوار العلوم الحاصلة عن الاستعداد بالتقوى.

وقد عطف على جملة الجواب المجزومة بـ(يجعل) فعلين مضارعين مجزومين ومفصلين للإبهام في التركيب الشرطي وهما في قوله:(وَ يُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ) و (يُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ) أي يجعله خالداً فيما رامت إليه نفسه من الملذات في الدنيا، ثم ينزله منزل الكرامة عنده وهو المنزل المبارك المأمور بطلبه في قوله تعالى :**(وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ)[3].**

جاء الغرض من التفصيل في جواب الشرط توكيد المكانة وتثبيتهاالتي يستحقها للذي يتق الله ويخاف مقام ربه وينهى النفس عن الهوى، ويتبعد تلقائياً عن المزالق

---

[1]- ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني) : ٤/ ٢١٣.

[2]- شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٢٥٧.

[3]- المؤمنون: ٢٩.

والمهالك فجزاؤه يأمنه الله من شرور الدنيا وفتنها، وله في الآخرة ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين في صحبة الأنبياء والصالحين والملائكة المقربين.

ونظير ذلك قوله (عليه السلام):

(وَ لَوْ كَانَ الْإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا وَ الْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ وَ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وَ نُورٍ وَ ضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ وَ لَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ وَ لَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ)[1].

وكأنسائلا يسأل: ماذا لو جعل الله تعالى الأساس المحمول في بيته الحرام بين أحجارنفيسة مضيئة من (زمردة خضراء أو ياقوتة حمراء)؟

فجاء الجواب التفصيلي موضحاً لذلك السؤال في قوله: أولاً: (لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ)، والجواب هنا صدِّر بجملة فعلية مثبتة مقترنة باللام، أي شك الخلق في صدق الأنبياء وعدم صدقهم وشكهم في أن البيت بيتٌ لله أو ليس، فكيف يكون البيت الحرام من هذه الأحجار الكريمة،والأنبياء وهم في الحال المشهورة من الفقر والذل، وهذا يقوي الشك في نفوس الناس في كونهم رسلاً من عند الله وفي كون البيت بيتاً له، والمراد بـ(مصارعة الشك) مبارزة وساوس الشك والهواجس التي تخطر على قلب المؤمن وهي الوساوس الباطنية، وأما الجمل المعطوفة على جملة الشرط الأولى فهي:

ثانياً: و(لَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ)، وقد صدرت الجملة أيضاً بالفعل المقترن باللام في (لوضع) لأن الإيمان بكونه بيتاً لله ينبغي حجه والقصد إليه، لا يكون عن مجاهدة إبليس في تصديق الأنبياء في ذلك، وفي وجوب عبادة الله بل لعزة البيت وحسن بنيانه وميل النفوس إلى شريف جواهره ، والمراد هنا بـ(مجاهدة إبليس) وساوسه الخارجية[2].

---

[1]- شرح نهج البلاغة (محمد عبده) : ٢٨٠.
[2]- شرح نهج البلاغة (الشيرازي): ٧/ ٣٢١.

ثالثا: و(لَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ)، وأيضاً هذه الجملة متصدرة بفعل مثبت مقترن باللام في (لَنَفَى) ومفهوم عبارة (معتلج الريب) تلاطم أمواج الشكوك التي تطغى على المؤمنين في التكاليف الدينية الشاقة.

ومجاهدة إبليس ومعتلج الريب لا تخفف ولا تنتفي لكونها مراده من الحكمة الإلهيةلإعداد النفوس بها لتدرك الكمالات الباقية والسماوات الدائمة، فلذلك لم يجعل تعالى بنيان بيته من تلك الأحجار النفيسة

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام):

(وَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَ تَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَ وَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وَ أَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ)[١].

يكمن التفصيل في جملة جواب الشرط: (لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ) و(أَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ)، وقد قيدت الجملتين بالتركيب الشرطي وبالأداة (لو) في قوله : (وَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ..)، وهنا أفادتالأداة (لو) انتفاء أن يرد الله عليهم كل نعمة ذهبت عنهم أوأن يصلح ما فسد من سائر أموالهم لانتفاء توجههم إليه بنيات صادقة وقلوب حاضرة ، إذ (أن الفزع إلى الله بصدق النية وله القلب وتحيره وذهوله عن كل شيء سوى الله يعد الإعداد التام لإفاضة المطالب سواء كانت عود نعمة أو استحداثها أو زوال نعمة أو استنزالها على عدو)[٢]، ومما ساعد على ترسيخ ذلك المعنى، وقوع "اللام" في جملة جواب الشرط التفصيلية في (لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ) لإفادتها معنى التأكيد[٣]، فضلاً عما أشاعه السجع المتوازي من نغم وموسيقى اتشحت به فاصلتا الفقرتين.

مما تقدم نصل إلىأن جمل جواب الشرطية التفصيلية توظف في النص لبيان المبهم في التركيب الشرطي والذي يحتاج إلى ما يتمم معناه بجوابه، فتنأى به عن معنى الغموض وتأخذ بيده جملة الجواب إلى وضوح الدلالة فتغني المتلقي عن الحيرة

١- شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٢٤٨.

٢- شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٧٠٤.

٣- ينظر: شرح المفصل : ٩/ ١٢٠، وينظر معاني النحو: ٤٧٠/٤

والتردد في البحث عن تفصيل دلالي وتخرجه من دائرة التجوال الذهني إلىأرضية الثبات وترسيخ المعنى والتأكيد عليه فيظفر بذلك المتلقي على المعنى الصحيح المراد منه في ذلك الإبهام.

ومثيل ذلك قوله(عليه السلام): (وَاعْلَمْيَابُنَيَّأَنَّهُلَوْكَانَلِرَبِّكَشَرِيكٌلَأَتَتْكَرُسُلُهُوَلَرَأَيْتَآثَارَمُلْكِهِوَسُلْطَانِهِوَلَعَرَفْتَأَفْعَالَهُوَصِفَاتِهِ)[٣].

هنا أشار (عليه السلام) إلى الحجة على وحدانية الصانع سبحانه، وعلى جملة صفاته، وتحققت شرطية القول المبهمة في قوله: (لَوْكَانَلِرَبِّكَشَرِيكٌ)، فلزم ذلك القول المبهم لوازم تفصيلية في:

الأول: لَأَتَتْكَرُسُلُهُ: مع العلم بأن جميع الأنبياء والمرسلين دعوا إلى إله واحد لا ضد له ولا ند.

الثاني: وَلَرَأَيْتَآثَارَمُلْكِهِوَسُلْطَانِهِ: والآثار كلها تدل على أن المؤثر واحد، وهي أو منها هذه القوانين الطبيعية الدقيقة التي تحكم أجزاء الطبيعة وظواهرها، وتجمعها في مجموعة واحدة شاكلة تدل على وحدة التدبير والمدبر الواحد.[٤]

الثالث: وَلَعَرَفْتَأَفْعَالَهُوَصِفَاتِهِ: فلأن مجرد الأفعال التي نشاهدها إنما تدل على فاعل فأما التعدد فلا.[٥]

ونلاحظ من خلال جمل جواب الشرط التفصيلية اقترانها(باللام) وذلك لتأكيد شرطية القول وأهميته ، ولإزالة إنكاره، إلا وهو بأن لربنا شريك قول باطل لا برهان عليه ، ولا دليل يدل عليه....

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (وَلَوْلَاأَنَّكَأَمَرْتَبِالصَّبْرِوَنَهَيْتَعَنِالْجَزَعِلَأَنْفَدْنَاعَلَيْكَمَاءَالشُّئُونِوَلَكَانَالدَّاءُمُمَاطِلًا)[١].

وهذا من كلام قاله(عليه السلام) وهو يلي غسل الرسول(صلى الله وعليه وآله وسلم) وتجهيزه، وقد صدرّت الجمل التفصيلية لجواب الشرط المؤكد(باللام) تأكيداً لحال فضيلته(عليه السلام) وشدة حزنه في:

أولاً: لَأَنْفَدْنَاعَلَيْكَمَاءَالشُّئُونِ: وكنى الإمام (عليه السلام) عن كثرة البكاء بإنفاد ماء الشُّئُونِ.

---

[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٧٣.
[٤]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤٩٩/٣.
[٥]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٦٧/٤.
[١]شرحنهجالبلاغة(عبده):٣٣٥.

ثانياً: وَلَكَانَالدَّاءُمُمَاطِلًا: وبالداء عن ألم الحزن بفقده(صلىاللهوعليهوآلهوسلم)، واستعار له لفظ المماطلة و(المماطل): المدين الذي يؤخر أداء الدين، ويقال: داء المماطل للمرض الذي لا علاج له، والذي يشبه ذلك المدين.[٢] أي كأن الحزن وألمه لثباته وتمكنه لا يكاد يفرق مع أنّ من عادته أن يفارق فهو كالمماطل بالمفارقة.[٣]

تنبئ الجمل التفصيلية عن أن مصاب الإمام (عليه السلام) بفقده للنبي(صلىاللهوعليهوآلهوسلم)، كان عظيماً فمصيبته تفوق جميع المصائب؛ لأنه أكرم إنسانٍ وأعز مخلوقٍ في الكون.

ونختم كلامنابقوله(عليه السلام): (فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً وَ سُبُلًا نَيِّرَةً وَ مَحَجَّةً نَهْجَةً وَ غَايَةً مُطَّلَبَةً يَرِدُهَا الْأَكْيَاسُ وَ يُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ وَ خَبَطَ فِي التِّيهِ وَ غَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ وَ أَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ)[٤].

وهذا من كلام له (عليه السلام أرسله إلى معاوية وجاءت جمل جواب الشرط التفصيلية في (جَارَ عَنِ الْحَقِّ) وَ (خَبَطَ فِي التِّيهِ) وَ (غَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ)وَ(أَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ)؛ لتبيين النتيجة الحتمية لموقف من يخالف طريق الطاعة وينحرف عنها وعبر جملة الشرط(مَنْ نَكَبَ عَنْهَا) ، وبعد أن أكدها عبر الجملة الاسمية المؤكدة ب(إنَّ) في (فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً) ، والتي تتألف من الجار والمجرور (للطاعة) المقدم على المسند إليه المنعوت(أَعْلَاماً وَاضِحَةً)، وجاء التقديم لغرض التخصيص والاهتمام.[١] فللطاعة طريق وغاية وأعلام تهدي من يسلكها، والناس بين يديها صنفان فالعقلاء هم الذين يختارون تلك المحجة ويقصدون أعلامها، وأنّ أدنياء الهمم يخالفون إلى غيرها فيعدلون عن صراط الله الحق ويخبطون في تيه الجهل ويغير الله بذلك نعمته عليهم ، ويبدلهم بها نقمته في دار الجزاء.[٢]

وهكذا تظهر دلالة التفصيل بعد الإجمال على التعظيم في النص، فلعظم أمر الانحراف عن مسير الطاعة قد أجمل عبر جملة الشرط، ثم فصله وبينه فيما اشتملت عليه من نتائج عظيمة تستحق العقوبة والعذاب من الله تعالى.

---

[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ٤٠٣/٨.
[٣]ينظر:شرحنهجالبلاغة(البحراني): ٧٤/٤.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده):٣٦٨.
[١]ينظر: علوم البلاغة(المراغي):١٢٦.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٥٠/٤.

المبحث الرابع:دلالة أسلوب التفصيل بـ(نص تركيبي منفصل):ـ

كما يرد النص متصلاً مجملاً فيحتاج إلى من يقوم بمهمة تفصيله من دلالة الإبهام ، وكما جاء في بيانه عبر (جملة الصلة ، أو جملة بدل الكل، أو جملة جواب الشرط)، فكانت وظيفة تلك الجمل بيانية اتصالية في النص نفسه الذي وجد فيه المبهم ، وبذلك يدرك السامع الوضوح التفصيلي بسرعة لتجاوره مع المجمل.

كذلك يرد النص منفصلاً مبهماً فيحتاج إلى بيان يفصله ولا يرد تفصيله في النص نفسه بل في نص آخر ، وذلك لعدم تجاور البيان مع الإبهام، وقد وجدت من تلك النصوص:

منها قوله (عليه السلام): **(أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ وَ لَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ وَ أَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ وَ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ............ أَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَ حَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ)**[(١)].

نلاحظ في النص مجيء جملة الخبر(**حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ**) ومعطوفها (**حَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي**)، مجملتين في النص غير واضحتي الدلالة على المعنى المراد منهما ، ولم يفصل دلالتيهما في النص نفسه، وإنما جاء تفصيلهما وبيانهما في نص منفصل آخر... وهو قوله (عليه السلام): **(أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً وَ لَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ وَ تَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ وَ تَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا وَ تَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا وَ أَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَ النَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَ الْمَغِيبِ وَ الْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَ الطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ)**[(٢)].

الملاحظ هنا أنّ النص الأول يبين فيه(عليه السلام) إنّ للوالي حقاً على الرعية ، وللرعية حقٌّ عليه، ثم يبين في النص الثاني حقوق الوالي ، وحقوق الرعية لكل منهما على الآخر، وجاء التفصيل في كليهما عبر أداة التفصيل (أمَّا) ، فحقوق الوالي جاءت عبر التركيب اللغوي المؤكد بالنداء في (**أَيُّهَا النَّاسُ**) ثم الأداة (إنَّ) في قوله (**إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً**)، وجاء تقديم خبر إن وهو الجار والمجرور (**لِي عَلَيْكُمْ**) على اسمها ؛ لغرض الاختصاص والعناية بهذا الأمر المؤكد عليه في:

أولاً: النصيحة لكم : أي الإخلاص في القول والعمل، والعدل والإنصاف في الحكم والتوزيع

ثانياً: توفير فيئكم عليكم: أي الحرص على بيت المال وتنميته، وسد ذوي الحاجات.

---

(١) شرح نهج البلاغة(عبده): ٤١٣ـ٤١٤.

(٢) م.ن:٦٦.

ثالثاً: تعليمكم كيلا تجهلوا: أي إرشادكم السبيل التي أرشد إليها كتاب الله وسنة نبيه؛ لأن جهلكم بدين الحق يبتعد بكم عن مكارم الدنيا وحسناتها، ويغريكم بأقذارها وسيئاتها.

رابعاً: تأديبكم كيما تعلموا، والمراد بالتأديب: هنا العقوبة بإقامة حدود الله سبحانه، والمراد بالعمل الاستقامة إذ قال (عليه السلام) في بعض خطبه(**وَ أَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا**)[١].

ثم أشار (عليه السلام) حق الراعي على الرعية في :

أولاً: (الوفاء بالبيعة): وهي عقد توثيق بين الحاكم والمحكوم، على أن يدبر الحاكم أمور المحكوم على أساس المصلحة، ويحفظ الأمن والنظام، ويقيم الحدود وينفذ الأحكام... وعلى كل من الطرفين أن يفي بهذا العقد، ولا يجوز فسخه بحال.

ثانياً: النصيحة في المشهد والمغيب: المراد بالنصيحة هنا الإخلاص للحاكم، والصدق في القول والعمل أمامه وفي غيابه، إذ بذلك نظم شمل المصلحة بينهم وبينه أيضاً.

ثالثاً: والإجابة حين أدعوكم: أي إجابته حين يدعوهم من غير تثاقل عن ندائه فإن للتثاقل عن دعوته ما علمت من قهر العدو وغلبته عليهم وفوات مصالح عظيمة.

رابعاً: والطاعة حين آمركم: عطف الطاعة على إجابة الدعوة من باب عطف التفسير، والمراد بالطاعة الاستمرار فيها، والثبات عليها، والظاهر أنّ هذه الأمور الأربعة، وإن كانت حقوقاً له عليهم، إلاّ أنه إنما يطلبها منهم لما يعود عليهم به من النفع في الدنيا والآخرة، فإن الوفاء ملكة تحت العفة والنصيحة له سبب لانتظام أمورهم به وإجابة دعوته إجابة لداعي الله الجاذب إلى الخير والمصلحة، وكذلك طاعة أمره طاعة لأمر الله إذ هو الناطق به.[٢] والملاحظ على جمل التفصيل أنها جاءت جمل اسمية للدلالة على الثبوت في الحدث.[٣]فالاسمية في أصل وضعها تفيد ثبوت المسند إلى المسند إليه ـ فحسب ـ بلا نظر إلى تجدد ولا استمرار.[٤] وفي هذه الدلالة تأكيد على الثبوت في الحقوق والتقرير للمسند إليه وذلك ما تفرزه ضمائر الخطاب ، وبالتالي بيان عظم حقوق الرعية على الوالي ومدى الالتزام بها والثبات عليها.

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): (وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ وَ مَغْرِسُ الْفِتَنِ فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَ احْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ)[٥].

نبَّه (عليه السلام) بقوله هذا من يخاطبه وهو (عبد الله بن عباس) عامله على البصرة، مؤكداً الخبر ب(أنَّ) البصرة(**مَهْبِطُ إِبْلِيسَ**) وهو كناية عن كونها مبدأ

---

[١] ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢٩٩/١.
[٢] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٨١/١.
[٣] ينظر:الإشاراتوالتنبيهات:٧٥.
[٤] ينظر: علوم البلاغة:٥٩. ، وينظر جواهر البلاغة: ٧٦.
[٥] شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٥٤.

الآراء الباطلة والأهواء الفاسدة الصادرة عن إبليس المستلزمة لإثارة الفتن وكثرتها؛ لأنها مهبط إبليس مستقره ومحلّ لذلك وأراد مهبطه من الجنة[١]. وجاءت لفظة(**مَغْرِسُ الْفِتَنِ**)معرفة بالإضافة مجملة، وقد بينها(عليه السلام) في نص آخر، إذ حدثت أول فتنة كبرى في الإسلام حيث استقبلت الجمل وأصحابه، وحاربت تحت لوائه، وهذا ما أكده النص الآخر في قوله (عليه السلام): (**كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَ أَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَ عُقِرَ فَهَرَبْتُمْ أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ وَ عَهْدُكُمْ شِقَاقٌ وَ دِينُكُمْ نِفَاقٌ وَ مَاؤُكُمْ زُعَاقٌ وَ الْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ وَ الشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ**)[٢].

أوضح(عليه السلام) من خلال النص التفصيلي أن أهل البصرة (**جُنْدَ الْمَرْأَةِ**) و(**أَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ**) والبهيمة هنا الجمل، وكان جمل عائشة راية عسكر البصرة، قُتلوا دونه كما تقتل الرجال تحت راياتها.[٣]، مجيبين لرغائه وهاربين لعقره، وهو أشنع من الأول وأدخل في الذم، وكنى برغائه عن دعوتها لهم إلى القتال إذ قدمت عليهم راكبة له.[٤] ثم عقب ذلك بتعديد أوصافهم وعبر قوله (عليه السلام): (**أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ**) أي يصفهم باللؤم، و(**عَهْدُكُمْ شِقَاقٌ**) يصفهم بالغدر، و(**دِينُكُمْ نِفَاقٌ**) **أي لما كانوا خارجين على الإمام العادل محاربين له لا جرم كانوا خارجين عن الدين.**

و(مَاؤُكُمْ زُعَاقٌ)أي ماؤهم مالح وسبب ملوحته قربه من البحر وامتزاجه به، ودخول ذلك في معرض ذمهم ربما يكون لسوء اختيارهم ذلك المكان والإقامة به مع كون مائهم بهذه الحال المستلزمة لأمراض كثيرة في استعماله كسوء المزاج والبلادة وفساد الطحال والحكة. ثم وصف المقيم بين أظهرهم بأنه مرتهن بذنبه؛ لأنه إما أن يشاركهم في الذنوب أو يراها فلا ينكرها، وكون الشاخص عنهم متداركاً برحمة من ربه وذلك لإعانة الله له بالخروج يسلم من الذنوب التي يكتسبها المقيم بينهم وتلك رحمة من الله، وأية رحمة ، وكل ذلّ في معرض التنفير عنهم.[٥]

التفصيل في هذا النص المجمل جاء به نص منفصل فأدى وظيفة البيان والكشف عن معناه بهذا التركيب اللغوي.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (انْظُرُواإِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَ قَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبْرِ)[٦].

نجد أن لفظة (الأفعال) وردت مجملة في النص، فلا يعرف ما هي هذه الأفعال والتي جاءت في سياق التنبيه بفعل الأمر (**انْظُرُوا**)، وجاء الإجمال الثاني عبر الاسم الموصول (ما) لتظهر لنا دلالة التعظيم والمبالغة لتلك (الأفعال) المجملة التي لم تفصل في النص، وبيان أهميتها عبر (من) في قوله : (**مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ**)و(**قَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبْرِ**)أي الكف عن ظهور علامات الفخر والتكبر. والاهتمام

---

[١]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٢٠/٤.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٨.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ١١٩/١.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ١٩٨/١.
[٥]ينظر: م.ن:١٩٩/١.
[٦]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٨١.

بهذا الأمر وعلاماته أحدث قدرة على إحداثالإنفعال لدى المتلقي لمعرفة تلك الأفعال التي لم يفسرها في النص، **وجاء تفصيل تلك الأفعال في قوله (عليه السلام): (وَ عَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَ الزَّكَوَاتِ وَ مُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ وَ تَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ وَ تَذْلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ وَ تَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ وَ إِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ وَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً وَ الْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً وَ لُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلًا مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَ الْفَقْرِ)**[١] .

و(ما) في قوله (وَ عَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ) نافية، أي عن هذه المكائد التي هي البغي والظلم والكبر حرس الله عباده، و(عن) متعلقة ب(حرس)، وقال الراوندي: يجوز أن تكون مصدرية، فيكون موضعها رفعاً بالابتداء، وخبر المبتدأ قوله: (لِمَا فِي ذَلِكَ)، وقال أيضاً: يجوز أن تكون نافية، أي لم يحرس الله عباده عن ذلك إلجاءً وقهراً، بل فعلوه اختياراً من أنفسهم، ثم بيّن(عليه السلام) الحكمة في العبادات، فقال: إنه تعالى حرس عباده بالصلوات التي افترضها عليهم من تلك المكائد وكذلك بالزكاة والصوم ليسّكن أطرافهم، ويخشّع أبصارهم ، فجعل التسكين والتخشيع عذراً وعلة للحراسة، ونصب هنا الألفاظ على أنها مفعول له، علل السكون والخشوع الذي هو علة الحراسة لما في الصلاة من تعفير الوجه على عتاق الوجوه بالتراب تواضعاً يوجب هضم النفس وكسرها وتذليلها، وعتاق الوجوه : كرائمها. وإلصاق كرائم (الجوارح): أي الأعضاء بالأرض كاليدين والساقين تصاغراً يوجب الخشوع والاستسلام، والجوع في الصوم الذي يلحق البطن في المتن يقتضي زوال الأشر والبطر، ويوجب مذّلة النفس وقمعها عن الانهماك في الشهوات، وما في الزكاة من صرف فواضل المكاسب إلى أهل الفقر والمسكنة يوجب تطهير النفوس والأموال ومواساة أرباب الحاجات بما تسمح به النفوس من الأموال، وعاصم لهم من السرقات وارتكاب المنكرات، ففي ذلك كله دفع مكائد الشيطان.[٢]

هذه كانت (الأفعال) وهي (الصلاة، والزكاة، والصيام) لما فيها من تعفير عتائق الوجوه، وإلصاق كرائم الجوارح وهي الأيدي والأرجل ولحوق البطون بالمتون، إلى غير ذلك من (الأفعال) المستلزمة للتواضع والتذلل تأكيداً لما قرره أولاً من كون هذه العبادات حارسة لعباد الله من رذيلة الكبر.

فكانت بحق هذه (العبادات) تفصيلاً وبياناً للإجمال لما في لفظة(الأفعال) التي فيها تعظيم وزيادة مبالغة في الأمر والشأن المتحدث عنها من تطهير النفس من رذيلة الكبر والفخر.

---

[١]شرح نهجالبلاغة(عبده): ٢٨٠- ٢٨١.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد) ٧٤/٤.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): **(أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ وَ أَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَ أَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا وَ حَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا لِلَّهِ أَنْتُمْ أَ تَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ وَ يُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ)**[(١)].

جاءت في هذا النص عبارة**(وَ أَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ)** إنذاراً إلى الناس بأداء ما كلف به في حقهم مما كلفت الأوصياء إلى من بعدهم على وجه العموم دون تخصيص بدلالة الموصول**(مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ)** فهو دال على الشمول الكلي للأوصياء في تأدية الحقوق والواجبات خصص تلك الواجبات في **نص منفصل وهي في قوله (عليه السلام): (إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ : الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ ، وَ الِاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَ الْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ ، وَ إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا ، وَ إِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا)**[(٢)].

ببيانما عليه من حقوق وتخصيصه وتأديته واجبات الإبلاغ في موعظة العباد، ثم الاجتهاد في النصيحة لهم، والأحياء لسنة الله ورسوله فيهم، ثم إقامة الحدود التي يستحقونها بجناياتهم ثم إصدار السهمان على أهلها.

وبين أيضاً في نص آخر في وفائه وتأدية ما عليه من الواجبات وتمامها وعبر قوله (عليه السلام): (وَ لَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ وَ أَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ وَ أَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ الذُّلِّ وَ حَلَقِ الضَّيْمِ شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ وَ إِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ وَ شَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ)[(٣)].

يبين (عليه السلام) حسن معاملته لرعيته، مؤكداً ذلك (باللام) المقترنة ب(قد) للدلالة على توكيد القسم: أي والله لقد.[(٤)] فخطابه هذا لأهل الكوفة فلقد أحسن جوارهم، وإحاطته بجهده من ورائهم إشارة إلى حفظه وحراسته لهم، وإعتاقهم من ربق الذل وحلق الضيم حمايتهم من عدوهم واعتزازهم به. ثم نبههم على السبب الموجب لذلك وعبر التقيد بالمفعول له في (شكراً) و(إطراقاً) وفي قوله (عليه السلام): **(شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ)**: أي شكراً منه لبعض أعمالهم الصالحة و**(إِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ وَ شَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ)** و**(وَ شَهِدَالْبَدَنُ)** عطف تفسير على ما أراه البصر أي الحس والعيان، والمعنى أنه تجاهل الكثير مما عناه منهم وقاساه، وبذلك أوضح (عليه السلام)علة إحسانه لأهل الكوفة في محاورته لهم وحمايته ودفاعه عنهم وعتقهم من ربق الذل والخسف وحكمه لهم بالحق والعدل، وبذلك فصل المجمل وهو الاسم الموصول (ما) وصلته المبهمة في قوله **(مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ)** بنصوص منفصلة فكانت وظيفة هذه النصوص تحديد ذلكالإبهام وتخصيصه ، وبيانهوكشفه.

---

(١)شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٥٤.
(٢)م.ن:١٥٤.
(٣)م.ن:٢١٨.
(٤)ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤٢٢/٢.

يماثل ذلكقوله (عليه السلام) لما بويع بالمدينة: (أَلَاوَإِنَّبَلِيَّتَكُمْقَدْعَادَتْكَهَيْئَتِهَايَوْمَبَعَثَاللَّهُنَبِيَّهُ (صلىاللهعليهوآله))[١].

جاء خبر قوله(عليه السلام) مؤكداً ب(ألا) و(إنَّ) و(قد) تنبيهاً لمن يخاطبهم بابتلائهم بالفتن وهي أمور تشبه ما كان الناس عليه حال بعثة الرسول(صلىاللهعليهوآله) ، إذ اجتاحت المجتمع الإسلامي الفوضى والاضطرابات، وكأنها عادت القهقري إلى عهد الجاهلية وكأن بيعته كبيعة الرسول(صلىاللهعليهوآله) ،التي تطالبه بنهضة تجديد كتلك التي أسسها النبي(صلىاللهعليهوآله) تلك النهضة المعطاء التي صهرت الأمة في الإسلام الأصيل.[٢]

وقد ذكر (عليه السلام) الابتلاء والفتن التي أصابت الناس حال بعثة الرسول(صلىاللهعليهوآله) مجملة غير واضحة الدلالة، إذ لم يفصلها(عليه السلام) في النص نفسه، وإنما جاء تفصيلها وبيانها في نصوص منفصلة أخرى من النهج وهي في قوله (عليه السلام):

(بَعَثَهُوَالنَّاسُضُلَّالٌفِيحَيْرَةٍوَخَاطِبُونَفِيفِتْنَةٍقَدِاسْتَهْوَتْهُمُالْأَهْوَاءُوَاسْتَزَلَّتْهُمُالْكِبْرِيَاءُوَاسْتَخَفَّتْهُمُالْجَاهِلِيَّةُالْجَهْلَاءُحَيَارَىفِيزَلْزَالٍمِنَالْأَمْرِوَبَلَاءٍمِنَالْجَهْلِفَبَالَغَ (صلىاللهعليهوآله) فِيالنَّصِيحَةِوَمَضَىعَلَىالطَّرِيقَةِوَدَعَاإِلَىالْحِكْمَةِوَالْمَوْعِظَةِالْحَسَنَةِ)[٣].

رسم الإمام(عليه السلام) صورة واضحة عن دقائق تلك الفترة ليلفت الناس في عصر الإمام(عليه السلام) ممن لم يدرك ذلك العهد إلى عظمة الدعوة الإسلامية، وليعلموا حجم التغير الذي حدث في المجتمع ، فيتعرفوا على منزلة النبي (صلىاللهعليهوآله) وعظم قدره؛ وذلك لأن مثل هذا العمل الجبار إنما يتطلب إرادة حديدية وعزماً راسخاً وتدبيراً عالياً وبرامج وخطط واضحة.[٤] وقد أفاد التقييد بالحال في جملة(وَالنَّاسُضُلَّالٌفِيحَيْرَةٍ)، ومفرده في قوله(حَيَارَى)بيان تلك الأمم عندما بعث إليها النبي الأكرم(صلىاللهعليهوآله) وكيف أنها كانت تعيش في ضلال وحيرة، إذ قادتهم أهواؤهم فأوردتهم الذنوب والآثام، وأبعدتهم الجاهلية عن جادة الصواب حيارى لا يعرفون شيئاً، ومما زاد في بيان ذلك(الجار والمجرور) المتعلق بهما، كما نلحظ في هذا النص أنَّ الإمام(عليه السلام) قد عمد إلى استحضار الحدث الماضي بصورة الحال ليصوِّر للمخاطبين شدة وخطورة الأمر الذي يخبر عنه.

ونستحضر نصاً آخر يبين حال الناس عند بعثة الرسول الأكرم (صلىاللهعليهوآله) عليهم:

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):٤٠.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي):٣٩٤/١.
[٣]شرحنهجالبلاغة(عبده):١٤٢.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ١٧١/٤.

(أَرْسَلَهُعَلَىحِينِفَتْرَةٍمِنَالرُّسُلِوَطُولِهَجْعَةٍمِنَالْأُمَمِ وَاعْتِزَامٍمِنَالْفِتَنِوَانْتِشَارٍمِنَالْأُمُورِوَتَلَظٍّمِنَالْحُرُوبِوَالدُّنْيَاكَاسِفَةُالنُّورِظَاهِرَةُالْغُرُورِعَلَىحِينِ اصْفِرَارٍمِنْوَرَقِهَاوَإِيَاسٍمِنْثَمَرِهَاوَاغْوِرَارٍمِنْمَائِهَاقَدْدَرَسَتْمَنَارُالْهُدَىوَظَهَرَتْأَعْلَامُالرَّدَىفَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌلِأَهْلِهَاعَابِسَةٌفِيوَجْهِطَالِبِهَاثَمَرُهَاالْفِتْنَةُوَطَعَامُهَاالْجِيفَةُوَشِعَارُهَاالْخَوْفُوَدِثَارُهَاا لسَّيْفُ).[١]

مرة أخرى يصطحب الإمام (عليه السلام) المخاطبين إلى عصر الجاهلية، وكيف كان الناس ، وليذّكر المخاطبين بنعمة الله تعالى التي نفت ما كانوا فيه من بؤس وهي بعثة الرسول(صلىاللهعليهوآله) ومما استلزمته من الخيرات ليعتبروا فيشكروا ويخلصوا التوجه إلى الله تعالى، وقد أشار الإمام(عليه السلام) إلى النعمة المذكورة وهي أرساله إلى الناس ليهديهم من ظلمات الجاهلية بعد فترة استغرقت خمسمائة سنة، وقيل ستمائة سنة لم يبعث فيها النبي.[٢] ولذلك ساد الناس سبات قاتل، ثم أردف أموراً مذمومة كانوا عليها في الجاهلية ومنها(وطُولِهَجْعَةٍمِنَالْأُمَمِ) وكنى بالهجعة عن الغفلة في أمر المعاد واعراضهم عن الله وأحكامه، واعتزام من الفتن وهنا يشبه الإمام(عليه السلام) الفتن بالإنسان الشرير أو الحيوان الضاري الذي يهجم على الإنسان الآمن دون مبرر.[٣] و(انْتِشَارٍمِنَالْأُمُورِ)، أي ظهور الفوضى والهرج والمرج والاضطراب والتشتت في المجتمعات والذي يعد من الفتن والقلاقل.

ثم قال(عليه السلام) (وَتَلَظٍّمِنَالْحُرُوبِ) فيشبه هنا امتداد الحروب بألسنة النيران، و(الدُّنْيَاكَاسِفَةُالنُّورِظَاهِرَةُالْغُرُورِ)، ونور الدنيا كناية عن وجود الأنبياء وما يأتون به من الشرائع وما ينتج عنهم من الأولياء والعلماء كناية بالمستعار، ووجه المشابهة ما يستلزم النور ووجود الأنبياء والشرائع من الاهتداء بهما ورشح بذكر الاستعارة بذكر الكسوف، وعبر به عن عدم ذلك النور منها ملاحظة لشبهها بالشمس.

ثم يلجأ الإمام(عليه السلام) إلى تشبيه آخر للناس في الجاهلية بمزرعة قد ذبلت جميع أشجارها واصفرت أوراقها(فهي في حال تساقط) وقد يأس المزارع من ثمرها بعد أن غار ماؤها وجفت عروقها، (عَلَىحِينِاصْفِرَارٍمِنْوَرَقِهَاوَإِيَاسٍمِنْثَمَرِهَاوَاغْوِرَارٍمِنْمَائِهَا) ، وذلك ؛ لأن مزرعة المجتمع البشري إنما تتزين بورود الاخلاق والفضائل، وثمارها العدالة والمروءة والمحبة، وأما ماؤها فيكمن في الإيمان والورع والتقوى وهذه المعاني كانت مغيبة تماماً في العصر الجاهلي.[٤] فقد(دَرَسَتْمَنَارُالْهُدَى) إذ لا منقذ من الجهل والتضليل، ولا مرشد إلى نهج السبيل، و(ظَهَرَتْأَعْلَامُالرَّدَى) بظهور المفسدين والمضللين ، (الرَّدَىفَهِيَمُتَجَهِّمَةٌلِأَهْلِهَاعَابِسَةٌفِيوَجْهِطَالِبِهَا) ، كون الدنيا متجهمة لأهلها، عابسة في وجه طلابها وكنى بذلك عن عدم صفائها، فإن طيب العيش في الدنيا إنما يكون مع

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٢٠.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ٣٧٣/٣.
[٣]ينظر:م.ن:٣٧٤/٤.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ٣/ ٣٧٤ـ ٣٧٥.

وجود نظام العدل والتصفية بين أهلها وعدم التظالم وذلك في زمان الفترة مفقود بين العرب وهو كناية بالمستعار، ووجه المشابهة ما يلزمه المستعار عنه وله من عدم تحصيل المطلوب معهما.[1]

ثم قال(عليه السلام) : (ثَمَرُهَاالْفِتْنَةُوَطَعَامُهَاالْجِيفَةُ): فحقاً ليست هنالك من ثمرة لذلك الوسط بتلك الصفات سوى الفتن ، وليس له من طعام سوى الميتة، إذ كان الناس في الجاهلية تأكل الميتة من شدة الاضطرار، والميتة متعفنة وتدعوا إلى الاشمئزاز والنفرة، وقطعاً فإن الحياة في مثل هذه البيئة إنما تتسم بالتعفن والاشمئزاز. ثم أردف كلامه(عليه السلام) بقوله: (وَشِعَارُهَاالْخَوْفُوَدِثَارُهَاالسَّيْفُ)، فالفقير يخاف الأقوياء والأغنياء، والغني يخاف زوال النعمة وثورة الفقراء، و(دِثَارُهَاالسَّيْفُ)، أي الصراع والتناحر على السلطان والحطام.[2]

وبهذا يؤكد الإمام (عليه السلام) حال المجتمع التي لا تنفك وهي (عدم التفاعل مع الدعوة الإسلامية بوصفها تطوراً حضارياً يسعى إلى الارتقاء بالسلوك الإنساني إلى مستواه اللائق)[3]، وكل ذلك بسبب التناحر والصراع السلطوي.[4]الذي لم يزل يتكرر من قبل بعثة النبي(صلى الله وعليه وآله) إلى خلافته(عليه السلام).

ومن النصوص الأخرى التي تبين أيضاً حال الناس عند بعثة النبي، قوله(عليه السلام): (إِلَىأَنْبَعَثَاللَّهُسُبْحَانَهُمُحَمَّداًرَسُولَاللَّهِ (صلىاللهعليهوآله) لِإِنْجَازِعِدَتِهِوَإِتْمَامِنُبُوَّتِهِمَأْخُوذاًعَلَىالنَّبِيِّينَمِيثَاقُهُمَشْهُورَةًسِمَاتُهُكَرِيماًمِيلَادُهُوَأَهْلُالْأَرْضِيَوْمَئِذٍمِلَلٌمُتَفَرِّقَةٌوَأَهْوَاءٌمُنْتَشِرَةٌوَطَرَائِقُمُتَشَتِّتَةٌبَيْنَمُشَبِّهٍلِلَّهِبِخَلْقِهِأَوْمُلْحِدٍفِياسْمِهِأَوْمُشِيرٍإِلَىغَيْرِهِفَهَدَاهُمْبِهِمِنَالضَّلَالَةِوَأَنْقَذَهُمْبِمَكَانِهِمِنَالْجَهَالَةِ)[5].

هنا نجد الإمام يبين حال الناس عند بعثة النبي(صلى الله وعليه وآله) ويصنفهم إلى ثلاثة أصناف:

أولاً: مِلَلٌمُتفَرِّقَةٌ، ثانياً: وَأَهْوَاءٌمُنْتَشِرَةٌ، ثالثاً: وَطَرَائِقُمُتَشَتِّتَةٌ.

حيث كانت الأمة عند بعث النبي(صلىاللهوعليهوآله) أصناف شتى في أديانهم فمنهم اليهود، ونصارى، والمجوس، وصابئون، وعبدة أصنام، وفلاسفة ، وزنادقة. أما الأمة التي بعث فيها النبي(صلىاللهوعليهوآله) فهم العرب، وكانوا أصنافاً شتى فمنهم المعطلة، وغير المعطلة. فأما المعطلة فقد أنكروا الخالق والبعث والإعادة وقالوا ما قال القرآن العزيز عنهم: (وَقَالُوامَاهِيَإِلَّاحَيَاتُنَاالدُّنْيَانَمُوتُوَنَحْيَاوَمَايُهْلِكُنَاإِلَّاالدَّهْرُ)[1]، فجعلوا الجامع لهم الطبع، والمهلك لهم الدهر، وبعضهم اعترف بالخالق سبحانه وأنكر البعث، وهم الذين أخبر

---

[1]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٢٣/٣.
[2]ينظر:فيظلالنهجالبلاغة:٤٤٨/١.
[3]الخطاب في نهج البلاغة(أطروحة دكتوراه)، حسين العمري: ٥٢.
[4]ينظر: م.ن:٥٢.
[5]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٢ـ ٢٣.
[1]الجاثية:٢٤.

سبحانه عنه بقوله: (قَالَمَنْيُحْيِيالْعِظَامَوَهِيَرَمِيمٌ)[٢]، ومنهم من أقر بالخالق ونوع من الإعادة، وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام، وزعموا أنها شفعاء عند الله في الآخرة، وحجوا لها، ونحروا لها الهدي، وقربوا لها القربان، وحللوا وحرموا، وهم جمهور العرب.[٣] وهم الذين قال الله تعالى عنهم: (وَقَالُوامَالِهَذَاالرَّسُولِيَأْكُلُالطَّعَامَوَيَمْشِيفِيالْأَسْوَاقِ)[٤]. وأما غير المعطلة من العرب فالقليل منهم وهم المتألهون أصحاب الورع والتحرج عن القبائح.[٥]

ثم نراه(عليه السلام) يصنف الأصناف الثلاثة من حيث البناء الاجتماعي إلى ثلاث وجهات من حيث العقيدة الدينية فيصنفهم قائلاً: (...بَيْنَمُشَبِّهٍلِلَّهِبِخَلْقِهِأَوْمُلْحِدٍفِياسْمِهِأَوْمُشِيرٍإِلَىغَيْرِهِ) ، إذ أن حال أهل الأرض يوم بعثه ما ذكر من تفرق الأديان وانتشار الآراء واختلافها ، وتشتت الطرق والمذاهب، فالأولون من (اليهود والنصارى والصائبة والمجوس) وقد كانت أديانهم أضمحلت من أيديهم، وإنما بقوا متشبهين بأهل الملل، وقد كان الغالب عليهم دين التشبيه، ومذهب التجسيم، كما حكى القرآن الكريم عنهم: (وَقَالَتِالْيَهُودُوَالنَّصَارَىنَحْنُأَبْنَاءُاللَّهِوَأَحِبَّاؤُهُ)[٦] .

(وَقَالَتِالْيَهُودُعُزَيْرٌابْنُاللَّهِوَقَالَتْالنَّصَارَىالْمَسِيحُابْنُاللَّهِ)[٧]، (وَقَالَتِالْيَهُودُيَدُاللَّهِمَغْلُولَةٌغُلَّتْأَيْدِيهِمْوَلُعِنوابِمَاقَالُواْ)[٨] .

وأما المراد من قوله(أو ملحد في اسمه) فهو نعت الأصنام بأسماء الله، على سبيل المثال كانوا يسمون أحد الأصنام باللات والآخر بالعزى ، والثالث بمناة وهي الأسماء التي اشتقت على التوالي من أسماء الله العزيز ، والمنان، أو أن يكون المراد منها أضفاء صفات الله على المخلوقين.[٩]. أو مشير إلى غيره من الأسماء كالدهرية ، وغيرهم من عبدة الأصنام.[١٠]

ومن النصوص الأخرى التي تدور في فلك هذا الموضوع والتي تبين أيضاً حال الناس عند بعثة النبي قوله(عليه السلام): (وَأَشْهَدُأَنَّمُحَمَّداًعَبْدُهُوَرَسُولُهُأَرْسَلَهُبِالدِّينِالْمَشْهُورِوَالْعَلَمِالْمَأْثُورِوَالْكِتَابِالْمَسْطُورِوَالنُّ

---

[٢] يس:٧٨.
[٣] ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٦٠/١.
[٤] الفرقان:٧.
[٥] ينظر:شرحنهجالبلاغة(ابنأبيالحديد):٦١/١.
[٦] المائدة:١٨.
[٧] التوبة:٣٠.
[٨] المائدة:٦٤.
[٩] ينظر :شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ١٥٠/١.
[١٠] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ١٤٤/١.

ورالسَّاطِعِوَالضِّيَاءِاللَّامِعِوَالْأَمْرِالصَّادِعِإِزَاحَةًلِلشُّبُهَاتِوَاحْتِجَاجاًبِالْبَيِّنَاتِوَتَحْذِيراًبِالْآيَاتِوَتَخْوِيفاًبِالْمَثُلَاتِوَالنَّاسُفِيفِتَنٍانْجَذَمَفِيهَاحَبْلُالدِّينِوَتَزَعْزَعَتْسَوَارِيالْيَقِينِوَاخْتَلَفَالنَّجْرُوَتَشَتَّتَالْأَمْرُوَضَاقَالْمَخْرَجُوَعَمِيَالْمَصْدَرُ)[١]

يصور الإمام (عليه السلام) بهذه العبارات القصيرة والبليغة أوضاع العصر الجاهليحال بعثة الرسول(صلىاللهوعليهوآله)، وكأن السامع يشهد عن قرب تلك الأوضاع ويرى نفسه في خضم ذلك العصر ليلمس الفوضى والبؤس والشقاء الذي كان عليه الناس، فقد أشار (عليه السلام) إلى الفتن التي كانت تعصف بالأمة آنذاك وسادت الفرقة بين الناس فغدوا حيارى وقد ضاق المخرج، وتقطعت حبائل الدين ووحدته وهو إشارة إلى انحراف الخلق عن سواء السبيل وعدم تمسكهم بأوامر الله سبحانه حال وقوع تلك الفتن، واستعار الإمام لفظ(الحبل) ههنا، وكذلك استعمال (السواري)، وهي جمع سارية أي العمود والدعامة لقواعد الدين وأركانه المأمور بتشييدها كالجهاد الذي هو أقوى مطالبة لذلك الوقت من الناس، ويكون المراد بتزعزعها عدم استقامتها واستقرار الناس عليها مجازاً.[٢] و(اخْتَلَفَالنَّجْرُ) أي اختلاف الأصل الذي كان يجمع الخلق والفطرة التي فطر الناس عليها ووردت الشريعة بلزومها، فإنها كانت متفقة بوجود الرسول(صلىاللهوعليهوآله)،فاختلف بعده بسلوك كل فرقة مذهباً غير الأخرى، والنجر هو الحسب أيضاً، والحسب هو الدين، فيحتمل أن يريد وأختلف الدين، وتشتت الأمر أي تفرق كلمة المسلمين، والخلق بعد تورطهم في فتن الشبهات الموجبة لتفرق كلمتهم فضاق مخرجهم منها وعمي عليهم طريق صدورهم منها، والعمى هنا استعارة حسنة إذ العمى حقيقة عبارة عن عدم ملكية البصر، ووجه المشابهة أن الأعمى كما لا يهتدي لمقاصده المعقولة لاختلال بصيرته وعدم غفله لوجوه رشده.[٣] وما هذا التقهقر في حال الأمة إلى سابق عهدها بعد ما سعى النبي(صلىاللهوعليهوآله)، إلى انتشالها منه (إلاَّ انتكاسة كبرى، بسبب الأفكار النمطية التي كان يروج لها أصحاب المصالح الضيقة، وما دخل على الإسلام من زيغ واعوجاج وشبهة وتأويل منحرف)[٤]

وبهذا يثبت الإمام (عليه السلام) إنَّ المجمل يفصل بنص منفصل عنه، ويؤدي وظيفة البيان والكشف عن المعنى الغامض في المجمل، وقد جاء التفصيل في النص هنا مفصلاً في أربعة مواضع من النهج وذلك للتعظيم، والتفخيم فعدم الاشتراك في نفس النص يجعل الأمر أكبر هيبة وأعظم مكانة وفي ذلك أيضاً إشارة إلى الأحداث والمواقف الرهيبة التي شهدها الرسول(صلىاللهوعليهوآلة)، حال بعثه وإلى حين هدايته الأمة من عصر الجاهلية والظلمة إلى عصر الهداية والنور.

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٥.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):١٦٦/١.
[٣]ينظر:م.ن:١٦٧/١.
[٤]الخطاب في نهج البلاغة ، العمري: ٥٢.

المبحث الأول: دلالة أسلوب الإجمال والتَّفصيل في (الجمع ، والتقسيم، والتفريق):-

يمكن أن نعد الإجمال والتفصيل من الفنون البلاغية المميزة التي تدل على قدرة الأديب على الإمساك بزمام النص، وقدرته على التحكم بفنون الكلام الأخرى،وهذا اللون البديعي ورد في كلام العرب القدماء، والقرآن الكريم وشعر العرب، وفي خطبهم لما يتركه من انطباع في نفسالمتلقي، ونجد أنّ حازم القرطاجني قد ذكره تحت عنوان (تفسير الإجمال والتفصيل)[١].

وهذا المظهر يجمع بداخله ثلاثة فنون بديعية وهي (الجمع ، والتقسيم، والتفريق)، ثم علاقة هذه المصطلحات بعضها لبعض أي الجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم، وثمة صلة بينها، هي أنّ كل أسلوب يتكون من طرفين يكون أحدهما مجملاً ، والآخر يشكل تفصيلاً لذلك المجمل.[٢]فضلاً عن كونها(أبنية متشابهة من حيث الخصائص البنائية إذ إنها تأخذ نمطاً أسلوبياً واحداً يعمد في الأصل إلى ذكر شيء في صورة إجمالية ثم يفصله إلى عناصر مختلفة، أو يعكس البنية فيعمد إلى ذكر عناصر التفصيل ثم ينتهي إلى الإجمال.[٣]ولعل من المناسب أن نعّرف بكل واحد من هذه المصطلحات: -

١- الجمع: هو(أن تدخل شيئين فصاعداً في نوع واحد)[٤]، وذلك :-

أ- إما في اثنين ، نحو قوله تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)[٥]، ونحو قوله تعالى: (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ)[٦].

بـ وإما في أكثر نحو قوله تعالى: (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ)[٧].

٢- التفريق: (أن تقصد إلى شيئين من نوع، فتوقع بينهما تبايناً)[٨]، نحو قوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)[٩].

---

(١)منهاج البلغاء وسراج الأدباء:٥٨.
(٢)ينظر: الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم(دراسة تحليلية)، فايز القرعان، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، الأردن، مج ١٢، ع:١، ١٩٩٤م: ٩- ١٠.
(٣)ينظر: م.ن:١٣.
(٤)مفتاح العلوم:٥٣٥.
(٥)الكهف:٤٦.
(٦)الأنفال:٢٨.
(٧)المائدة:٩٠.
(٨)مفتاح العلوم:٥٣٥.
(٩)فاطر:١٢.

٣ـ التقسيم: وهو(أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه، لا يخرج منها جنس من أجناسه)[١]، كقوله تعالى: (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)[٢]، وقد يطلق التقسيم على شيئين آخرين:

أولهما: أن تستوفي أقسام الشيء: نحو قوله تعالى: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى)[٣].

وكقولالشاعر:

فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق: قال ويحك ما ندري[٤]

فنجده قد عبر عن أثر صحة التقسيم في هذا البيت موضحاً ذلك الحسن فيه استيفاء الشاعر جمع المعاني وجودته في تقسيمها وعدم مغادرة قسمً منها.[٥]

والآخر: أن تذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل حال ما يليق بها كقوله تعالى: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ)[٦].

٤ـ الجمع مع التفريق: وهو(الجمع بين شيئين في حكم واحد ، ثم التفريق بينهما في ذلك الحكم)[٧]، كقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً)[٨].

٥ـ الجمع مع التقسيم: وهو(أن تجمع أموراً كثيرة تحت حكم ، ثم تقسم ، أو تقسّم ، ثم تجمع)[٩]، نحو قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى)[١٠]، وهذا من النوع الأول.

أما النوع الثاني(تقسّم ثم تجمع) جاء ذلك في قول الشاعر حسان بن ثابت[١١]:

ـ قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدوَّهُم أو حاولوا النفعَ في أشياعِهم نَفَعُوا

---

[١]كتاب الصناعتين:٣٠٨.
[٢]الحاقة:٣ـ٥.
[٣]طه:٦.
[٤]ديوان نصيب بن رباح:٥٧.
[٥]ينظر: نقد الشعر:١٣٩.
[٦]المائدة:٥٤.
[٧]علم البديع (عتيق):١٢٣.
[٨]الإسراء:١٢.
[٩]مفتاح العلوم:٢١٠.
[١٠]الزمر:٤٢.
[١١]ديوان حسان بن ثابت:٣٠٤.

ـ سجيةٌ تلك منهم غيرُ محدثةٍ   إن الخلائقَ فاعلم شرُّها البدعُ

وآخر هذه المصطلحات هو(الجمع مع التفريق والتقسيم): فهو(الجمع بين شيئين، أو أشياء في حكم واحد، ثم التفريق بينهما في ذلك الحكم، ثم التقسيم بين الشيئين، أو الأشياء المفرقة بأن يضاف إلى كل ما يلائمه ويناسبه) [1]، كما في قوله تعالى: (يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ)[2].

فالجمع في قوله: (يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ)، فإن قوله(نَفْسٌ) متعددة المعنى،ذلك أنّ النكرة عندما تكون في سياق النفي تعمّ، أما التفريق ففي قوله: (شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ)، وأما التقسيم في قوله: (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ ......، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ).

وتحفل نصوص نهج البلاغة بمثل هذه الفنون لما لها من أثر يسهم في تعميق المعنى وتوضيحه من جهة، ويعمل على تثبيته وتوكيده في ذهن المتلقي من جهة أخرى، وهذه المظاهر مجتمعة تأخذ شكلين في نصوص نهج البلاغة هما :

١ـ البنية الثنائية.

٢ـ البنية المتعددة.

وفي ضوء هذا التقسيم سوف ندرس هذه الفنون البديعية: ـ

١ـ البنية الثنائية:ـ

وهي أن يتعلّق بالإجمال عنصران متضمنان في التفصيل لا أكثر. كقوله (عليه السلام): **(النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلَانِ عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا قَدْ شغلته دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ يَخْشَى عَلَى مَنْ يَخْلُفُهُ الْفَقْرَ وَ يَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ وَ عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعاً وَ مَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَ اللَّهِ لَا يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ)** [3].

تتمثل بنية الإجمال في لفظة(عَامِلَانِ)، وإما بنية التفصيل فتتمثل في(عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ ......)، و(وَ عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا

---

[1] علم البديع (عتيق):١٢٤.
[2] هود:١٠٤ـ١٠٨.
[3] شرح نهج البلاغة(عبده):٤٨٥ـ٤٨٦.

فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ) ،فالعنصران منفردان على المستوى الشكلي، أما على المستوى البنائي فإنهما يتواصلان معاً بالتركيب إذ يشكل كل واحد منهما جزءاً من هذين العاملين إذ إنهما إما عامل يشتغل بتحصيل الدنيا خوف الفقر على ولده من بعده فيفني عمره في منفعة يتخيلها لغيره ، ولا يخش الفقر الأكبر في الآخرة من الخيرات الباقية على نفسه، وذلك ضلال مبين.وهذا العامل أشار إليه الإمام في معرض ذمه له.

وإما عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَافجاءه الذي له من الدنيا: أي المكتوب له في اللوح المحفوظ من رزق ونحوه بغير عمل، أي للدنيا ؛لأنّ العمل بقدر الضرورة من الدنيا ليس من العمل لها بل للآخرة وهو مقصود من الدنيا بالعَرَض، وبذلك يحرز حظّيه من الدنيا والآخرة،وأشار الإمام إلى هذا العامل في معرض مدحه له ؛ لأنه يكون في الدنيا ملكاً بقناعته وفي الآخرة بثمرة أعماله ووجاهته عند الله وعلوّ منزلته في استعداده بطاعته المستلزم لقبول دعوته وإجابتها فيما يسأل.(١)؛ لأنه من المتوكّلين على الله (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)(٢). والرسم الآتي يوضح الفكرة:

عاملان

إجمال

عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا يَخْشَى عَلَى مَنْ يَخْلُفُهُ الْفَقْرَ وَ يَأْمَنُهُ

عَلَى نَفْسِهِ فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غَ قَدْ شغلته دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ **حسن التعليل**

الناس فيالدنيا (تفصيل)

عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَافَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ

أحرز حظ الدنيا

---

(١)ينظر:شرح نهج البلاغة (البحراني):٤٦٦/٥.
(٢)الطلاق:٣.

النتيجة:

(في أمانه من الفقر، فحرم نفسه من المال وتركه بكامله للوارث ، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء)

أحرز الحظين معاً

(حظ الدنيا والآخرة ، وملك الدارين جميعاً فيمده الله بتوفيقه وعنايته ؛لأنه متوكل على الله في رزقه ولا يخاف الفقر لأن الله بيده مفاتيح خزائن السموات والأرض وهو على كل شيء قدير)

وقوله (عليه السلام): (كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَ قَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمُ الْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَ أَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالِاسْتِغْفَارُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)[١] .

فالإجمال في (كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ)، وتختص لفظة(أَمَانَانِ) بذلك ليكون محوراً يشع بالطمأنينة والسكينة مما أسبغ على ذلك المبتدأ معاني العظمة والجلال ، وقد مهّد الإمام للتفصيل بقوله (وَ قَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمُ الْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ)، متمثلاً الأول بوجود رسول الله(صلى الله وعليه وآله وسلم) بين أهل مكة فهو ما دام فيهم لا يعذبهم الله إكراماً وتعظيماً لشأنه ومقامه،ثم قوله(فَدُونَكُمُ الْآخَرَ) فهو سبحانه لا يعذبهم أيضاً من بعد رسول الله(صلى الله وعليه وآله وسلم) شرط أن يؤمنوا برسالته ويتمسكوا بالإسلام قولاً وفعلاً، ويدافعوا عنه بكل ما يستطيعون.[٢]

وقد بيّن الإمام تفصيل المجمل في قوله(أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ)،والتفصيّل جاء عبر جملتين شرطيّتين جاءت بعد(أَمَّا)التفصيّلية المبتدأ (أَمَانَانِ) وما بعد الفاء خبره، وجاء الخبر بصيغة جملة اسمية(هُوَ رَسُولُ اللَّهِ)، والثانية معطوفة على الأولى المبتدأ فيها هو(الأمان)، والخبر (الِاسْتِغْفَارُ) ،ومما يزيد من دلالة التأكيد على الأمانين ، وإن معنى كلام الإمام (عليه السلام) نجده متضمناً قوله تعالى: (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)[٣]،إذن العنصران :الرسول (صلى الله وعليه وآله وسلم) ، والاستغفار هما منفردان على المستوى الشكلي ومتواصلان بالتركيب ؛ لأنهما يمثلان نواحي هذين الأمانين المتقابلين.

وبذلك يحقق الإجمال والتفصيل وظيفتين:(جمالية) تتمثل في تشويق المتلقي لاستيضاح الخبر المبهم وهذا ما يقوله الخطيب القزويني في بيانه القيمة الفنية للإيضاح بعد الإبهام، مفسراً لها في ضوء ما يمكن أن نسميه،(سيكولوجية التلقي)[١]. (إن الشيء إذا حصلكمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول، فيحصل

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):٤٥٤.
[٢]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٢٦٧/٤.
[٣]الأنفال: ٣٣.
[١]علم المعاني (حسن طبل):١٢٠.

لها بسبب المعلوم لذة، وبسبب حرمانها عن الباقي ألم، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى ، فاللذة عقب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم)[٢].

أما الوظيفة الثانية فهيوظيفة(دلالية) من ناحية ترسيخ وتوكيد الأمر المبهم لدى المتلقي.

(جمع)

أمانان

(تقسيم) رسولالله(صلى الله وعليه وآلهوسلم) — الإِسْتِغْفَار (تقسيم)

ويناظر ذلك قوله(عليه السلام) في الهوى وطول الأمل: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَ طُولُ الْأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَ أَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ)[٣].

وبهذا يكمن الإجمال عبرقول الإمام(اثْنَانِ)، وفصلهما عبر قوله:(الْهَوَى وَ طُولُ الْأَمَلِ في الدنيا)، فإنهما من أشد أسباب الهلاك، فالابتعادعنهما من أشد أسباب النجاة ، كما جاء في قوله عزَّ وجل(فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)[٤]، موضحاً الإمام (عليه السلام) وعبر(أما التفصيلية) سبب الخوف من (الهوى)و(طول الأمل في الدنيا) عبر تفريقه بينهما(فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عن الْحَقِّ)؛لأن الهوى حجاب عن العقل يحول دون إدراك الحقائق ومشاهدتها في حين يزين له هذا الهوى الباطل ليبديه له أنصع من الحق،في حين يشوه له الحق ويظهره كأبشع صورة للباطل ، وبهذا يكون إتباع النفس الأمارة بالسوء في ميولها الطبيعية والانهماك في ملذاتها الفانية أشد مهلك جاذب للإنسان عن قصد الحق، وصاد له عن سلوك سبيله وعن الترقي في ملكوت السماوات إلى حضيض جهنم.

و(أَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ)، أي يستقطب جميع طاقات الإنسان وقواه حتى ينسيه الآخرة، ولما كانت قوى الإنسان محدودة فإنه يستهلكها في الآمال الكاذبة اللامتناهية فلا يبقى لنفسه من قوة يدخرها للآخرة، ولاسيما أنَّ الآمال لاتعرف للنهاية من معنى، وتقتضي طبيعتها أن يتجه الإنسان إلى الأخرى فور ظفره بالأولى حتى يجند نفسه للدوام بغية الظفر بها جميعاً، بل إنّ تحقيقه الأمل ربما يدفعه لآخر ؛ لأن الآمال عادة مترابطة بعضها مع بعض، وعلى هذا الضوء فسوف لن يبقى لديه من وقت كما لا تبقى له من قوة، وبالتالي سوف لن يمتلك الدفاع نحو الآخرة، وبالطبع فأنه لن يفيق من غفلته حتى يصفعه الموت وقد ولى العمر وتصرمّت أيامه وفرصه فلم يظفر بآماله ولم يدرك آخرته.[١]

---

[٢]الإيضاح:١١٢.

[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):٧٢.

[٤]النازعات:٣٧-٤١.

[١]ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي):٢٩٦/٢.

وجاء الخطاب هنا في بشكل مباشر وعبر أسلوب (النداء)(أَيُّهَا النَّاسُ) ليشد انتباه المتلقي ويهيئه ذهنياً لما سيقوله من كلام وبذلك التفصيل يكون الإمام (عليه السلام) قد أزال الغموض في الإجمال المتكون من لفظة(اثنان) وهما(الْهَوَى) وَ (طُولُ الْأَمَلِ)، والرسم الآتي يوضح فكرة الإجمال والتفصيل:-

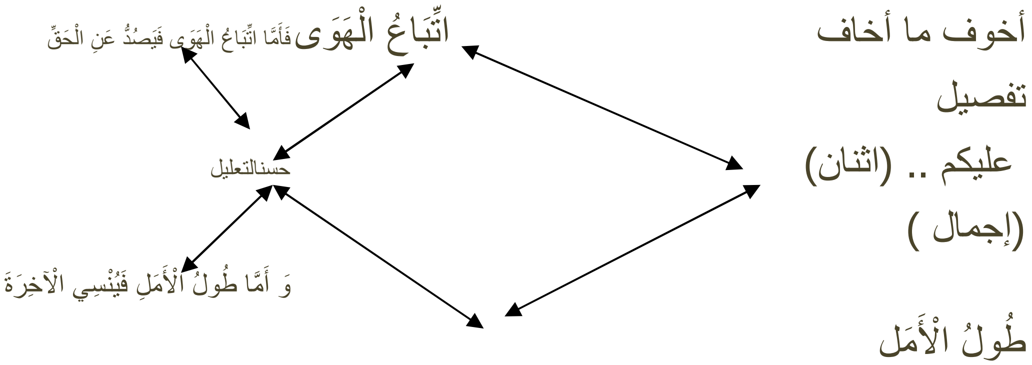

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (جَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَ انْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ وَ خَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النُّزَّالُ وَ لَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ وَ لَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ وَ لَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ وَ لَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ وَ لَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ وَ أَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ وَ غَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ وَ قَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ وَ أَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ وَ مُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ وَ بَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَ لَجَبٌ وَ لَهَبٌ سَاطِعٌ وَ قَصِيفٌ هَائِلٌ لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَ لَا يُفَادَى أَسِيرُهَا وَ لَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى وَ لَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى)[٢].

وعندما يكون الحديث عن صفة الفريقين وما أعدّ لكل منهم بعد الموت، نجد أنّ (التقسيم) يتسع إلى مساحة كبيرة في النص ليكون الحديث عن ثواب المحسنين وعقاب المسيئين (يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)[٣]، وبالتالي يلفت انتباه المتلقي لمتابعة النص ومعرفة ما سيلحق بكل فريق، وسنتابع نحن القراء في معرفة ما سيلحق بكل فريق، إذ أجمل الإمام (عليه السلام) في قوله(فَرِيقَيْنِ)، فرّق بينهم عبر طرفيها المتقابلين في قوله(أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ)و (انْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ)، ثم يقسم ويواصل لنا ما أعده الله لثواب أهل طاعته، وعقاب أهل معصيته، عبر قوله: (فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ وَ خَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ.........)،(وَ أَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ وَ غَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَىالْأَعْنَاقِ......)فالتفصيلجسد صورة مفارقة في ذهن المتلقي فبعد أن استوفى الكلام عن (فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ وَ خَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ.........)،في ذلك اليوم المهول ، ورد حال أهل المعصية في ذلك اليوم المهول ، فتنسيق الجمل منسجم مع الغرض الدلالي مما أضفى تماسكاً على النص، فجعل ذهن المتلقي يقظاً لمتابعة الكلام في تناسب ومقتضى للحالة

---

[٢] شرح نهج البلاغة (عبده):١٦٢.
[٣] الشورى:٧.

النفسية للمتلقي، فالإجمال في (فَرِيقَيْنِ) هيأ هذه الحالة للمتلقي علّه يتوصل إلى معانٍ ودلالات أعمق .

ومن ملاحظة التفصيل في العنصر الأول من الإجمال (أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ) يبدو الغرض الديني في سرد هذه الأخبار متوائماً مع الإيقاع السريع ، ليرسم لنا مشهد النعيم والفوز، هذه المقاطع عززت التواصل في المعنى العام ودلالة التركيب ليعده لمقابلة العنصر الثاني بأجزائه التي تتابعت فيها الأخبار المتمثلة بالترهيب ، ولبيان انسجام أجزاء العنصر الأول من الإجمال المتمثل (بالترغيب) نتتبع جزيئاته في قوله(فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ)و(خَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ)، فثواب أهل طاعته جوار بارئهم وملاحظة الكمال المطلق لهم، وخلودهم في داره، أي بقاؤهم في تلك النعمة غبر جائز عليهم الفناء كما تطابق عليه الشرع والبرهان، (حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النُّزَّالُ)وَ (لَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ)، كونهم غير ظاعنين ، ولا متغيري الأحوال، (لَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ) وَ (لَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ)وَ (لَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ) وَ (لَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ)،فهم غير فزعين لا ينالهم سقم ولا خطر، ولا يشخصهم سفر ، ولماذا السفر؟ وإتعابه وهم فيما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين.

هذه المقاطع عززت التواصل في المعنى العام، لتقابل دلالة العنصر الثاني(وَ أَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ وَ غَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ.........)ليتأكد مرة أخرى تواصل النصوتماسكه عن طريق تلاحم أجزاء العنصر الثاني من الإجمال ، إذ إنَّ عنصري الإجمال بأجزائهما قائمان على علاقة التضاد فيما بينهما.[1]، كما هو موضح في المخطط الآتي:

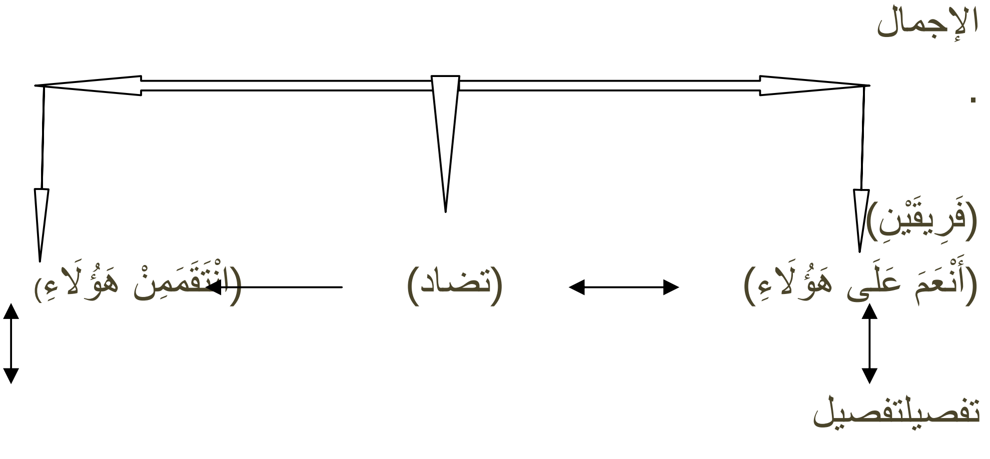

[1] ينظر: الكشاف:١١٩٦-١١٩٩.، والجامع لأحكام القرآن: ١٠/٢٢-٢٧.

(لَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ)

(لَاتَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ)

(لَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ) (لَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ)

وَ أَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ

(فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ)

(وَ لَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى)

(وَ غَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ)

(وَ قَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ)

(وَ أَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ)

(فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَ لَجَبٌ وَ لَهَبٌ سَاطِعٌ)

(لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى) (لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا)

(لَا يُفَادَى أَسِيرُهَا)

(لَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا)

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): (الْمَنِيَّةُ وَ لَا الدَّنِيَّةُ وَ التَّقَلُّلُ وَ لَا التَّوَسُّلُ وَ مَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِداً لَمْ يُعْطَ قَائِماً وَ الدَّهْرُ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ وَ يَوْمٌ عَلَيْكَ فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطَرْ وَ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ)[١].

يتمثل الإجمال في هذا الموضع(وَ الدَّهْرُ يَوْمَانِ)، أما التفصيل فيتمثل بتفريقه(يَوْمٌ لَكَ) وَ (يَوْمٌ عَلَيْكَ) ، وهما عنصران منفردان على المستوى الشكلي، ويشكلان في الوقت نفسه جزأي (اليومان) ، فمن سياق بنية الإجمال والتفصيل ، ومن طريق عرض طرفي الطباق بين(لك)و(عليك) تتأتى فائدة الوعظ عند المتلقي لما يؤديه هذا

---

[١]شرح نهج البلاغة (عبده):٥٠٥.

الأسلوب البديعي من إثارة وإحالة كل جزء من أجزاء الخطاب وتفصيله إذ يحتضن الإجمال في (يومان)هذين الجزأين(لك، وعليك) وعبر تقسيمه وتواصله في بيانهما وعبر الشرط المتمثل بالحرف (إذا) في قوله(فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطَرْ)،و(إِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ)،أي إذا كان الوقت لك فلا تقطعن زمانك بالحيرة والدهش نشكر الله ومكافأة النعمة بالطاعة والعبادة، وإذا كان (عليك)أي زمان ضيق وبلاء فيجب عليك الصبر للاستعداد به لقبول رحمة الله تعالى.

وبهذا يظهر الإجمال والتفصيل وعبر مظاهره (الجمع ، والتقسيم)، على إيجاد علاقات بين أجزاء الكلام على وفق قواعد منطقية تبعث التشويق للمتلقي وتشحذ ذهنه لملاحقة أجزاء الكلام وإعادة تركيبها لتأويل الدلالة المتضمنة فيها ، والمخطط الآتي يوضح مظهر(الجمع والتفريق والتقسيم) في تلك الحكمة .

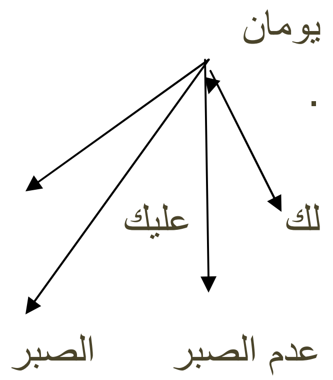

وقد ورد فن التفريق في قوله (عليه السلام): (أَيُّهَا الْقَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَ أَنْتُمْ تَعْصُونَهُ وَ صَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللَّهَ وَ هُمْ يُطِيعُونَهُ لَوَدِدْتُ وَ اللَّهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةَ مِنْكُمْ وَ أَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ)[٢].

شدد الإمام(عليه السلام)في هذا المقطع من الخطبة من تقريعه وصب جام غضبه على أولئك القوم على أمل انبثاق حركة في خضم سكونهم المدهش وإرادتهم الخاوية ليهبوا قبل بروز الخطر.

وجاء التفريق الأول في وصف أصحابه(عليه السلام) بين(الجسد) و(العقل)، وجاء ذلك عبر النداء والتنبيه بذكر عيوبهم ، إذ وصفهم بشهادة الأبدان مع غيبة العقول ثم باختلاف الأهواء، ثم بكونهم ممن ابتلى بهم أمراؤهم.

---

(٢)م.ن: ١٤٤.

أما التفريق الآخر فهو بين(الإمام) القائد، وأصحابه، إذ نبههم على رذيلتهم من مخالفة أمره مع كونه مطبعاً لله وما عليه خصومهم من فضيلة طاعة إمامهم مع كونه عاصياً لله، وجعل ذلك مقايسة بينهم ليظهر الفرق فتدركهم الغيرة.

ثم أردف الإمام قوله بتحقيرهم وتفضيل عدوهم عليهم في البأس والنجدة واستقامة الحال، وأقسم أنه ليود أن يصارفه معاوية بهم صرف الدينار بالدرهم، وتفيد عبارة الإمام هنا مدى انضباط أهل الشام إذ وقفوا بكل صلابة خلف معاوية رغم خداعه لهم، بينما لم يكن هناك أدنى انضباط لأهل العراق فلم يكن قيمة عشرة منهم تعدل قيمة واحد من أهل الشام.

وبهذا تكون فكرة النص مبنية على (التفريق) فالمتلقي تأخذه الدهشة والعجب من هذه الظاهرة ليعرف أسبابها فمن أطاع الله أحق بأن يطاع، ومن عصاه لا بدّ من معصيته والوقوف بوجهه، بينما انعكست القضية هنا، فقد عومل مطيع الله بالجفاء، وعاصيه بالحب والاحترام!.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ وَ غَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ)[1]

فرق الإمام في صفة معينة وهي صفة(الغَيْرَةُ) ، وهي في معناها العام من الصفات المحمودة، لكنه (عليه السلام) أعطى مظهر الإجمال والتفصيل فيه ليبلور حقيقتين مهمتين وهما :

أولاً: إنَّ غيرة الرجل تستلزم سخطه لسخط الله من اشتراك رجلين في امرأة، وسخط ما سخط الله موافق لرضاه ومؤيد لنهيه وذلك إيمان.

ثانياً: فلأن المرأة بغيرتها تقوم بتحريم ما أحلّ الله وهو اشتراك امرأتين فما زاد في رجل واحد وتقابله بالرد والإنكار، وتحريم ما أحلَّ الله وسخطه ما رضيه ردّ عليه وهو لا محالة كفر.[1]

وبهذا تحرم (الغيرة) في المرأة ؛لأنه كفر وليس فيه أي شيء من الحقوق، وقد قدمت المرأة على الرجل إما للردع، أو لأن غيرتها أكثر من الرجل، أو لاستفزاز ثوابت العرف الاجتماعي عند المتلقي.وبهذا تعمل العلاقة الدلالية(الإجمال والتفصيل) على توضيح ما غمض من المعاني، وتتأكد وظيفتها من خلال تلاحم

---

[1]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٦١.
[1]ينظر:شرح نهج البلاغة (البحراني):٤٢٩/٤.

العناصر المتباعدة للنص، وضمان استمرار دلالة معينة في الأجزاء اللاحقة منه[٢].والمخطط أدناه يوضح ذلك.

غيرة

(جمع)

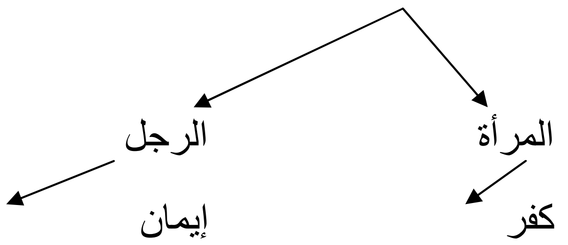

(تفريق)(تفريق)

وقوله أيضاً (عليه السلام): (الصَّبْرُ صَبْرَانِ صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ وَ صَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ)[١].

فرق الإمام هنا في صفة (الصبر) وأوقع تبايناً في نسبة الصبرين، والنوع الأول أشق من النوع الثاني؛لأن الأول صبر على مضرة نازلة، والآخر صبر على محبوب متَّوقع لم يحصل.[٢] .

ومن أمثلة الصبر الأول:جائع لا يجد إلى القوت سبيلاً، ومريض لا يملك ثمن الدواء ، وسجين لا عم له ولا خال.

---

[٢]ينظر: لسانيات النص: ١٤٤- ١٤٥.

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٥١.

[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):١٩٧/٥.

ومن أمثلة الصبر الثاني: فلاّح زرع واجتهد أملاً بالحصاد، ولما استوي الزرع على سوقه أتت عليه آفة فأصبح هشيماً تذروه الرياح، والصبر ممدوح وحسن إذا كانت وسيلة لغاية نبيلة كالجهاد المقدس، وفي طلب العلم وقوت العيال، أما الصبر على الفقر مع القدرة على العمل، والصبر على الاضطهاد بلا مقاومة فهو مذموم وقبيح شرعاً وعقلاً.[٣]

وفي هذا الإجمال إثارة للنفس لتتحفز لسماعه، وتنشط لما يلقى عليها بعد ذلك من بيان وتفصيل.

وفي بني أُمية قال (عليه السلام): (وَ اللَّهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلَّهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ وَ لَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ وَ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَ لَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَ نَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ وَ حَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ وَ بَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ وَ حَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ وَ إِذَا غَابَ اغْتَابَهُ)[٤].

جاء الإجمال متمثلاً (بالجمع مع التفريق) في قوله(يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ : بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ وَ بَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ)لتكون محوراً لدلالة الشمول في الظلم، وهذا الشمول سبق بقول يدل علي الخراب: (حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَ لَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ)، وبيوت المدر: هي البيوت المبنية في القرى، وبيوت الوبر: ما يتخذ في البادية من وبر الإبل والوبر لها كالصوف للضأن، وكالشعر للمعز.[٥]ويبين التخطيط الآتي الإجمال المتمثل (بالجمع مع التفريق).

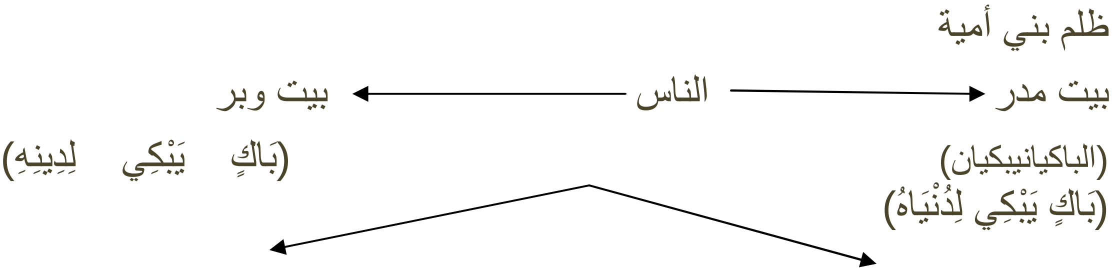

وبهذا عمل أسلوب الإجمال (الجمع مع التفريق) على استثارة ذهن السامع بشأن شمولية فجائع بني أُمية إذ لم تال هذه الحكومة المستبدة جهداًفي مقارفة كافة أنواع الظلم والجور، كما سفكت بحاراً من الدماء من أجل ترسيخ دعائم سلطتها الغاشمة

[٣]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٢٥٠/٤.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٤٥-١٤٦.
[٥]ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٣٤١/٢.

فلم يبقى بيت مدر، ولا بيت وبر إلاّ دخله ظلمهم مما يدلك على شمول الظلم وممارستهم أقصى درجات العنف والبطش.

وجاء التفريق ليبدد إبهام هذا الاستعمال في (الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ)،(بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ) من الأخطار التي تهددهم هذه الطغمة سليلة الجاهلية، و(بَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ)، بينما يبكي أصحاب الدنيا على دنياهم فالظلمة قد ساموا الناس الظلم في دينهم ودنياهم.

وهذا الأسلوب(الجمع مع التفريق) نراه يولد أثراً في المتلقي ؛لأنه يستفزه ويجعله متشوقاًلمعرفة المزيد فيُزال بذلك الإشكال والغموض في فهم العبارات، ونرى المتكلم يتابع الكلام بكل لهفة، وبالتالي يحقق التوكيد والثبات في المعنى والطمأنينة في نفس المتلقي لمعرفة عموم وشمول ظلم بني أمية في استعبادهم الناس ، ولايتها كانت من نوع العبودية، التي تسودها علاقة الحب والرأفة بين العابد والمعبود ، بل العبودية التي تختزن كل معاني الظلم والتحقير، وكأنهم قيدوا أعناق الناس وسحبوهم بالاتجاه الذي يريدون وحتى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده، إذ المشبه به(كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ) غامض يحتاج إلى إيضاح وتفريق ، فكيف تكون نصرة العبد؟ ، فيأتي التفريق بحسب الموقف(إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ وَ إِذَا غَابَ عصاه)، وبذلك ينفتح الغموض أمام السامع بذكر الأضداد المعروفة من الخبرة الحياتية، ولا سيما عند الأذكياء إذ تستحضر من الذاكرة لتكون قالباً للجواب.

٢ـ البنية المتعددة:ـ

وهي البنية التي(تتحرك من خلال إيراد ثلاثة عناصر أو أكثر في التفصيل)[١].

ومنها قوله (عليه السلام): (ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَ عَنَاءٍ وَ غِيَرٍ وَ عِبَرٍ فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ وَ لَا تُؤْسَى جِرَاحُهُ يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ وَ الصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ وَ النَّاجِيَ بِالْعَطَبِ آكِلٌ لَا يَشْبَعُ وَ شَارِبٌ لَا يَنْقَعُ وَ مِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ وَ يَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا مَالًا حَمَلَ وَ لَا بِنَاءً نَقَلَ وَ مِنْ غِيَرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً وَ الْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً

[١] الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم:١٦.

لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ وَ بُؤْساً نَزَلَ وَ مِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ فَلَا أَمَلٌ يُدْرَكُ وَ لَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ)[٢].

لما كان الانغماس في الدنيا والتكالب عليها وفقدان النفس لتوازنها إزاء زخارف عالم المادة من أهم العوامل لعدم التقوى، فقد ورد الحديث هنا في هذا النص عن تفاهة الدنيا وتقلب أحوالها ، وما تنطوي عليه من شدائد ونوازل بهدف اجتثاث جذور الخلل وعدم استشعار الورع والتقوى.

وعبر عرض الإمام أربعة أنواع من تقلبات الدنيا من طريق (الإجمال والتفصيل) ومن جهة البنية المتعددة فالإجمال في قوله : (الدُّنْيَا دَارُ)، والتفصيل في تعدد أنواعه(فَنَاءٍ ،وَ عَنَاءٍ ،وَ غِيَرٍ ،وَ عِبَرٍ)، وأحلى ما في هذا التفصيل هو (الجناس) بنوعيه(اللاحق)[٣] في (فَنَاءٍ ،وَ عَنَاءٍ)، و(المصحف)[٤]، في (غِيَرٍ ،وَ عِبَرٍ)، ثم نلاحظ مظهر التقسيم ليلفت انتباه المتلقي إلى ضرورة ما يقوله الإمام(عليه السلام) وأهميته إذ بيانه لكل نوع من أنواع الدنيا في تقلب أحوالها يقود التفكير إلى ضرورة التعرف على الصورة الحقيقية للدنيا إذ خاض الإمام في شروحها وتفصيلها الواحدة تلو الأخرى :

١ـ فمن الفناء: أنّ الدهر موتر قوسه، لا تخطئ سهامه، ولا تؤس جراحه، يرمي الحي بالموت، والصحيح بالسقم والناجي بالعطب، آكل لا يشبع ، وشارب لا ينقع.

استعار الإمام لفظ(الايتار) لإيتار الدهر ورشح بذكر القوس، ووجه الاستعارة أن الدهر يرمي بمصائبه المستندة إلى القضاء الإلهي الذي لا يتغيّر ، كما يرمي الرامي الذي لا يخطئ ، وكذلك استعار لفظ (الجراح) لنوائب الدهر لاشتراكهما في الإيلام، ورشح بذكر عدم المداواة، وكذلك استعار له لفظ (الآكل والشارب) ، عديمي الشبع والريّ، ووجه المشابهة كونه يأتي على الخلق فيعنيهم كما يأتي الآكل والشارب المذكوران.[٥]

وجاءت الأفعال على صيغة المضارع في (تخطئ، تؤس، ويرمي، يشبع، ينقع)، لينم عن حركته في المداومة واستمرارية الحدث.

وهذه الصور البارزة في الاستمرارية تدفع المتلقي نحو اليقظة والتنبه على أحاييل الدهر وتجنب عثراته .

٢ـ ومن العناء: الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ وَ يَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا مَالًا حَمَلَ وَ لَا بِنَاءً نَقَلَ، نعم كثيرون هم الأفراد الذين يدخرون أموالاً طائلة، إلاّ أنهم لا يستفيدون إلاّ من جزء يسير منها ، وما أكثر أولئك الذين يبنون لأنفسهم أعظم القصور والدور فلا يقيمون فيها إلاّ مدة قليلة، بل قد لا يسكنونها حتى

---

[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٧٠.
[٣]الجناس اللاحق: هو ما كان الحرفان فيه متباعدين في المخرج سواء أكانا في أول اللفظ: ينظرعلم البديع(عتيق): ١٦٠.
[٤]الجناس المصحف: وهو ما أتفق فيه ركنا الجناس ، أي لفظاه في عدد الحروف وترتيبها واختلفا في النقط فقط: ينظر:م.ن: ١٦٣.
[٥]ينظر:شرح نهج البلاغة(البحراني): ٥٤٥/٣.

ليوم واحد، فهم يتركونها في خاتمة المطاف ولا يحملون من مال الدنيا سوى الكفن بل ربما لم يحملوا ذلك الكفن فتكون ثيابهم أكفانهم وبيوتهم قبورهم.(١)

٣ـ وَ مِنْ غِيَرِهَا:ـ أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً وَ الْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ وَ بُؤْساً نَزَلَ، قد يتمنى المرء منزلة غيره في ماله وجاهه، ولو أطلع على شيء من عاقبته ومصيره لتألم من أجله، وقال : الحمد لله الذي عافانا من هذا(وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)(٢)، و(الْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً) قد ترى مسكيناً فترق له، وله عند الله المقام المحمود، (لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ وَ بُؤْساً نَزَلَ)، ذلك إشارة إلى البؤس والنعيم، والمعنى أن البؤس يحدث كمحك لجواهر الرجال وصمودهم عند الشدائد، والنعيم ينتقل من يد إلى يد.(٣)

٤ـ وَ مِنْ عِبَرِهَا : أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ فَلَا أَمَلٌ يُدْرَكُ وَ لَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ.

كل إنسان يحلم ويرغب في الخروج من واقعه إلى الأفضل، فالفقير يحلم بالغنى ، والغني بالزيادة، وقد يبذل المرء أقصى الجهد لنيل المرغوب حتى إذا أوشك عليه، واطمأن إليه اغتالته المنية أو غيرها من النوائب، وقديماً قيل : إذا تم شيء بدأ نقصه.(٤)

يتوخى الإمام عبر الأسلوب البلاغي الرائع والمتمثل بـ(الإجمال والتفصيل) في (الجمع ،والتقسيم) ربطه وجوه أجزاء الكلام فكان يضع الجملة موضعها من النفس ، وهذا ما أكده عبد القاهر الجرجاني وعبر تعبيره عن هذا الأسلوب: (وأعلم أن ما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت، أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثانٍ منها أول، وإن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني، يضع بيمينه ههنا حال ما يضع بيساره هناك نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين، وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف، حد يحصره وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة)(٥)بإرشاد لاتخاذ الوسيلة المناسبة الحسنة لنيل العاقبة الحسنة من هذه الدنيا، فهو لا يريدهم أن يسعوا وراء مباهج الحياة الزائلة وإن لا ينخدعوا بملذاتها الفانية، فكانت مواعظ الإمام (عليه السلام) بشأن الدنيا مثالاً فريداً لهذا النوع من الأدب، فهي نتاج مكثف لقوى الإنسان العقلية والروحية خلال احتكاكها المباشر بقضاياه الجوهرية، واحتياجاته الأساس، وليست هذه المواعظ من إنشاء وجدان معزول في فراغ من التصورات والنظريات، وإنما وليدة شخصية إنسانية أثرت في محيطها وأسهمت

---

(١)ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي):٦٤/٥ـ ٦٥.
(٢)القصص:٨٢.
(٣)ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١٨٨/٢.
(٤)ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١٨٩/٢.
(٥)دلائل الإعجاز: ٦٩ـ ٧٠.

إسهاماً كبيراً في أحداثهومجريات أمورهالمصيرية، تكابد شرور دنياها، وتصارع بلا هوادة في سبيل خلاصها وخلاص البشرية جمعاء.[١]

ونظير ذلك قوله (عليه السلام) في الظلم: (أَلاوَ إِنَّ الظُّلْمَ ثَلاثَةٌ فَظُلْمٌ لا يُغْفَرُ وَ ظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ وَ ظُلْمٌ مَغْفُورٌ لا يُطْلَبُ فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ أَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ وَ أَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً)[٢].

عرض الإمام ثلاثة أقسام للظلم من طريق الإجمال والتفصيل ومن جهة البنية المتعددة، وقد جاء الإمام بالإجمال في قوله(إِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ)، ثم أتى الإمام بالتفصيل بقوله(فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، وَ ظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وَ ظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ) وجاء التقسيم ليأخذ مساحة من النص عبر تفصيله لكل ظالم ب (أَمَّا) التفصيلية ، فبدأ الإمام بالظلم الأكبر الذي لا يغفر ، وهو ظلم النفس بالشرك بالله وبرهانه عبر التناصب(آية) من الذكر الحكيم للدلالة على أهمية هذه المسألة، وتأكيده في أنه أكبر الظلم، وقوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ)[٣]، وبهذا صدر الحكم القطعي بهذا الظلم.

وَ الظُّلْم الذي لَا يُتْرَكُ: وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً، وجزاء الظالم عند الله غداً عذاب الحريق، وليس من شك أنه آلم وأوجع من ضرب السياط والسيوف.

وَ ظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ: وهو ظلم العبد نفسه عند ارتكابه صغائر الزلات، وهي التي لا تكسب النفس هيئة رديئة باقية بل حالة يسرع زوالها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ)[٤]،أي في حال كونهم ظالمين.

وبهذا التفصيل أكسب السامع معرفة تامة للمجمل في قوله(أَلَا وَ إِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ)، الذي أجمله وأبهمه للسامع لغرض تعظيم وتفخيم شأنه ، وليرتدع السامع من إتيانه والخشية منه بعد معرفته. وهذا لمخطط يوضح المجمل في قوله(أَلَا وَ إِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ)، ثم تفصيله عبر (الجمع والتقسيم):

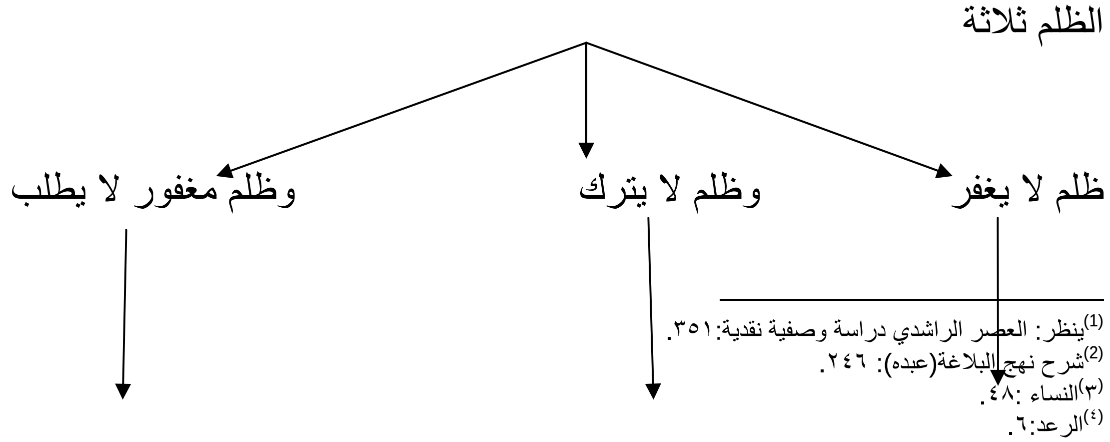

---
[١]ينظر: العصر الراشدي دراسة وصفية نقدية:٣٥١.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٤٦.
[٣]النساء :٤٨.
[٤]الرعد:٦.

تقسيم(فَالشِّرْكُ بِاللَّهِ)(ظلم العباد بعضهم بعضاً)(فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ)

ويناظر ذلك في كتاب له (عليه السلام) لشريح بن الحارث قاضيه:(أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ (هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ وَ خِطَّةِ الْهَالِكِينَ وَ تَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ الْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْآفَاتِ وَ الْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ وَ الْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي وَ الْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي وَ فِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ).[١]

الكلام هنا عن شريح قاضي أمير المؤمنين (عليه السلام) اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً، فبلغه ذلك فاستدعاه، وكان الإمام شديداً على عماله وقضاته ، وعلى كل من يأتمنه على عمل، وكانت مواعظه اللافحة تلهب قلوبهم وأرواحهم خشية الخيانة أو التقصير. ومضمون الرسالة أنّ الإمام (عليه السلام) بعد أن يوبخ شريح على شرائه لهذه الدار، يكتب له سنداً ووثيقة لها ولكن هذا السند ليس كالسندات المتداولة للدور والعقارات، بل سند زاخر بالعبر والدروس ويتضمن تغيرّ الدنيا وعدم الوثوق بها ، ويشير إلى غفلة الناس عن ذلك واغترارهم بزخارفها وأنهم بعيدون عن تلكالحقيقة ، فالإمام (عليه السلام) في هذه الرسالة يريد أن يقول أن الشخص إذا تولى منصب القضاة بمافيه من ولاية على نفوس وأموال وأعراض الناس، فلا بد أن يعيش بعيداً عن زخارف الدنيا والتكالب على مطامعها، ويكون قدوة للناس في هذا المجال.[٢]

فالبنية المتعددة في هذا المستوى تتشكل من عناصر متعددة ترتبط بمفردات وتراكيب مختلفة، وجاء الإجمال في هذا النص عبر قوله(حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ)،وهو كلام مجمل تضمن أربعة أنواع من الحدود، وقد جعله يدل على مفارقة مجملة يستحضرها المتلقي لاختلافهذه الحدود من حيث صفاتها ووجه التنبيه والتوكيد لهاثم يأتي التفصيل لبيان تلك الحدود:ـ

جعل الحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات التي تصيب الإنسان من بلايا ومن السيل والأمراض والحر وبالتي تفرض على الإنسان نفسها.

وجعل الحد الثانيينتهي إلى دواعي المصيبات التي يبتلى بها الإنسان في داخله من مثل فقدان بعض أعضاء البدن أو موت الأعزة والأقرباء وأمثال ذلك من مصائب الدنيا.

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده: ٣٤٤ـ٣٤٥.

[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ٩/٢٩ـ٣٠.

وجعل الحد الثالث ما ينتهي إليه من الهوى المردي، إذ كان اقتناء الدار وكمالاتها في الدنيا وخوف فواتها والمصيبة بما فيها مرة بعد أخرى يوجب محبة النفس لها، والألفة التامة بها ، وذلك هو الهوى المردي في قرار لنار المهلك فيها.

وجعل الحد الرابع ما ينتهي إلى الشيطان المغرّي؛ لأنه الحد الأبعد الذي ينتهي إليه الهوى المردي، وكونه مغوياً يعود إلى جذبه للنفس عن سبيل الله الواضح، وكونه مشرع باب هذه الدارلكونه مبدأ بإغوائه للدخول في الدواعي الباحثة على شرائه، واقتناء ما يلزمها، فالشيطان كالحد وما صدر عنه وانفتح سببه من الدخول في شأن الدار وشرائها.[١]

وبهذا يجسد الإمام (عليه السلام) بهذه المفصّلات للحدود الأربعة والتي لكل واحدة منها مزّية معينة تدعو إلى التنفير من الدنيا والتحذير من أن هذه العوامل تحيط بالإنسان من كل الجهات، فعلى الإنسان تهذيب نفسه بالسيطرة على أهوائها ، ونوازعها المردية، وكبح جماح شهواتها بالتصدي لوساوس الشيطان عبر العاملين(الثالث، والرابع) أي (الهوى المردي، والشيطان المغري) أما العاملان الأول والثاني وهما(الآفات والمصيبات) التي تصيب جميع الناس بلا استثناء فغير قابلة للاجتناب ، ولذلك يقول الإمام (عليه السلام) في مورد آخر عن الدنيا(دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وَ بِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ) ، وهنا أنموذج لتخطيط الإجمال وعبر المصطلحين (الجمع والتقسيم).

(إجمال)

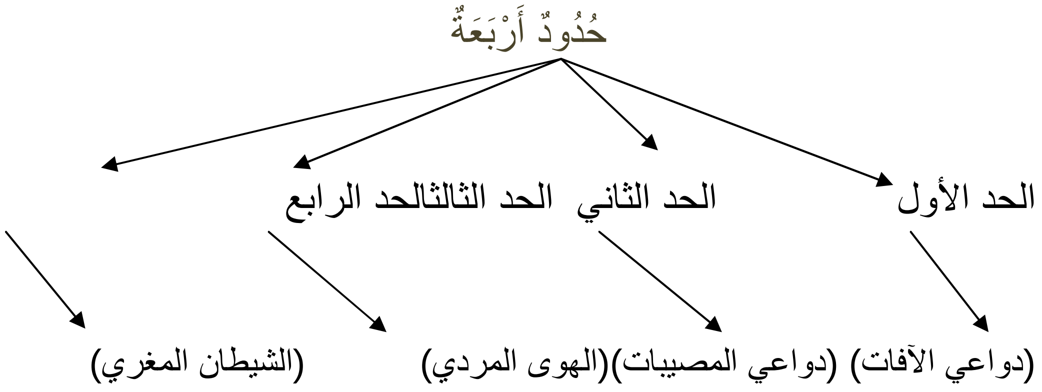

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الْإِبِلِ لَكَانَتْ لِذَلِكَ أَهْلًا لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ وَ لَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ وَ لَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ وَ لَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ

---

[١]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٠١/٤.

يَتَعَلَّمَهُ وَ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ وَ لَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ وَ لَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ) [١].

المتمعن في هذا النص الشريف يشاهد الإجمال جاء في محورين :

المحور الأول: بفعل الأمر المجمل (أُوصِيكُمْ) فمضمون الوصية مجمل مجهول، أما المحور الثاني المجمل فهو الذي نلتمس دلالاته في هذا المبحث وعبر الإجمال في (خَمْسٍ) وقد كنى الإمام بضرب آباط الإبل عن الرحلة في طلبها وذلك أن الراكب للجمل يضرب إبطيه بكعبيه ، وجاء تقسيمه وتفصيله لتلك الخمس:

الأولى: (لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ):- والمراد بالرجاء هنا السؤال وطلب الحاجة وهو بطبعه يستدعي الخضوع والمذلة، والتذلل لله عزّ وجل مفخرة ورفعة، ولغيره خسة ودناءة؛ لأنه خضوع محتاج إلى محتاج، وتحمّل للمنة من معدم على معدم، وجاء الإمام مؤكداً ذلك المعنى عبر (النفي والاستثناء) بـ (لا وإلاّ).

الثانية: (وَ لَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ): كل ما يجري عليه حساب وعقاب فهو أثم وذنب، وما عداه لا حساب عليه ولا عقاب، وإذن فلا موضوع ومبرر للخوف من العذاب والعقاب على غير الذنوب والآثام، وجاء الإمام مؤكداً أيضاً المعنى(بالنفي والاستثناء).

الثالثة: (وَ لَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ) : ومن ترك هذا القول أصيبت مقاتله، كما قال الإمام في الحكمة الآتية لولده الإمام الحسن(عليه السلام): وَ مَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ، وقال سبحانه وتعالى لنبيه الكريم: (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا)[٢]، ومن استقل ما لديه من علم سعى واجتهد في طلب المزيد، ومن أدعى كثرة العلم تحول علمه إلى جهل.

الرابعة: (وَ لَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ): ويسهر الليالي في العلم وتحصيله، ويتحمل المشقة في سبيله، ومن استخف بطلب العلم فقد استخف بنفسه وحقرها.

الخامسة: (وَ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ وَ لَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ وَ لَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ): ومن لم يحمل نفسه على الصبر فلايتم له دين ولا عقل ولا عمل... إن الصبر هو الأساس والركن الركين لكل خير وفضيلة لا للدين والإيمان فقط، ومن الصبر ترك الشكوى وإخفاء الضر والبلوى، وأية جدوى من الجزع والقلق إلاّ مضاعفة المصائب وتراكمها؟

وأكد الإمام (عليه السلام) عبر اسم من أسماء الأفعال الدالة على الأمر.[١]، وهي بمعنى (ألزم) بضرورة التنبيه والإمساك بالصبر وعبر صورة تشبيهيه قائمة على التمثيل، مستعملاً (عليه السلام) أداة التشبيه (الكاف)في توضيح ذلك. فالمشبه(الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ)، والمشبه به(الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ) ، في عدم قيامه من

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٥٣.
[٢]طه:١١٤.
[١]ينظر: شرح ابن عقيل:٣٠٢/٣.

دونه، ثم أكد التشبيه والمناسبة بينهما بقوله: (لَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ)، ولا يخفى ما لهذه الحكمة من صورة هادفة وحكمة نافعة امتزجت فيها الكلمات بالدلالة في عرضه الفكرة لترشد الناس إلى جادة الصواب.والرسم الآتي يوضح البنية المتعددة في الإجمال والتفصيل:-

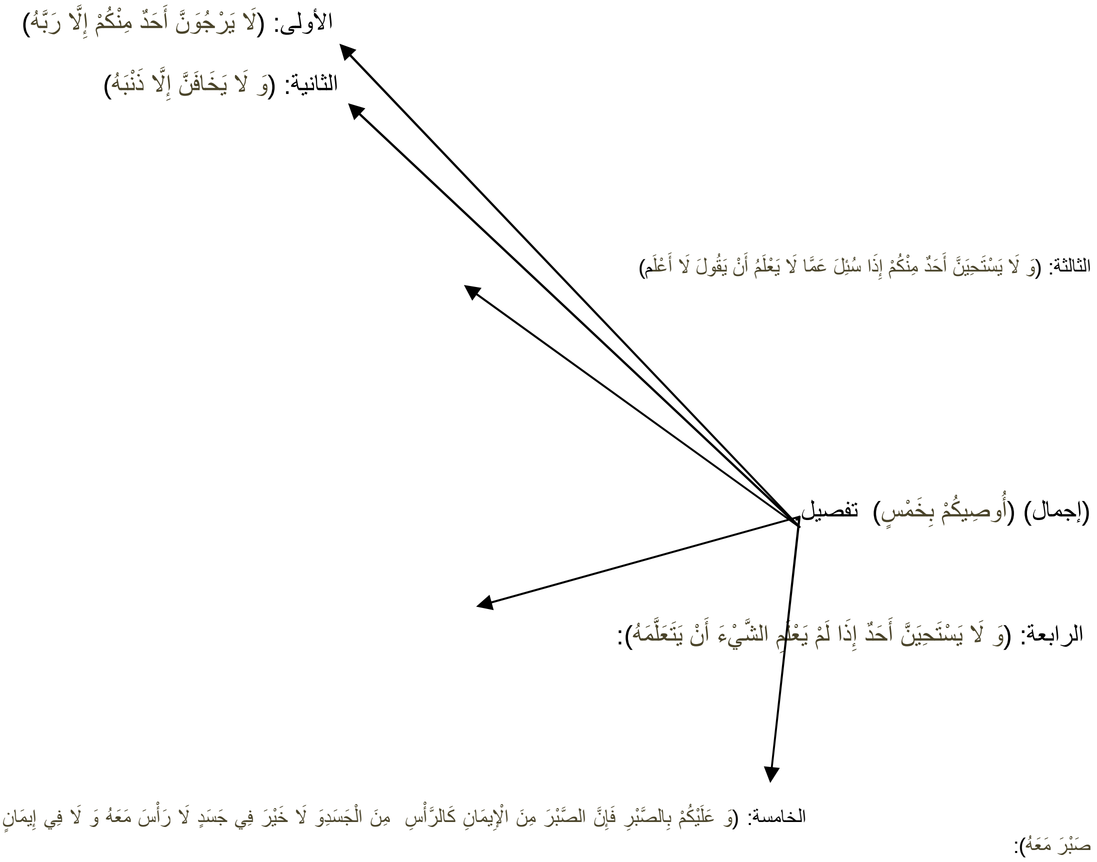

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ وَ أَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ فَأَصْدِقَاؤُكَ صَدِيقُكَ وَ صَدِيقُ صَدِيقِكَ وَ عَدُوُّ عَدُوِّكَ وَ أَعْدَاؤُكَ عَدُوُّكَ وَ عَدُوُّ صَدِيقِكَ وَ صَدِيقُ عَدُوِّكَ).[٢]

يعبر الإمام (عليه السلام) عن الإجمال وجمعه لهما في قولين: (أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ)، والثاني(أَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ)، وهذا الجمع يستفز انتباه المتلقي ويدعوه إلى التأمل؛ لأنه يصدم توقعه بما يسميه (ياوس) بأفق الانتظار.[٣]، لأن المتلقي يتوقع أن يقال له فلان وفلان ، لكنه يصدم بغير ذلك المتوقع. وجاء تفصيل وتقسيم الإمام للمجمل في قوله(أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ) و(أَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ)، لغرض التنقل.[٤]، إذ قدم الإمام هنا من الأقرب إلى الأبعد في تبيينه أنواع الأصدقاء والأعداء، فأقرب الأشخاص لمفهوم الصداقة هو(صَدِيقُكَ)ثم (صَدِيقُ صَدِيقِكَ) ثم (عَدُوُّ عَدُوِّكَ)، وأقرب الأشخاص لمفهوم العداوة: هو(عَدُوِّكَ)، ثم (عَدُوُّ صَدِيقِكَ) ثم(صَدِيقُ عَدُوِّكَ). وكان الإيقاع بينهما يأخذ شكل تقابل ذلك أنه جمع الأضداد على صعيد واحد ، فالأصل في هذا أن

---

[٢] شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٩٠.
[٣] ينظر:النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري:٢٦.
[٤] ينظر: البرهان في علوم القرآن:٣/٢٦٨-٢٧٠.

صديقك جارٍ مجرى نفسك ، فأحكم عليه بما تحكم به على نفسك، وعدوك ضدك، فأحكم عليه بما تحكم به على الضّد، فكما أن من عاداك عدوّ لك، وكذلك من عادى صديقك عدوّ لك، وكذلك من صادق صديقك فكأنما صادق نفسك، فكان صديقاً لك أيضاً، وأما عدوّ عدوّك فضّد ضّدك، وضد ضدك ملائم لك؛ لأنك أنت ضدُّ لذلك الضّد، فقد اشتركتما في ضّدية ذلك الشخص فكنتما مناسبين، وأما من صادق عدوّك فقد ماثل ضّدك ، فكان ضّد لك أيضاً، ومثل ذلك بياض مخصوص يعادي سواداً مخصوصاً ويضّاده.[1]، والمخطط يوضح ذلك المجمل والتفصيل..

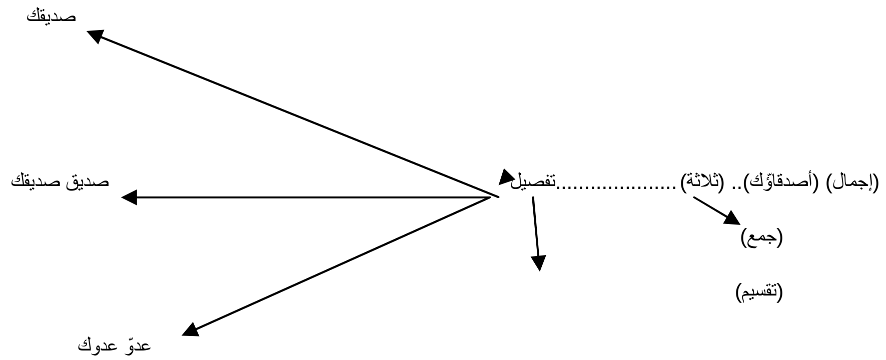

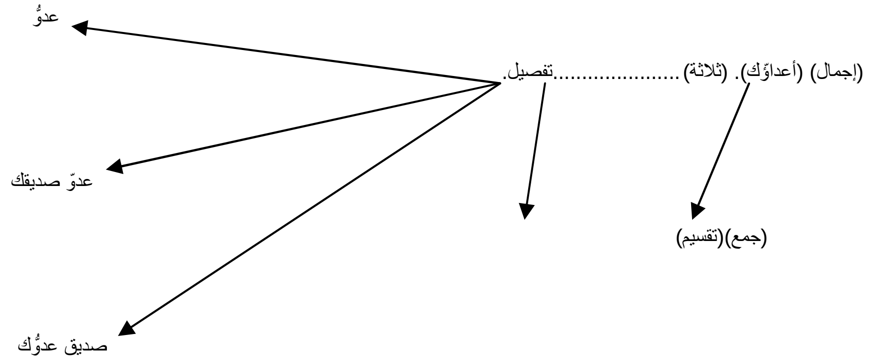

ونظير ذلك أيضاً قوله(عليه السلام): (ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ وَ رُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ وَ صَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ وَ مُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَ لَا سَهْوُ الْعُقُولِ وَ لَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَ لَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ وَ مِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ وَ أَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ وَ مُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَ أَمْرِهِ وَ مِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَ السَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ وَ مِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ وَ الْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ وَ الْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ وَ الْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَ أَسْتَارُ الْقُدْرَةِ لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ وَ لَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ وَ لَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ وَ لَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ)[1].

---

[1]ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد)٣٤٢/٥.
[1]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٨- ١٩.

وهذا من كلام له(عليه السلام) في حديثه عن الملائكة إذ جمع أشياء كثيرة من أطوار الخلق المختلفة تحت حكم واحد، ثم قسمها على أربعة أقسام:

القسم الأول: أرباب العبادة: فمنهم من هو ساجد أبداً أبداً لم يقم من سجوده ليركع، ومنهم من هو راكع أبداً لم ينتصب قط، ومنهم الصافون في الصلاة بين يدي خالقهم لا يتزايلون، ومنهم المسبحون الذين لا يملون التسبيح والتحميد له سبحانه.

القسم الثاني: السفراء بينه تعالى وبين المكلفين من البشر بتحمل الوحي الإلهي إلى الرسل، والمختلفون بقضائه وأمره إلى أهل الأرض.

والقسم الثالث ضربان: أحدهما حفظه العباد الكرام الكاتبين، وكالملائكة الذين يحفظون البشر من المهالك والورطات، وثانيهما: سدنة الجنان.

القسم الرابع: حملة العرش.

جاءت أقسام وأصناف الملائكة تصور سعة وعظمة الوظائف الموكلة إليها، ليشعر من جهتها الإنسان بالتصاغر والحقارة ويتساءل من أكون في خضم هذا العالم الواسع المليء بعمال الله وجنوده الذين لا يغترون عن عبادته وطاعته وامتثال أوامره؟ وأين عبادتي وطاعتي من هذه العبادة والطاعة التي تؤديها الملائكة؟ وما قيمة قوتي وقدرتي مقارنة بقوة الملائكة وقدرتها؟[٢] وبذلك يرصد المتلقي الحالات المختلفة لأقسام الملائكة ضمن فن(الجمع والتقسيم).

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (وَ رُوِيَ أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ حَلْيُ الْكَعْبَةِ وَ كَثْرَتُهُ فَقَالَ قَوْمٌ لَوْ أَخَذْتَهُ فَجَهَّزْتَ بِهِ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ أَعْظَمَ لِلْأَجْرِ وَ مَا تَصْنَعُ الْكَعْبَةُ بِالْحَلْيِ فَهَمَّ عُمَرُ بِذَلِكَ وَ سَأَلَ عَنْهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) فَقَالَ (عليه السلام) :إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) وَ الْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ وَ الْفَيْءُ فَقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ وَ الْخُمُسُ فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ وَ الصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا وَ كَانَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَلَى حَالِهِ وَ لَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَاناً وَ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَاناً فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ لَوْلَاكَ لَافْتَضَحْنَا وَ تَرَكَ الْحَلْيَ بِحَالِهِ)[٣] .

هذا الكلام صدر عنه في إجابته لعمر بن الخطاب عندما سأله عن حلي الكعبة ، وما تصنع الكعبة بالحلي فأجابه الإمام مؤكد الخبر ب (إنَّ) إذ القرآن عندما نزل على النبي محمد (صلى الله وعليه وآله وسلم)، كانت الأموال أربعة وبهذا أجمل فجمع

---

[٢]شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ١٠٥/١.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ٥٢٣- ٥٢٤.

الإمام(الْأَمْوَالُ بأَرْبَعَةٌ)، فهنا شدّ الإمام بمجمله أنظار المتلقين إلى سماعه، وعبر تقسيمه وتفصيله للمجمل في (الْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ):

الأولى: أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض.

الثانية: الفيء فقسمه على مستحقيه.

الثالثة: الخُمُس فوضعه الله حيث وضعه.

الرابعة: الصدقات فجعلها الله حيث جعلها.

وبذلك نستنتج أنَّ كل ما أقرهُ الله ورسوله على حاله وجب الاقتداء بهما في إقراره وتركه على حاله فالله سبحانه وتعالى لم يتركه نسياناً ، ولم يخف مكاناً فأقره حيث أقرهُ الله ورسوله. ويعلل (ابن أبي الحديد) كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله:(الأموال الأربعة التيعددها إنما قسمها الله تعالى حيث قسمها ؛ لأنهاأموال متكررة بتكرر الأقوات على مرّ الزمان يذهب الموجود منها، ويخلفه غيره، فكان الاعتناء بها أكثر، والاهتمام بوجوه متصرفها أشد؛ لأن حاجات الفقراء والمساكين وأمثالهم من ذوي الاستحقاق كثيرة ومتجددة بتجدد الأوقات، وليس كذلك حُلي الكعبة؛لأنه مال واحد باقٍ غير متكرر ، وأيضاً فهو شيء قليل يسير)[١].وبهذا التفصيل الشافي الذي صدر من أمير المؤمنين (عليه السلام) كان حكماً وافياً بالمعنى المراد في سؤال عمر عن حلي الكعبة، ومن ثم تقسيمه وتفصيله للخبر المبهم في(الْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ)، وبهذا أبان أمير المؤمنين كل غامض ومبهم في حكم الشرع ودليله في ذلك (إنَّ مصدر الحلال والحرام هو كتاب الله وسنة نبيه) والسنة ما ثبتت عن رسول الله (صلى الله وعليه وآله وسلم) من قول ، أو فعله أو تقريره،أيإقراره لما رأى من أفعال الناس وعاداتهم ومعاملاتهم ورضاه به ، ولو بالسكوت وعدم النهي . وحلي الكعبة كانت في عهد الرسول ، وبمرأى منه ولم ينه عنه أو يتصرف به فوجب إبقاء ما كان على ما كان.[٢]

---

[١]شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٣٢٨/٥.
[٢]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٣٨١/٤.

المبحث الثاني: دلالةأسلوب الإجمال والتفصيل في (التشبيه المجمل):-

التشبيه: (فن واسع من فنون الكلام يدل على خصب الخيال وسموّه وسعة عمقه)[١]، وهو من أساليب التعبير التي يكسب أهمية كبيرة و(يتضح ذلك في ألفة الناس له، وارتياحهم إلى استعماله وكثرة توسلهم به في كتاباتهم فيتردد على كل شفة ، ويستخدمه العالم والأديب كل في مجاله تحقيقاً لأغراضه)[٢].

وقد كثر التشبيه وشاع في أشعار العرب وفي القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأعظم (صلى الله وعليه وآله وسلم)؛ لأنه (يجمع ثلاث صفات هي: المبالغة ، والبيان ، والإيجاز، وهو مقتل من مقاتل البلاغة)[٣]،وإن له قدرة على تفخيم المعنى والمبالغة فيه وتحسين وصفه.[٤]

وإن (فائدة التشبيه الكبرى أنه يُخرج المبهم إلى الإيضاح والملتبس إلى البيان ويكسّوه حلّة الظهور بعد خفائه والبروز بعد استاره)[٥]، فضلاً عن أنه (يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً)[٦]، وفضلاً عن الأثر الذي تتركه الصورة التشبيهية بما تثيره من استغراب وتعجب.[٧]

وللتشبيه تعريفات كثيرة وردت في كتب البلاغيين القدامى إلاّ أن كل هذه التعريفات تدور في جوهرها حول مضمون واحد، هو أن التشبيه عقد مقارنة بين طرفين ، مشبه ، ومشبه به، لعلاقة تجمع بينهما.[٨] فنحن حين نعمد إلى تشبيه شيء بشيء إنما نعقد بينهما نوعاً من المقارنة في الظاهر وهي مقارنة لا تهدف إلى تفصيل أحد الشيئين ، وإنما ترمي إلى وصف أحدهما بما اتصف به الآخر.[٩]

ونلمح في بعض أنواع التشبيه الخفاء والغموض، ومن هنا يدخل الإجمال فيها بقصد أن توحي بأكبر قدر ممكن من الدلالات والإثارات التخييلية عند المتلقي، ومن هنا يحدث الاتساع في المعاني والذي هو من أبرز عناصر الصورة البلاغية والفنية للأديب، ومن أنواع التشبيه الذي يدخله الخفاء والغموض هما:

١- التشبيه المجمل .٢- التشبيه البليغ.

---

[١]علم البيان(بدوي طبانة):١٠٣.
[٢]علم أساليب البيان: ١٧١.
[٣]المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١٢٢/٢.
[٤]ينظر:دلائل الإعجاز:٢٢٤- ٢٢٥.
[٥]الطراز : ١٤٤/١.
[٦]كتاب الصناعتين: ٢١٦.
[٧]ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء:٧١.
[٨]ينظر: النكت في إعجاز القرآن:٧٤.، وكتاب الصناعتين:٢٦١- ٢٦٣.، وكتاب الحيوان: ٣٧٣/٤.
[٩]ينظر:التعبير البياني:١٨.

١ـ التشبيه المجمل: هو نوع من أنواع التشبيه الذي لم يذكر فيه وجه الشبه[١]، وبغياب (وجه الشبه) يجمل الأديب في الجمع بين طرفي التشبيه من حيث تعدد السمات، وهذا يعني أنه لا يسعى إلى تحديد مجال التقاطع أو تضيقه بل يتركه عائماً على حدس السامع، وفي هذه الحال سيذهب السامع مذاهب شتى بحثاً عن جمل يُفصل به إجمال شيوع وجه الشبه بين طرفي التشبيه(المشبه، والمشبه به).

وقد حفلت نصوص نهج البلاغة بهذا النوع من التشبيه الذي يتوخى الإمام فيه أثراً نفسياً يتركه في ذهن المتلقي برسمه صوراً خلابة تكون أوقع في القلب ، وأسرى في النفس، ومن طريق هذه الصورة يؤدي التشبيه وظيفته الأساس وهي أنه يزيل عن المعنى اللبس والغموض ويجلوه للأنظار ويقربه إلى الأذهان.[٢]

من ذلك قوله (عليه السلام): (وَ أَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ وَ الذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ)[٣].

فقد حذف من هذا التشبيه وجه الشبه الذي يشترك فيه هو والنبي(صلى الله وعليه وآله وسلم)، لذلك رأينا ابن أبي الحديد يضطر إلى تبيان(وجه الشبه) في هذا التشبيه قائلاً: (فشبه عليه السلام نفسه بالنسبة إلى رسول الله (صلى الله وعليه وآله وسلم)،بالذراع الذي العضد أصله وأسّه، والمراد من هذا التشبيه الإبانة عن شدة الإمتزاجوالإتحاد والقرب بينهما فإن الضوء الثاني شبيه بالضوء الأول والذراع متصل بالعضد اتصالاً بيناً)[٤].

إذن النبي محمد(صلى الله وعليه وآله وسلم)،والإمام عليّ (عليه السلام) من طينة واحدة، وأصل واحد، وكان النبي صلب العود، وعليّ سيفه، وساعده، وقد قال المفسرون: إن كلمة (أنفسنا) في آية المباهلة أراد بها سبحانه علياً: (فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ)[٥]، وبذلك تمكن الإمام وعبر التشبيه المجمل من رسم مكانته من رسول الله(صلى الله وعليه وآله وسلم)،بصورة تنمي عن قدرته التصويرية البارعة الخيال، وكيفيةاستثماره المفردات الملائمة لتصويره ببعد فني عميق التأثير.

---

[١]ينظر:المعجم المفصل في علوم البلاغة:٣٤١.
[٢]ينظر:فن التشبيه: ١/ ٧٣.
[٣]شرح نهج البلاغة (عبده): ٣٩٤.
[٤]شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٥٠٦/٤.
[٥]آل عمران: ٦١.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ وَ أَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ)[(١)].

وقد مثل الأئمة (عليهم السلام) الاثني عشر من أهل البيت، وشبههم بالنجوم ووجه الشبه مجمل محذوف ويتضح وجه الشبه هنا في وجهين:-

أحدهما: أنهم يستضاء بأنوار هداهم في سبيل الله كما يستضيء المسافر بالنجوم في سفره ويهتدي بها.

والآخر: ما أشار إليه بقوله (كلما خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ) وهو كناية عن كونهم كلما خلا منهم سيد قام سيّد، والإمامية يستدلون بهذا الكلام منه(عليه السلام) على أنه لا يخلو زمان من وجود قائم من أهل البيت يهتدى به في سبيل الله.[(٢)]

وبذلك التشبيه تتضح مكانة آل البيت بعلو مكانتهم وقد كرر الإمام في تصويره هذا لفظة(نجم) لتأكيده مكانة آل البيت مما حقق بتكراره هذا دليلاً حول الفكرة التي تؤكد مكانة آل البيت، فضلاً عن الأداة (إذا) من الأدوات المقطوعة الوقوع.[(٣)] ومجيء الطباق بين (خَوَى)، و(طَلَعَ) وما تركه من جودة في اللفظ وصحة في المعنى مؤثراً في نفس متلقيه بجرسه النغمي وما تركه من حركة واهتزاز.

ومثل ذلك قوله(عليه السلام): (وَ ايْمُ اللَّهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَ التَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ)[(٤)] .

يرسم الإمام صورته عبر التشبيه (المجمل) وتأكيده ذلك التشبيه عبر القسم (وَ ايْمُ اللَّهِ) وتأكيده ذلك الحدث المستمر بوقوعه عبر الفعل المضارع المؤكد باللام ونون التوكيد الثقيلة(لَيَذُوبَنَّ) ما في أيدي بني أُمية بعد علوهم وتمكنهم كما تذوب الألية على النار.

ووجه الشبه هنا محذوف مجمل، وفسّر هذا الوجه(بالفناء والاضمحلال)[(٥)]، ومصداق هذه الأخبار ما كان من شأن الشيعة الهاشمية واجتماعها على إزالة ملك بني أُمية من كان منهم ثابتاً على ولاء عليّ ، وأهل بيته(عليهم السلام) وما حاد منهم عن ذلك في أواخر أيام مروان الحمار عند ظهور الدعوة الهاشمية.[(٦)]

وبذلك يكشف(التشبيه المجمل) هنا عن صورة قلق وانفعال شعوري ، وضاعف من ذلك الانفعال تكراره لفظة(يذوبنـ تذوب)، مما يدل على عظم الفاجعة التي ستكون في نهاية دولة بني أُمية ، وهذه هي نهاية كل طاغ وباغ، نقل الإمام تصويره هنا بلغة انفعالية استطاعت الكشف عن نفسه المتألمة، وبهذا خلق التأثير والاستجابة

---

(١) شرح نهج البلاغة(عبده): ١٤٨.
(٢) ينظر:شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤٩١/٣.
(٣) ينظر:الإيضاح في علوم البلاغة (القزويني): ٨٨/١-٨٩.
(٤) ينظر:شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٣٤.
(٥) شرح نهج البلاغة(البحراني):٦٧٢/٣.
(٦) ينظر: م.ن:٦٧٢/٣.

لدى المتلقي وشدّ انتباهه، ومن ثم خلقه قاعدة دلالية تنهض عن سياق خاص يرتبط أساساً بالانفعال والعاطفة، ومما قوى ذلك الانفعال عليه أصوات المد فهي من الأساليب الإيقاعية التي تحدث أثراً موسيقياً؛ لأنها كما يقول علماء الأصوات يسهم في مدّ النفس (فأصوات اللين بطبيعتها أطول من الأصوات الساكنة)[١]، فعبر بذلك عن طول مدة حكم بني أُمية ونهايتهم الأكيدة(كما تذوب الألية* على النار).

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): (الرَّائِحُ إِلَى اللَّهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ)[٢].

نلمس في النص التحضيض على الجهاد والدعوة إليه، وعلو منزلة المجاهد وحسن عاقبته، فقد جعل الإمام الرائح إلى الجهاد رائحاً إلى الله تعالى، وكيف تكون عاقبة من أقبل إلى الله بقلبه واعاره جمجمته إلاّ بنيل السعادة والنعيم الدائم ، وقد شبه الإمام هذا الإنسان الذي أقبل على الله سبحانه فنال الثواب والنعيم ب(الظمآن الذي يرد الماء)، ووجه الشبه هنا مجمل محذوف، وقد فسّر وبين هذا الإجمال ب (القوة في السير لسعي الحثيث)[٣]، أو اطمئنان النفس ببلوغ المراد بعد عناء ومشقة.

وبذلك الإجمال الذي أجمله الإمام عبر(التشبيه المجمل) وتفسيره. يتضح لنا أنّالإمام تقع عليه مسؤولية كبيرة في الترغيب بالجهاد، نقلها لنا بعبارات أثارت المشاعر في النفوس وأثارت العواطف والانفعال بتشبيه محسوس تعبق منه الجنة والفوز بالنعيم الدائم.

ومثل ذلك قوله (عليه السلام): (وَ مُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ .فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ وَ إِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ)[٤].

يدّل هذا النص على حكمة الإمام علي(عليه السلام) في المجال السياسي من خلال رؤيته السديدة في هذا الجانب، إذ إنه بيّن ليس هذا الوقت هو المناسب لطلب هذا الأمر مصوراً فكرته هذه عبر الإجمال في (التشبيه المجمل) بين المشبه(وَ مُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا) بالأداة (الكاف) والمشبه به (الزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ) ووجه الشبه هنا محذوف أجمله الإمام ليدعو المتلقي إلى الكشف عنه وبهذا يقول ابن سينا (إن الكلام المخيل تذعن له النفس فتنبسط عن أمور من غير روية وفكر واختيار، وبالجملة تنفعل له انفعالاً نفسانياً)[٥]، وقد بيّن وجه الشبه (عدم الانتفاع من الموضعين)، إذا كان الزارع بغير أرضه في محل أن يمنع من ذلك التصرف فيبطل سعيه، ولا ينتفع بزرعه ، فكذلك مجتني الثمرة لغير وقتها لا ينتفع بها، فكذلك طلبه للخلافة في ذلك الوقت بعد وفاة الرسول(صلى الله وعليه وآله وسلم) غير مناسبة

---

[١]علمالأصوات اللغوية:٤٥.
*الألية: الشحمة.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):١٨٢.
[٣]شرح نهج البلاغة(البحراني):٥٥٩/٣.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٥.
[٥]المجموع:٢١.

للمطالبة بهذا الأمر ، فأثر الإمام السكوت وترك المنازعة على هذا الأمر إيثاراً للمصلحة الدينية.

وقولهأيضاً (عليه السلام): (لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً وَ قَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَ قِيَاماً يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَ خُدُودِهِمْ وَ يَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ وَ مَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ وَ رَجَاءً لِلثَّوَابِ)[١] .

و خلال هذا الرسم البديع لهذه اللوحة يمدح فيه خواص الصحابة وذكر مكانهم من خشية الله ودينه وترغيباً في مثل تلك الفضائل، وذكر من ممادحيهم أوصافاً: ومنها صورة يعرض أمامنا مشهداً متحركاً لحال صحابة رسول الله (صلى الله وعليه وآله وسلم) ، و(يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَ خُدُودِهِمْ) وقد رصد لها تشبيه أجمل فيه وجه الشبه في (وَ يَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ) وفي هذا الوجه المحذوف إشارة إلى قلقهم ووجدهم من ذكر المعاد وأهوال القيامة كما يقلق الواقف على الجمر مما يجده من حرارته، ويبدو الصدق الفني الواقعي في هذا التشبيه ؛لأن أدق ما يميز المؤمنين هو قلقهم وكثرة اشتياقهم للقاء ربهم ، ثم يلجأ إلى صفة أخرى من صفاتهم وعبر (التشبيه المجمل)، حيث المشبه(كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ)، والمشبه به(رُكَبَ الْمِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ) وأخفى وجه الشبه هنا أيضاً وأجمل إذ إن وجه الشبه بينهما أن محالّ سجودهم من جباههم كانت قد اسودت وماتت جلودها وقست كما أن ركب المعزى كذلك. إذ تكون غلظة أو خشنة من كثرة الركوب عليها، وأكثر من ذلك تراهم يضطربون مثل الشجر في الريح العاصف ووجه المشابهة القلق والاضطراب ؛ معللاً ذلك (بالمقابلة) ، (خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ ،وَ رَجَاءً لِلثَّوَابِ) فتارة يكون ميدانهم وقلقهم عن خوف الله، وتارة يكون عن ارتياح واشتياق إلى ما عنده من عظيم ثوابه ، كقوله تعالى: (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)[٢] .

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ وَ أَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَ الْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ)[٣].

فالصورة التي رسم طرفاها المشبه(الْفِتَنِ) عقلي بالأداة (الكاف) بالمشبه به (اللَّيْلِ) و(الْبَحْرِ)الحسي،ووجه المشابهة هنا مجمل، وفسّر في كون هذه الفتن لا يهتدي فيها لحق كما لا يهتدي في ظلمة الليل لما يراد، أما تشبيهها (بِالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ) في عظمها وخلطها للخلق بعضهم ببعض، وانقلاب قوم على قوم بالمحق لهم والهلاك كما يلتطم بعض أمواج البحر ببعض.[٤]

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):١٤٥.
[٢]الأنفال:٢.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده):١٤٩.
[٤]ينظر:شرح نهج البلاغة(البحراني):٤٩٣/٣.

وللتشبيه في هذه الصورة قدرة على إعطاء طابع حركي متسارع لما بيّنه الفعل (وَ أَقْبَلْنَ) ثم دلالة التشبيه الحسي في(الْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ) وهياجه بأمواجه، فكانت صورته(صدى صادقاً لما تحكي من صوات أو تؤدي من معنى أو لون)[١].

وقوله (عليه السلام)في حكمة محذراً من الدنيا: (أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَ هُمْ نِيَامٌ)[٢].

صورة بيانية معبرة توحي بالأسى، والألم والمرارة التي تسيطر على نفس الإمام، فرسم هذه الصورة المؤثرة للتعبير عن تشبيه(أهل الدنيا) بالأداة (الكاف) بالمشبه به المركب (كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَ هُمْ نِيَامٌ)ليجسد لنا الغموض والإبهام في وجه الشبه وهو(توكيده على غفلة الراكن إلى الدنيا فهو يسار به كركب سفره نيام)، وبهذا التصوير الانفعالي جسد لنا الإمام تجربة فنية داخلية تتلاقى مع المؤثرات المتلقاة، لذلك لا يمكن أن يقوم الأدب إلاّ إذا كان له علاقة بالنفس وبداخل الإنسان.[٣]

ونظير ذلك نراه يقول(عليه السلام): (فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ)[٤].

وهنا يعبر الإمام عن عدم امتلاك الأمر في المسير فهو موكل لغيرهم في إشارة إلى وجه الشبه الخفي المجمل في (هجوم الموت فجأة) على الإنسان، وعبر تشبيهه المشبه(أنتم) مؤكداً إياه بالأداة (إنما) والأداة (الكاف) التي تناسب الموقف الانفعالي هنا في سرعة التشبيه بالمشبه به المركب(كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ) فيالها من صورة مخيفة ورهيبة تنبئ عن موقف انفعالي واضح حيث(لا تدرون متى تؤمرون بالسير) إذ الفعل المضارع المنفي ب(لا) ومجيء حدثه مبهماً في معناه في الدراية والمعرفة، ثم دلالة(متى) والتي هي بمعنى(أي حين) أو (في أي زمان)[٥]، أي هي كما يقول العلوي هي مختصة بتصور حقيقة الزمان.[٦]

فلا يدري الإنسان متى يؤمر بالسير من هذه الدنيا، فعلى الإنسان أن يستفيد من ساعته التي هي ساحة حركته، ليجعلها في رضى الله ليربحها ولتكون ثمناً للخلود في الجنة، لا أن يصرفها في المعصية التي تدخله نار جهنم الخالدة.

ومثيل ذلك قوله(عليه السلام) حكمةقصيرة يقول فيها: (مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّهُ شَكَاهَا إِلَى اللَّهِ وَ مَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَا اللَّهَ)[٧].

---

[١]الأسلوب(أحمد الشايب):١٠٥.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٤٥١.
[٣]ينظر:في الشعر والنقد:١٨٥.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده:٢١٦.
[٥]الكتاب:٢٣٣/٤.
[٦]ينظر:الطراز:٢٨٩/٣.
[٧]شرح نهج البلاغة(عبده): ٥٥٣.

يشكلالإمام (عليه السلام) صورته التشبيهيةبواسطة الأداة (كأن) والتشبيه بهذه الأداة فيه تأكيد ومبالغة؛لانها مكونة من (كاف) التشبيه و(أن) المؤكدة.[١] كما أنّ استعمال هذه الأداة يؤدي إلى أحداث نوع من حالة التوهم لدى المتلقي بأنّ المشبه والمشبه به قد أصبحا كالشيء الواحد لشدة التشابه بينهما وقوة تقاربهما مما يؤدي إلى تماهي الثاني بالأول والاتحاد به، وهذا ما لايمكن تحققه إلاّ بواسطة (كأنّ).[٢] لذا يوظفها (عليه السلام) في معنى له أهمية خاصة تستوجب تأكيده وترسيخه في الذهن.

والحكمة الكريمة تنطوي على صورتين: تحمل الأولى منهما الترغيب في قوله(مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ)، فهي تدّل على أنّ الإمام(عليه السلام) لايكره شكوى الحال إلى المؤمن، لأن الشكوى إلى المؤمن كالشكوى إلى الخالق سبحانه، ووجه المشابهة هنا مجمل محذوف وفسّر(أنّ المؤمن كالصديق لله فإذا شكى المؤمن إليه أمراً من الله فكأنه جعله وسيلة إلى الله في شكواه فأشبه الشكوى إليه)[٣].

وأما الأخرى (وَ مَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَا اللَّهَ)، حيث نلاحظ الإمام هنا ينفر منها بتشبيهه بشكوى الله، ووجه المشابهة المجمل، فسّر بكون(الكافر عدو الله فمن شكى إليه فكأنما شكا من الله إلى عدوّه)[٤].

وبهذا إن التشبيه قدم لنا صوراً هادفة امتزجت فيها الكلمات بالدلالة امتزاجاً عفوياً يدل على أنها(ليست شيئاً ثانوياً يمكن الاستغناء عنه أو حذفه، وإنما تصبح وسيلة حتمية لإدراك نوع متميز من الحقائق تعجز اللغة العادية عن إدراكه وتوصيله)[٥].

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام) في تحذيره من الفتن: (تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ وَ تَئُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ وَ آثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ)[٦].

إذ يخبرّ الإمام عن فتنة كونها تبدأ في مدارج خفية أي في صدور من ينوي القيام فيها ويقصد إثارتها، وهذا إشارة إلى فتنة بني أُمية، وقد كان مبدأها شبهة قتل عثمان، وخفاء مدارجها كتمان معاوية وطلحة والزبير وغيرهم لأمورهم وما عزموا عليه من إقامة الفتنة والطمع في الملك والدولة، مستعيراً للفتنة لفظ الشباب لقيامها وظهورها في الناس ومشبهاً إياها بالأداة (الكاف) كون المشبه العقلي (شِبَابُهَا)* بالمشبه به (كَشِبَابِ الْغُلَامِ) وهو عقلي أيضاً.

وافتقد وجه الشبه هنا وأجمل ، ووجه المشابهة (السرعة في الظهور)[٨]، فهي تنشر بسرعة على غرار نمو الشباب وتسدد ضرباتها الموجعة إلى جسد المجتمع.

---

[١]ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها(علم البيان والبديع):٢٨.
[٢]ينظر:دلائل الإعجاز:٢٥٨.
[٣]شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥٠٢/٥.
[٤]م.ن:٥٠٢/٥.
[٥]الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي:٤٦٤.
[٦]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٠٦.
*(شِبَابُهَا): الشباب : أوّل الشيء: ينظر القاموس المحيط: ٧٥. و(الْغُلَامِ): مجاوزة الإنسان حدّ ما أمر به من خير وشر: ينظر:لسان العرب: ١٥/ ٣٣٥.
[٨]شرح نهج البلاغة (البحراني):٦١٧/٢.

ومع سرعتها وانتشارها في المجتمع تجد لها صورة أخرى عقلية تخلقها(آثَارُهَا) التي تتركها في المجتمع لها آثار سيئة مشبهاً إياها بالأداة (الكاف) بالمشبه به (كَآثَارِ السِّلَامِ)أي كالحجارة التي ترجم بها الأبدان.

ووجه الشبه هنا مجمل أيضاً، وبيّن ب(افسادها للبين ولنظام المسلمين كإفساد الحجر ما يقع بالرض والكسر)[١]. ويأتي الجناس بين(الغلام) و(السلام) تعبيراً عن حالتي (القوة، والضعف) وما يحل من آثارها في فساد المجتمع.وبهذا يبقى التشبيه المجمل تلميحاً مهماً، ما لم يصرّح المرسل بوجه الشبه بين طرفيه، فإذا صرّح بوجه الشبه فإنّه ينتفي التلميح إلى التصريح، مما يحيل استراتيجية الخطاب 'لىالاستراتيجية المباشرة.[٢]

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ وَ لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ وَ الصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ)[٣].

إن نفي الإفادة عنهم من الحكمة والعلوم الثاقبة، أعقبه تركيب جملي يتقدمه ضمير الشأن(هم) ليجعل المخاطب في حالة من الانتظار لمعرفة صفاتهم فإذا بالخبر.

وعبر التشبيه المجمل بين المشبه (هم) والأداة (الكاف) والمشبه به (الْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ) و(الصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ) مبالغة في ذمهم وتقبيحهم، ووجه الشبه الأول المتمثل ب المشبه (هم) العائد على أصحابه ، والمشبه به(الْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ) الذي ينتمي إلى عالم الحيوان مجمل لم يعرّفه الإمام، وقد بيّن وفسّره(استواؤهم في الغفلة والانخراط في سلك الشهوة والغضب دون اعتبار شيء من حظّ العقل وعدم التقيد به كما لا قيد للأنعام السائمة)[٤]. وهذه الفئة ضالة لها حد امكانية التعليم والتربية، أما وجه المشابهة الثانية بين المشبه(هم) والمشبه به (الصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ) الذي ينتمي إلى عالم الجماد والتي أجملها الإمام فهي تدل على (قساوة قلوبهم وعدم لينها وخشيتها من ذكر الله وآياته)[٥]، كما قال تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)[٦]، فهي أذن كالصخرة الصماء التي يصعب أختراقها.

وبهذا الاستيفاء في رسمه اللوحة التشبيهية هذه يكون الإمام قد اقتفى الأثر القرآني، فمثلما كانت الطبيعة مادة التشبيه في القرآن في صفة الكافرين بالأنعام وبالصخور القاسية ، فقد كانت مادة نصوص نهج البلاغة أيضاً في صفة الكافرين بالأنعام والصخور القاسية.

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ)[٧].

---

[١]شرح نهج البلاغة (البحراني)::٦١٨/٢.
[٢]ينظر:استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٤١٠.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٥٦.
[٤]شرح نهج البلاغة(البحراني):٥١١/٣.
[٥]م.ن: ٥١١/٣.
[٦]البقرة:٧٤.
[٧]شرح نهج البلاغة(عبده): ١١٧.

شبه الإمام المشبه الضمير (هو) الذي يعود إلى العبد الذي أعانه الله على نفسه، واستشعر الحزن..... إلى آخر الأوصاف التي نعته بها الإمام (عليه السلام) والمعنى إن هذا العبد الصالح هو عالم بحق؛لأنه في علمه وعمله على بينة واضحة من ربه تماماً ، وعبر الأداة (مثل) بالمشبه به (ضوء الشمس) ووجه الشبه يحتاج إلى تأويل فهو مجمل محذوف وغامض الدلالة وقد بيّن وجه الشبه وفسّر:(أي فكان بتمسكه بأوامر الله ونواهيه ومجاهدته في سبيله قد استشرق أتم أنوار اليقين فصار شاهداً بعين بصيرته عالم الملكوت رائياً بها الجنة والنار عين اليقين كما يرى بصره الظاهر نور الشمس في الوضوح والجلاء)[١].وبهذا بيّن التشبيه(حال المشبه) ووضح صفته وعبر رسمه مشهداً حسياً يدلك على مكانة وشأن المشبه وحاله في ما وصل إليه فهو على بينة واضحة من ربه تماماً كوضح النهار.

ومثيل ذلك قوله(عليه السلام): (إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا فاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَ عُوا وَ أَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا)[٢].

وردت لفظة (مثل) مقرونة بياء المتكلم فخراً بنفسه وعلوّ مكانته وشأنه، مشبهاً الإمام نفسه بالمشبه به(السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ) يستضيء به من ولجها، ووجه الشبه مجمل تقديره(أنّ الطالبين للهداية منه (عليه السلام)، والمتبعين له يستضيؤون بنور علومه وهدايته إلى الطريق الأرشد كما يهتدي السالكين في الظلمة بالسراج)[٣]، هذا التمثيل يصور انغمار قوم الإمام (عليه السلام) في الظلمة لولا وجود الإمام فيهم فهو كالسراج الماحي لظلمة الكون والحياة فضلاً عن البشر.

وبهذا يكون الغرض من التشبيه هو الوضوح والتأثير، ذلك أنّ المتفنن يدرك ما بين الأشياء من صلات يمكن أن يستعين بها في توضيح شعوره، فهو يلمح وضاءة ونورا في شيء ما ، فيضعه بجانب آخر يلقي عليه ضوءاً منه، فهو مصباح يوضح هذا الإحساس الوجداني، ويستطيع أن ينقله إلى السامع.[٤]

ومن كلام له(عليه السلام) قاله لمروان بن الحكم بالبصرة: (أَ وَ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ وَ هُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ)[٥].

تنوعت الصورة في هذا النص من حيث طرفا التشبيه، فهي تجمع بين طرفين: عقلي وهو(إِمْرَةً)، وحسي وهو (كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ) وجاءت الأداة المشبه بها هي(الكاف) أما وجه الشبه محذوف، فذكر الإمام أمر مروان في أنه سيصير أميراً للمؤمنين ونبه على أمرته ووجه الشبه المجمل هنا(القصر)[٦]، وكانت تسعة أشهر ، وقيل أربعة أشهر وعشراً.[٧]، وروي ستة أشهر، وقد أفاد تنكير لفظة(إمرة) دلالة

---

[١]شرح نهج البلاغة(البحراني):٤١٢/٣.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٦٦.
[٣]شرح نهج البلاغة (البحراني):١١٢/٤.
[٤]ينظر: من بلاغة القرآن:١٤٧.
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده) ٩٦.
[٦]شرح نهج البلاغة(البحراني): ٣٥٦/٣.
[٧]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٣٥٨/١.

التقليل والتحقير والتقبيح، وكذلك لفظة (لعقة) ومجيئها على الصيغة الصرفية(فَعْلَة) الدالة على (المرة) فأفاد تنكيرها أيضاً معنى التحقير والتقليل في معرض الذم.

فشبهه بالكلب حين يزج برأسه في جيفة ليتناول مما فيها، يعلق مقدار من بقايا تلك الجيفة على أنفة فيمد لها لسانه بغية تناوله وتنظيف ما علق بأنفه، مثل الإمام هذا التشبيه بشأن تثبيت قصر حكومة مروان وتشبيهه في منتهى البلاغة والفصاحة ، وهو من قبيل(المقال المطابق لمقتضى الحال)، نعم فهو كالكلب الذي انقض على جيفة الحكومة اللامشروعة لآل أُمية.[١]

وللمثل قدرة في العطاء الدلالي الكبير، بأقل عدد ممكن من المفردات إذ(ليس في كلام العرب أوجز منها، ولا أشد اختصاراً)[٢]، وتكاد تجمع التعريفات الاصطلاحية للمثل على أنه (صورة حية ماثلة لمشهد واقعي، أو متخيل ، مرسومه بكلمات معبرة موجزة يؤتي بها غالباً لتقريب ما يضرب له من الاستعارة، أو الكناية، أو التشبيه)[٣].

وزخرت نصوص نهج البلاغة بالتضمين المثلي فجعلها تنفتح على أجواءٍ فسيحة من الصور والمعاني، وتستمد أكبر قدر من الطاقة الدلالية والإيحائية من ذلك جاء في قوله (عليه السلام): (أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) لِدِينِهِ وَ تَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ لِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا وَ نِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ)[٤].

فالمشبه(فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ) ويقصد به معاوية، وأداة التشبيه(الكاف) والمشبه به التناص في المثل (كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ)، وأصل هذا المثل أنّ رجلاً قدم من هجر إلى البصرة بمال اشترى به شيئاً للربح فلم يجد فيه أكسد من التمر فأشترى بماله تمراً وحمله إلى هجر وادخاره في البيوت ينتظر به السعر فلم يزدد إلاّ رخصاً حتى فسد جميعه وتلف ماله فضرب مثلاً لمن يحمل الشيء إلى معدنه لينتفع به ، ووجه المشابهة هنا مجمل محذوف وفسّر وبيّن، (أنّ معاوية حمل الخبر بما أخبر به إلى معدنه الذي هو أولى به منه كحامل التمر إلى معدنه)[٥]، فحال معاوية إذن يشبه ذلك التاجر الأحمق، إذ أراد أن يبيّن للإمام علي (عليه السلام) عظمة الإسلام والنبي الأكرم(صلى الله وعليه وآله وسلم) فصدق عليه هذا المثل المعروف.

أما التشبيه الآخر الذي جاء عبر(أو) والمشبه (أيضاً) (معاوية) ، والمشبه به(دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ) ووجه التشبيه مجمل، وفسّر وبيّن بأنه (حمل الخبر إلى من هو أولى به منه كما يدعو الإنسان مسدده وأستاذه في الرمي إلى المرماة ومسدده أولى بأن يدعوه إلى ذلك)[٦].

---

(١)ينظر: شرح البلاغة(الشيرازي):١٢٢/٣.

(٢)المثل السائر:٥٧/١؟

(٣)هذا ما استخلصه الدكتور محمد حسين الصغير في كتابه(الصورة الفنية في المثل القرآني) بعد استعراضه للمعاني الاصطلاحية للمثل.، ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني: ٥٠-٦٠.

(٤)شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٦٣.

(٥)شرحنهج البلاغة (البحراني):٢٤٢/٤.

(٦)م.ن:٢٤٢/٤.

وذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أنّ الإمام (عليه السلام)تحدث من موقع التواضع بهذا التشبيه ، إذ شبه معاوية بالتلميذ برغم سوء أدب معاوية وجرأته على الإمام (عليه السلام) وعلى أية حال، فمن يريد الاطلاع على سيرة النبي الأكرم (صلى الله وعليه وآله وسلم) وحقيقة الإسلام ورسالته الإلهية، فينبغي أن يستوحي ذلك من كلمات الإمام(عليه السلام) وسلوكياته، وما أقبح أن يطلب معرفة الإسلام من الطلقاء والبعيدين عن أجواء الرسالة والإيمان كمعاوية.وبذلك أسهم التشبيه عبر المشبه به(المثل) في (كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ) و(دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ) على فهم المراد من كلام الإمام (عليه السلام) ، فالمثل ليس زخرفاً يؤتى به دونما قصدية دلالية ، بل هناك ضرورة تستدعيه للإسهام في استكمال دلالة النص وإيصاله وتقريبه من ذهن المتلقي.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (وَ قَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السِّلْمِ وَ أَسَاطِيرَ لَمْ يَحُكْهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَ لَا حِلْمٌ أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ* وَ الْخَابِطِ فِي الدِّيمَاسِ*)[١].

تضمن تصوير الإمام تشبيه مجمل عبر طرفي التشبيه(أَصْبَحْتَ مِنْهَا) و(كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ)و(الْخَابِطِ فِي الدِّيمَاسِ)، حيث يصور الإمام كتاب معاوية الذي بعثه للإمام؛ كونه ذو أفانين من الزخرف والتزويق والغرور والأضاليل، فالكتاب كله شرّ، ومحق وغطرسة ومع هذا يريد الولاية على الناس! مصوراً الإمام إياه عبر المشبه(أَصْبَحْتَ مِنْهَا)، وهو صفة الأساطير بالأداة(الكاف) والمشبه به (كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ)و(الْخَابِطِ فِي الدِّيمَاسِ)،ووجه الشبه هنا مجمل وفسّر:

(ضلاله وعدم هدايته إلى وجه الحق كما لا يهتدي خائض الدهاس، وخابط الديماس فيهما)[٢]، والخائض في الدهاس أي في أرض من وطأها غارات رجلاه وغارت قواه، والخابط في الديماس أي في الظلمات.[٣]

وبذلك أثبت الإمام حال المشبه وهو (أَصْبَحْتَ مِنْهَا) ووضعه أساطير معاوية وافانينه التي بعثها في كتابه بمثل حسيّ وهي(كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ)و(الْخَابِطِ فِي الدِّيمَاسِ)، مقوياً وجه الشبه و معناه في ذهنه فبدا بذلك أكثر تأكيداً وإيضاحاً وأشد جلاء واظهر للمعنى.

ونظير ذلك قوله (عليه السلام) في حكمة: (الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ)[٤].

فقد شبه من خلا من العمل بالأداة (الكاف) كنسبة الوتر إلى السهم، وأجمل وجه الشبه فما الذي يخاله المتلقي من الوصف المشترك بين الطرفين ، ووضح

---

*الدَّهاس: الأرضالسهلة التي يثقل فيها المشي: ينظر لسان العرب: ٧/ ٣٩٢.

*الديماس: من دمس الظلام إذ أشتد وأظلم، والليل الدامس هو الشديد الظلمة: ينظر: لسان العرب: ٧/ ٣٩٠.

(١) شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٣١.

(٢) شرح نهج البلاغة(البحراني)٣٧٧/٥.

(٣) ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١٦٧/٤.

(٤) شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٩٥.

وجه الشبه ب(عدم إمكان الانتفاع)[١]. فنسبة العمل إلى استجابة الدعاء تماماً كنسبة الوتر إلى السهم ، ومن خلا من العمل فقد أخلّ بالواجبات، ومن أخلّ بالواجبات فقد فسق، والله تعالى لا يقبل دعاء الفاسق وشبهه (عليه السلام) بالرامي بلا وتر، فإن سهمه لا ينفذ.[٢] ونرى في الصورة الصدق الفني في التشبيه فعلى المبدع حينما ينشيء صورة تشبيهية أصيلة أن يعثر على وجه مشترك بين المعنى المجرد والواقع العيانّي المرصود ، ومن جهة لا يتصور الإنسان العادي أن يتوفر فيها مثل هذا الوجه المشترك ، أو يأتي عن طريقها ويستطيع أن يعيد تنسيق عناصر الصورة وفق مشاعره وأفكاره ، لا وفق الواقع العياني المرصود ويخرج بها عن بعدها المكاني المقيس إلى بعدها النفسي، ويربط بين عناصرها ومشاعره وأفكاره ربطاً غير متوقع يضع لها به نسقاً مكانياً لم يكن لها من قبل.[٣] وبذلك يضع التشبيه صوراً أصيلة أدعى إلى انمزاج الصورة بالمشاعر والأحاسيس اتحاد الفكرة مع الشكل ؛ لأنَّ أشدّ ما يضعف الصورة فنياً هو(الوقوف بها عند حدود الحسّ دون ربط ذلك التشابه الحسيّ بجوهر الشعور والفكرة في الموقف.[٤]

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (وَ اللَّهِ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ وَ لَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ وَ مَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ وَ طَالِبٍ وَجَدَ وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ)[٥].

أقسم الإمام هنا في هذا النص أنه ما فجأه الموت بغتة، ولا طالع أنكره؛لأنه وطَّن نفسه(عليه السلام) لمثل هذا اليوم الموعود به، ومما زاد من روعة النص ورود التشبيه المجمل في (وَ مَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ وَ طَالِبٍ وَجَدَ)، وأجمل وجه الشبه ولم يفصح عنه ليفاجأ المتلقي بماهية الخفاء والغموض فيه، وقد فسر ذلك الخفاء هو (استغرابه لتلك الخيرات ووثوقه بها واستسهاله بسببها آفات الدنيا وشدائد الموت يستسهل القارب عند وروده الماء ما كان يجده من شدة العطش وتعب الطريق، وفيه إيماء إلى تشبيه تلك الخيرات بالماء، وكذلك شبه نفسه بالطالب الواجد لما يطلبه، ووجه الشبه كونه أقر عيناً بما ظفر به من مطالبه الآخروية كما يطيب نفس الطالب للشيء به إذا وجده)[٦].

وجيء بالتناص القرآني في (وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ)[٧]، ليؤكد الإمام إن مطالبه ليست دنيوية، وإنما أخروية، لأن الأبرار في الآخرة أفضل من كل خير.وبذلك التشبيه يجسد لنا الإمام صورة تشبيهيه تفسح المجال لمخيلة القارئ لإيجاد علاقات ترابطية تجمع بين المشبه والمشبه به في صفات مشتركة تسوغ الجمع بينهما ،وهذا ما قرره البلاغيون في أن وجوه الشبه المشتركة بين طرفي

---

[١]شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٨/٥.
[٢]ينظر:شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٣٧٥/٥.
[٣]ينظر: التفسير النفسي للأدب:/ ٦٦.
[٤]ينظر:النقد الأدبي الحديث(محمد غنيمي هلال): ٤٤٥.
[٥]شرح نهج البلاغة (عبده): ٣٥٧.
[٦]شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٢٥/٤.
[٧]آل عمران :١٩٨.

التشبيه كلما ازدادت كان التشبيه أكثر اصابة وأرفع قدراً، وأبعد مجالاً في رحاب التخييل.[١] فكانت صورة ذات دلالات حسية ومعنوية مؤثرة.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَ يَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ وَ لَكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً)[٢].

نهى الإمام هنا ابن عباس عن لقاء طلحة بحسب ما رأى ذلك من طلحة، ونبهه على علة وجه نهيه عبر التشبيه المجمل إذ شبه طلحة (بالثور)،وإن عقص القرن وهو اعوجاجه من صفات الثور المشبه به، وركوب الصعب مع القول أنه الذّلول من وصف المشبه. وفيها إشارة إلى وجه الشبه المجمل وهو(الكبر والنخوة والإعجاب بالنفس)[٣]، ويحتمل أن يكون وجه الشبه التواء طلحة في آرائه وانحرافه عنه(عليه السلام) الشبيه بالتواء القرن وهو تشبيه للمعقول للمحسوس، ويقال: إنّ الكبر الذي تداخل طلحة لم يكن فيه قبل يوم(أحد)، وإنما حدث به في ذلك اليوم، وذلك أنه أبلى فيه بلاءً حسناً.[٤]يقرر النقاد المعاصرون أن التفاعل بين طرفي الصورة لا يتوقف على مدى تحقق الصفات المشتركة بينهما على نحو الحقيقة والواقع، بل أن المبدع بما أوتي من يقظة عقلية وحس مرهف، بإمكانه أن يكتشف وجهاً من وجوه الشبه يصلح للربط بين طرفي الصورة التشبيهية وتفاعلهما على النحو الذي يكون ملائماً لانفعاله، وصادقاً في التعبير عن تجربته وهذا هو الخلق والابداع.[٥]

ونختمكلامنابقوله (عليهالسلام): (فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا ، وَ اسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا ، كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ ، وَ لَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ)[٦].

المنشئ أراد أن يصور للمتلقي بواسطة(التشبيه المجمل) قيامه بأعباء الخلافة حين انتهائها إليه وجريه فيها على قانون العدل والأوامر الإلهية، فتشبيهه لنفسه(كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ ، وَ لَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ) ،ولكن الإمام أجمل وجه الشبه، فلم يفصح عنه ، ووجه الشبه هو(الثبات على الحق بالجبل، فكما لا تحركه قواصف الرياح وعواصفها ، كذلك هو لا تحركه عن سوء السبيل مراعاة هوى لأحد ، أو إتباع طبع يخالف ما تقتضيه سنة الله وشرعه بل هو ثابت على القانون العدل وموافقة الأمر الإلهي)[٧]، وبذلك يكتسب التشبيه المجمل الغموض عبر إجماله وجه الشبه، وبالغموض يكتسب خيالاً وإيحاءً لم يكن يتصف به من قبل، وبالتالي تزداد قوة الصورة تأثيراً في المتلقي؛ لأنه مرتبطة بالانفعال النفسي للمنشئ، ويؤكد هذه الحقيقة مصطفى ناصف بقوله: (أنَّ الخيال يكون أكثر نشاطاً في حالة الانفعالية).[٨]

---

[١]ينظر: نقد الشعر: ١٢٢. ، وينظر:العمدة: ١/ ٢٨٨.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ٦١.
[٣]منهاج البراعة: ٧٤/١.
[٤]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٦٧/١.
[٥]ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي (جابر عصفور): ٩٠.
[٦]شرح نهج البلاغة(عبده): ٦٩.
[٧]شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٨٨/١.
[٨]الصورة الأدبية(مصطفىناصف): ١٧.

المبحث الثالث: دلالة أسلوب الإجمال والتفصيل في التشبيه البليغ:-

التشبيه البليغ: (هو الذي يحذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه، وسموا مثل هذا بليغاً لما فيه من اختصار من جهة وما فيه من تصور وتخييل من جهة أخرى)[١]، إذ إن حذف الأداة يفيد دعوى اتحاد الطرفين ، وحذف الوجه يشعر ظاهره الإعمام في وجه الشبه.[٢]

إن غياب أداة التشبيه ووجه الشبه يفتح أمام الخيال آفاق التطلع إلى وجوه اللقاء بين طرفي التشبيه أجمعها وإذا بهما واحد أو كالواحد في التصور(وفي هذا ما فيه من زيادة الدلالة على اتحاد المشبه والمشبه به)[٣].

ومن هنا يدخل الإجمال في المعنى المراد من الاتحاد، ويحتاج في إدراكه إلى إعمال فكر، فيكون بذلك أفعل في النفس، وادعى إلى تأثرها واهتزازها لما هو موكوز في الطبع من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى، وموقعه في النفس أجلّ وألطف ولهذا قال القزويني: (والبليغ من التشبيه ما كان من هذا النوع، أُعني البعيد لغرابته، ولأن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه كان نيله أحلى وموقعه في النفس ألطف ، وبالمسرة أولى)[٤].

وقد جاء هذا النوع من التشبيه كثيراً في نهج البلاغة، من ذلك قول الإمام (عليه السلام) في وصف الدنيا: (أَلَا وَ هِيَ الْمُتَصَدِّيَةُ الْعَنُونُ وَ الْجَامِحَةُ الْحَرُونُ وَ الْمَائِنَةُ الْخَئُونُ)[٥].

نلمس في النص دلالة على ضرورة الابتعاد عن بهارج الدنيا وزخرفها وملذاتها الزائلة، ويرسم الإمام(عليه السلام) صورة وافية لحال هذه الدنيا وحقيقتها كاملة خلال شواهد تنطق بحقيقتها ودلالتها في قوله(أَلَا وَ هِيَ الْمُتَصَدِّيَةُ الْعَنُونُ)، حيث يشبه الدنيا بالمرأة الفاجرة التي تعرض نفسها على الرجال تريد الفاحشة فما زالت تتزين لساكنيها، وتمنيهم وترغبهم بملذاتها، ووجه الشبه المجمل كون الإنسان يتعلق بها وينسى الآخرة فيكون من الخاسرين.

---

[١] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها:١٨٠/٢.
[٢] ينظر:نظرات في علم البيان(د.محمد عبد الرحمن الكردي): ١٤٥.
[٣] البلاغة فنونها وأفنانها(البيان)، د.فضل حسن عباس: ٥٦.
[٤] الإيضاح: ١٤٨.
[٥] شرح نهج البلاغة(عبده):٢٨٥.

أما قوله (وَ الْجَامِحَةُ الْحَرُونُ) فشبهها بالدابة ذات الجماح، وهي التي لا يستطاع ركوبها ؛ لأنها تعثر بفارسها وتغلبه، ووجه الشبه بين الطرفين المجمل عدم انقيادها لأهلها وعدم قدرتهم على تصريفها وهم أحوج ما يكونون إليها.

وأما قوله (عليه السلام)(وَ الْمَائِنَةُ الْخَئُونُ)، فشبهها بالمرأة الكاذبة الخائنة، وأجمل وجه الشبه بينهما في عدم وفاء الدنيا لمن غرته وخدعته عن نفسه بزينتها فكأنها لذلك أعطته عهداً بدوامها له فخانته بزوالها عنه ولم تف بعهده.[١]

وبذلك رسم التشبيه البليغ وعبر الإجمال في وجه الشبه ثلاث صور حسية تجسد مأساة الدنيا لأهلها بإغرائهم ، وعدم انقيادها لهم وعدم وفائها، فهل من حال واحد من حالات الدنيا هذه يمكن الركون إليها والاعتماد عليها!.

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): **(....لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ وَ الْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً)[٢].**

يصور التشبيه البليغ(التقوى) لم تزل عارضةً نفسها على من سلف من القرون مشبهاً إياها بالمرأة الصالحة التي تعرض نفسها للتزويج والانتفاع بها، فرغب فيها من رغب، وزهد من زهد، وفصّل وجه الشبه المجمل كونها(لم تبرح كذلك لحاجة الخلق إليها غداً، أي يوم القيامة ترغيباً فيها بكونها محتاجاً إليها)[٣]. وهذا هو الوصف المشترك بين التشبيهين .

وبهذا نرى أن تشبيهات الإمام علي(عليه السلام) حافلة بالأحاسيس التي تخاطب الناس بعقولهم وبلغتهم التي يفهموها وما تحمل هذه اللغة الحيّة من بلاغة سائغة، تنم عن حرص الإمام على الإسلام والمسلمين، فكانت تشبيهاته غاية في الروعة تصور أحداث الحياة التي تمرَّس بها فجمع بذلك بين الفن والذوق الجمالي ليخرج لنا برائعة من روائع تشبيهاته.

ومثل ذلك قوله(عليه السلام) : (حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وَ تُورِدُهُمْ صَفْوَهَا وَ لَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَ لَا سَيْفُهَا وَ كَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً)[٤].

الثنائيات الرئيسة في هذا التشبيه ارتكزت على المشبه العام في الضمير(هي) فهو ذو دلالة عامة على المؤنث العاقل وغير العاقل، والمحسوس وغيره، فضلاً عن

---

[١]ينظر:شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٥٥/٤.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٧١.
[٣]شرح نهج البلاغة(البحراني): ١٣١/٤.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده):١١٩.

دلالته على المراد به دلالة عامة مجملة، فضلاً عن دلالته الضدية؛ لأن الإضمار من الضمور والتصغير، وهذا معناه وجود ثنائية داخلية ذاتية.

أما المشبه به فهو(مَجَّةٌ) الدالة على المرة من معنى القلة ، وكذلك التحقير، والإجمال في وجه الشبه بين طرفي الصورة التشبيهية (بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ)، وفصّل ب(تحقير ما حصلوا عليه من الأمر ولذتهم به وتحقير مدته)[١]، وقد استعار لذلك التحقير لفظ(المجة) وكنى بكونها مطعومة لهم عن تلذذهم بها مدة إمرتهم، وبكونها ملفوظة عن زوال الآخرة عنهم، وأكد ذلك الزوال بقوله(جُملةً) أي بكليتها وهي كناية بالمستعار تشبيهاً لها باللقمة التي لا يمكن إساغتها.[٢] وبالإجمال في وجه الشبه المتمثل بالتشبيه البليغ(بَلْ هِيَ مَجَّةٌ)، حصلت المفارقة التي تفاجئ المتلقي وتعمق المعنى المبهم الذي حصل في وجه الشبه المبهم ودلالته التحقير لما حصل لبني أُمية ، حيث ينعمون في الدنيا قليلاً، ثم تتكشفالحقائق عن أوخم العواقب وأسوئها فيتذوقونها أمداً قد يطول بعض الوقت ثم لن تعود إليهم أبداً.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام)في الرسول الأعظم(صلى الله وعليه وآله وسلم): (أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ طُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَ اعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ وَ انْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ وَ تَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ وَ الدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا وَ إِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَ اغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى وَ ظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ وَ طَعَامُهَا الْجِيفَةُ وَ شِعَارُهَا الْخَوْفُ وَ دِثَارُهَا السَّيْفُ. فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ)[٣].

يتجسد التشبيه البليغ الأول في (ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ)،ونجد إن لفظ(ثمر) دال بلا ريب على النضرة واللذة والحياة والتعدد الإيجابي في الغالب إذ يتخيل المتلقي ألوان الثمار ، ويكاد يشعر طَعمِها اللذيذ، وهو لفظ عام يشمل أصنافاً متعددة، ولفظ (ثمر) عام خصص بإضافته إلى ضمير المؤنث (الهاء) وهو المشبه.

أما (المشبه به) فهو (الفتنة) والفتنة دال على التصغير والتخصيص؛ لأنهاحدث شاذ يتوسط أحداثاً عامة متساوية أو متقاربة، لذا تبدو الفتنة ناتئة وسط استواء عام، فضلاً عنأنها من أسباب الألم والخوف والقلق.

أما وجه الشبه بين(ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ) فهو مجمل لترسيخ وتوكيد الإبهام في ذهن المتلقي من كون أنهم كانوا في خبط الظلمات أي (الضلال في سبيل الله والتيه في ظلمات الباطل)[٤]، والفساد وغاية كل شيء هو مقصوده فتشبه الثمرة التي هي مقصود الشجرة فلذلك استعير له لفظها. وهي من تشبيه المحسوس بالمعنوي ؛لأن الثمر في الأصل شيء محسوس، أما الفتنة فشيء معنوي، وهذا أساس نسق بنائي يدل على التحول، والتحول أجراء فني له مصاديق متعددة، ويعطي النص قدراً من التأثير المتكرر والمتنوع.

---

[١]شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤١٨/٣-٤١٩..
[٢]ينظر: م.ن:٤١٩/٣.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٢٠.
[٤]شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٢٣/٣.

وأما التشبيه الثاني في(طَعَامُهَا الْجِيفَةُ)، فقد شبه المحسوس (الطعام) الذي هو رمز اللذة والحياة وهو عام تندرج تحته أنواع كثيرة، بالمشبه به المحسوس(الجيفة) وهي انتفاء اللذة، وفي هذا التشبيه نجد تحول سريع من الدلالة المشرقة إلى الأخرى المقززة.

وفي هذا التشبيه وقع إجمال لم يصرح به الإمام عن وجه الشبه بين طرفي الصورة التشبيهية ليجعل المتلقي يتشوق لمعرفة الإبهام الذي فيه وقد فسّر(ووجه المشابهة أنه لما كانت الجيفة عبارة عما أنتن وتغيرت رائحته من جثة حيوان ونحوها فخبث مأكله ونفر الطبع عنه كذلك طعام الدنيا ولذاتها في زمان الفترة أكثر ما يكون من النهب والغارة والسرقة ونحوهما مما يخبث تناوله شرعاً وينفر العقل منه ، وتأباه كرائم الأخلاق فأشبه ما يحصل من متاعبها إذن الجيفة في خبثها وسوء مطعمها... ويحتمل أن يكنى بالجيفة عما كانوا يأكلون في الجاهلية من الحيوان غير المذكى وهو ما حرمه القرآن الكريم من ذلك قوله: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ)[١]، أي المضروبة بالخشب حتى تموت ويبقى الدم فيها فيكون أطيب كما زعم المجوس، والمتردية: أي التي ترددت من علو فماتت، فإن كل ذلك إذ مات فكثيراً ما يتعفن ويؤكل فيصدق أن طعامهم كان الجيفة)[٢]، وبهذا التفصيل في وجه الشبه يزول الإجمال الذي أجمله الإمام في وجه الشبه في تشبيهه البليغ(بالإضافة) (طَعَامُهَا الْجِيفَةُ).

وقوله (عليه السلام): (تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ وَ مِنْهُمُ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا وَ تَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ وَ مَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ)[٣].

ضرب الإمام للدنيا وأهلها مثلاً عجيباً بقوله (تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ)، فمثلها بالسفينة عند عصف الريح، ومثل حال كونها(تَقْصِفُهَا) العواصف في لجج البحار الغامرات المتلاطمة التيار المتراكمة الزخار.

إذن المشبه الدنيا بالسفينة في (اللجج) حال كونها تضربها الرياح الشديدة، وشبه أهل الدنيا بأهل السفينة، وشبه تقلباتها بأهلها بالهموم والأحزان والغموم والمحن بميدان السفينة واضطرابها بأهلها، وشبه الأمراض والآلام والعلل والأسقام ونحوها من الابتلاءات الدنيوية الموجبة للهموم والأحزان، بالرياح العاصفة الموجبة لاضطراب السفينة. ويأتي الإجمال عبر وجه الشبه بين الطرفين وتفصّيله ب(أن راكبي السفينة في لجج البحار الغامرة عند هبوب الريح العاصفة، والزعزع القاصفة كما لا ينفكون من علز القلق وغصص الجرض، كذلك أهل الدنيا لا ينفكون من مقاساة الشدائد وألم المضض)[٤].

---

[١] المائدة:٣.
[٢] شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٢٣/٣.
[٣] شرح نهج البلاغة(عبده):٢٩٤- ٢٩٥.
[٤] غريب نهج البلاغة:٣٨٤.

وبهذا تكون الصورة الفنية في التشبيه البليغ قد أخذت بالسامع نحو الخيال، وفتحت آفاق التطلع إلى اللقاء بين طرفي التشبيه ، فكانت صورته تعتمد على الخيال ؛لأن المشبه العقلي (الدنيا) لم يشارك المشبه به الحسي بصفتها الحقيقية بل يحتاج في تحصيله إلى ضرب من التأمل والتأويل، ويسترسل الإمام في وصفه للصورة التشبيهية واصفاً راكبي السفينة بعدما انكسرت بالقواصف صاروا قسمين (فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ) أي الغارق في غمار بحار الأمواج ،وقسم (مِنْهُمُ النَّاجِي) من الغرق على بعض أخشاب السفينة، وألواحها على متون الأمواج المتلاطمة المتراكمة، و(تَحْفِزُهُ) أي تدفعه من خلفه الرياح العاصفة والزعازع القاصعة بأذيالها من جنب إلى جنب شبهها بالحيوانات البحرية التي تضرب بذيلها و(الذيل): مؤخر الحيوان كذلك مؤخرات الرياح تقصف بقوة ؛ لأنها ناتجة عن تموجها الذي يشبه (التقلص والانبساط)، عند الحيوان، و(تَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا) فتسوقه من رفع إلى خفض، ومن خفض إلى رفع، فكذلك أهل الدنيا ينقسموا إلى قسمين أحدهما: الهالك عاجلاً بغمرات الآلام وطوارق الأوجاع والأسقام، والآخر: الناجي بعد مكايد تعب الأمراض، ومقاساة مرارة العلل، وبهذا قدم لنا الإمام لوحة فنية خلال التقاء طرفي التشبيه، وإجمال وجه الشبه الذي صور لنا صورة مؤثرة تستولي على القلوب وتحرك العقول لتنفعل بذلك التصوير الفني الجميل ، والذي كان غرضه الأساس التنفير من الدنيا، والتنبيه على قرب زوالها، وتكدر عيشها، ومرارة حياتها، ليرغب بذلك كله 'إلى العمل للدار الآخرة.

ومن كلام له (عليه السلام) قاله لأصحابه في ساحة الحرب بصفين: (إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَ لَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ)[1].

شبه الإمام الموت، (بالطَالِبٌ حَثِيثٌ) المشبه به،وأجمل الإمام ولم يفصح عن وجه الشبه بينهما وما ذلك إلاّ لتعظيم وتفخيم شأنه، ثم شرع في تفصيل صفات الموت في (لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ) وَ(لَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ)، فلا يمكن لأي إنسان أن يهرب من الموت إذا جاء أجله، فكان للتشبيه البليغ، وعبر الإجمال بين طرفي التشبيه دور مهم في قوة الصورة وتأثيرها في النفوس، ومن ثم خلقه جواً شعورياً يوحي بما يكنه الإمام من قوة تعبيرية تجاه الموت.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام) في حكمة: (إِنَّ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ وَ سَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَ تَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَ عَادَاهَا وَ هُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ مَاشٍ بَيْنَهُمَا كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الْآخَرِ وَ هُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ)[2] .

إن غياب الأداة ووجه الشبه أدى إلى تناسي التشبيه فقد أصبح كل من الدنيا والآخرة عدوّين متفاوتين، وهنا التشبيه يثير دهشة المتلقي بما يكنه من قيمة تعبيرية وإيحائية، فوجه الشبه مجمل بين الطرفي الصورة التشبيهية مبني على ضرب من التأويل، وهو منتزع من قبل العقل والفكر، (فالدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ) المشبه، و(عَدُوَّانِ

---

[1] شرح نهج البلاغة(عبده): ١٨١.

[2] م.ن: ٤٧٥.

مُتَفَاوِتَانِ) المشبه به وذلك لأن عمل كل واحد من الدارين مضاد لعمل الأخرى، فعمل الدنيا الاكتساب والاضطراب في الرزق، والاهتمام بالمعاش، والولد والزوجة، وما ناسب ذلك . وعمل الآخرة قطع العلائق، ورفض الشهوات ، والانتصاب للعبادة، وصرف الوجه عن كل ما يصد عن ذكر الله تعالى، ومعلوم أن هذين العملين متضادان، فلا جرم أن كانت (الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ)، (ضرتين) لا يجتمعان.[1] وهذا التشبيه محسوس أبدع المنشئ حينما جعله تشبيهاً بليغاً، حتى يبقى عالقاً في آذاننا فضلاً عن قدرة مظهر التشبيه على (توحيد هويتين متباينتين عن طريق الإلحاح على نقطة الالتقاء بينهما، وإبطال مسافة التباين والمسافة بين الحدين انطلاقاً كبيراً، وإلغاؤها لا يتم بالاجتياز، أو الانتقال بين الحدين وهذا ما يولد أغراباً وحركة للنفس)[2].

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام) :(فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ وَ صِلُّ وَادٍ لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً وَ كَانَ لَا يَلُومُ أَحَداً عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ وَ كَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ)[3].

رسم لنا التشبيه البليغ صورتين حسيتين موحيتين الأولى صور لنا فيها الأخ في قوله(فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ)، وأجمل وجه الشبه قصد التعظيم والتفخيم للأخ، فهذا الإنسان إذا قدمت الحرب كان مثل الليث في عدوانه وسطوته، يحمي حوزته، ويصون كرامته، ويسخي بنفسه في سبيل الحق والإنسانية.

والصورة الأخرى هي صورة حسية متحركة في (وَ صِلُّ وَادٍ)، إذ شبهه بالأفعى في نكايته وبأسه على العدو، والمثل يضرب بحية الوادي في الشجاعة ونكاية السم.

هاتان الصورتان المتحركتان توحيان بالحركة والشجاعة والدهاء، جسد فيها الإمام (عليه السلام) انفعالاته اتجاه هذا الإنسان وصفاته، وقد أفاد من الإجمال في وجه الشبه ليذهب المتلقي مذاهب شتى في الخيال بحثاً عن جمل يفصّل بها الإجمال في وجه الشبه.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (إِنَّ كَلَامَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً وَ إِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً)[4].

نلاحظ أن الصورة التشبيهية مبنية على استعمال الأداة (إِذَا) لتدلل على تحقق هذه الصفة في هذه الحكمة؛لأن (إِذَا) الشرط يكون مقطوعاً وقوعه.[5]

فشبه الإمام (عليه السلام) كلام الحكماء إذا كان صواباً بالمشبه به(كَانَ دَوَاءً)، ومشبهاً أيضاً إذا كان كلام الحكماء (خطأ) بالمشبه به(كَانَ دَاءً)، وأجمل وجه الشبه العقلي المنتزع بين كلا الصورتين، ليفاجأ المتلقي بماهية القول بين

---

[1] ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٢١٩/٥.
[2] حركية الإبداع دراسة في الأدب العربي الحديث:١٧١.
[3] شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٨٩.
[4] شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٨٥.
[5] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة:٨٨/١- ٨٩.

طرفي التشبيه، والمبدع محق في هذا الكلام؛ وذلك لقوة اعتقاد الخلق في الحكماء وشدة قبولهم لما يقولونه فإن كان حقاً كان دواء من الجهل، وإن كان باطلاً أوجب للخلق داء الجهل، ولذلك قيل : (زلّة العالمِ زلزلّة العالَم)[١].

ولهذا يجب أن يحذر العالم فيما يقوله ، ولا سيما إذا كانت له وجاهة عند الناس مما يقوله، فربَّ كلمة تجلب بها النقمة، أو تسلب بها النعمة.

وقوله أيضاً(عليه السلام) : (فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ وَ تَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ وَ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ وَ كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَ نَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ وَ جَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ)[٢]

الإجمال هنا في وجه الشبه فلا وجود لوجه الشبه هنا إلاّ تأويلاً ،وتخيلاً وهناك خفاء لمعرفة المشبه به، فقوله(مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ) المشبه و(بِتَبَايُنِ أَعْضَائهم، وتلاحم حقاق مفاصلهم) هو المشبه به، والمشبه به في الحقيقة هو (الخلق) وإنما جعل المشبه به هو (بِتَبَايُنِ أَعْضَائهم، وتلاحم حقاق مفاصلهم)؛ لأنه في معرض ذمّ والتنبيه على وجوه أغلاطهم.[٣]، وتباين الأعضاء وتلاحمها من لوازم المشبه به، وهما مستلزمان للتركيب واجتماع المفردات، ظهور دلالته على أن يتشبه به الصانع المطلق، وعن تنزيه الإله عن التشبيه به، وإن كان تقدير الكلام: (من شبهك بخلقك في أعضائهم المتباينة المتلاحمة...).

ومعنى السياق الكلي في هذا النظم أنه (عليه السلام) شهد بأن المجسِّم كافر، وأنه لا يعرف الله، وإن من شبه الله بالمخلوقين ذوي الأعضاء المتباينة،والمفاصل المتلاحمة ، لم يعرفه ولم يباشر قلبه اليقين فإنه لا ندّ له ولا مثيل، وأكد ذلك بآيات من كتابه عزّ وجل وهي قوله(فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)[٤]، فقال سبحانه ، قول الكفار في النار: وهم التابعون للذين أغووهم من الشياطين، وهم (المتبوعون)لقد كنا ضالين، إذ سويناكم بالله تعالى وجعلناكم مثله ووجه الحجة أنه تعالى قصّ علينا قصة منكر على من زعم أن شيئاً من الأشياء يجوز تسويته بالباري سبحانه ، فلو كان الباري جسماً مصوراً لكان مشابهاً لسائر الأجسام المصورة، فلم يكن لإنكاره على من سواه بالمخلوقات معنىً، وأردف الإمام بقوله(كَذَبَ الْعَادِلُونَ) أي: المثبتون لك نظيراً أو شبيهاً يعني الأجسام المشبهة والمجسمة إذ قالوا إنك على صورة آدم، فشبهوك بالأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها، وأعطوك حلية المخلوقين لما اقتضت أوهامهم.

---

[١]شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٦٥/٥.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٢٥.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٤٤٠/٢.
[٤]الشعراء: ٩٤-٩٨.

جاء هذا المعنى بسبب تأويل (المشبه به) في قول الإمام هذا ، فغرابة هذا النوع من التشبيه أثرت في معنى السياق الكلّي للنظم، فكان التشبيه البعيد الغريب(البليغ) إنما كان مما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلاّ بعد إعمال فكر لخفاء وإجمال وجهه والسبب يكمن في هذا النص لبعد المناسبة بين المشبه والمشبه به أي (تشبيه الخالق بالمخلوق).

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (أَلَا وَ إِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ خُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَ إِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ أُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَ بَاطِلٌ)[١].

ياله من تشبيه رائع، فقد شبه الإنسان الذي يسير في طريق الحياة بغير رادع ديني أو وازع مبدئي بتلك الفرس التي نزع عنها لجامها ، وغدت تجري بغير سائس إذ تقود راكبها إلى مهاوٍ ومهالك.

وأجمل وجه الشبه، ليفاجأ المتلقي بماهيته في التقريب في العمق الدلالي بين الصورتين وقد بيّن وفسّر(ومن لطيف التشبيه ومن قبيل التشبيه المعقول بالمحسوس، ووجه الشبه، أن الفرس الشموس التي خلعت لجامها، كما أنها على غير نظام وتتقحم لصاحبها في المعاطب والمهالك)[٢].

وقد بيَّن لنا الإمام (عليه السلام) أنّ (الذنب كالفرس الجموح، والنفس كالراكب، والدين كاللجام، ومن ركب فرساً جموحاً بلا لجام يردعها أوردته مناهل الهلكة، وهكذا فاعل الخطايا ، ومرتكب الذنوب بلا رادعٍ، من دين الله مآله إلى النار لا محالة)[٣].

ثم ذهب (عليه السلام) إلى الصورة المعاكسة هي تشبيه التقوى بالخيل الذلول الذي يريد(أَلَا وَ إِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ أُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَ بَاطِلٌ)، أما وجه الشبه المجمل ، فهو السيطرة والتحكم بالعقل، وإذا كان الزمام بيد راكبها ، فمن شأنه أن يقود الفرس على نظام ويعصمها من التقحم في المصاعب أي أن الذي (يتقي الله ، ويسلس قياده إلى أحكامه وحلاله، فنهايته إلى الجنة تماماً كراكب المطية الذلول تسير طوع إرادته في طريق السداد والأمان)[٤].

إنَّ اشتراك التضاد في الصورة بين (الخطايا)، و(التقوى) مع التشبيه البليغ، وإجماله وخفائه لوجه الشبه بينهما أعطى للصورة امتداداً نغمياً قادراً على تجسيد حالة الألم التي تعتصر قلب الإمام، وهو يتحدث عن الصورتين بصور استعارية من استعارة لفظ المعقول للمحسوس لتقوية أثرهما الدلالي وبالتالي توليد التأثير النفسي والانفعالي لدى المتلقي.

---

[١] شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٠- ٤١.
[٢] منهاج البراعة:١٩٨/٣.
[٣] في ظلال نهج البلاغة: ١٣٦/١.
[٤] م.ن: ١٣٧/١.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام) : (وَ احْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ وَ السَّلَامُ)[١].

تجمع الصورة بين طرفين ، عقلي : وهو الغضب، وحسي: وهو(جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ)، وجاءت الصورة هنا خالية من أداة التشبيه ووجه الشبه فهي مجملة ، وهي قائمة على مطابقة المشبه والمشبه به، فالغضب في ثورته كجند من جنود إبليس ؛ لأنه من أعظم ما يدخل به على الإنسان فيملكه ويصير في تصريفه كالملك الداخل بالجند العظيم على المدينة، وكلما كان كذلك فواجب أن يحذر منه.[٢]، وإنما جعله (عليه السلام) جنداً عظيماً من جنود إبليس (لأنه أصل الظلم والمقت وإفساد كل أمر صالح، وهو أحدى القوتين المشئومتين اللتين لم يخلق أضرّ منهما على الإنسان، وهما منبع الشر: الغضب والشهوة)[٣].

فأراد الإمام بذلك التصويرالتنفير من الغضب والحث على تجنبه ؛ لأنه جمرة الشيطان يوقدها في القلوب ليخرج الناس عن دينهم وعقولهم، ف (الغضب يوجب الاضطراب في ميزان العقل ويدفع النفس للانتقام أيّاً كان طريقه، وهذا أكبر عون للمضل على إضلاله)[٤].

إن مثل هذا التصوير يكسب الصورة قوة ويضاعف تأثيرها في النفس ، ليخلق موقفاً نفسياً رافضاً لتلك الصفة الذميمة.

وهناك من التشبيه البليغ ما يكون المشبه به مصدراً مبيناً للنوع.[٥] ويسمى التشبيه بالمصدر حيث وصفه ابن الأثير بقوله : (ومن محاسن التشبيه أن يجيء مصدرياً، كقولنا: أقدم أقدام الأسد، وفاض فيض البحر، وهو أحسن ما أستعمل في باب التشبيه)[٦].

وهناك من يجعل المصدر أداة ، وقد ذهب الدكتور أحمد مطلوب ، والدكتور حسن البصير إلى أن التشبيه بالمصدر في نحو قولنا: (مرق مروق السهم) وسواه (يفيد التشبيه أصالة... وفي رأينا أنّ الكلمة إذا أفادت التشبيه ، وعقدت مقارنة بين المشبه والمشبه به فهي أداة تشبيه على الإطلاق، أما قوة هذه الكلمة ، ودرجة تلك الإفادة فيحتكم في تقديرها إلى أثر التشبيه في عقل المتلقي وشعوره)[٧]، وعلى هذا الشكل جاء تشبيه الإمام حينما خطب بأصحابه عندما أغار النعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر* لحث المسلمين على التصدي له، فلما تثاقل المسلمون آنذاك في نصرته خاطبهم (عليه السلام) بهذا الكلام: (دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسَرِّ وَ تَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):٤٣٥.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٣٨٣/٥.
[٣]شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ١٤٧/٥.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٣٥.
[٥]ينظر: علم أساليب البيان(غازي يموت):١٥٥.
[٦]المثل السائر: ١٢٥/٢.
[٧]البلاغة والتطبيق: ٢٨٤.
*عين تمر: بلدة واقعة في طرف البادية على غربي الفرات،أغار عليها النعمان بن بشير بألفي فارس من الشام لإرهاب أهل العراق وكان عليها أحد عمال أمير المؤمنين وهو مالك بن كعب : ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٢٨٨/١.

الْأَدْبَرِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ)[١].

يضعنا الإمام (عليه السلام) أمام ثلاث صور تشبيهية اثنتين منها خالية من أداة التشبيه ووجه الشبه، في قوله(فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسَرِّ) وَ (تَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الْأَدْبَرِ)، حيث شبه حالهم حينما استنفرهم فتقاعسوا متذرعين بكلام غامض ومعتذرين بأعذار واهية تكشف عن جبنهم وضعفهم بحال الجمل المصاب بقرحة في زوره، وهو يردد صوتاً قبيحاً، ووجه الشبه بينهما مجمل ، لخفائه، وقد فسّر بالتضجر، وإطلاقهم كلام غير مفهوم، والتشبيه الثاني بحال البعير المهزول المعقور، وهو ينهض متثاقلاً، ووجه الشبه المجمل بينهما هو أيضاً التضجر والتثاقل عن نصرة أخوانهم، والتذمر من القتال.

أما التشبيه الثالث فهو تشبيه تمثيلي في قوله(خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ)، حيث صور حال القلة التي خرجت للحرب في ضعف وتثاقل وتردد بحال جماعة من الناس يساقون إلى الموت سوقاً وهم يرونه أمامهم رؤية العين، وفي هذا التشبيه اقتباس من قوله تعالى: (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ)[٢]، وجيء بالمشبه به في الآية الكريمة لتصور المشبه(ثم خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ)، واورد الإمام لفظة (جُنَيْدٌ) مصغرة للتحقير[٣].وجيء بها منكرة على سبيل الإهانة والنكارة، ولفظة(مُتَذَائِبٌ) توحي بالتمايل والتطوح من الهزال والضعف.

ووجه الشبه المجمل هنا (عقلي غير حقيقي) يحتاج إلى ضرب من التأويل ، فما الذي يخاله المتلقي من حال هؤلاء القلة وهم يساقون إلى الموت، بالطبع فهذه صورة تترك المجال للخيال فسيحاً لتصور مدى الرعب والاضطراب والحيرة والتردد في المسألة، والشعور بالضعف والخوف، أما آثار الرعب الشديد فتبدو في أعينهم وهي شاخصة فلكل عضو يمكن للإنسان التحكم فيه مهما بلغت قوة أعصابه إلاّ حركة العينين فلا بد أن تظهر فيهما انفعالات ورعب الإنسان ويأسه فيهما.

رسم الإمام لنا صورة حية متحركة يرصدها الخيال ويفيض في تمليها بما يوحي بالمعنى أشد إيحاء، ونجد فيها الصدق الفني الواقعي عندما صور هؤلاء الجند المتذائبون الضعفاء بحال من يساق إلى الموت.

الصور الثلاث التي رسمها لنا الإمام توحي بالألم المتأجج من الأعماق لحال هؤلاء المتقاعسين عن القتال ، لوَّنها الإمام بمشاعره الإنسانية الصادقة، فجاءت صور معبرة مؤثرة توحي بانفعال القارئ لما يتخيله من صور ، وعبر الإجمال في وجه الشبه المجمل فيهما، فكانت تلك الصور توجه التشبيهات والحركات وجهة مأساوية يذهب فيها الآخر إلى التلاشي والتهشم والضياع، وهذا تعبير عن الرفض

---

[١] شرح نهج البلاغة(عبده): ٧١.
[٢] الأنفال:٦.
[٣] ينظر : منهاج البراعة:١٧٥/٤.

المؤثر لحال المخاطب المقصود بالخطاب الآخر فضلاً عن صيرورة الخطاب وعظياً منذراً بعاقبة غير محمودة، فهو أذن خطاب يدعوا الآخر (الأنا).

وهكذا فأن الحركات والعلاقات اللغوية هنا تدور في محيط الثنائية الضدية(أنا، الآخر) رافعة الأنا ومحطمة الآخر.[١]

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ)[٢].

تتحرك بنية التشبيه البليغ (بالمصدر) ضمن حركتين: الأولى ذات اتجاه تشريفي إذا أضيف المال إلى لفظ الجلالة وهذه الحركة التصويرية تقوم على المعنى الضمني المراد به التوبيخ والذمّ الذي ظهر في الحركة الأخرى.

الحركة الأولى الحركة الأخرى

يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع

الفاعل(هم) أي: الآخر/مضمر الفاعل الإبل/ اسم صريح

الآخر الإبل

حيث شبه (عليه السلام) خضمهم لمال الله بخضم الإبل نبت الربيع، وأجمل الإمام وجه الشبه لتعظيم وتشويق المتلقي لسماعه، فوجه الشبه(أنّ الإبل لما كانت تستلذ نبت الربيع بشهوة صادقة وتملأ منه أحناكها، ذلك لمجيئه عقب يبس الأرض طول مدّة الشتاء، ومع ذلك طيبه ونضارته، كان ما أكله أقارب عثمان من بيت المال مشبهاً لذلك من جهة كثرته وطيبه لهم عقيب ضرّهم وفقرهم) وكل ذلك في معرض الذم والتوبيخ المستلزم لارتكاب مناهي الله المستلزم لعدم التأهل لأمر الخلافة.[٣]

لذا الحركة الأولى مكرسة للذم (هجائية)، وتقوم على السلب الآتي من الخصم، بمعنى الإيعاز بتجريد (الآخر) مما تختزنه الحركة الأولى من الايجابي الذي يتمتع به الأنا.

الحركة الأولىالحركة الأخرى

معنوي بالإضافة إلى لفظ الجلالة مادي

باق زائل

طويل أبدي قصير(فعل الربيع)

جمع(مال) مفرد(نبتة)

ينمو(غير مضاف إلى فصل ينقص

ينقص وينتهي)

---

[١] ينظر: التشبيه البليغ في نهج البلاغة(أزمة الترافض وثنائية أنا الآخر):٧٧/١.

[٢] شرح نهج البلاغة(عبده):٣١.

[٣] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ١٨٠/١- ١٨١.

وثمة محصلة مهمة هي تحول الفاعل في الحركة الأولى إلى حيوان شره في الحركة الثانية وهذا التحول يمكن أن يدرك غوره بإيضاح البنية العميقة لفعل الحركة الأولى، التي هي بنية مجازية تتحول إلى السطح الحقيقي الدلالة من العمق المجازي الدلالة.

البنية السطحية ←——→ يخضمون مال الله ←——→ حقيقة

البنية العميقة ←——→ يخضمون مال عباد الله ←→ مجاز[١]

لاريب أنَّ ابداع الإمام(عليه السلام) وخلقه هذه الصورة التشبيهية هو التفاته إلى وجوه شبه خفيّة يدّق المسلك إليها فلا يستطيع التقاط مثل تلك الصورة إلاّ من أوتي فضل تأمُّل وروّية تمكنه من إعادة تنسيق عناصر الصورة ؛ لأن التشبيه لا يقوم على أساس حشد عينات حسيّة متباينة وجمعها إلى بعضها كيفما اتفق ، وإنما يقوم على أساس إيجاد التأليف السوّي بين الشيئين(حتى يكون إئتلافهما الذي يوجب تشبيهك من حيث العقل والحدس)[٢]؛ لأن المبدع ليس بامكانه اختلاق وجوه شبه (ليس لها أصل في العقل)[٣]، وهذا ما يمييز التشبيه في الخطاب العلوي من غيره من الخطابات الأخرى فقد تمكن (عليه السلام) من (تطعيم الصورة بما يجاوز مجرد التناظر، أو التقابل أن تتحول الصورة إلى معانقة نفسية يفجرفيها ...ز ما تغور من مشاعر تحت ركام الذهن وسطحية المنطق، ويكون تداخل الانفعال مع حركة الذهول الفني...ز بما يجعلها تتعدى أسار المحدودات.... ويدفعها إلى تخطي أسوار العقلانية التي تفصل الأشياء، لتعانق ذهولاً فنياً محدقاً نحو حرم الرؤية الشعرية)[٤]

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ وَ الثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُكُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ وَ انْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا وَ الضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا الذَّلِيلُ وَ اللَّهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ وَ مَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ)[٥].

الصورة توحي بالحزن والألم ،إذ نستشف مدى التأثير النفسي العميق الذي يقوم على اليأس، والتوبيخ في ذّم أصحابه ، نلحظه من التشبيهات المتنوعة في هذا النص، فالتشبيه الأول جاء في قوله(كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ وَ الثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُكُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ)، مشبهاً الإمام حاجتهم إلى المداراة

---

[١]ينظر: التشبيه البليغ في نهج البلاغة(أزمة الترافض وثنائية أنا الآخر):٧٣/١.
[٢]أسرار البلاغة: ١٣٠.
[٣]م. ن: ١٣٠.
[٤]فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ١٧٦.
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده):٩٠- ٩١.

الكثيرة، وجاء ذلك التكثير عبر(كم) الخبرية، وليس ذلك من شيم الرجال ذوي العقول، بل من شأن البهائم ومن لا عقل له ونبههم في حاجتهم إلى المداراة بتشبيهين:

أحدهما: بالبكارة: وهي فتية الإبل ولكنها(عمدة) والعمدة هي التي تأثر داخل سنامها من الركوبفانفضح فبقي ظاهره سليماً، وقد جعل الإمام كبكار فتية ظاهرها سليم من الركوب الذي هو رمز لاستجابتهم الفتن إذ وجد فيهم أعداؤه مركباً لركبوه فحملهم حتى أنفضح، ووجه الشبه المجمل فسّر وبيّن ب(قلة صبرهم وشدة إشفاقهم وقرارهم من التكليف بالجهاد واستغاثتهم كما يشتد جرجرة البكر العمد، وفراره من معاودة الحمل)[١].

والآخر: بالثياب المتداعية: وهي التي يتبع ما لم يتخرق منها ما أنخرق في مثل حاله، ووجه الشبه مفصل هنا ما ذكره كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر: أي كما أنّ الثياب المتداعية كذلك، فكذلك أصحابه كلماأصلح حال بعضهم وجمعهم للحرب فسد آخر عليه.

ونجد حضور لحيوان الصحراء(الضبّة، أو الضَّبُع) في التشبيه البليغ(بالمصدر في قوله: (انْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا وَ الضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا)[٢].

مشبهاً الإمام خوفهم وفرارهم بالضّبة والضبع حين ترى الصائد أو حدثاً تخافه، وإنما خص الإناث لأنها أولى بالمخافة من الذكران، وخصّ الإمام هذين المذكورين من بين سائر الحيوانات، لأتصاف الأولى: بالجهل والعقوق، وجهلها أن تحفر مكانها عند صخرة حتى لا تضل طريقها إليه إذا خرجت لطلب الطعام، وعقوقها أنها تأكل حسولها*، والثانية: لاتصافها بالحمق، وهذا معروف عند العرب.[٣]

وهذا هو وجه الشبه المجمل بين أصحابه وبين الحيوانين المذكورين (الضبّة ، والضَّبُع) وفصّل (بالجهل ، والحمق ، والخوف، والجبن).

وقوله (عليه السلام) أيضاً: (فَاللَّهَ اللَّهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ وَ آجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ وَ سُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى وَ مَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ فَمَا تُكْدِي أَبَداً وَ لَا تُشْوِي أَحَداً)[٤].

يبدأ الإمام في هذا النص بتكراره لفظة(الله) وهو لفظ الجلالة الذي يحمل في طياته معنى مقدس، أسهم إعطاء هذا اللفظ دليلاً حول الفكرة التي يريد بثها إلى المخاطب في هذا النص ، فضلاً عن دلالة الانتباه والترقب لما سيقوله الإمام من كلام يأخذ معنى التحذير والالتزام بهذا القول المهم، إذ يحذر الإمام من الكبر واصفاً

---

[١]شرح نهج البلاغة(البحراني): ٣٤٦/٢.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده):٩٩.
*حسولها جمع حسل: ولد الضبع حيث يخرج من بيضه.
[٣]ينظر: لسان العرب:١٦٠/١٣.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٨٠.

إياه كونه(مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى)، في صورة تشبيهية بليغة حذف منها أداة التشبيه ووجه الشبه، وصار الكلام مجملاً يحتاج إلى تفسير،(باعتبار أنه يصير الداخل فيه من حزب إبليس وفي قبضته كالشبكة وحبائل الصائد، ووصفها بالعظم باعتبار قوته وكثرة ما يستلزمه من الرذائل، مستعيراً له لفظ(المَكِيدَةِ الْكُبْرَى) باعتبار ما هو سبب قوي في جذب الخلق إلى الباطل وظلالهم عن طريق الله كالحيلة والخدعة)[1]، ولتأكيد الصورة التشبيهية وترسيخها نراه يؤكدها بصورة تشبيهية أخرى إذ التشبيه البليغ بالمصدر في (الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ) والإجمال متأتٍ من وجه الشبه المخفي بين طرفي الصورة إذ أن مساورته بالكبر لا تكاد يقابلها ما يقاومها من العقول ويمنع تأثيرها في النفوس كما لا يكاد يقاوم مواثبة السموم القاتلة من طبائع الحيوان، ولا تكاد تخطئ المقاتل كما لا يخطئ السموم وحركاتها في الأبدان مقاتلها، ويحتمل أن يكون وجه الشبه، كون مساورته غالبة قوّية كمساورة السموم للأبدان، ويكون قوله(مَا تُكْدِي أَبَداً وَ لَا تُشْوِي أَحَداً) استعارتينلوصفي السمّ الذي لا يكاد يقف دون المقاتل ولا يخطئها لتلك المساورة لكونها لا تخطئ رميتها القلوب بسهام الكبر والبغي وسائر ما يلقى من الوساوس المهلكة.[2]

وبذلك جاء التشبيه بالمصدر ليزيد الصورة ثراءً وعمقاً ويحرك مخيلة المتلقي لمعرفة الإبهام في وجه الشبه بين طرفي الصورة التشبيهية ، وبحثاً عن النقاط الخفية الرابطة بين الأشياء، وبذلك يزول قناع الخفاء وتحدث الإثارة والمتعة في فك المستغلق.

و من خطبة له (عليه السلام) و فيها يصف أصحابه بصفين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام: (فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا وَ قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا وَ خُلِعَتْ مَثَانِيهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ)[3].

الصورة التي رسمها لنا الإمام عبر التشبيه البليغ بالمصدر في(فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ) هي صورة حسية منظورة، فقد شبه إقبال الناس عليه وتشبيهه بزحام الإبل العطشّ حين يطلقها رعاتها من مثانيها يوم توردها الماء، ووجه الشبه هنا مجمل، ليخيّل للقارئ أبعاد الصورة في تخيلاتها وتصوراتها، فوجه الشبه فسّر وبيّن بـ:

أولاً: (ما لهما من شدة الزحام) فالتداك بلغ منتهاه لكثرة ما قيدت به الإبل من صفات، فهي عطاش متلهفة إلى الماء مسرعة إليه فليس وراءها من يبطئ من سيرها أو ينغص عليها شربها ؛ لأن راعيها قد أطلقها بعد أن خلع عنها ما يسيّرها أو يعقلها من الحبال.

---

[1] شرح نهج البلاغة(البحراني):١٦٧/٤.
[2] م. ن: ١٦٧/٤.
[3] شرح نهج البلاغة(عبده):٨٠.

ثانياً: هو (غاية في ذلك الزحام) فقوةالزحام أشد في هذه الصورة التشبيهية ، ولهذا ناسب ذلك أن يعقبها بقوله: (حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ) .

وبهذا تكشف الصورة التشبيهية عن مشاعر الأديب فهي(كشف نفسي لشيء جديد بمساعدة شيء آخر)[1]، فضلاً عن قدرة التشبيه هنا في إدنائه البعيد ، وإجلائه الغامض واكتساء المعاني بهاءً ورفعة، فضلاً عن قابليته بالإفصاح عن الفكرة والتعبير عن العاطفة بصورة متميزة.[2]

وجاء الإجمال عبر وجه الشبه بين طرفي التشبيه ليذهب بالمتلقي مذاهب شتى في تخييل أبعاد الصورة بين طرفي التشبيه، ومن ثم تفاعل المتلقي مع الصورة التشبيهية، وبالتالي يوقع التأثير الانفعالي في نفس المتلقي، ليعيش التجربة نفسها التي عاشها المبدع أو الجو النفسي الذي وقع فيه حين يصور صورته التشبيهية.

ويماثل ذلك في حكمة له(عليه السلام): (قُرِنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ وَ الْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ وَ الْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الْخَيْرِ)[3].

أراد الإمام من المخاطب في هذه الحكمة أن يكون ذا شخصية قوية وذا همة عالية، فمن يهيب حالاً خاب من إدراكه، ومن أفرط به الخجل من طلب شيء حرم منه، والإفراط في الحياء مذموم كطرح الحياء، والمحمود الوسط، وقد وردت هذه المعاني ضمن صورة تشبيهية بليغة إذ التشبيه بالمصدر يحقق تلك المعاني ويرغب فيها في قوله(وَ الْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)، فالفرص في الحياة قليلة، فعلى الإنسان الظفر بها في إحراز المآثر، واغتنام فرص الخير، فعلى الإنسان أن لا ينتظر ما تعامل فتجازى عنه بمثله، فإنك إن عوملت بمكروه واشتغلت برصد المكافأة عنه قصر العمر بك عن اكتساب فائدة، واقتناء منقبة، وتصرمت أيامك.[4]، فما يذهب منها لا يعود أبداً، ويشبه الإمام (عليه السلام)بسرعة مرورها ب(مَرَّ السَّحَابِ)،والإجمال يكمن في وجه الشبه، حيث يفسّر بكونها(سريعة الزوال) وشدة السرعة، وقصر المدة، وكلما كان كذلك الحال فواجب عليه أن يبادر إلى اغتنام الفرص وقت إمكانه وإن لا يدع الفرصة تفلت من بين يديه.

وبذلك تخرج الحكمة هنا إلى إرشاد الناس وهدايتهم إلى جادة الصواب،وكان للتشبيه البليغ وإجماله في وجه الشبه فيه تشويق لمعرفة ماهية الخبر المبهم في أخذه الفرصة قبل فوات الأوان ؛ لأن الفرصة (تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) في سرعتها وزوالها وعدم رجوعها.

ومن كتاب له(عليه السلام) إلى بعض عماله: (وَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللَّهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ وَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَ كَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ وَ تَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ وَ عَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ وَ اخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَ

---
[1] التفسير النفسي للأدب:٩٤.
[2] ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن:٤٠- ١٠٦.
[3] شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٤٥.
[4] ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):١٧٨/٥.

أَيْتَامِهِمُ اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الْأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ)[١].

تظهر شفافية الحزن ضمن التشبيه بالمصدر في هذه الصورة التي أخذ الإمام في تعنيف وتوبيخ ابن عمه(عبد الله بن عباس) وحكاية حاله في خيانته في معرض التوبيخ في قوله (وَ اخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَ أَيْتَامِهِمُ اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الْأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ) أي شبه اختطافه للأموال، مثل اختطاف الذئب الأزل لدامية المعزة الكسيرة التي لا حول لها، ولا قوة من أجل الهرب من عدوها، وهنا يكمن الإجمال في وجه الشبه بين طرفي الصورة التشبيهية ومن ثم بيّن وفصل ووجه الشبه(سرعة أخذه له وخفته له في ذلك)[٢] وخص(الذئب الأزل لأن خفّة الوركين يعينه على سرعة الوثبة والاختطاف، ودامية المعزة الكسيرة لأنها أمكن للاختطاف لعدم الممانعة)[٣].

وبهذا التشبيه البليغ بالمصدر وإجماله في وجه الشبه نرى الصدق الفني في التصوير، وكأنه حقيقة مماثلة أمام أعيننا(فالأديب لا يكون أديباً إلاّ إذا تفرد بطريقة التعبير ثم لا تكون العبارات ذات أسلوب معبر إلاّ إذا جاءت صورة لصاحبها سالت على الصفحات مداداً في جمل وحركات)[٤].

ويناظر ذلك بقوله(عليه السلام): (فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ وَ إِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَ الَّتِي وَ اللَّهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ)[٥].

يفاضل الإمام هنا بين طرفي التشبيه (المشبه) ابن أبي طالب (والمشبه به) حالة الاستئناس عند الطفل بثدي أمه، باستعمال غريب (لأفعل التفضيل) (آنَسُ) من فعل لا تفاوت فيه والحالة هذه في أنّ المشبه يخفي المشبه به، بل يفضله بالمعنى التشبيهي وحذفت أداة التشبيه ووجه الشبه، وفي هذا إجمال يفسح لذهن المتلقي الالتفات إلى وجوه الشبه الخفية التي دقّ المسلك إليها فيلتقط عناصر الصورة الخفية وهنا تحدث روعة الصورة التشبيهية بما تثيره مناستغراب وتعجب تؤثر بالنفس وتثير الإحساسوالانفعال لدى المتلقي، فقوله(آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ) أي (أنه مستأنس بالموت كاستئناس الطفل بثدي أمه) وهذا الاستئناس يأتي على صور عدّة منها:

١ـ شبه أُنسه بالموت كأنس الطفل ، فهو يتلذذ بالموت كما يتلذذ الطفل عند محالب أمه.

٢ـ ويحتمل أنه عنى بالموت(الأنس نفسه) كونه لا يخاف الموت، بل يجعله أنيساً له في وحدته، كما يكون أنيس الطفل ثدي أمَّه.

---

[١] شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٨٩.
[٢] شرح نهج البلاغة(البحراني): ٣٠٦/٥.
[٣] م. ن: ٣٠٦/٥.
[٤] في فلسفة النقد:٩١.
[٥] شرح نهج البلاغة(عبده):٣٥.

٣ـ ويحتمل أن يكون الموت هو الراحة له ، مما أتعبه قومه، فيفزع إليه كما يفزع الطفل إلى ثدي أمه حينما يحصل له أذى ، أو تعب.

٤ـ ويحتمل أنه أراد بهذا التشبيه ، إني لا أخاف الموت، لأني مؤمن، ولا يكون لغيري إذا قضي لي، فهو من قوله تعالى:(فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ)[1]، كالطفل الذي قضي له ثدي أمه، فلا يخاف أن يكون لغيره، فهو يقيناً له.

٥ـ ويحتمل أنه أراد (بأستأناسه بالموت) ذهابه إلى الجنة؛لأنه لما ضربه ابن مُلجّم قال: (فزت ورب الكعبة)، وفي الجنة العطاء من دون تعب ولا مشقة، وهو كان في زمن قسر وإقتار، وفي الآخرة ترخى عدالتها، فأحق بها أهلها لا غيرهم، كما يكون عطاء الثدي لبنه للطفل، فهو يحصل على كلّ شيء منه من دون كدّ ولا مشقة، بمجرد أن يلثمه.[2].

ويسترسل الإمام في بثه صورة أخرى في النص وخفاءها وإجمالها وجه الشبه في قوله (انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ) أي انطويت على علم، لا يباح به ولو باح به لأضطرب سامعوه(اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ)، والْأَرْشِيَةِ: هي الحبال، والطوي: البئر البعيدة القعر، أما الإجمال في وجه الشبه فهو يحتمل عدة صور بين (اضطراب الحبال في البئر العميقة)، وبين (اضطراب سامعي علم الإمام) .

شبه انطواءه على العلم كانطواء البئر على الحجر الذي تبطن به، يحفظها وتحفظه فالحجارة تمنع تسرب ماء البئر، فكذلك علمه يكعمه ، لأن يعلن نفسه ليبايعه الناس.

وشبه علمه الذي انطوى عليه كانطواء البئر على الماء، فكما أن في الماء حياة ، كان في العلم حياة النفوس، وعلى هذا يترتب شيء آخر، ذلك أنه كما لا ينفذ ماء البئر، فالعلم لا ينفذ أيضاً؛ لأن الساقي إذا أراد الماء أدلى بدلوه في البئر بواسطة الرّشاء ليغرف منها ، فكلما غرف غرفة عوض عنها في البئر فكذلك العلم يتسّع كلما أخذ منه كما قال هو في موضع آخر من (النهج: (فكل وعاء يضيق بما جعل فيه إلاّ وعاء العلم فإنه يتسع)[3].

وشبه علمه العميق بعمق البئر، وشبّه اهتزاز الحبال داخل هذه الآبار باضطراب السامع لعلمه، إذ لما كانت البئر عميقة، وفي النهاية الرّشاء كانت المعرفة، فإذا أسقطها الساقي في البئر، أحدث اهتزازاً لطول الرشاء الذي سببه عمق البئر، واضطربت الحبال وبدت قلقة غير مستقرة، فكذلك السامع لحديثه(عليه السلام) لأن غوره عميق، فهو ذو علم لما علمَّه النبي (صلى الله وعليه وآله وسلم)،

---

[1]النحل:٦١.
[2]ينظر: غريب نهج البلاغة:٣٧٦ـ ٣٧٧.
[3]شرح نهج البلاغة(عبده):٤٧٣.

قال : (علي وعاءعلمي...)[١]، فالوصول إلى حقّ علمه أمر صعب من طلبه اضطرب، وقلق لما يسمعه منه كالذي حدث مع الرشاء في البئر.[٢]

وقيل أراد أن الذي يمنعني من المنافسة في هذا الأمر أي الخلافة، والقتال عليه شغلني بما انطويت عليه من العلم بأحوال الآخرة، وما شاهدته من نعيمها وبؤسها مما لو كشفته لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة خوفاً من الله ووجلاً من عتابه، وشوقاً إلى ثوابه ولذهلتم عما فيه من المنافسة في أمر الدنيا.[٣]

أو هو إشارة إلى سبب جملي لتوقفه عن الطلب والقيام غير ما نسبوه إليه من الجزع والخوف من الموت وهو العلم الذي انطوى عليه،فإن علمه بعواقب الأمور وأدبارها وتطلعه إلى نتائج الحركات بعين بصيرته التي هي كمرآة صافية بخلاف الجاهل الذي يقدم على عظائم الأموربقصر الرأي لا عن بصيرة.

وأشار إلى تشتيت آرائهم عند أن يكشف لهم ما يكون من حال الخلافة وإلى من ينتهي إلى ما يؤول إليه حال الناس إذ كان ذلك مما وقفه عليه الرسول(صلى الله وعليه وآله وسلم)، وأعده لفهمه فإن كثيراً منهم في ذلك الوقت كان نافراً من عمر وآخرون من عثمان فضلاً عن معاوية، ومنهم من كان يؤهل نفسه للخلافة في ذلك الوقت ويطلبها لنفسه وبعد عقدها لأبي بكر كان يرجو أن يؤول إليه بعده، وإذا كان الحال كذلك فظاهر أنه(عليه السلام) لو باح لهم بما علمه من عاقبة هذا الأمر لم يكن لهم ذلك النظام الحاصل في ذلك الوقت، وشبه اضطراب آرائهم على ذلك التقدير باضطراب الأرشية في الطوي البعيدة مبالغة وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس.[٤]

يتضح لنا أن التشبيه البليغ لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد تأويل وتخيل لصورة الإجمال في وجه الشبه وسبب إجماله وغموضه كونه كثير التفصّيل في صوره، وبذلك ترتفع قيمة التشبيه هنا ، فكلما كانت المشابهة بعيدة المرمى، قليلة الحضور بالبال طريفة نادرة متصفة بالخيال أصبحت محققة للغرض الذي يرمي إليه المبدع ألا وهو انشغال المتلقي بالصور والأخيلة، والسمو من أرض الواقع إلى فضاء الخيال، وكلما تدرج المرء في هذا الارتفاع كان للتصوير أثر في القلب ورسوخ في النفس وتعلق في الأذهان.[٥]

ومثل ذلك في خطبة من خطب الملاحم قوله(عليه السلام): (فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ وَ رَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ وَ عَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ وَ قَلَّتِ الدَّاعِيَةُ وَ صَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ وَ هَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُوم ....وَ تَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ وَ صَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً وَ الْعَفَافُ عَجَباً وَ لُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً)[٦].

---

[١]ينظر: المناقب للخوارزمي:٥٢.
[٢]ينظر: غريب نهج البلاغة:٣٧٨.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/١٩١.
[٤]ينظر:م. ن: ١/١٩١.
[٥]ينظر: علم أساليب البيان غازي يموت:١٨٣.
[٦]شرح نهج البلاغة(عبده):١٥٩.

إنّ بنية التشبيه البليغ في(وَ صَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ) ، و(لُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً)، انعدمت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه ، وجاء التشبيه الأول مصدره(صيال) ، والثاني في (لبس) ليبيّن (عليه السلام) وعبر استعارته وصف الصيال للدهر ملاحظة لشبهه بالسبع ووجه الشبه المجمل فسّر(كون الدهر مبدأ قوياً لتلك الشرور الواقعة فأشبه السبع الضاري العقور في شدة صياله)[١]، فجاء التشبيه بالمصدر (صيال) ليزيد الصورة ثراء وقوة وعمقاً في الخيال في صيال الدهر وجعله مشبهاً للسبع في صياله مما يجعل الصورة أكثر رسوخاً في الذهن.

ثم تأتي دلالة التشبيه الثانية في (لُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً)،وهو من أحسن التشبيه وأبلغه والمشبه به ههنا هو(لُبْسَ الْفَرْوِ) ووجه الشبه مجمل هنا في (كونه مقلوباً) وتفسيره وبيانه ، أنه لما كان الغرض من الإسلام أن يكون باطناً ينتفع به القلب ويظهر فيه منفعته فقلّب المنافقون غرضه واستعملوه بظاهر ألسنتهم دون قلوبهم أشبه قلبهم له لبس الفرو.[٢]

وبذلك التشبيه المخفي الأداة والوجه يحث المتلقي على التحليق الخيالي ليقربه بين طرفي الصورة التشبيهية. ويرى الدكتور صلاح فضل أن ذلك يكون منوطاً بعوامل متعددة أهمها(طبيعة المادة المكونة لعناصر التشبيه، ومدى ما تتميز به من طرافة مثيرة، ونوعية الأداء المستخدمة، ودرجة الحاجةإلى إقامة التخييل فيما اقترحت تسميته بظاهرة التدويم الأسلوبية، ثم جوهر الرؤية الشعرية نفسها كمحرك أساسي بعمليات التخييل)[٣] .

وبذلك يكون كلام الإمام (عليه السلام) في هذا النص، وعبر التشبيه البليغ يدلّ صراحة على أن الفقر والشقاء وانتشار الجريمة في أي مجتمع هو نتيجة حتمية لفساد الأوضاع وجور الحكام وسيطرة الخونة وقلبهم الأحكام الشرعية للإسلام.

وقوله (عليه السلام): (إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ وَ دُعَاءِ ضَلَالَةٍ فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَ بَعْدَ وَفَاتِهِ حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ وَ رَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ .....يَذْرُو الرِّوَايَاتِ ذَرْوَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ)[٤] .

يُرى في النص المتقدم البعد الفني في التشبيه بالمصدر الذي يتمثل بخلق صورة متكاملة عن الرجل الثاني في قوله(يَذْرُو الرِّوَايَاتِ ذَرْوَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ)، والمراد بالروايات هنا كل ما نقل يثبت قول المعصوم أو فعله أو تقريره.[٥]، ويذري الروايات كناية عن جهله بدلالاتها ووقائعها، والسؤال هنا ما هو وجه الشبه الذي يتخيله القارئ بين(يَذْرُو الرِّوَايَاتِ) المشبه ، و(ذَرْوَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ)،المشبه به، وهنا

---

[١] شرح نهج البلاغة(البحراني):٥١٤/٣.
[٢] ينظر:م.ن: ٥١٥/٣.
[٣] أنتاج الدلالة الأدبية: ٢٢٢.
[٤] شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٢- ٤٣.
[٥] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١٤٧/١.

تكمن الدهشة والمفاجأة في تلقي الإبهام في معرفة وجه الشبه المجمل بين طرفي الصورة التشبيهية.

والجواب : يكمن وجه الشبه هنا في (أن الريح لما كانت تذري الهشيم وما تكسر من نبت الأرض وييس فتخرجه عن حد الانتفاع به، كذلك المتصفح للروايات لما يهتد إلى وجه العمل بها ولم يقف على الفائدة منها فهو يقف على رواية أخرى ويمشي عليها من غير فائدة)[١].

وهنا تكمن روعة هذا التشبيه(لأنه لا يكتفي بمجرد عقد الصلة بين شيئين، وإنما تتوسع دائرة الصورة التشبيهية من خلاله، ولذلك يحتاج وجه الشبه فيه إلى إمعان فكر وتعمق ذهن)[٢].

ويناظر ذلك قوله(عليه السلام): (وَ ايْمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَ اسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ وَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ وَ يَهْشِمُ عَظْمَهُ وَ يَفْرِي جِلْدَهُ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ وَ تَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَ الْأَقْدَامُ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ ما يَشاءُ)[٣].

جاءت بنية التشبيه على أساس المشبه (انْفَرَجْتُمْ) وهو حسي، والمشبه به (انْفِرَاجَ الرَّأْسِ) وهو حسي أيضاً، وهذا التشبيه تركيبي في تفرق أصحابه عنه (عليه السلام)، كتفرق الهام عن المخ، ووجه الشبه المجمل بينهما يفسّر: اشتراكهما في إبطال الانتفاع بالاجتماع بالكلية، وإن انفراج شقا الرأس استحال الإلتأم، وهي دلالة تؤكد تشتت القوم، وتفرقهم عن أميرهم (عليه السلام).[٤]

وإلحاق الضرر بالقوم من سوء فعلهم، فالرأس هو الباقي للمخ الذي يمثل أمير المؤمنين(عليه السلام)، ولا يتأثر الرأس بالجمجمة ألاّ كونه غطاء واقٍ لها ويعطل عمله في حال إصابة الرأس، وبهذا يكون انفراج الرأس عن المخ، أي أمير المؤمنين(عليه السلام) يمثل موقف سلبي في المعركة، وبالتالي يمكنّ العدو منهم وذلك بتفرقهم وتشتتهم عن أمير المؤمنين(عليه السلام) جاء التشبيه بأكثر من مؤكد بالقسم (والله) و(إنَّ) ، وتكرار الجملة الفعلية وتنوعها، وبالتالي يكشف التأكيد عن نتائج سلوك القوم، بعجزهم وتمكين العدو من أنفسهم نتيجة تشتتهم وتفرقهم عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، فالتأكيد هو (تمكين الشيء في نفس السامع وتقوية أمره ، وفائدته إزالة الشكوك، وإماطة الشبهات عمّا أنت بصدده)[٥]، وهذا يعني أن أثر التأكيد هنا يتجلى في ترسيخ المعنى في تشتت القوم وتفرقهم وعجزهم الكلي في ساحة المعركة، في ذهن السامع.

---

[١] شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢١٦/١.
[٢] الصورة البيانية في شعر عمر بن أبي ريشة، وجدان عبد الإله الصائغ ، رسالة ماجستير، جامعة الموصل/ كلية الآداب، ١٩٩٩م. : ٤٠
[٣] شرح نهج البلاغة(عبده): ٦٦.
[٤] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٢٧٩- ٢٨٠.
[٥] الطراز: ٩٤/٢.

ونختم بخطبة له بقوله: **(وَ اللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَ لَا رِجَالَ حُلُومُ الْأَطْفَالِ)**[١].

نفى الإمام عن هؤلاء صفة الرجولة لاستجماعها ما ينبغي من صفات الكمال الإنساني ، كالشجاعة ، والحمية ، والغيرة وعدم هذه الكمالات فيهم ، وإن كانوا بالصورة المحسوسة للرجال الموجبة لشبههم بها، في قوله **(يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ)** ، وتشبيهه **(حُلُومُ الْأَطْفَالِ)** ووجه الشبه هنا مجمل وذلك (أن ملكة الحلم ليس بحاصل للطفل وان كانت قوة الحلم له لكن قد يحصل لهم ما تصور بصورة الحلم كعدم التسرع إلى الغضب عن خيال يرضيه وأغلب أحواله أن يكون ذلك في غير موضعه، وليس تحصل له ملكة تكسب نفسه طمأنينة كما في حق الكاملين فهو إذن نقصان)[٢]، فشبه الإمام (عليه السلام) أفراداً من جيشه ممن يكتفون من الحياة بالعيش الذليل، ويهابون الأمر اليسير كالأطفال في أحلامهم التافهة، وهذا يعني تأكيد على أنهم ليسوا برجال فهم كالأطفال في الأولاع، وإذا كانوا كذلك فهم أشباه رجال ولا رجال.[٣].

وهذا البعد في وجه الشبه المجمل يجعل التشبيه البليغ غريباً في تصويره يحتاج إلى تأويل ؛لأن أمثال هذه الصور التي يأتي فيها طرفا التشبيه بربط غير متوقع تكون(دائماً شيئاً جديداً يحمل الإثارة)[٤]، وهذا ما يهدف إليه المبدع من إثارة انتباه المتلقي وتشويقه لمعرفة المبهم في المعنى.

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٥٦.
[٢]شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٤٥/١.
[٣]ينظر:الأداء البياني في خطب الحرب في نهج البلاغة، نجلاء عبد الحسين عليوي الغزالي، رسالة ماجستير ، كلية الآداب/ جامعة الكوفة، ٢٠٠٢م.: ٢١.
[٤]التفسير النفسي للأدب(عز الدين إسماعيل): ٦٦.

المبحث الرابع: دلالة أسلوب الإجمال والتَّفصيل في (اللف والطي والنشر):-

يعّد اللف والنشر من الأنماط المهمة التي تثري الصورة وتزيد من كثافتها الدلالية، وذلك بما يمنحه للنص من قوة وإثراء في المعنى من جهة، وبما يدل على ذوق وبلاغة من يستعمله في نصوصه من جهة أخرى.

وكان المبرد (ت٢٨٥هـ) من أوائل الذين التفتوا إلى هذا النوع وقال: (والعرب تلقف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد إلى كل خبر)[١]، كقوله تعالى: (وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ)[٢]، وكرر الاستشهاد بهذه الآية وقال معلقاً عليها: (علماً بأن المخاطبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب)[٣].

وتحدّث ابن سنان الخفاجي(ت٤٦٦هـ) عن التناسب حيث يقول: (ومن التناسب أيضاً حمل اللفظ في التركيب ليكون ما يرجع إلى المقدم مقدماً وإلى المؤخر مؤخراً)[٤]، ونظرة ابن سنان فيها إشارات تدل على فن (اللف والنشر).

ويعرف السكاكي اللف والنشر قائلاً: (وهما أنّ تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعين ثقة بأن السامع يرد كلاً منهما إلى ما هو له)[٥].

كما يعرفه الزملكاني فيقول: (وهو أن تذكر شيئين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأنّ السامع يرد كل تفسير إلى اللائق به)[٦]، ويعرفه القزويني بالقول: (وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعين ثقة بأن السامع يرده إليه)[٧]، وكما عرفه الطيبي: (وهو أن تضم متعدداً ثم تتبعه ما لكل واحد منه من غير تعين ثقة بأن السامع يرد كلاً منه إلى ما هو له)[٨]، ولم يخرج تعريف السيوطي عن هذا المعنى[٩].

ويتحدث عن جذور اللف والنشر الدكتور عبد الفتاح لاشين فيقول: (وما جرى عليه الزمخشري سبقه فيه القاضي إلاّ أن الزمخشري كان صاحب فضل وسبق في

---

[١]الكامل: ١١٢/١.
[٢]القصص:٧٣.
[٣]الكامل: ٧٤١/١.
[٤]سر الفصاحة: ٢٢٠.
[٥]مفتاح العلوم:٢٠٠.
[٦]البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن:٣١٣.
[٧]الإيضاح: ٢٠٢.
[٨]التبيان في علم البيان: ٣٢٩.
[٩]ينظر: الإتقان:٩٢٩/٢.، ومعترك الأقران: ٣١٠/١.

تسميته هذا النوع(اللف) ومن ذاك الزمان والاسم على هذا النوع كما أطلقه الزمخشري)[١].

وأما المحدثين فقد عرفوا هذا الفن بقولهم (ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعين ثقة بأن السامع يرده إليه لعلمه بذلك بالقرائن اللفظية أو المعنوية)[٢].

وهو على ضربين هما: المرتب: ويكون النشر على ترتيب اللف بأن يكون الأول من المتعدد في النشر للأول من المتعدد في اللف، والثاني للثاني وهكذا إلى الآخر، وهذا الضرب هو الأكثر في اللف والنشر والأشهر.[٣]، نحو قوله تعالى: **(وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ)**[٤]، فقد لّف بين الليل والنهار ، ثم ذكر النشر حيث سكون الليل، وابتغاء الرزق للنهار على الترتيب.

والثاني غير المرتب: وهو ما يجيء على غير ترتيب اللف.[٥]**نحو قوله تعالى: (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ)**[٦]، ذكر النشر وهو ابتغاء الفضل للف الثاني وهو(النهار)، والنشر في (علم الحساب) للف الأول (الليل) وهو على غير الترتيب.

وكقوله تعالى: (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ)[٧]،فقد جمعوا في دعائهم من أمري الدنيا والآخرة وقدموا ما للآخرة: (اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا)، وأخروا ما للدنيا: (وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا)، وهو متعدد ثم جاء النشر على غير ترتيب اللف حيث قدم ثواب الدنيا على ثواب الآخرة، ولعل السر في ذلك يرجع إلى أن المقام مقام جهاد وقتال، والنفوس في هذا المقام متطلعة للنصر...، وقد خص ثواب الآخرة بالحسن من دون ثواب الدنيا إيذاناً بأنه المعتد به عند الله عزّ وجل . ومنه قول الشاعر:[٨]

ـ كيف أسلوا وأنت حقف وغصن وغزال لحظاً وقداً وردفاً

[١]بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية: ٦٩٤.
[٢]علم البديع (عتيق): ١٣٥.
[٣]ينظر: م.ن: ١٣٥.
[٤]القصص:٧٣.
[٥]ينظر:علم البديع (عتيق): ١٣٧.
[٦]الإسراء:١٢.
[٧]آل عمران:١٤٧ـ ١٤٨.
[٨]ديوان أبي هلال العسكري: ١٦٢.

فاللف هو: (حقف، وغصن ،وغزال)، والنشر: (لحظاً) ويرجع إلى غزال ،(وقداً) يرجع إلى الغصن، (وردفاً) ويرجع إلى الحقف ،وواضح أن النشر على غير ترتيب.

والإجمال قد يكون في اللف (الذي هو يتمثل في الشيئين) أو في النشر(الذي يتمثل في الشرح والتوضيح)، وبهذا يكون مؤلفاً من معنيين متشابكين يستطيع السامع فكّ هذا التشابك خلال التأمل والتفكير المتأني، مسخراً خياله بإرجاع كل لفظ إلى المعنى الذي يخصه؛ لأن هذا الفن يتطلب سامعاً يتصف بشيء من المعرفة والثقافة، فالتحليل في هذا الفن لا يتيسرللسامع البسيط بسبب بعد مراد المتكلم مع أحكام النظم في هذا المعنى.

نلمس أهمية هذا الفن في قدرة المتكلم على اختبار ذكاء السامع خلال الإجمال الذي قد يكون في (اللف) أو في (النشر)، وتظهر براعة المتكلم وإبداعه خلال المزاوجة بين الألفاظ والمعاني في هذا الفن، ومن ثم يذهب بالمتلقي مذاهب شتى بحثاً عن جواب لكل من تلك الألفاظ والمعاني ذات التنسيق الطبيعي ، وهنا تكمن بلاغة اللف والنشر، فهو(يهيأ النفوس ويعدها لتلقي ما يذكر بعد من النشر العائد إلى اللف، فإذا ما ذكر النشر بعدئذٍ وقع في النفوس موقعه، وتمت الفائدة أحسن تمام وتحقق الغرض أبلغ تحقيق، لأن النشر جاء والنفوس إليه متطلعة وله مترقبة)[1].وسنقف على أمثلة من الضرب الأول ما يكون فيه النشر على ترتيب اللف:

ومن ذلك قوله(عليه السلام): (يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَ اثْنَتَيْنِ صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ وَ بُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ وَ عُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَ لَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ)[2].

اللّف بين(بِثَلَاثٍ وَ اثْنَتَيْنِ) على سبيل الإجمال، ثم عاد للنشر وتفصيل ما للثلاث في ذكر أحوالهم(صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ)، و(**بُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ**)و،(**عُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ**)، وما للاثنين في (**لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ**)، و(**وَ لَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ**)**. وأجمل ما في أسلوب (اللف والنشر)** حضور التشبيه المقلوب من أجل إثبات قسم من صفاتهم التشبيهية(الصم، البكم، العمي)، وهذا هو المشبه، و(السمع، الكلام، الأبصار) وهو المشبه به، والأصل هو العكس، وخاطبهم الإمام بهذه الصيغة لأجل المبالغة في توبيخهم، والجامع ما بينهما هو الإعراض وعدم المبالاة، فعلى الرغم من وجود

---

[1] علم البديع (بسيوني عبد الفتاح فيود): ١٧٧.
[2] شرح نهج البلاغة (عبده): ١٤٢.

حواسهم إلاّ أنهم لا ينتفعون بها من أجل الوصول إلى جادة الحق فأصبح حالهم مثل فاقدهم فهم كالعدم.

وبذلك يظهر جلياً كيف أن أسلوب اللف والنشر يحقق دلالة الإيجاز أولاً، فضلاً عما يفيده من تشويق المتلقي لمعرفة المجمل ثانياً، وهذا الضرب لا يعمد إلى استعماله إلاّ لضرب من المبالغة، فإذا جيء به في الكلام فأنه يذهب بالسامع كل مذهب.

ومثيل ذلك قوله(عليه السلام): (فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَ فَخْرِهَا وَ لَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَ نَعِيمِهَا وَ لَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَ بُؤْسِهَا فَإِنَّ عِزَّهَا وَ فَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ وَ إِنَّ زِينَتَهَا وَ نَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ وَ ضَرَّاءَهَا وَ بُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ)[١].

نهى الإمام المسلمين عن اتباع الدنيا بأسلوب(اللف والنشر)، ومجيء الإجمال في اللف في(فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَ فَخْرِهَا) و(لَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَ نَعِيمِهَا) و(لَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَ بُؤْسِهَا).

وجاء النشر ليوضح ويفصل كل لف فقوله(فَإِنَّ عِزَّهَا وَ فَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ)، يرجع إلى اللف الأول(فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَ فَخْرِهَا)، وأما النشر في(زِينَتَهَا وَ نَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ)، فيرجع للّف الثاني(لَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَ نَعِيمِهَا)، وأما النشر في (وَ ضَرَّاءَهَا وَ بُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ)، فيرجع للّف الثالث(لَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَ بُؤْسِهَا).

إذ يرشدنا الإمام عبر(اللف والنشر) وما انطوى عليه من حكمة من دون التصريح به، ولما صرح به في الثاني كان كأنه نشر ما كان مطوياً ومجملاً وخافٍ على المتلقي معرفته في عدم التكالب والتناحر على المال والجاه ، وعدم المباهاة في حطام الدنيا، فالكل إلى زوال ومن كان يؤمن بالله حقاً، ويثق بعدله وجزائه لا يفرح أو يحزن ولا يحب أو يكره إلاّ لله وفي الله، ويعمل ويبذل غاية الجهد كي ينجح في مسعاه؛ ولكنه لا يتعدى حدود الله ولا ينازع الناجحين، أو يشمت بالشامتين. والرسم الآتي يوضح لفكرة.

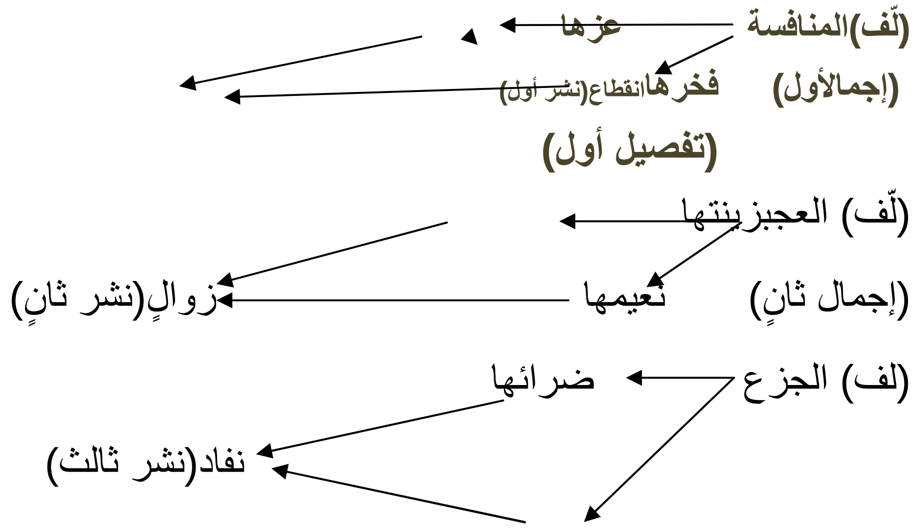

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٤٦.

(إجمال ثالث)   بؤسها   (تفصيل ثالث)

ونظير ذلك قوله (عليه السلام: (وَ مِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ وَ يَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا مَالًا حَمَلَ وَ لَا بِنَاءً نَقَلَ)[1].

فلنتأمل الصورة الحقيقية للدنيا،إذ أفاد الإمام وعبر هذا التصوير من مظهر (اللف والنشر) إذ الإجمال واللف ب(الْعَنَاءِ)، كون (الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ)و(يَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ). ثم عاد إلى التفصيل و (النشر) للف الأول ف(يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا مَالًا حَمَلَ) وهذا عائد إلى أن (الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ)، والنشرالثاني في (وَ لَا بِنَاءً نَقَلَ)وهو عائد إلى اللف الثاني(يَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ).هذا هو حال الدنيا بالوصف المذكور، رتبها الإمام بعناصر الإجمال والتفصيل وعبر أسلوب(اللف والنشر)، وكون النشر على ترتيب اللف. والرسم الآتي يوضح المقصد:ـ

اللف(أَنَّ الْمَرْءَ)يجمع ما لا يأكل ⟵ لا مالاً حمل   (نشر)

ويبني ما لا يسكن ⟵ ولا بناء **نَقَلَ**   ⟶   تفصيل

(إجمال)

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (أُفٍّ لَكُمْ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَ يَوْماً أُنَاجِيكُمْ فَلَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ وَ لَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ)[2].

هذا النص من خطبة له في التحكيم، لهج لسان الإمام(عليه السلام) بالشكوى في عبارته (**أُفٍّ**) وعرضّهم لأشد الذّم واللوم، والتقريع لهم، مؤكداً ذلك التقريع عبر مظهر(اللف والنشر) إذ لّف وأجمل القول في (**يَوْماً أُنَادِيكُمْ**)و(**يَوْماً أُنَاجِيكُمْ**)، ثم عاد ونشر(وفصل) في (**فَلَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ**)، والذي بدوره يعود إلى (**يَوْماً أُنَادِيكُمْ**) أي أدعوكم إلى النصرة واستغيث بكم وهو اللف الأول. و(**لَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ**)والذي بدوره يرجع إلى (**يَوْماً أُنَاجِيكُمْ**) أي أعاتبكم وأجادلكم على تقصيركم وهو اللف الثاني.

وليفاجأ المتلقي بماهية القول فهم ليسوا أحرار صدق عند ندائهم ووفائهم بالوعد، ولا إخوان ثقة عند النجاء؛ لأنّ أخا الثقة إذا زلّ وعوتب عن أخيه أنعتب، وإذا أحوج واعتذر إليه رجع إلى صفاء الأخوة لمكان وثاقتها ، ولستم من ذلك في شيء.

---

[1]شرح نهج البلاغة(عبده):١٧٠.
[2]م.ن:١٨٤.

وأجمل ما في النص أن(التكرار والجناس) مع اللف في (يوماً) و(أناديكم) و(أناجيكم)، و(التكرار) مع النشر في (لا) و(عند) وجاءت هذه المظاهر بمستوى المعنى الذي أراد أن يوصله المبدع إلى عقل المتلقي وهو التقريع والتوبيخ لهم فهم لا يستجيبون لمن يستغيث بهم، ولا يكتمون لأحد سراً.

وقوله (عليه السلام): (إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا وَ إِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا وَ إِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْفَسَادُ فِيهَا إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ)[(١)].

تحدث الإمام عن ثلاث قوى التي لا تبدو بمعزل عن قضية معركة الجمل.[(٢)] وعبر (اللف) في الأولى: الشهوانية المتمثلة بالطعام والشراب في قوله(إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا).

والثانية الغضبية المتمثلة في حب الانتقام والتغلب على الأمرين في قوله(وَ إِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا).

والثالثة: الجامعة لتلك القوتين وتتمثل في النساء فقوله: (هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) شهوانية، وقوله (وَ الْفَسَادُ فِيهَا) غضبية.[(٣)]

ثم جاء بعدها ليذكر صفات المؤمنين وعبر التفصيل(النشر)، لتكن كل عبارة ترجع إلى أختها، فمقابل الشهوانية الخضوع له في (إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ)، ونتيجة لقوة الخوف من غضبه في (إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ) ، ونتيجة الفساد الحذر من عقابه في(إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ)، وكان التكرار(إِنَّ) لست مرات عبر مظهر (اللف والنشر)، (لم يرد اعتباطاً ومن دون فائدة،

وإنما جاء لتقرير هذه الحقائق في أذهان المتلقي وإعطائها صفة الثبوت وتأكيد حقيقة وقوعها... وما تشيعه (إنَّ) التوكيدية من شعور بالاطمئنان النفسي لدى المتلقي بفضل توكيدها للحقائق التي تليت عليهم).[(٤)]

ونظير ذلك قوله (عليه السلام) في الأمانة: (ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ وَ الْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ وَ الْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ فَلَا أَطْوَلَ وَ لَا أَعْرَضَ وَ لَا أَعْلَى وَ لَا أَعْظَمَ مِنْهَا وَ لَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَامْتَنَعْنَ)[(٥)].

يكشف النص عن عظم الأمانة والمبالغة في تهويل شأنها، وقد كشف أسلوب (اللف) أنها عرضت على**(السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ وَ الْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ وَ الْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ)** ، فهي (بالغة من الثقل وصعوبة المحمل ما لو أنها عرضت على

---

(١)شرح نهج البلاغة(عبده):٢١٠.
(٢)ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٧٢/٣.
(٣)ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٦٣١/٣.
(٤)الخطابةفي عصر صدر الإسلام: ٢٣٥- ٢٣٦.
(٥)شرح نهج لبلاغة(عبده): ٣٠١.

السموات والأرض والجبال لامتنعت من حملها)[٦]، ومما يكشف صعوبة حملها أسلوب النشر والتفصيل في (**فَلَا أَطْوَلَ**) والذي يرجع إلى (**السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ**)، (**وَ لَا أَعْرَضَ**) والذي يرجع إلى (**الْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ**)، (**وَ لَا أَعْلَى**) والذي يرجع إلى(الْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ) ، وبذلك الأسلوب أي (النشر) تحققت الفائدة وبانت الفكرة للمتلقي بعد أن كان اللف مطوياً فيه حكمه أو ما يتعلق به، ومما زاد من عظم الأمانة والمبالغة في شأنها مجيء أسلوب (التتميم)[*]في قوله (وَ لَا أَعْظَمَ مِنْهَا)، ومجيء الاقتباس في قوله تعالى:(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)[١]، فضلاً عن تكرار (لا) النافية وتغيير وتنويع ما بعدها. والرسم الآتي يوضح الفكرة:ـ

(اللف) **السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ ـ وَ الْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ ـ وَ الْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ**

(الإجمال)

↓ ↓ ↓

(النشر) **فَلَا أَطْوَلَ ـ وَ لَا أَعْرَضَ ـ وَ لَا أَعْلَى**

(التفصيل)

ويناظر ذلك قوله(عليه السلام): (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَ السُّخْطُ وَ إِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ)[٢].

فكرة النص تقوم على أنَّه:ـ

(ليس سبب الاشتراك في النتيجة مجرد الاشتراك في العمل أو إعداد مقدماته والإعانة على الإثم فحسب، بل يترتب على هذا الاشتراك الرضا القلبي، ولعل هذا الكلام يحث الجميع على ضرورة مراقبة الروابط القلبية والرضا والسخط الباطني)[٣].

متخذاً الإمام من هذا المنطلق حادثة عقر ناقة ثمود ليخدم السياق على وفق الرؤية الأسلوبية، جاعلاً من (اللف) و(النشر) المرتب مرآة تعكس الصورة للمتلقي.

فقد(لف) بين (الرضا، والسخط) لكونهما ينصبّان في اتجاه واحد وهو (ما يجمع الناس)، ثم عاد إلى التفصيل ب (النشر)في كيفية هذا (اللف)من طريق ذكر هذه

---

[٦]شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢٢٩/٣.
[*]التتميم: هو أن يؤتى في الكلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلةٍ تفيد نكتة: ينظر : تحرير التحبير: ١٢٧.
[١]الأحزاب:٧٢.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٠٢.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(الشيرازي): ٨٩/٨.

الحادثة. فالرضا: حاصل في كون القوم لم ينهوا عاقر ثمود عن قتلها، ولم يفعلوا له شيئاً بعد قتلها وهذا عائد إلى الرضا . والسخط : حاصل نتيجة الموقف الذي اقدموا عليه بعقرهم الناقة، ثم ختم الإمام بآية من القرآن الكريم تؤكد اشتراكهمفي قتل الناقة بأسرهم نتيجة الرضا، والضمير في (عَمُّوهُ) يعود إلى الرجل، أو إلى العقر الذي دلّ عليه قوله: عقر: أي لما عموا فعله برضاهم به، والظاهر أن الراضي بفعلٍ شريك فاعله وفي قوته، وكذلك إنما يجمع الله الناس في رحمته باجتماعهم على الرضا بمحابه والسخط لمكارهه.[1]والرسم الآتي يوضح الفكرة:-

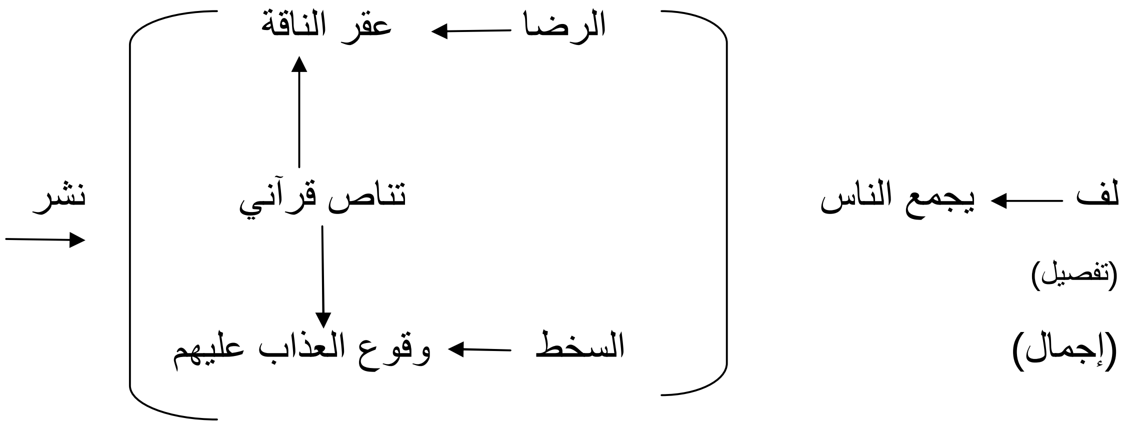

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (وَ لَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَ النَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَ أَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ)[2].

أخبرنا الإمام في هذا النص عن الدنيا عبر الضمير(هي) لنصيحته في التخويف والتحذير منها، تاركاً التعبير عبر(اللف والنشر) ليوضح عمق المأساة ف(اللف) يكمن في (أَصْدَقُ وَ أَوْفَى) فكل ما أصابك ويصيبك من مرض وفقر ونكبات فقد أنبأتك الدنيا به سلفاً بما رأيت وسمعت مما حدث لغيرك من العبر، وجاء (النشر) ليوضح الفكرة في (تكذبك) والذي يعود إلى(أَصْدَقُ)، وتغرك والذي يعود إلى (أَوْفَى)، وقد اتخذ الإمام(عليه السلام) من المقابلة في(أَصْدَقُ وَ أَوْفَى)و(تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ) وسيلة لترسيخ صفات الدنيا في الإرشاد والتحذير منها، وذلك بوصفها مع أضدادها مانحاً المتلقي الفرصة للتأمل والتفكر والتشخيص (فالمقابلة في الكلام تعمل على توضيح الفكر إذا صدرت عن طبع فياض وقريحة مواتية)[3].

---

[1] ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٧٦٤/٣.
[2] شرح نهج البلاغة(عبده): ٣٢٥.
[3] دراسات في المعاني والبديع: ٢١٣.

وبهذا أبدع الإمام في مزاوجته بين الألفاظ والمعاني عبر فن (اللف والنشر)، مانحاً الفرصة للمستمع في عملية الاتصال الأدبي، حيث إن عليه رد كل مفردة من المفردات إلى ما يصاحبها من المفردات الملفوفة، وسيؤدي المستمع هذه المهمة على أساس معرفته بتصاحب اللفظ(كذا) مع اللفظ(كذا)، وعلى هذا فالمصاحبة المعجمية ستوظف من قبل المستمع في عملية الرد هذه ، وعلى هذا ستصبح للمصاحبة المعجمية وظيفتان: السبك، ورد المنشور إلى الملفوف.[١]

وقوله (عليه السلام)كتبه للأشتر النخعي: (وَ لَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَ يَعِدُكَ الْفَقْرَ وَ لَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَ لَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَ الْجُبْنَ وَ الْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ)[٢].

نلمس من خلال هذا النص وعبر مظهر (اللف والنشر)أن (النشر) أي التفصيل ذكر أولاً من خلال ذكر كل صفة يراد منها التحذير من هؤلاء الثلاثة وعبر (لا) الناهية في (**وَ لَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًايَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَ يَعِدُكَ الْفَقْرَ**) و(**لَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ**) و(**لَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ**)، ثم عاد و(لفّ) وأجمل هذه الطباع (البخل، الجبن، الحرص) تحت مسمى غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله، ويعلق ابن أبي الحديد على هذا قائلاً: (كلام شريف عالٍ على كلام الحكماء، يقول : إن بينها قدراً مشتركاً وإن كانت غرائز وطباع مختلفة، وذلك القدر المشترك سوء الظن بالله؛ لأن الجبان يقول في نفسه: إن أقدمت قتلت، والبخيل يقول : أن سمحت وأنفقت افتقرت، والحريص يقول: إن لم أجد واجتهد وأدأب فآتني ما أروم، وكل هذه الأمور ترجع إلى سوء الظن بالله، ولو أحسن الإنسان الظن بالله وكان يقينه صادقاً لعلم أنّ الأجل مقدراً ، وإن الرزق مقدروإن الغنى والفقر مقدران ، وأنه لا يكون من ذلك إلاّ ما قضى الله تعالى كونه)[٣].

وبذلك يرسم لنا أسلوب (اللف والنشر) صورة إيحائية تعتمد الإيجاز في اللفظ والتكثيف في الدلالة ولتزيدها قوة وفخامة في ألفاظها.

ويناظر ذلك قوله(عليه السلام): (لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ الْعَافِيَةِ وَ الْغِنَى بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافًى إِذْ سَقِمَ وَ بَيْنَا تَرَاهُ غَنِيّاً إِذِ افْتَقَرَ)[٤] .

جاء مظهر (اللف) هنا متواشجاً مع مظهر الجمع في (الْعَافِيَةِ وَ الْغِنَى) وجمعهما في الخصلتين التي لا ينبغي للمرء الوثوق بهما، ثم شرع الإمام عبر

---

[١]ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية:١١٩.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٠٤.
[٣]شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٢١/٥.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده): ٥٠٩.

(النشر) ليفهّم المتلقي عن سبب عدم الوثوق بهما، فتراه معافى ثم يفقد الصحة، أو تراه غنياً ثم يفتقر، والدرس النافع من حدوث السقم بعد الصحة، والفقر بعد الغنى هو أن لا تثق إلاّ بالله، وأن تتوكل عليه وحده، وتستغني عمن سواه.[٥]

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالًا وَ إِدْبَاراً فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ وَ إِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ)[١] **.**

في كلام الإمام(عليه السلام) إجمال بليغ جاء عبر مظهر (اللف) في (**إِقْبَالًا وَ إِدْبَاراً**)، ثم شرع بالنشر ليعود إلى اللف ويحدد هدفه، ويرسم ملامحه، فذكر في النشر وعبرالحرفالشرطي(**فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ**) وهو بدوره يرجع إلى (**إِقْبَالًا**)، والنشر الثاني وأيضاً عبرالحرفالشرطي(**وَ إِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ**)، وترجع إلى (**وَ إِدْبَاراً**)، وجاء الطباق بين(**إِقْبَالًا وَ إِدْبَاراً**)ليثير الفكر ويبعث على التأمل فهو(عليه السلام) يحث المؤمنين بقوله هذا على العبادات وكما يقول ابن أبي الحديد في شرح قوله (عليه السلام): (إن القلوب تمل كما تملّ الأبدان، وتقبل تارة على العلم وعلى العمل وتدبر تارة عنهما، فإذا رأيتموها مقبلة أي قد نشطت وارتاحت للعمل فاحملوها على النوافل، ليس يعني اقتصروا بها على النافلة بل أدوّا الفريضة وتنفلوا بعد ذلك، وإذا رأيتموها قد ملّت العمل وسئمت فاقتصروا بها على الفرائض؛ فإنه لا انتفاع بعمل لا يحضر القلب فيه)[٢].

وجاء مظهر(اللف والنشر) منسجماً مع مظهر الطباق في حكمته القصيرة ليضع السامع عند النعيم الحقيقي والسعادة الأبدية التي لا تتحقق إلاّ بالسعي الجاد نحو الآخرة وبيانه الطريق الصحيح إليها والحث على التزامه عبر الاتصال بالله وأداء حقه في فرائضه ونوافله، وعدم الغفلة عن ذكره.

ومثيل ذلك قوله(عليه السلام) في كتاب له كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها: (إِيَّاكَ وَ الْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ وَ التَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ وَ الْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَ النَّاسِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ)[٣]**.**

حذر ونهى الإمام (عليه السلام) عن ثلاث رذائل قبل الولوج في بيان أسبابه وذلك عبر أسلوب (اللف) والتحذير ب(إياك)، في (إِيَّاكَ وَ الْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ)، و(أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ)، و(أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ)، وذلك على سبيل الإجمال الذي سيعقبه تفصيل بليغ يحدد كل تحذير، وعاد وبيّن ذلك عبر (النشر)، (**فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ**) وهذا عائد إلى المنَّ لقوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى**)[٤]، فالمنَّ محجة للنفس ، ومفسدة

---

[٥]ينظر: في ظلال نهج البلاغة:٤٦٣/٤.
[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٥٣٠.
[٢]شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٣٤٧/٥.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤١٩.
[٤]البقرة:٢٦٤.

للصنع، و(**التَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ**)، وهو عائد إلى التزيد وذلك لأنه محض الكذب؛لأنه ينسب إلى نفسه الإحسان إليهم أزيد مما فعل ، و(**الْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَ النَّاسِ**) وهو عائد إلى الخلف، أما عند الناس فظاهر، وأما عند الله فلقوله تعالى: (**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**)(٥).

وبذلك أوضح الإمام وعبر أسلوب اللف والنشر إن (المنَّ، والتزيد، والخلف) كلها رذائل تخالف الإيمان، فلا يجتمع إيمان مع تلك الرذائل، ففخم الإمام الأمر المجمل أولاً عبر أسلوب اللف، ثم بيّنه تفصيلاً عبر أسلوب النشر.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (وَ لَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ وَ ضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَ الْعِقْيَانِ وَ نُثَارَةِ الدُّرِّ وَ حَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ)(١).

عدد الإمام هذه الأشياء في معرض المدح لله تعالى لكونها أعظم ما يقتدر عليه الإنسان ويقتنيه، وأجلّ ما يتنافس فيه أبناء الدنيا تنبيهاً على كمال قدرته تعالى، وفي هذا النص يتجلى مظهر (اللف والنشر) المرتب ، فلف بين(**مَعَادِنُ الْجِبَالِ**) و(**أَصْدَافُ الْبِحَارِ**)، ثم عاد إلى النشر ففلز(**اللُّجَيْنِ وَ الْعِقْيَانِ**) مما تنفست عنه المعادن، و(**نُثَارَةِ الدُّرِّ وَ حَصِيدِ الْمَرْجَانِ**)، مما ضحكت عنه الأصداف ليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها.(٢)

وبذلك ميّز السامع ما يخرج من معادن البر والبحر لاعتماده على ثقافته ومعرفته، والتحليل بهذا الفن الرائع لا يتيسر للسامع البسيط بسبب بعد مراد المتكلم مع أحكام النظم في هذا المعنى.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَ لَا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ الْأَوَّلُ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِيَ وَ لَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِيَ فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ وَ أَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ).(٣)

أشار الإمام هنا إلى الأنبياء (عليهم السلام) القائمين بدين الله،فدين الله واحد بعثت جميع الأنبياء لتسليك الخلق إياه وله أصل وفروع فأصله الطرق إلى معرفته، والاستكمال بها وجماع مكارم الأخلاق ونظام أمر الخلق في معاشهم ومعادهم.(٤)

تاركاً التعبير للف والنشر ليصف استيداعهمومستقرهم ، فاللف يكمن في (**أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ**)و(**أَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ**)، والنشر وضح استيداعهم في (**تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ**) أي ما كرم منها وحق لأصلاب سمحت بمثلهم أن توصف بالكرم، ووضح(**خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ**) في مطهرات الأرحام: حيث ما طهر منها

---

(٥)الصف:٤.
(١)شرح نهج البلاغة(عبده): ١٢٣
(٢)ينظر:منهاج البراعة:١٨٠/١..
(٣)شرح نهج البلاغة(عبده): ١٢٣

(٤)ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٥٧/٣.

وحق لما استعد منها لإنتاج مثل هذه الأمزجة وقبولها أن تكون طاهرة من كدر الفساد.

والشيعة يطهرون أصول الأنبياء من طرف الآباء والأمهات من الشرك ونحوه قول الرسول(صلى الله وعليه وآله وسلم)، نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزاكية.[١]، وبهذا لفّ القولان وخصص كل طرف على جهة بطريقة (اللف والنشر) المرتب وحسب فهم السامع.

ويناظر ذلك قوله(عليه السلام): (ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَ الْعُمَّالِ وَ الْكُتَّابِ لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَ يَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَ يُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَ عَوَامِّهَا)[٢].

اللف يكمن في (القضاة، والعمال، والكتاب) وعاد الإمام إلى النشر ليوضح مهمة كل صنف (فالقضاة) لما يحكمون من المعاقد، (والعمال) يجمعون من المنفع، و(الكتاب)، يؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها.

جاء النشر هنا على ترتيب اللف ليوضح الفكرة للمتلقي في ذكر متعدد على التفصيل أولاً، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه لعلمه بمهمة كل صنف من تلك الأصناف.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام): (فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ)[٣].

يتحدث الإمام عن المتقين الذين أبصروا الحق من طريق اللف والنشر المفصل الممزوج ب(المقابلة) ، فلما ذكر الغنى، والأمن بعدم مضرة المعصية على عكس الترتيب في المعلولين.

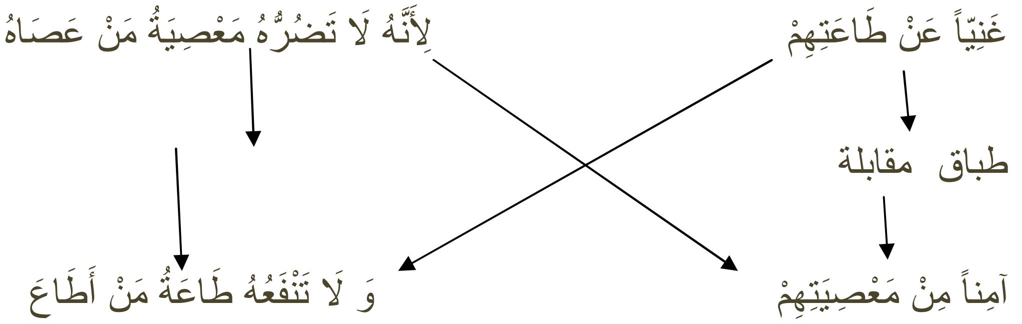

أما الضرب الثاني من(اللف والنشر)المفصل: فهو ما يجيء على غير ترتيب اللف.[١]، أو ما يكون معكوساً الترتيب.

جاء ذلك في قوله(عليه السلام): (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُهُ الْمَنْعُ وَ الْجُمُودُ وَ لَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَ الْجُودُ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ وَ كُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ)[٤].

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٠٦- ٤٠٧.
[٢]م.ن:٢٨٨.
[٣]ينظر: علم البديع (عتيق): ١٣٧.

وصف الإمام (عليه السلام) الله سبحانه عبر أسلوب(اللف) بعبارات(**الَّذِي لَا يَفِرُهُ الْمَنْعُ وَ الْجُمُودُ وَ لَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَ الْجُودُ**)، وهو وصف مجمل، فهو يحمد الله الذي لا يزيد في ماله المنع والجمود، ولا يفره ولا ينفد خزائنه، وجاء الإمام ب(التعليل) ليوضح (النشر) حينما قدّم(الإعطاء) وأخر (المنع)، فالإعطاء في قوله(**إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ**) مع الإعطاء والجود ، و(**كُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ**) مع المنع والجمود، وهذا التقديم والتأخير إنما جاء ليحرك ذهن المتلقي وينقله من موضع إلى آخر.

ومنه أيضاً قوله (عليه السلام)في الخطبة نفسها(الأشباح): (**وَ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَ قَلَّلَهَا وَ قَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَ السَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَ مَعْسُورِهَا وَ لِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَ الصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَ فَقِيرِهَا**)[١] .

يخبر الإمام في هذا النص عن تقدير الله للأرزاق وتقسيمه لها، فكل مخلوق وما كتب له في اللوح المحفوظ منها من قليل وكثير وضيق وواسع ، ومتعسر ومعاقبة الأضداد من تنغيص سعة الغنى بلواحق الفقر والفاقة.

وتجسد أسلوب (اللف والنشر)في هذا النص بنوعيه(المرتب)، و(غير المرتب) فالمرتب في لفه بين(الكثرة)، و(القلة) في تقدير الأرزاق، ثم عاد إلى النشر موضحاً ذلك بالتعليل ليبتلي العباد بالميسور والمعسور.

وتلاه (اللف والنشر) غير المرتب في لفه بين (الضيق والسعة) فتقسيم الأرزاق، ثم جاء بالتعليل ليوضح(النشر) حينما قدّم الشكر، وأخر الصبر، فالشكر مع السعة بسبب وجود النعمة، والصبر مع الضيق لعدم وجودها.

ويتسنى للمتلقي بواسطة أسلوب (اللف والنشر)أدراك صفات كل واحد عن طريق إرجاعه إلى تفسيره اللائق به، مما يجعل الكلام بمنأى عن اللبس والغموض، وهذا هو ما يهدف إليه المنشئ في كلامه.

ويناظر ذلك قوله (عليه السلام): (أَلَا وَ إِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ لِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَ لَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ إِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَ لَا حِسَابَ وَ غَداً حِسَابٌ وَ لَا عَمَلَ)[٢] .

جاء الإجمال هنا في اللف في (فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ) وَ (لَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا)، ثم مجيء التفصيل (للف الثاني) وفي قوله(إِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَ لَا حِسَابَ) ويرجع إلى الإجمال في قوله(وَ لَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا)، والنشر والتفصيل الثاني (غَداً حِسَابٌ وَ لَا عَمَلَ) ويرجع إلى الإجمال في الأول قوله (فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ)، إذن الذي وقع الإجمال أو (اللف) فيه تطلب من السامع الأمر ب(فَكُونُوا....)والنهي (وَ لَا تَكُونُوا...)وفي الإجابة الشافية الوافية يتثبت في القلب، ويتمكن من اللب، وهذا أوقع في النفس وأرسخ تعلقاً

---

[٤]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٢٢.
[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٣٦.
[٢]م.ن:٧٢-٧٣.

ومن لطيف التعبير في هذا النص ذلك العكس الذي يوجبه المعنى، وتقتضيه طبيعة الصورة، ظرفان متقابلان في كل منهما ثبوت ونفي وهما متخالفان ، وبالتخالف تم التقابل، والنسق اللفظي يجري على النسق النفسي بل والطبيعي، وجاء عن الإخبار عن اللفظ بالمصدر في مقام الحث والانتباه على طلب المطابقة بين دقائق الوقت ودقائق العمل واحدة بواحدة، فعلى الحريص توفير أكبر الأجر بأكبر المحاسبة، وليكون المدخر في نشاط يكافئ شكر المحاسب الكريم، ومضاعفته صالح الأجر، وكما أن اليوم قد استوعب العمل وحده، فالغد ظرف أخبر عنه بالمصدر دلالة على استيعابه الحساب، فلا عمل غداً مما جعله المكافئ في مقابل المكافأة لفوات الإمكان بفوات ظرفه. والرسم الآتي يوضح الفكرة:

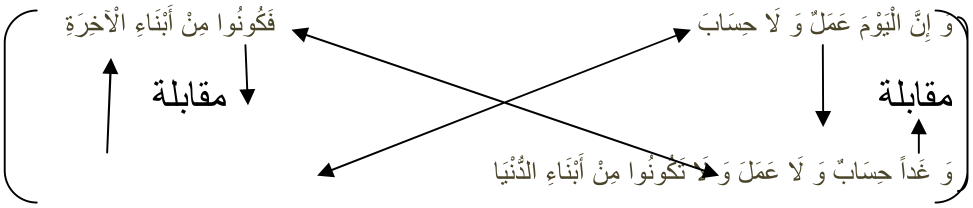

(إجمال)لّف (تفصيل) نشر

ونظير ذلك قوله (عليه السلام) في حكمة: (خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ الزَّهْوُ وَ الْجُبْنُ وَ الْبُخْلُ فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا وَ إِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَ مَالَ بَعْلِهَا وَ إِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا)[1].

الأخلاق الثلاثة المذكورة رذائل للرجال وهي فضائل للنساء، جاءت تلك الفضائل من طريق(اللف والنشر)غير المرتب، إذ لفّ في فضائل النساء في (الزهّو، والجبن، والبخل)، وجاء بالتعليل عبر الأداة الشرطية (إذا) المقطوعة الوقوع الحدث فيها ليوضح(النشر) في (**فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا**) وهو يرجع إلى (الزهّو)، و(**إِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَ مَالَ بَعْلِهَا**)وهو يرجع إلى (البخل)، و(**إِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا**)، وهو يرجع إلى الجبن.

وبذلك يضفي أسلوب (اللف والنشر) شحنات أسلوبية واضحة في تقديم صورة عن صفات النساء، و خلال إضفاء الطابع الجمالي والفني للنص، وليرسخ في ذهن المتلقي حقيقة كل صفة وإرجاعها إلى معناها المناسب، وبذلك يخرج لنا الإمام وعبر حكمته هذه بدرس بليغ هو التعرف على فضائل النساء صاغها الإمام بأسلوبه الفني الذي يعكس مهارته اللغوية، وإمكاناته الفكرية المتميزة.

ويناظر ذلك قوله(عليه السلام)في الرسول الأعظم (صلى الله وعليه وآله وسلم): (وَ لَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ

---

[1] شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٧٧.

الدُّنْيَا وَ عُيُوبِهَا إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ وَ زُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ وَ اللَّهِ الْعَظِيمِ بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ وَ إِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وَ زَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ)[١].

بيّن الإمام (عليه السلام) في هذا النص منزلة الرسول الأعظم بطريقة بليغة ،وعبر أسلوب الأمر(فَلْيَنْظُرْ)، والاستفهام التقريري وحمله المخاطب على الإقرار بما يعرفه في قوله (**زُلْفَتِهِ فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ**)؟ وجاعلاً من (اللف) في(**أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ**)أسلوباً يخدم السياق على وفق الرؤية الأسلوبية ، ثم ليجعل من (النشر) غير المرتب جواباً لمعرفة مراد المتكلم ، وعبر الشرط (فإن) الغير المقطوعة بحصول الحدث فيها، وتقديمه (الإهانة) وتأخيره(الكرم) ، بقوله: (**فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ وَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**) **وهو يرجع إلى (أهانه) والاهانة** ظاهر البطلان إذ ثبت إنه (صلى الله وعليه وآله وسلم)، أخصّ خواص الله، ولأجل وضوح ذلك اقتصر الإمام على تكذيب من قال به وأكد بالقسم البارّ.

وأما القسم الثاني من النشر(**وَ إِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ...**)، وهذا يرجع إلى (أكرم الله محمداً)، ومن المعلوم أن الشيء إذا كان عدمه إكراماً وكمالاً كان وجوده نقصاً وإهانة ، فكان وجود الدنيا في حق غيره(صلى الله وعليه وآله وسلم)، وإزواؤها عنه مع قرب منزلته إهانة لذلك الغير ، وذلك يستلزم حقارتها ويبعث العاقل على النفار عنها.[٢]والرسم الآتي يوضح المقصد:-

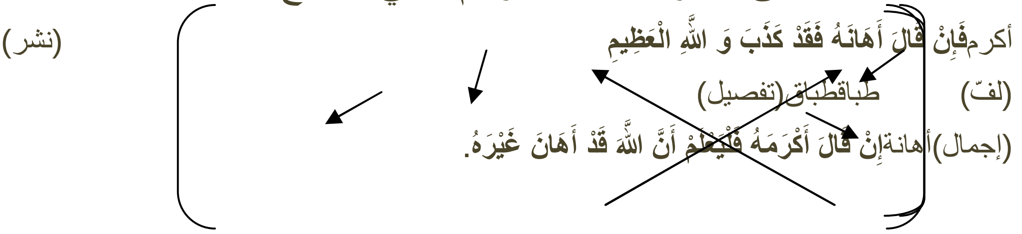

ومثيل ذلك قوله (عليه السلام) يذكر فيها فضائل أهل البيت: (فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَ عَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ وَ إِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ)[٣].

يتحدث الإمام هنا عن العاقل وعلاماته، وأهمها أنه لا يقدم على أي شيء إلاّ بعد دراسته وتدبره على أساس سليم، متخذاً من طريق (اللف والنشر غير المرتب) الممزوج بالطباق والمقابلة:-

إذ ذكر أولاً وعبر اللف(**أَنْ يَعْلَمَ أَ عَمَلُهُ عَلَيْهِ**) ثم أخر أمره، ثم ذكر ثانياً(**أَمْ لَهُ**)، ومن طريق النشر فصّل و ذكر أولاً(**فَإِنْ كَانَ لَهُ**) ومؤخراً (**وَ إِنْ كَانَ عَلَيْهِ**) . والرسم يوضح الآتي:-

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٢١.
[٢]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٦٥٥/٣.
[٣]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢١٠.

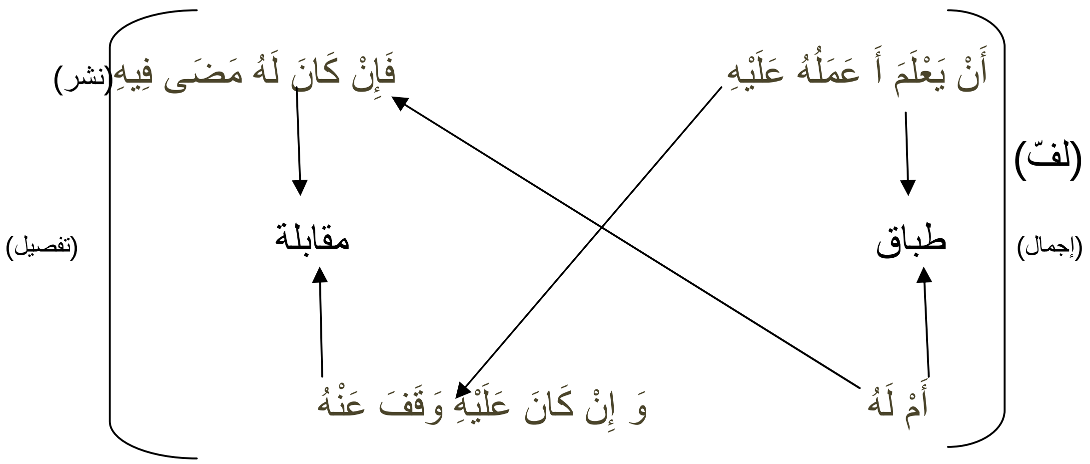

ونظير ذلك في خطبة له(عليه السلام): (فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ)[١].

يتحدث الإمام هنا عن المتقين الذين أبصروا الحق من طريق(اللف والنشر) المفصل الممزوج ب(المقابلة) ، فلما ذكر الغنى والأمن على الإجمال ؛ علل الغنى بعدم منفعة الطاعة، والأمن بعدم مضرة المعصية على عكس الترتيب في المعلولين. والرسم الآتي يوضح الفكرة.

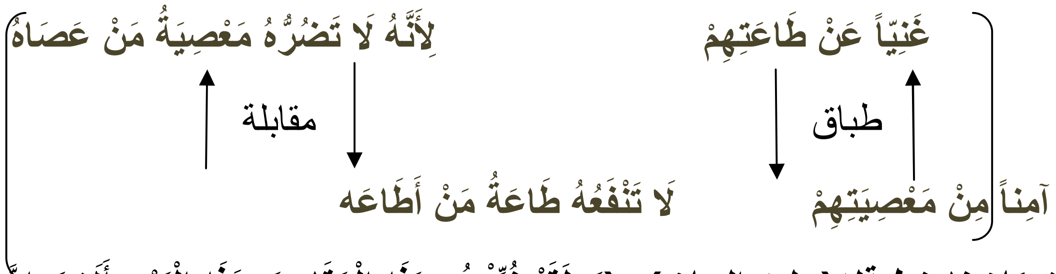

ونختمكلامنابخطبةله(عليه السلام): (وَ لَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وَ هَذَا الْيَوْمِ أَلَا وَ إِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ خُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَ إِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ أُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَ بَاطِلٌ وَ لِكُلٍّ أَهْلٌ)[٢].

فاللف هو في(إِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ....) و(إِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ..)، والنشر في (حَقٌّ) و(بَاطِلٌ)، فالناس منهم المحق، ومنهم المبطل، ما في ذلك ريب، ولكن بأي

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده):٢٨٨.
[٢]م.ن: ٤٠- ٤١.

شيء نميز بينهما، وكل من الاثنين يدعي الحق وينتحله؟ والجواب عند الإمام(عليه السلام) واضح فكل من أطاع الله هو محق، والمبطل من عصى الله.[1] إذن يميز المتلقي بذلك أن (الحق) يرجع إلى(إِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ..)، و(الباطل) يرجع إلى(إِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ....)، وهو على غير المرتب اللف والنشر وهو كما موضح في المخطط الآتي:

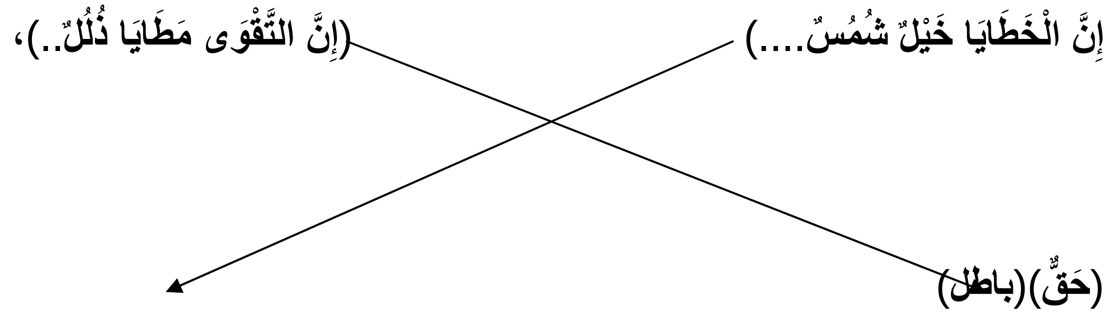

وبذلك الفن تبرز مهمة السامع في ربط الأجزاء الملفوفة والمنشورة، وهذا بالطبع يعتمد على ذكاء المتلقي في إرجاع كل جزء إلى حكمه أو ما يتعلق به، وبهذا نجد أن هذا الفن يعتمد على التأمل العميق في تتبع أجزاء النص.

---

[1] ينظر: في ظلال نهج البلاغة:١٣٧/١.

المبحث الخامس: دلالة أسلوب الإجمال والتفصيل في التورية:ـ

وتسمى التوجيه والإيهام والتخييل والمغالطة.[١]و(هو أنَّ للفظ استعمالان قريب وبعيد فيذكر الإيهام القريب في الحال إلى أن يظهر أن المراد به البعيد)[٢]، وهذا هو تعريف التورية.[٣] وقد مثل له بقوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)[٤]، وقال الزمخشري : (ولا نرى باباً في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله، وكلام نبيه (صلى الله وعليه وآله وسلم)، وكلام صحابته ، فمن ذلك قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)؛ لأن الاستواء على معنيين، أحدهما: الاستقرار في المكان، وهو المعنى القريب المورى به، الذي هو غير مقصود؛ لأن الحق تعالى مقدس ومنزه عن ذلك، والآخر: الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي وري عنه بالقريب المذكور)[٥].

وقد قسم البلاغيون هذا الفن على ضروب عدة ، فقد جعله القز ويني على ضربين مجردة، ومرشحة.[٦]، ثم زاد المتأخرون ـ كما رُوِيَ الدكتور أحمد مطلوب، والدكتور كامل حسن البصير ـ في هذين الضربين حتى أوصلوهما إلى أربعة أضرب فضلاً عن الضربين المتقدمين ضرب التورية المبينة والمهيأة.[٧]

إنّ تعدد معنى اللفظة في هذا الفن جعله يدخل ضمن ما يسمى (بعلاقات الإيهام والغموض) التي أصبحت خصيصة داخلية لا يستغني عنها كل رسالة تركز في ذاتها، وباختصار ملمح لازم للنص الأدبي.[٨]، وهذا يقودنا إلى القول بأن الغموض أو الإيهام من الظواهر الواجب توافرها في النص الأدبي.[٩]، وقد يتراءى لبعضهم أنّ الإيهام أو الغموض في النص الأدبي صفة سلبية وهذا الشيء قد يجانب الصواب؛ لأن (الوضوح ليس وحده سرّ التأثير بالمعاني الأدبية)[١٠]، بل (يجب التسليم بمقدار من الغموض الذي يثير التأملات المنشودة ويحدث المتعة والمسرة عند الوقوف على حقيقة المعالي)[١١].

---

[١]ينظر:المثل السائر:٢/٢١٥. ، وينظر:تحرير التحبير: ٢٦٨. ،وبديع القرآن:١٠٢. ، ومفتاح العلوم:٢٠١. ،والإيضاح: ٢٠١.
[٢]الطراز:٣/٦٢.
[٣]ينظر:المطول:٧٤.
[٤]طه:٥.
[٥]الكشاف:٣/٥٢.
[٦]ينظر: الإيضاح:٢٠١.
[٧]ينظر: البلاغة والتطبيق:٤٢٨ـ ٤٢٩.
[٨]ينظر: قضايا شعرية: رومان جاكوبسن:٥١.
[٩]ينظر: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية(عز الدين إسماعيل):٨٨.
[١٠]قضايا النقد الأدبي (د. بدوي طبانة):١٢٢.
[١١]م.ن:١٢٦.

وهذا ما أشار إليه نقادنا القدامى وقرّروا أن النص الأدبي المبدع هو الذي لا يستجيب لقارئه أول وهلة (فإنك تعلم على كلّ حال أنّ هذا الضرب من المعاني كالجواهر في الصدّف لا يبرز لك إلاّ أن تشقه عنك وكالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه ثم ما لكل فكر يهتدي إلى وجه الكشف عما اشتمل عليه، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول إليه، فما كل أحد يفلح في شق الصدفة ويكون في ذلك من أهل المعرفة)[١]، وقال : (وما كان فيه ألطف كان امتناعه عليك أكثر وإباؤه أظهر واحتجاجه أشد، ومن الموكوز في الطبع أنّ الشيء إذا نيل بعد الطلب له ، أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزية أولى ، فكان موقعه من النفس أجل وألطف)[٢]، وعدّ رتشاردز النصّ الأدبي إذا كان سهل التوصيل كان نتاجاً بالياً.[٣].

إذن فالتورية من الفنون التي تحتاج إلى معرفة واسعة وإدراك عميق، وربط بين المعاني والصور، وهي بذلك من الفنون التي تخدم الأديب حينما لا يريد الإفصاح عن مغزاه.[٤]؛ لأن هذا الفن يمكن الأديب من قطع الطريق أمام السامع حتى يشغل فكره في تأمل المعاني التي يطرقها، وفي هذه الحال يتسرب الإبهام في المعاني المراد دلالتها، فيكون المتلقي أكثر رهبة وأشغل فكره بإبهام المعنى لديه متوخياً دلالاتها ومعدداً تصوراتها في أي معنى يمكن أن تصلح لأن تكون المعنى الأصلي للفظ الذي كان يهدف إليه الأديب ويتوخاه.

وفي هذا نرى المتعة في تشويق المتلقي لمعرفة الإبهام في اللفظ فيكون موقعه في النفوس أجل وألطف.وبعد هذا التنظير سيتم النفاد إلى التطبيق في نصوص نهج البلاغة:-

من ذلك قوله (عليه السلام): (يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَى الثُّكْلِ وَ لَا يَنَامُ عَلَى الْحَرَبِ)[٥].
تتجسد التورية في هذه الحكمة (يَنَامُ الرَّجُلُ...) و(لَا يَنَامُ....)، ولها معنيان، المعنى الأول: النوم، وهو المعنى القريب المورى به، غير المقصود، أما الإبهام في هذا المعنى فهو في المورى عنه المجمل على المتلقي وهو المقصود أي: يصبر الرجل على قتل الأولاد ولا يصبر على سلب الأموال.[٦] وبذلك يتضح التفصيل للإجمال في كلمة(ينام) وهو تورية عن الصبر.

---

[١]أسرار البلاغة:١٢٨.
[٢]م.ن: ١٢٦.
[٣]ينظر:مبادئ النقد الأدبي:٢٨٨.
[٤]ينظر:البلاغة العربية(أحمد مطلوب): ٣٠٠.
[٥]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٩١.
[٦]ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤٧٤/٥.

ونظير ذلك قوله(عليه السلام): (وَ ذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ وَ إِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ)[١].

يدل سياق الكلام تنزيل الإمام لفظ (ذلك) الدال على البعد بإشارته الحسية للمعقول (زمان)، منزلة الشاهد المحسوس لأجل استحضار المشهد والصورة في ذهن المخاطب من ذلك الزمان الذي يعرض الناس فيه عن الدين، ويكتفون منه بإظهار الشعائر، ويكفأ فيه الإسلام، وتتحرك فيه الرغبات، وتنطلق الميول والأهواء ليؤكد الإمام عبر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في عدم نجاة أي أحد إلاّ (ال**مُؤْمِنِ النُوَمَةٍ**)، وفي هذا الاستثناء تورية مجملة على القارئ في قوله (**نُوَمَةٍ**)، **والنُوَمَةٍ**: تعني الرجل كثير النوم ، وهذاهو المعنى القريب غير المقصود، وإنما أريد المعنى البعيد (المبهم) المقصود، ويعني (الخامل الشأن الخفي المكان) وهنا يفسر الإمام بعد هذا المعنى المجمل فهو(**إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ وَ إِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ**)وهذا ما تسعى إليه(التورية المبينة) في ذكر لازم المورى عنه بعد لفظ التورية.[٢]، ومعنى ذلك أن الخاشع العابد والمنقطع الزاهد كثيراً ما يكون خمل الشأن ميت الذكر بخفائه عن النواظر وانقطاعه عن المجامع، ومن ذلك قولهم : نام جدُّ آل فلان أي خمل بعد اشتهاره، وسقط بعد ارتفاعه، قال الشاعر:

نامت جدودهم وأسقط نجمهم والنجم يسقط والجدود تنام[٣]

ومثيل ذلك قوله (عليه السلام): (فَسَابِقُوارَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا)[٤].

يأمر الإمام (عليه السلام) في هذا النص المؤمنين وعبر الدعاء بالاعتراض في (**رَحِمَكُمُ اللَّهُ**) بالمسابقة إلى إعداد منازلهم في قوله (**مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا**)، مستثمراً الإجمال في التورية (**مَنَازِلِكُمُ**) والمعنى القريب لها غير المقصود هو منازل السكن في المدن والأمصار ، وأما البعيد المقصود فهو المنازل الدائمة المتمثلة بالقبور والتي تعمر بطاعة الله ورسوله والامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى خلال صالح الأعمال، وفي هذا الغموض والإجمال في معنى (**مَنَازِلِكُمُ**) أثار الإمام (عليه السلام) به الغرابة في المعنى، وهذا له أهمية في النص و(الناس موكلون بتعظيم الغريب، واستطراف البعيد، وليس لهم في الموجود، وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل الذي لهم من الغريب ومن النادر الشاذ)[٥].

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٥١.
[٢]ينظر: علم البديع(عتيق): ٩٩.
[٣]ينظر:المجازات النبوية: ١٧٢ -١٧٣.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده): ٢٦٧.
[٥]البيان والتبيين: ٩٠/١.

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): (خُضُوعاً قِيَاماً قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ وَ رَجَفَتْبِهِمُ الْأَرْضُ فَأَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً وَ لِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً)[١].

يصف الإمام (عليه السلام) أهوال يوم القيامة في هذا النص ، فالناس كالأسرى حفاة عراة خاضعين خائفين، (**أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ**) وهو كناية عن بلوغهم غاية الجهد لأن من يتعب كثيراً يكثر عرقه، وما أروع الإجمال في التورية في قوله(**وَ رَجَفَتْبِهِمُ الْأَرْضُ**) إذ امتزجت التورية مع (التقديم والتأخير) و(التناص) ، فقدم الجار والمجرور (بهم) على الفاعل (الأرض) لأجل الاختصاص والحصر، والتناص في قوله تعالى : (**يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا**)[٢]، وهذا هو المعنى القريب المورى به وهو غير مقصود (برجف الأرض)، وأما المعنى البعيد المبهم للأرض الراجفة هو (أرض القلوب)، لنزول خشية الله تعالى عليها، وشدة أهوال يوم القيامة.[٣] وهذا هو المعنى البعيد المقصود الذي هدف إليه الأديب وتوخاه في معناه.

وبهذا تكون التورية من أجمل أساليب التعبير لما تشتمل عليه من قوة البيان وتنوعه، وبما تضفيه على اللغة من طابع جمالي، وبما ترتقي بفضلها من خيال وتصوير.

ويماثل ذلك قوله (عليه السلام): (فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً وَ عُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ سَمْكاً مَرْفُوعاً بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا وَ لَا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَ ضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ وَ أَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَ قَمَراً مُنِيراً فِي فَلَكٍ دَائِرٍ وَ سَقْفٍ سَائِرٍ وَ رَقِيمٍ مَائِرٍ).[٤]

في كلام الإمام (عليه السلام) إجمال رائع بديع في لفظة (سِرَاجاً) ، والسراج له معنيان: القريب (وهو المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل)[٥]، وهو غير مقصود هنا.

أما معناه البعيد المبهم فالمراد به الشمس التي تحوّل الليل إلى نهار، وبطريق (التورية المبينة)[٦]، وقد قرنه بما يلائم المعنى البعيد المورى عنه في قوله (وأجرى) ؛ لأن الجريان أعني الحركة أنما يتصور فيها دون السراج الحقيقي ، ووجه الشبه بين(المصباح والشمس)، أنَّ السراج القوي المستطير لما كان من شأنه أن يضيء ما حوله وينتشر في جميع نواحي البيت ويهتدي به من الظلمة، كذلك الشمس المضيئة لهذا العالم ويهتدي بها المتصرف فيه.[٧]

---

[١]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٤٩.
[٢]المزمل:١٤.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٩٣/٣.
[٤]شرح نهج البلاغة(عبده): ١٨.
[٥]لسان العرب (مادة سرج): ١٢٢/٣.
[٦]التورية المبينة: هو ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد الموريعنه‘قبل للفظ التورية أو بعدها . ينظر: علم البديع (بسيوني عبد الفتاح): ١٤٧.
[٧]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ١٠٥/١.

وبهذا التفصيل في المورى عنه البعيد المجمل يبرز ذكاء المتلقي استناداً إلى خبرته وثقافته ، فيكون له وقفه المؤثر في النفوس وأثره الحسن تماماً كالمرأة الحسناء التي تبدو من وراء البرقع.[١]

ونظير ذلك قوله (عليه السلام): (مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ)[٢].

تعددت الآراء في هذا النص ، فالبحراني يرى أنها (استعارة)، فاستعار لفظ اليد في الموضعين للنعمة والعطاء، وكنى بالطول والقصر عن الكثرة والقلة.[٣]

أما حبيب الله الخوئي فيقول: إنها (التورية المرشحة): لوجود ملائم قبل التورية وبعدها (فإن اليدين عبارتان عن النعمة مع ظهورها في الجارحة المخصوصة واقترانهما بما يلائم القريب أعني الإعطاء ، والقصير والطول، واليد القصيرة هي نعمة العبد، واليد الطويلة هي نعمة الرب سبحانه)[٤].

والباحث يؤيد الرأي الثاني فالمعنى القريب الظاهر للتورية المرشحة في(اليد القصيرة) و(اليد الطويلة) هو الجارحة وهو المعنى غير المقصود، أما المعنى البعيد المبهم فهو العطاء والسخاء وكثرة البر والجود وبذل الوفر.وهذا هو المقصود من المعنى في السياق الوارد في النص.

ومما زاد الإبهام في التورية هو أن التورية المرشحة مايذكر فيها لازم المعنى القريب المورى به ، وهو غير المراد.[٥]، وبذلك تزداد إبهاماً بذكر المورى به القريب ،وبالتالي يزداد التأثير على المتلقي بانفعاله وانشغاله بالمعنى العميق للفظ المبهم.

ويماثل ذلك قوله(عليه السلام) : (لَا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ).[٦]

في هذه الحكمة الموجزة ، جعل الإمام من صدق الإيمان بالشيء يقينه وكماله، ومن كماله حسن الرجاء لله والتوكل عليه حتى يكون أوثق بما في يد الله منه بما في يده.

وذكر(يد الله) هاهنا ليس الجارحة وإنما نعمته فهي أعلى النعم لأنها أصل لها وأم لجميعها؛ لأن كل من أعطى عطاء أو حبى حباء ، فإنما أعطى مما خوله الله سبحانه وتعالى، ولولا ذلك لكانت كفه جامدة، وريح أريحيته راكدة، ولأجل ذلك يقول في الحياة إنها أول النعم، ويريد بذلك أنها أول في الرتبة، لافتقار كل نعمة إليها.[٧]

---

[١]ينظر: علم البديع(بسيوني عبد الفتاح فيود): ١٥١.
[٢]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٧٦.
[٣]ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني): ٤٥٧/٥.
[٤]منهاج البراعة: ١٣٨/١.
[٥]ينظر: علم البديع (عتيق): ٩٧.
[٦]شرح نهج البلاغة(عبده): ٤٩١.
[٧]ينظر :المجازات النبوية: ٢٠٧-٢٠٨.

أما التورية في (يده) فالمعنى الأول: الجارحة، وهو المعنى القريب المورى به وهو غير مقصود، أما المعنى المبهم البعيد فهو العطاء، والبذل، والقبض، والأخذ، وهذا هو المعنى المقصود، وقد ذكر هنا لازم المورى عنه قبل لفظ التورية وهو (أوثق) والمراد بأوثق الوثوق بالرزق من الله، والوثوق بثواب الله على عمل الخيرات.[١]

ونختم كلامنا بقوله (عليه السلام): (ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ وَ رُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ وَ صَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ وَ مُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَ لَا سَهْوُ الْعُقُولِ وَ لَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَ لَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ وَ مِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ وَ أَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ وَ مُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَ أَمْرِهِ)[٢].

نرى أنَّ لفظة(**أَلْسِنَةٌ**) تحتمل معنيين أحدهما الجارحة، وهو المعنى القريب المورى به غير المقصود.

والآخر: ولما كانت الملائكة وسائط بين الحق سبحانه وبين رسله في تأدية خطابه الكريم إليهم، لا جرّم حسن إطلاق الإفصاح عن الكلام والخطاب، كما يقال فلان لسان قومه أي المفصح عن أحوالهم والمخاطب عنهم، وهذا هو ما كان يقصده الإمام في لفظة(ألسنة)، فالملائكة يترددون بأمر الله وما قضى به مرة بعد أخرى على الرسل وبالأمور المقضيّة من الله عزّ وجلّ.

نرى في التورية قدرة المنشئ التي تستوجب إعمال الفكر، والغموض إلى اقتناص المعنى، أما من جهة المتلقي فنراه يحتاج إلى انتباه ويقظة وتركيز من أجل أن يتلقى القوة المؤثرة من المنشئ وإلا عجز عن الوصول إلى أعماق النص الفني في وضوح مغزاه.

---

[١] ينظر: شرح نهج البلاغة(عبده): ٤١٩.
[٢] شرح نهج البلاغة(عبده): ١٩.

الخاتمة والنتائج:-

الحمد لله على توفيقه، ودِوام فضله، لإتمام هذه الأطروحة ،والصلاة والسلام على نبيه محمد الهادي المختار وعلى آله وصحبه الكرام المنتجبين.

وبعد هذه الرحلة الطويلة في رحاب (الإجمال والتَّفصيل في نهج البلاغة دراسة تحليلية) ، خرج الباحث بالنتّائج الآتية:

أولاً : وهذه نتائج [التمهيد]:

طرحت مفهوم المجمل عند اللغوين والنحويين والأصوليين والمفسرين وأهل المنطق، وبعد العرض نخرج بالنتيجة الآتية الذكر:

إن اللغويين كثيراً ما جاء لديهم مفهوم المجمل ضمن عنوانات مغايرة، ولا نعدم ذكر من وضعه تحت المصطلح نفسه، وهذا التباين في المفهوم يرجع إلى طبيعة ومجال تخصص كل علم منهم فسمي(المشترك ، والمشتبه، والمشكل).

وأما البلاغيون فجاء رأيهم مشاركاً لعلماء اللغة في هذه الصفة فقد أوردوه تحت مصطلح(التوجيه والإيهام والتورية، والتشبيه المجمل، والتشبيه البليغ)،وذكروا المصطلح نفسه في صدد حديثهم عن قسمة التشبيه على أساس وجه الشبه.

أما علماء النحو فقد أحسب لهم تأسيس مفهوم (التركيب المجمل) من دون أن يفردوا له مبحثاً مستقلاً .

وعند المفسرين فقد وردت منهم عدّة إشارات لمفهوم المجمل إلتقطت من أثناء تفسيراتهم مفادها في صلاحية اللفظ المجمل لإستيعابه أكثر من معنى وقابليته للانطباق على محامل عدة دون تمييز، وجاء الأصوليون وآثروا مفهوم المجمل في نطاق اللفظة المفردة وأكثروا من حدوده، وقد مثلوا الإتجاه الأمثل برغم المؤاخذات عليهم في تحديد مفهوم المجمل وذلك لوثاقته بمجال عملهم التخصصي.أما المجمل عند المناطقة فقد أوردوه تحت مصطلحي(المشترك، والمنقول).

وبهذا استطعت أن أخرج بمفهوم أحسبه متكاملاً لمفهوم المجمل باللفظ: هو لفظ غير واضح مبهم تتردد فيه جملة من المعاني ، تحتاج إلى ما يفصل ويفسر تلك المعاني من قبل المتكلم إلى السامع.

أما مفهوم المجمل بالتركيب: فهو ما أبهمت فيه النسبة بين المسند والمسند إليه ، أو ما خفي القصد منه، وكانت دلالته مترددة بين جملة معانٍ تحتاج إلى ما يفصلها ويفسرها من قبل المتكلم إلى السامع.

وأما التفصيل فقد وجدت أيضاً اختلافات في حدهم لمفهومه وتحت مصطلحات متنوعة .

فعلماء اللغة وضعوه تحت باب (التفسير) ، أو (وضوح الكلام)،أو (البيان).

أما علماء النحو فقد وصفوه تحت مصطلحين(التمييز) و(البدل)، وقد تنبهوا على أن من (المفصل) ما يأتي لبيان إجمال المفرد ، وإن منه ما يرد لبيان

إجمال النسبة ، وذلك في صدد حديثهم عن (التمييز) المفصّل، أما فيما يخص البدل فإنَّ الذي يؤدي وظيفة التفصيل من أقسامه فهو بدل الكل والاشتمال فحسب دون سائر أقسامه الأخرى. وقد بين علماء النحو مفهوم(الجملة التفصيلية) وتسميتهم لها بالجملة التفسيرية..

وأما علماء البلاغة فقد تحدثوا عن (التفصيل) تحت عنوانات مختلفة مثل (الإطناب) و(التفسير) ، فجاء التفسير في فنون عدة ك(الجمع والتفريق والتقسيم)، اللف والنشر)، وجاء التفصيل أيضاً تحت مصطلح (الإيضاح) ومنهم من اسماه (التفسير الخفي)، وعلى الرغم من أن (التفصيل) هو من جنس التفسير الجلي الواضح للمتلقي ، كما عرضوا له بالمصطلح نفسه في قسمتهم للتشبيه على أساس وجه الشبه فكان التشبيه(المجمل) وهو ما لم يذكر فيه وجه الشبه، فالمفصل عند البلاغيين هو الإيضاح ، والتفسير، والبيان، وكل هذه المصطلحات تحقق المبالغة في الأمر المبهم وفي تفسيره وتوضيحه يزداد الأمر توكيداً وثباتاً ورسوخاً في النفس.

أما المفسرون فقد أوردوا مفهوم التفصيل من خلال تعريفات عدة ، مستشهدين بالعديد من الآيات القرآنية التي أغنت مفهوم (المفصل) وجعله مفهوماً متكاملاً.

أما علماء الأصول فقد أغنوا هذا المصطلح بعدة دلالات تبين مفهومه، وكانت مصطلحاتهم فيه هي(المفسر، وبيان التفسير، والمبيّن، والمبيِّن).

وأما علماء المنطق فقد أوردوه تحت مصطلحات منها(القول الشارح، والمعرّف،والتعريف)، ولا تخرج هذه التعريفات عن دلالة بيان المبهم في القول وإيضاح معناه.

بعد ذلك واستناداً إلى مقولات العلماء كلهم وعلى اختلاف تخصصاتهم المعرفية وتباين وجهات نظرهم ، خرجت بمفهومٍ متكامل عن مفهوم :

المفصل المفرد: وهو كل لفظ أو فعل يزول مُحتملات للفظ المجمل بمتعين ومن قبل المتكلم إلى المتلقي، كالتمييز، والبدل.

المفصل بالتركيب(النسبة): وهو اللفظ المجمل الذي يزيل المعنى المبهم للجملة المبهمة النسبة بين (المسند والمسند إليه) ، ويخرجها من حيز الإبهام ألى حيز الإبانة.

أما بالنسبة لمفهوم المفصل في مضمون الجملة(دون نسبتها) : فهي الجملة التي تفيد معنى يحسن السكوت عليه، وقد ترد الجملة هنا مبهمة فيعمل التفصيل على بيان يزيل الإبهام على تركيب(الجملة) ويجعلها مفهومة لدى المتلقي ومن هذا النوع من التفصيل ما يرد متصلاً ، ومنه ما يرد منفصلاً

لقد أوضحت إن هناك فوارق بين الإجمال ، والإطلاق، والعموم من جهة المفهوم ودرجة الخفاء ، أو حيثية الاستغراق، أو الأدوات التي تبيّن كل منهم . وإذا كان للإجمال ثمة فوارق مع الإطلاق والعموم فإن للتفصيل أيضاً ثمة فوارق بينه وبين التقيد، والتخصيص من حيث المفهوم، ودرجة البيان وتوافر الأصالة أو عدمها فيها ، وغيرها مع اعطاء الأمثلة لكل لفظ من هذه الألفاظ المبهمة.

ثانياً : وهذه نتائج [الفصل الأول]:

أوضح البحث إن النكرة في سياق الإثبات تأتي مجملة ، وذلك في الألفاظ المنكرة التي لا تدل على ماهية من الماهيات والتي لا يمكن تجزؤها.وكشف الإجمال في النكرة وانتقالها إلى البيان زيادة اهتمام ومبالغة في عظم الأمر المتحدث عنه.

إن المعرف ب(ال) ما يأتي مجملاً ويكون أوغل إبهاماً من (المطلق والعام)، لعدم معرفة المراد منه البتة، فتغدو فيه (ال) صورية، أي لم تجد فيه تعيناً ، ولا تحديداً، بل هي في حكم النكرة معنى، والمعرفة لفظاً.

إن (الاسم الموصول) يأتي مجملاً وتفسره صلته، وقد تأتي الصلة مبهمة مع موصولها وذلك للإشارة إلى ضرب من الخبر يفيد التهويل والتعظيم، وقد تحذف الصلة أيضاً للدلالة على عظمتها وفخامتها، فيبقى الموصول مع صلته في حيز الإبهام. ووردت في نصوص نهج البلاغة صلة الموصول الاسمي جملة شرطية، وقد منع النحاة مجيء الجملة الشرطية صلة الموصول لكنها وردت في القرآن الكريم، ونصوص نهج البلاغة، ومجيء إبهاماً في النص(الموصول) مع (التركيب الشرطي) أوفق لدلالة السياق وجعل المخاطب يتساءل بفعل الإبهام أولاً، ثم يحقق جواب الشرط ثانياً بفعل التفصيل فيزيل كل تردد وإشكال في النص ، ويحقق المتعة والفائدة التي يتوخاها المتكلم في النص. .

إن الإجمال يدخل الإضافة المحضة دون الإضافة غير المحضة، وعلى الرغم من الإضافة المحضة تفيد الاسم تعريفاً وتقييداً إن كان معرفة ، وتخصيصاً وبياناً إن كان نكرة، غير أن اللفظ المعرف بالإضافة فيها قد يدخله الإجمال فيحيله إلى الإبهام.

وظَّف الإمام الكثير من الأساليب البلاغية (كالتشبيه، والاستعارة ، والكناية) ، وغيرها من أساليب البيان ليعضد دلالة الإبهام في النص وشد انتباه المتلقي إلى كلامه، فكان لهذه الأساليب أثرٌ فاعل في التعبير عن دلالة المعنى ، وتوصيل الفكرة إلى السامع.

إن تأرجح دلالة المعنى بين دلالات عدة يجذب انتباه المتلقي إلى معرفة ذلك المعنى ، وهو ما يسعى إليه الإمام(عليه السلام) لكي يثير المفاجأة في نفس المتلقي عند معرفته ذلك الإبهام.

اقتبس مفردات الإجمال في المعرف بالإضافة من القرآن الكريم وتوظيفها في مواقف فنية جديدة في نصوص نهج البلاغة، وهذا مما يدل على استحضار الإمام (عليه السلام) النص القرآني واقتباسه والتوليد على أصله وكيف لا يكون ذلك؟ وهو القرآن الناطق من قول الرسول(صلى الله وعليه وآله وسلم).

ومن بديع بنى الإجمال حضور الخيال فيه ، فأثمر عن صور فنية محققة أهدافاً دينية كالتزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة، وأهدافاً دنيوية كالنصح، والإرشاد، والترغيب والترهيب، فبذلك استخدم الإمام هذا الفن لخدمة الناس وجعل أدبه خدمة للمجتمع.

الإجمال في الضمير جاء ليعبر عن بلاغة مبدعه وتأثيره في متلقيه، وذلك من أجل خلق ومضات تبقى عالقة في ذهن المتلقي ، وتسبح في خياله لمعرفة المراد من ذلك الإبهام وذلك يمنح النص زخماً تعبيرياً مؤثراً يجذب الانتباه ، ويركز الأفكار التي يريدها المنشئ من متلقيه.

السر البلاغي لظاهرة التفصيل بعد الإجمال هو التقرير والتمكين في النفس ، ذلك كونه إعادة لذكر الشيء وإعادته توثيق لدلالة المعنى وزيادة في ترسيخه، فيغدو أشد تماسكاً، وأوثق بقاءً لدلالته بعد اتضاحها لدى المتلقي.

كثيراً ما يأتي أسلوب الإجمال للدلالة على الرهبة والتفخيم والعظمة للأمر المبهم كتصوير أهوال يوم القيامة، أو التنبؤ بالأمور الغيبية، أو التحذير من أمر مهم والنصح له وإرشاد الناس إليه في توجيههم إلى طريق الصواب، أو الإشارة إلى أمور تدعو إلى التعجب والغرابة في شأن ذلك الكلام، وبذلك يدعو هذا الكلام إلى شد انتباه المتلقي وزيادة تشويقه لمعرفة المراد والرغبة الملحة لمعرفة ذلك الإبهام، وبعد معرفته يزداد ترسيخه وتأكيده وتثبيته في الذهن ، وهذا ما يشير إليه (ضمير الشأن أو القصة)و(أفعل التفضيل) بهيآته الثلاثة، و(الاستفهام التعجبي) ، و(الاستثناء) ، و(الأفعال) ، وقد ورد الإجمال في الأفعال في دلالاته الثلاثة (الماضي) و(المضارع) و(الأمر)، ويأتي الإجمال في الأفعال من حيث الحدث (المعنى) وليس من حيث الزمن.

هناك نوع من المفارقات الدلالية اللافتة للنظر ، ذلك أن (التخصيص) في الاستثناء يعتبر من أدوات البيان والتوضيح ، ولكن قد يدخل الإجمال في التخصيص أي (المستثنى) فيخرجه بذلك من دائرة الوضوح والبيان إلى الغموض والإبهام.

ثالثاً : وهذه نتائج [الفصل الثاني] :

إن من الإجمال ما يرد في نطاق التركيب (الجملة) ، وقد ترد في الجملة قيوداً لا يمكن الاستغناء عنها في بنية السطح الصياغية لتوقف المعنى العميق عليها، وبهذا تكون وظيفة تلك القيود زيادة معنى الجملة وضوحاً وتخصيصاً لكن قد تلحق تلك القيود الإجمال فتبدو الجملة بأسرها غامضة وبحاجة إلى بيان يزيل الإبهام والغموض عنها.

إن من الإجمال ما يرد في نسبة الجملة، وقد عزز هذا النوع من الإجمال في ترسيخ المعنى وتأكيده فكان له وقع خاص في النفوس.

الإجمال في جملة الاستفهام (الإنكاري والتعجبي) فكانت لغته معبرة عن المضمون الفكري والوجداني للإمام علي(عليه السلام) وتوجهاته، فضلاً عما حققته من دلالة الاهتمام والعناية بالحدث وتعظيمه ليشد بذلك انتباه متلقيه إلى ذلك الحدث وحصره في ذهنه، أما نسبة وجوده في النصوص فتكاد تكون قليلة الشيوع في هذا النوع من الإجمال

توظيف الحذف في جملة جواب الشرط لعلاقة تفاعلية بين الأحداث التي عاصرت الإمام(عليه السلام) وآلية التعبير (أي حذف بعض صور الكلام) وبما يلائم الحدث المصور وهي أغلبها ذات دلالات نفسية. وقد يكون الحذف موظف

لمقاصد متنوعة منها عقائدية ، أو أخلاقية ، أو اجتماعية، وهذا ما يتعلق بمحيط نهج البلاغة الذي يدور في أفلاك متعددة.

مما يتعلق بمسألة الحذف أن مهمة تقديره منوطة بالقارئ وهي قضية نسبية تتفاوت من شخص لآخر أي تعتمد على ثقافة المتلقي وإدراكه لأبعاد النص وفهمه فهماً صحيحاً ومن هنا يدخل الإجمال في النص، ويكون بيانه من قبل متلقيه وتفسيره وإيضاحه لذلك النص حسب ثقافته.

ومن المفارقات الدلالية لصورة جملة جواب الشرط وجود الجواب في النص ولكنه تسرب إليه أيضاً الإبهام مما أفضى بالنص إلى الإبهام في جوابه وما ذلك إلاّ لإثارة ذهن المخاطب، وتعظيمه لذلك الحدث المبهم في جوابه.

الإجمال في الجملة المتناوبة بين الخبر والإنشاء فقد أضفي المبدع فيها متعة فنية يستشعرها المتلقي إثناء السماع أو القراءة.

رابعاً : وهذه نتائج [الفصل الثالث، والرابع]:

عرض البحث لأدوات التفصيل سواء على نطاق اللفظ أو التركيب ، وناقش كل أداة وما قيل فيها على حدة، فجاءت مهمة كل أداة فيها سواء على نطاق اللفظ المفرد مثل(أنْ المخففة، وأما التفصيلية ، وضمير الفصل، ومن البيانية، والتميز للمفرد ، والتمييز لنسبة الجملة، وبدل الكل ، وبدل الاشتمال) .**أو على نطاق التركيب (الجملة) مثل**:(التفصيل بجملة الصلة ،وبجملة البدل ، وبجملة الشرط) فالجملة البدلية تُوظف في النص لبيان المجمل(المبدل منه) سواء كان الأخير مفرداً أم مركباً فتنأى به عن معنى الغموض وتأخذه إلى وضوح الدلالة. وتجدر الإشارة إن تشكل الجمل المفصلة بوصفها بدلاً أثراً واضحاً في توجيه الدلالة إلى الفكرة المرجوة بدقة وتقنية عاليتين: إذ لكل شكل تركيبي دلالة يُعبر عنها وتتباين الدلالات المنتجة بتباين أشكال التركيب تباعاً وإلزاماً.

مثلت دلالة التفصيل ب(التمييز) سواء على مستوى المفرد أو الجملة سمة أسلوبية مميزة لقدرتها على جذب انتباه المتلقي، مظهرة دلالات متنوعة كالتوبيخ، والإرشاد، والتنبيه، والتعجب والتأكيد ، والاتساع والشمول والمبالغة في الأمر.

أما التفصيل بنص تركيبي منفصل ، فقد وجدت نسبته قليلة في النهج، وما ذلك إلاّ ؛ لأن كتاب نهج البلاغة هو جمع من روايات متفرقة ، فروايات كلامه تختلف اختلافاً شديداً ، فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه، ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير موضعه الأول، أما بزيادة مختارة أو بلفظ أحسن عبارة، فتقضي الحال أن يعاد استظهاراً للاختيار وغيرةً على عقائل الكلام، وربما بعد العهد أيضاً بما اختير أولاً، فأعيد بعضه سهواً أو نسياناً لا قصداً واعتماداً، ولا أدّعي مع ذلك أنني أحيط بأقطار جميع كلامه(عليه السلام) حتى لا يشذّ عني شاذّ، ولا يندّ ناد، بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إليّ ، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يديّ، وما عليّ إلاّ بذلُ الجهد، وبلاغه الواسع، وعلى الله سبحانه نهج السبيل، وإرشاد الدليل وهذا الكلام للرضي(رحمه الله)، ثم أكد هذا الكلام الشارح (ابن أبي الحديد المعتزلي) فيما أختاره من ذلك

فصول غير متسقة، ومحاسن كلام غير منتظم، فهو لا يقصد التتالي والنسق في الروايات.

خامساً : وأما نتائج [الفصل الخامس] فهي :

تعددت أبنية الإجمال والتفصيل في (أسلوب الجمع والتقسيم والتفريق) ما بين بنية ثنائية ، وبنية متعددة ، وتعددت دلالاتها ما بين دلالة دينية ووعظية وتهويلية من يوم القيامة فمثلت بذلك وحدات سياقية تميزت بها النصوص العلوية لتوضيح الأفكار وجلب الانتباه وشدّ ذهن المتلقي إليها.

قد هيمن التشبيه البليغ بنسبة تفوق بقية أنواع التشبيه ، وقد بينت من خلال صوره عملية امتصاص الزخم الانفعالي، والتعبير عنه في صور نابضة بالحياة، وتقريبها إلى ذهن المتلقي في صورّ حسية، تثير الخيال والتأمل والتأويل، فضلاً عن تأثير الصور التي تثير دهشة المتلقي من قيمتها التعبيرية والإيحائية، فضلاً عن غرابتها وهذا ما يهدف إليه الإمام (عليه السلام) من شدّ انتباه متلقيه لمعرفة الإبهام في الصورة الفنية.

وظَّف الإمام(عليه السلام) دلالة التشبيه المجمل في الغوص إلى أعماق النفس الإنسانية، والدخول في شفاف القلب لتحقق غايته في الهداية والإصلاح والتحذير من الركون إلى الدنيا، وإن في إجماله وجه الشبه وإخفائه تحقيق الإبداع الذي يتوخاه وهو تثبيته المعنى في الأذهان أو تجسيد الحالة النفسية المراد أبرازها لمتلقيه.

يعد أسلوب (اللف والطي والنشر) واحداً من أثرى أساليب الإجمال والتفصيل، إذ تظهر فيه براعة المتكلم وإبداعه من خلال مزاوجته بين الألفاظ والمعاني، وإرجاعه كل لفظ إلى المعنى الذي يخصه ، ولهذا إنَّ هذا الفن يتطلب سامعاً يتصف بشيء من المعرفة والثقافة.

بينت الدراسة وجود عَلاقة وثيقة بين ظاهرة الإجمال والتفصيل وفن (التورية) إذ يذكر في التورية لفظ واحد لإيهام المتلقي بالمعنى ، وهذا ما يفضي إليه الإجمال، في حين يضمر المعنى الآخر المفصل وهذا ما يفضي إليه التفصيل، وبذلك يكون للتورية لفظان مضمر ، وظاهر، ولولا الإبهام للفظ لما حصلت المفاجأة الطريفة لدى المتلقي، وبذلك يرى الباحث أن البلاغة العربية برمتها عدول عندما تتحكم باللفظ وتستثمر طاقاتها المتنوعة وقدراتها التي لا حدود لها.

وأخيراً أكدت الدراسة أن ظاهرة (الإجمال والتَّفصيل) لها بصمات متميزة مهمة تعتمد على استفزاز السامع وإثارة انتباهه وجذبه إلى الكلام فدلت بذلك على قدرة اللغة وطاقاتها الخلاقة التي لا حدود لها.

وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إئتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبد اللطيف الشرجي(ت ٨٠٢هـ)، تح: د. طارق الجنابي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٧٨م.

٢. الإبهاج على شرح المنهاج،السبكي:علي بن عبد الكافي،تح:جماعة من العلماء،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٤٠٤هـ.

٣. الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، د. عبد الحميد جيدة، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٠م.

٤. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، دار ومكتبة الهلال ،تح: مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،السعودية،(د.ت) .

٥. أثر الإجمال والبيان في الفقه الإسلامي، الحفناوي محمد إبراهيم،دار الوفاء،القاهرة،١٤١٢هـ.

٦. الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني،دراسة في الدلالة القرآنية،سيروان الجنابي،المركز الوطني لعلوم القرآن،بغداد،ط١، ٢٠١٠م.

٧. الإحكام في أصولالأحكام–للإمام الجليل أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ)قدم له إحسان عباس ، دار الآفاق الجديدة،بيروت،(د.ت).

٨. الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي: سيف الدين، أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١ هـ) ، علق عليه : الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، دار الصميعي، الرياض، ط١ ،٢٠٠٣ م.

٩. أحكام القرآن، الجصاص : أبو بكر ، أحمد بن علي الرازي (ت ٣٧٠ هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١٥هـ.

١٠. أخلاق أهل البيت،مهدي الصدر،مؤسسة الأعلمي،بيروت،ط١، ٢٠٠١م.

١١. الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية: دراسة تحليلية تطبيقية، د. أبو السعود حسنين الشاذلي، دار المعرفة الجامعية، ط١، ١٩٨٩م.

١٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، تح:وشرح ، ودراسة:رجب عثمان محمد،ود. رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

١٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي(ت ٩٨٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١،١٩٩٩م.

١٤. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، للعلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني ،تح:أبي حفص سامي بن العربي الأثري،قدم له عبد الله بن عبد الرحمن السعد، وسعد بن ناصر الشتري، دار الفضيلة،الرياض،ط١، ٢٠٠٠م.

١٥. الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد النحوي الهروي(ت٤١٥هـ)، تح: عبد المعين الملوحي،(د.ن)،دمشق،١٩٧١م.

١٦. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د.قيس إسماعيل الأوسي، بيت الحكمة ،بغداد،١٩٨٨م.

١٧. استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

١٨. أسرار العربية(ابن الأنباري)، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد(٥٧٧هـ): تح: فخري صالح قدارة، مط:دار الجيل، بيروت،ط١، ١٩٩٥م.

١٩. أسلوب التوكيد في القرآن الكريم،محمد حسين أبو الفتوح،مكتبة لنبان،بيروت،ط١،١٩٩٥م.

٢٠. الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب، د. أحمد الشايب، منشورات مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط٧، ١٩٧٦م.

٢١. الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية،فتح الله أحمد سليمان،الدار الفنية للنشر والتوزيع،القاهرة،١٩٩٠م.

٢٢. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد عليالجرجاني(ت٧٢٩هـ)، تح: عبد القادر حسين، دار النهضة، مصر ،١٩٨١م.

٢٣. الأشباه والنظائرفي النحو،جلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي(ت٩١١هـ)،راجعه وقدم له:د.فايز ترحيني،مطبعة دار الكتاب العربي،ط ١،١٩٨٤م.

٢٤. أصول السرخسي ،للإمام الفقيه الأصولي النظار أبي بكر محمد بن احمد بن أبي سهل السرخسي (ت٤٩٠هـ) حقق أصولهأبو الوفا الأفغاني، دار المعرفة – بيروت – لبنان ،(د.ت).

٢٥. أصول الشاشي ،أبو علي احمد بن محمد بن إسحاق الشاشي،مطبعة دار الكتاب العربي،بيروت،١٤٠٢هـ.

٢٦. الأصول العامة للفقه المقارن،السيد محمد تقي الحكيم، مؤسسة آل البيت(عليهم السلام)،(د.م)،ط٢،١٣٩٠هـ.

٢٧. الأصول في النحو،لأبي بكر بن السراج البغدادي(ت ٣١٦هـ)،تح:د. عبد الحسين الفتلي،مطبعة النعمان، النجف الاشرف،١٩٧٣م.

٢٨. إعراب الجمل وأشباه الجمل ، د. فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، سوريا،ط٢، ١٩٨٥م.

٢٩. إعراب القرآن ،للنحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس(ت٣٣٨هـ)،تح:د. زهير غازي زاهد،عالم الكتب ،بيروت،ط٢،١٩٨٥م.

٣٠. إعراب القرآن ، للباقولي (ت٥٤٣هـ)، تح: إبراهيم الإبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،مصر،١٩٦٥م.

٣١. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي(ت٥٢١هـ)، القسم الأول بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا، و.د.حامد عبد المجيد، مط: دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٢. أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل مصطفى الساقي، تقديم د. تمام حسان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.

٣٣. الألسنية العربية، النحو- الجملة- الأسلوب: ريمون طحان،دار الكتاب اللبناني، بيروت،(د.ت).

٣٤. أمالي الشجري ، هبة الله بن حمزة الحسيني العلوي(ت٥٤٢هـ) ،تح: د.محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي ، القاهرة،ط١،١٩٩٢م.

٣٥. الإمام الباقر (عليه السلام) وأثره في التفسير،د.حكمت عبد الخفاجي،مؤسسة البلاغ،بيروت،ط١،٢٠٠٥م.

٣٦. الإمام علي (عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، دار المهدي للطباعة والنشر، بيروت،٢٠٠٣م.

٣٧. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، بيروت،ط١،١٤١٣هـ.

٣٨. الأمثال في نهج البلاغة، محمد العزاوي،مط: فيروزآبادي، قم،ط١،١٤٠١هـ.

٣٩. إنتاج الدلالة الأدبية،د.صلاح فضل ، مؤسسة المختار للتوزيع والنشر ، القاهرة،(د.ت).

٤٠. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،ابن هشام الأنصاري(ت٧١٦هـ)، المطبعة العصرية ،بيروت،٢٠٠١م.

٤١. الإيضاح في شرح المفصّل،لأبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب،تح:د.موسى بناي العليلي،وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ،مطبعة العاني ،بغداد،١٩٨٢م.

٤٢. الإيضاح في علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع مختصر تلخيص المفتاح)، الخطيب القزويني(ت ٧٣٩هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، (د.ت) .

٤٣. البحر المحيط ،أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف(أبو حيان الأندلسي ٧٤٥هـ)،تح:الشيخ أحمد عادل وآخرون ،مطبعة دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ٢٠٠١م.

٤٤. البدل في الجملة العربية- القرآن الكريم، د.حسن محمد حسن، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية،ط١، ١٩٨٩م.

٤٥. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جمال عبد المجيد، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤٦. بديع القرآن ، ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) ، تح: حنفي محمد شرف، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧م.

٤٧. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ،كمال الدين عبد الواحد الزملكاني(ت٦٥١هـ)،تح:د.خديجة الحديثي و.د.أحمد مطلوب،مطبعة العاني،بغداد،،ط١،١٩٧٤م.

٤٨. البرهان في تفسير القرآن، البحراني:السيدهاشم الحسيني(ت١١٠٧هـ)، مؤسسة البعثة، طهران،ط١،١٤١٥هـ.

٤٩. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ،القاهرة،ط،٣، ١٩٨٤م.

٥٠. البلاغة والأسلوبية ،د. محمد عبد المطلب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٨٤ م .

٥١. البلاغة العربية قراءة أخرى،د.محمد عبد المطلب،الشركة المصرية العامة للنشر، لونجمان، دار توبقال،ط١،١٩٩٧م.

٥٢. بلاغة القرآن في آثارالقاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، بيروت،(د.ت).

٥٣. بلاغة الكلمة والجملة والجمل،د.منير سلطان،منشأة المعارف، الإسكندرية،ط٢، ١٩٨٤م.

٥٤. البلاغة فنونها وأفنانها(علم البيان والبديع)، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان،ط١، ٢٠٠٠م.

٥٥. البلاغة فنونها وأفنانها،(علم المعاني)،د.فضل حسن عباس،دار الفرقان للنشر والتوزيع،عمان ـ الأردن،ط ٥،،١٤١٨هـ.

٥٦. البلاغة والتطبيق،د. أحمد مطلوب و.د. كامل حسن البصير ، طبع على وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،بغداد، ط١، ١٩٨٢م.

٥٧. البلاغة والبيان وفصاحة الكلام عند سيدنا الإمام علي(عليه السلام)، راضي محمد عبد نواضرة، مؤسسة حمادة للدراسات والنشر والتوزيع، دار اليازوري ، الأردن، ٢٠١١م.

٥٨. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد تقي الشوشتري، دار أمير كبير، طهران، ط١، ١٣٧٦هـ.

٥٩. البيان في روائع القرآن،تمام حسان،مطبعة عالم الكتب،بيروت،٢٠٠٢م.

٦٠. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مط: لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٤٨م.

٦١. تاج العروس :محمد مرتضى الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)،مكتبة الحياة،بيروت،(د.ت).

٦٢. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري(ت٦١٦هـ)، تح: علي محمد البجاوي، مط: البابي الحلبي،١٩٧٦م.

٦٣. التبيان في تفسير القرآن الطوسي: شيخ الطائفة ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت ٤٦٠ هـ) ، تح : أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتبة الإعلام الإسلامي،مطبعة قم، ط١ ،١٣٩٧هـ .

٦٤. التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ، لابن الزملكان(ت٦٥١هـ) ، تح : أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ،بغداد، ط١، ١٩٦٤م .

٦٥. التبيان في علوم المعاني والبيان والبديع، شرف الدين حسين بن محمد الطيبي،تح: د.هادي عطية مطر الهلالي،مطبعة عالم الكتب مكتبة النهضة العصرية، ط١ ،١٩٨٧م.

٦٦. تجديد علم المنطق، عبد المتعال الصعيدي،مطبعة محمد علي صبيح وأولاده،القاهرة،(د.ت).
٦٧. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر والبيان في إعجاز القرآن ، لأبي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ) ،لجنة إحياء الترا ث الإسلامي ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م .
٦٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور(ت١٩٧٣م)، الدار التونسية للنشر، (د.ت).
٦٩. تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب: بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني(ت٨٢٧هـ)، المطبعة البهيةالمصرية، القاهرة، ١٣٠٤هـ.
٧٠. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي(ت٧٤١هـ)، تح: رضا فرج الهمامي،المكتبة العصرية، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٣م.
٧١. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد،جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن مالك(٦٧٢هـ)،تح:محمد كامل بركات،مطبعة دار الكتاب العربي،١٩٦٧م.
٧٢. التصور اللغوي عند الأصوليين،أحمد عبد الغفار،شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع،ط١ ،١٩٨١م.
٧٣. التشبيه البليغ في نهج البلاغة(أزمة الترافض وثنائية الآخر)، فلاح حسن كاطع، دار الكتب والوثائق الوطنية، بغداد،ط١، ٢٠٠٨م.
٧٤. التطور النحوي للغة العربية،برجشتراسر،خرجه وصححه وعلق عليه د.رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط٤،٢٠٠٣م.
٧٥. التعبير القرآني رؤية بلاغية نقدية،د. شفيع السيد، دار الفكر العربي، بيروت،ط٢، ١٩٨٢م.
٧٦. التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، مط: دار عمار، الأردن، ط٥، ٢٠٠٧م.
٧٧. التعريفات:محمد بن علي الجرجاني(ت٨١٦هـ) ،مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،ط١،٢٠٠٥م..
٧٨. تفسيرالبيضاوي(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت٧٩١هـ)، دار الجيل،مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
٧٩. تفسير الثعالبي:عبد الرحمن بن محمد بنمخلوق الثعالبي(١٦١هـ)المسمى بـ (الجواهر الحسان في تفسير

القرآن)،تحقيق:مصطفى مسلم محمد،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت،ط٢، ١٤٠٢هـ.

٨٠. تفسيرابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي(ت٧٧٤هـ)، تح: لجنة من العلماء دار الأندلس، بيروت،١٣٨٥هـ.

٨١. التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت، ط٢ ، (د. ت).

٨٢. التفسير والمفسرون،محمد حسين الذهبي،دار الكتب الحديثة، القاهرة،ط١،١٩٦١م.

٨٣. تقريب التهذيب،محمد تقي الحسيني الجلالي،مطبعة النعمان ،النجف،ط١، ١٩٧٧م..

٨٤. التلخيص في علوم البلاغة ، الإمام جلال الدين القزويني(ت٧٢٩هـ) الخطيب ضبطه وشرحه الأديب الكبير الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٠٤ م

٨٥. التهذيب الوسيط في النحو: سيف الدين محمد بن علي بن أحمد بن يعيش الصغاني(ت٦٨٠هـ)، تح: د.فخر صالح سليمان ، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

٨٦. تهذيب الوصول إلى علم الأصول،العلامة الحلي: جمال الدين بن يوسف بن المطهر(ت٧٢٦هـ)، تح:محمد حسين الرضوي الكشميري،مؤسسة الإمام علي(عليه السلام)، لندن،ط١،٢٠٠١م.

٨٧. جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري(ت٦٠٦هـ)، تح: أبو عبد الله عبد السلام محمد عمر علوش، دار الفكر ، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٨٨. جامع البيان عن تأويل أي القرآن :لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٢٧٣هـ) ، حققه وعلق حواشيه محمود أحمد شاكر ،راجعه : أحمد محمد شاكر ،مكتبة ابن تيمية ، القاهرة،(د.ت).

٨٩. جامع الدروس العربية،مصطفى الغلاييني،تح:أحمد جاد المولى،راجعه وقدم له د. محمد علي أبو الحسن،مكتبة الطبري ومكتبة الرباط،بغداد،ط١، ٢٠٠٧م.

٩٠. الجامع الصحيح:وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ص) وسننه وأيامه،للإمام أبي عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري(ت٢٥٦هـ)،تشرف بخدمته والعناية به محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوقة النجاة،المدينة المنورة،(د.ت).

٩١. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من كلام المنثور ، ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) ، تح: وتعليق د. مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،بغداد، ١٩٥٦م .

٩٢. الجامع لأحكام القرآن (تفسير للقرطبي)لأبي عبد الله بن أحمد بن أبي بكر القرطبي(٦٧١هـ)، تح:عبد الله عبد المحسن التركي،مؤسسة الرسالة ،بيروت،ط١ ،٢٠٠٦م.

٩٣. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، مط: النهضة، قم، ط١ ، ١٩٩١م.

٩٤. جماليات النثر العربي الفني، طراد الكبيسي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة دار الشؤون الثقافية العامة، الموسوعة الصغيرة(٤٤٢) بغداد العراق، ٢٠٠٠م.

٩٥. الجمل في النحو، أبو قاسم الزجاجي(ت٣٣٧هـ)، تح: د.علي توفيق الحمد، الأردن، دار الأمل، ط٤، ١٩٨٨م.

٩٦. الجملة التي لا محل لها من الإعراب في القرآن الكريم، د. طلال يحيى الطوبجي، دار دجلة ،عمان، ط ١،٢٠٠٧م.

٩٧. الجملة الشرطية عند النحاة العرب: أبو أوس إبراهيم الشمسان،تقديم: أ .د. محمود فهمي حجازي، مطابع الدجوي، القاهرة،ط١، ١٩٨١م.

٩٨. الجملة العربية تأليفها وأقسامها، د. فاضل السامرائي،منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد،(د.ت).

٩٩. جمهرة الأمثال،لأبي هلال العسكري(ت ٣٩٥هـ)،تح:محمدأبو الفضل إبراهيم،وعبد المجيد قطامش،(د.ط)،١٣٨٤هـ.

١٠٠. جمهرةاللغة،ابندريد:

أبيبكرمحمدبنالحسنالازديالبصري(ت٣٢١هـ)،مطبعةدائرةالمعارفالعثمانية،بيروت،١٣٤٥هـ.

١٠١. الجنى الداني في حروف المعاني،صنعة الحسن بن القاسم المرادي(ت٧٤٩هـ)،تح:د.فخر الدين قباوة،ومحمد نديم فاضل،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١ ،١٩٩٢م.

١٠٢. جواهر البلاغة في (البيان والمعاني والبديع) ،للسيد أحمد الهاشمي ، المكتبة التجارية الكبرى ومطبعة السعادة ، مصر، ط١٢ ، ١٩٦٠ م .

١٠٣. الجوهر الثمين،السيد عبد الله شبر(ت١٢٤٢هـ)،مطبعة الكويت مكتبية الألفين،ط١، ١٤٠٧هـ.

١٠٤. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، محمد الديمياطي الخضري(ت١٢٧٨هـ) ضبط وتصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف مكتب البحوث والدراسات ،دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

١٠٥. حاشية الشنواني على شرح مقدمة الأعراب، أبو بكر بن إسماعيل الشنواني(ت١٠١٩هـ)، تح: محمد شمام، مطبعة النهضة، تونس ،ط٢، ١٣٧٣هـ.

١٠٦. حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني ، محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦ هـ) ،تح طه عبد الرءووف سعد ،المكتبة التوقيفية،(د.ط)،(د.ت).

١٠٧. حاشية يس على التصريح:يس بن زين الدين العلمي الحمصي،طبع مع(شرح التصريح على التوضيح):لخالد بن عبد اللهالأزهري،مطبعة دار إحياء الكتب العربية،(د.ت).

١٠٨. الحاصل والمحصول في أصول الفقه،الاموري:تاج الدين أبو عبد الله(ت٦٥٢هـ)، تح: عبد السلام محمود، دار المدار الإسلامي،بيروت،٢٠٠٢م.

١٠٩. الحدود في الأصول،أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي(٤٧٤هـ)،تح:نزيه حماد،مؤسسة الزنجي،بيروت،ط١، ١٩٧٣م.

١١٠. حركية الإبداع دراسات في الأدب العربي الحديث، د.خالدة سعيد،دار العودة، بيروت،ط٢، ١٩٨٢م.

١١١. حروف المعاني والصفات: أبو القاسم عبد الرحمن (ت٣٤٠هـ)، تح: د. علي توفيق حميد، دار الأمل، الأردن،ط١، ١٩٨٤م.

١١٢. حسن الصنيع في البيان والمعاني والبديع، محمد البسيوني البياني، المطبعة المحمودية التجارية، مصر،(د.ت).

١١٣. الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام،د.محمد عبد المنعم خفاجة،دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط٢،١٩٨٠م.

١١٤. خصائص التركيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد أبو موسى، دار التضامن للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠م.

١١٥. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، القاهرة،ط٢،٢٠٠٠م.

١١٦. الخطاب في نهج البلاغة بنيته وأنماطه ومستوياته دراسة تحليلية، د. حسين العمري، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط١ ، ٢٠١٠م.

١١٧. الخطيئة والتكفير، د.عبد الله الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية،١٩٨٥م.

١١٨. خلاصة المنطق ،عبد الهادي الفضلي،مطبعة قم،إيران،ط٥، ١٤٢٧هـ.

١١٩. دراسات في المعاني والبديع، عبد الفتاح عثمان،مطبعة التقدم ، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٢٠. دراسات لأسلوب القرآن الكريم ،محمد عبد الخالق عظيمة،دار الحديث ،(د.م)،القاهرة،(د.ت).

١٢١. دراسات نقدية في النحو العربي، د. عبد الرحمن محمد أيوب،مؤسسة الصباح، الكويت،(د.ت).

١٢٢. دراسة المعنى عند الأصوليين،حمودة،د.طاهر سلمان مط: الدار الجامعية،(د.ت).

١٢٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، دار الفكر ، بيروت، ط١ ، ١٩٨٣م.

١٢٤. دقائق التصريف ،للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب ،تح:د. أحمد ناجي القيسي ،ود.حاتم الضامن،ود.حسن تورال،مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد.١٩٨٧م.

١٢٥. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)،تصحيح الشيخ محمد عبده،دار المعرفة للنشر والطباعة،بيروت،١٩٧٨م.

١٢٦. دنيا الشباب، السيد محمد حسين فضل الله، إعداد عادل القاضي، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

١٢٧. الديباج الوضي في الكشف عن أسرار الوصي، أبو الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني (ت٧٤٩هـ)، أشراف الأستاذ عبد السلام بن عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء- اليمن، ط١، ٢٠٠٣م.

١٢٨. ديوان أبي هلال العسكري ،د. جورج قنازع الناصري، المطبعة التعاونية،دمشق، ١٩٧٩م.

١٢٩. ديوان حسان بن ثابت، عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٢٩م.

١٣٠. ديوان كثير عزة شرحه عدنان زكي درويش، دار صادر، بيروت،ط١، ١٩٩٤م.

١٣١. ديوان نصيب بن رباح (ت١٠٨هـ)، تح: د.داود سلوم ، مطبعة الأيمان، بغداد، ط١، ١٩٦٨م.

١٣٢. الذريعة إلى أصول الشريعة، المرتضى (علم الهدى): علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦ هـ)، تح: د. أبو القاسم كرجي، نشر دانشكاه، طهران، (١٣٤٨هـ).

١٣٣. الرسالة الشافية، محمد بن إدريس المطلبي(ت٢٠٤هـ)، تح: أحمد محمد شاكر،دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٧م.

١٣٤. رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي (ت٧٠٢هـ)، تح: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٥م.

١٣٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عمر الآلوسي(ت١٢٧٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ ، (د.ت).

١٣٦. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي:الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد (ت٤٦٦هـ)، شرح عبد المتعال الصعيدي، مط: محمد علي صبيح وأولاده،مصر،١٩٩٦م.

١٣٧. السنة النبوية ومكانتها في التشريع ،حمادة عباس متولي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،(د.ت).

١٣٨. سنن ابن داود،البستاني، أبو داود،(ت٢٧٥هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت،(د.ط)، (د.ت).

١٣٩. سنن ابن ماجة، ابن ماجة: أبو عبد محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٥هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

١٤٠. سنن الترمذي ،أبو عيسى محمد،(ت٢٧٦هـ)،تح:أحمد محمد شاكر ،دار إحياء التراث العربي،بيروت،١٣٧٥هـ .

١٤١. شرائع الإسلام، السيد أحمد الحسن، مطبعة أيبكس، بيروت،ط١،٢٠١٠م.

١٤٢. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، قاضي القضاء بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ،تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ،المكتبة المصرية للطباعة والنشر، بيروت ، ٢٠٠٢ م .

١٤٣. شرح أبيات سيبويه، السيرافي :أبو محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان(ت٣٨٥هـ)تح:محمد علي الريح هاشم،راجعه عبد الرءووف سعيد،مط:الفجالة الجديدة، القاهرة،١٩٧٤م.

١٤٤. شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، للإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي المتوفي (٦٨٤ هـ) ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ،ط١، ١٣٦١هـ - ١٩٧٢م.

١٤٥. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى(منهج السالك إلى ألفية ابن مالك)، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد(ت٩٠٠هـ)، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٥م.

١٤٦. شرح التسهيل،تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تأليف جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي(ت٦٧٢هـ)،تح:محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد ،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١،٢٠٠١م.

١٤٧. شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك في النحو، لابن هشام الأنصاري،والشيخ خالد بن عبد الله الأزهري(ت٩٠٥هـ)،ومعه حاشية الشيخ ياسين بن زيد العليمي،حققه وشرح شواهده: أحمد السيد سيد أحمد، وراجعه إسماعيل عبد الجواد غني، المكتبة التوقيفية ، القاهرة ،(د.ت).

١٤٨. شرح الجمل الزجاجي،لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الأشبيلي(ت٦٦٩هـ):قدم له ووضع هوامشه وفهارسه فواز الشعار،إشراف د.إميل بديع يعقوب،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٨م.

١٤٩. شرح الحدود النحوية،عبد الله بن احمد بن علي الفاكهي(ت٩٧٢هـ)،تح:د.زكي فهمي الآلوسي،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،جامعة بغداد ،بيت الحكمة،(د.ت).

١٥٠. شرح الدماميني على مغني اللبيب، محمد بن أبي بكر الدماميني(ت٨٢٨هـ)، صححه وعلق عليه: أحمد عزو عناية، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

١٥١. شرح الرضي على الكافية ، محمد بن الرضي الاسترابادي (ت٦٨٨هـ) ، منشورات جامعة قارينوس ، بنغازي،ط٢ ،١٩٩٦ م .

١٥٢. شرح الكافية ،ابن الحاجب رضي الدين محمد بن الحسن الإستربادي(ت٦٨٦هـ)قدم له ووضع حواشيه وفهارسه د.إميل بديع يعقوب،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٨م.
١٥٣. شرح الكافية الشافية،كمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني(ت ٦٧٢هـ)، تح:د. عبد المنعم أحمد ،دار المأمون للتراث،جامعة أم القرى،مكة المكرمة،ط١،١٩٨٢م.
١٥٤. شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية ،ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ) تح:د.هادي نهر، مطبعة الجامعة، بغداد،١٩٧٧م.
١٥٥. شرح المختصر، لسعد الدين التفتازاني،مطبعة نينوى،ط٢،(د.ت).
١٥٦. شرح المفصل:موفق الدين بن يعيش(ت٦٤٢هـ)،أدارة الطباعة المنيرية،مصر،(د.ت).
١٥٧. شرح جمل الزجاجي:لأبي الحسن علي بن مؤمنبن محمد بن علي بن عصفور الاشبيلي(ت٦٦٩هـ)،قدم له ووضع هوامشه وفهارسه:فواز الشعار،إشراف د.إميل بديع يعقوب،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١،١٩٨٨م.
١٥٨. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب،ابن هشام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف(ت٧٦١هـ)،تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع،دمشق،ط١،١٩٨٤م.
١٥٩. شرح قطر الندى وبل الصدى ، لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، تح: محمد خير طعمة الحلبي،دار المعرفة ،بيروت، (د.ت). .
١٦٠. شرح نهج البلاغة ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي،دار جواد الأئمة،بيروت،ط١،٢٠١١م.
١٦١. شرح نهج البلاغة : للبحراني ، ابن ميثم ، ميثم بن علي (ت ٦٧٩هـ) ، دار الرافدين ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

١٦٢. - شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن محمد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) ، قدم له وعلق عليه : الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ط ١ ، ، بيروت، ٢٠٠٩م .

١٦٣. شروح التلخيص ، حاشية الدسوقي ، محمد بن أحمد الدسوقي (ت١٢٣٠هـ) على مختصر السعد ، تح: د. خليل أحمد إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ،٢٠٠٢ م .

١٦٤. شروح التلخيص ، عروس الأفراح ، بهاء الدين السبكي (ت٧٧٣هـ) ، تح:عبد الحميد الهنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ،ط١، ٢٠٠٣م .

١٦٥. شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ، تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب المغربي (ت١١٢٨هـ) ، تح: د. خليل أحمد إبراهيم منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .

١٦٦. الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د. عز الدين الاسماعيلي ، دار الفكر العربي، ط ٣ ،(د.ت).

١٦٧. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية ، ابن فارس (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق ، مصطفى الشويمي ، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر ، بيروت ،١٩٦٣ م.

١٦٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣ هـ) ، تح: أحمد بن عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ،بيروت ، ١٩٨٤ هـ.

١٦٩. صحيح ابن حيان البستي،محمد بن حيان(ت٣٥٤هـ)،تح:شعيب الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط٢،١٩٩٣م.

١٧٠. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي،تح: عبد الله أحمد أبو زينة، طبعة الشعب، القاهرة،(د.ت).

١٧١. صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ)،(د.ن)،القاهرة ،سنة ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م.

١٧٢. الصورة الأدبية ، مصطفى ناصف، دار الأندلس،لبنان،ط ٣، ١٩٨٣م.

١٧٣. الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.
١٧٤. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٤م.
١٧٥. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق علوم الإعجاز ، يحيى بن حمزه العلوي اليمني(ت٧٤٩هـ) ، تح:د.عبد الحميد الهنداوي،المكتبة العصرية،صيدا ، بيروت،٢٠٠٨م .
١٧٦. العصر الراشدي دراسة وصفية نقدية، د. حبيب يوسف مغنية، مكتبة الهلال للطباعة، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٧٧. العقيدة النسفية، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو حفص نجم الدين النسفي، دار السعادات،اسطنبول،(د.ت).
١٧٨. العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، د.محمد حكمت عبد اللطيف، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة،٢٠٠٨م.
١٧٩. علم أساليب البيان ،د. غازي يموت ، دار الأصالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م .
١٨٠. علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف،(د.ن)، مصر،ط٧،(د.ت).
١٨١. علم البديع دراسة تأريخية وفنية لأصول البلاغة العربية ومسائل البديع،د.بسيوني عبد الفتاح فيود،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة،ط١،١٩٨٧م.
١٨٢. علم البديع،عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربيية،القاهرة،٢٠٠٤م.
١٨٣. علم البيان ، عبد العزيز عتيق ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م .
١٨٤. علم البيان دراسة تأريخية فنية، د. بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،ط٢،١٩٦٧م.
١٨٥. علم اللغة الاجتماعي ،د.هدسون:ترجمة د.محمود عبد الغني عباد ،مراجعة د.عبد الأمير الأعسم ،دار الشؤون الثقافيةالعامة،بغداد،ط١،١٩٨٧م.

١٨٦. علم المعاني تأصيل وتقييم،حسن طبل،مكتبة الإيمان المنصورة،القاهرة،ط١،١٩٩٩م.

١٨٧. علم المعاني(دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)،د.بسيوني عبد الفتاح فيود،مؤسسة المختار ،القاهرة ،ط١،١٩٩٨م.

١٨٨. علم المعاني،عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العرببية،القاهرة،٢٠٠٤م.

١٨٩. علم المنطق بين السائل والمجيب،إبراهيم حسين سرور،دار المتقين للطباعة والنشر،بيروت،ط١، ٢٠١٠م.

١٩٠. علوم البلاغة (البيان – البديع – المعاني) ، أحمد مصطفى مراغي ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

١٩١. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني(الحسن بن رشيق القيرواني(ت٤٥٦هـ) ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.

١٩٢. عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، لاشيخ الصدوق،تح:حسين الأعلمي،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،ط١ ،١٤٠٤هـ.

١٩٣. العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تح: د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي، ، مؤسسة دار الهجرة ،ط٢، ١٤٠٩ هـ.

١٩٤. غريب نهج البلاغة،أسبابه،أنواعه،توثيق نسبته،دراسته،عبد الكريم حسين السعداوي،منشورات فرهاد،طهران،ط١،٢٠٠٨م.

١٩٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد علي الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت،١٩٨١م.

١٩٦. الفروق اللغوية:الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(ت ٣٩٥هـ)،مطبعة الآفاق الجديدة ،بيروت،ط٢ ،١٩٧٩م.

١٩٧. فقه القرآن: قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) ، تح : السيد أحمد الحسيني باهتمام السيد محمود المرعشي ، مطبعة الولاية، قم ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ.

١٩٨. فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، رجاء عيد ، منشأة المعارف الإسكندرية ، ط١،(د.ت) .
١٩٩. فن التشبيه، د. علي الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،ط٢،١٩٦٦م.
٢٠٠. الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم، محمد مصطفى محمد، مطبعة الخلود ، بغداد،ط٢، ١٩٨٤م.
٢٠١. في البنية والدلالة، رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية، د. سعد ابو الرضا، دار المعارف،الإسكندرية،١٩٨٧م.
٢٠٢. في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر دراسة لغوية في شعر السياب ونازك والبياتي، د. مالك يوسف المطلبي، دار الرشيد ،بغداد، ١٩٨١م.
٢٠٣. في ظلال نهج البلاغة : شرح محمد جواد مغنية، دار كلمة الحق،إيران، ط ١ ، ١٤٢٧هـ.
٢٠٤. في الشعر والنقد، منيف موسى، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٢٠٥. في فلسفة النقد ،د.زكي نجيب محمود،دار الشروق،ط١،١٩٩٨م.
٢٠٦. في النحو العربي - نقد وتوجيه،د. مهدي المخزومي، منشورات المكتبة العصرية،بيروت،ط١، ١٩٦٤م.
٢٠٧. القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ)، دار إحياء التراث،بيروت، ١٣١٧هـ - ١٩٥٢م.
٢٠٨. قضايا شعرية، رومان جاكوبسون، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار البيضاء ، ودار توبقال للنشر، المغرب، ط٢، ١٩٨٨م.

٢٠٩. قضايا النقد الأدبي ، د. بدوي طبانة ، مطبعة دار النشر الجامعي ، الإسكندرية ، ١٩٧٨م.

٢١٠. القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامية ،مشهد ، ط١ ، ١٤١٤ هـ.

٢١١. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، د.سناء حميد البياتي، دار الأوائل للنشر والتوزيع، عمان،٢٠٠٣م.

٢١٢. القيم الخلقية في الخطابة العربية من الجاهلية حتى بداية القرن الثالث الهجري، سعيد حسين منصور، جامعة بنغازي / كلية الشريعة، مطابع الشروق،(د.ت).

٢١٣. الكاشف:محمد جواد مغنية(ت١٤٠٠هـ)،مطبعة دار العلم للملاين،بيروت،ط٣، ١٩٨١م.

٢١٤. الكافي والوافي في أصول الفقه،مصطفى سعيد،مؤسسة الرسالة،بيروت،١٤١٩هـ.

٢١٥. الكافي،أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني(ت٣٢٩هـ)،تح:علي أكبر غفاري،دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب الإسلامية،ط٣،(د.ت).

٢١٦. الكافية في النحو،ابن الحاجب،جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر (ت٦٤٦هـ)،دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ت).

٢١٧. الكامل في الدراسات النحوية ونشأتها، (د. محمد محمود هلال) ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، (د.ت).

٢١٨. الكامل لأبي العباس المبرد(ت٢٨٥هـ)، تح: د.زكي مبارك،(د.ن)، ١٩٣٦م.

٢١٩. الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه(ت١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط٣، ١٩٨٨م.

٢٢٠. كتاب الإيضاح،لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي(ت٣٧٧هـ)،تحقيق ودراسة :د.كاظم بحر المرجان،عالم الكتب،بيروت،ط٢ ،١٩٦٦م.

٢٢١. كتاب الإيمان، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٨٣م.

٢٢٢. كتاب الحيوان ،الجاحظ،تح: عبد السلام محمد هارون،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة،ط١،١٩٣٨م.

٢٢٣. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر للعسكري، تح: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت،ط٢، ١٩٧١م.

٢٢٤. كشف الأسرار على الأصول،الإمام فخر الإسلام:عبد العزيز البخاري أبي الحسن علي بن محمد بن حسن البزدوي(٧٣٠هـ)،تح:عبد الله محمود احمد ،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٧م.

٢٢٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري(ت٥٨٣هـ)، انتشارات آفتاب، طهران، (د.ت).

٢٢٦. كشف المشكل في النحو،علي بن سليمان الحيدرة اليمني(ت٥٩٩هـ)،تح:د.هادي عطية مطر الهلالي،مط:الإرشاد، بغداد،ط١،١٩٨٤م.

٢٢٧. الكليات:أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي(ت١٠٩٤هـ)،تح:عدنان درويش ومحمدمصري،مطبعةمؤسسة الرسالة،بيروت،ط٢ ،١٩٩٨م.

٢٢٨. كنز العرفان في فقه القرآن ، السيوري : المقداد جمال الدين بن عبد الله (ت ٨٢٦ هـ) ، إشراف الشيخ واعظ زاده الخراساني ، وتح : السيد محمد الكافي ، دار الهدى ، قم ، ط١، ١٤١٩ هـ.

٢٢٩. اللامات، الزجاجي: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق(ت٣٣٧هـ)،تح:مازن المبارك،دار الفكر،دمشق،ط٢،١٩٨٥م.

٢٣٠. اللباب في علل البناء والإعراب، محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين(ت٦١٦هـ)، تح: غازي مختار طليمات، مطبعة دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.

٢٣١. لسان العرب : للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقيالأنصاري الخررجي(ت ٧١١هـ) الدارالمصرية للتأليف والترجمة ،(د.ت).

٢٣٢. لسانيات النصبين النظرية والتطبيق، لندة قياس، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٩م.

٢٣٣. لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١م.

٢٣٤. اللمع في أصول الفقه،الشيرازي:إبراهيمبن علي الفيروزآبادي(ت٤٧٦هـ)،دار الكتب العلمية،بيروت،(١٤٠٥هـ).

٢٣٥. اللمع في العربية،أبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)،تح:حامد المؤمن،مطبعة العاني،بغداد،ط١،١٩٨٢ م.

٢٣٦. مباحث في علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة،د، صبحي الصالح ،دار العلم للملايين، بيروت، ط٣ ، ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٥ م.

٢٣٧. المبادئ العامة لتفسير القرآن بين النظرية والتطبيق، د. محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٣٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر :ضياء الدين ابن الأثير(ت٦٣٧هـ)،قدمه وعلق عليه د.أحمد الحوفي،و د.بدوي طبانة، دارالنهضة،مصر،ط٢، (د.ت).

٢٣٩. المجازات النبوية، أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي الحسيني الموسوي(ت٤٠٦هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: كريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١،٢٠٠٧م.

٢٤٠. مجمع الأمثال،لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني(ت٥١٨هـ)،مطبعة عبد الرحمن محمد،(د.م)،١٣٥٣هـ.

٢٤١. مجمع البحرين في اللغة:حسن بن محمد الصاغاني(ت ٦٥٠هـ)،تح:يونس إسماعيل محمود،مطبعة دار العلم للملاين،ط١،٢٠٠٠م.

٢٤٢. مجمع البيان في تفسير القران ،الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ). ،دار العلوم ،بيروت ،ط١، ٢٠٠٥م .

٢٤٣. محاضرات في الأصول: أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣ هـ) ، أنصاريان ،١٤١٧ هـ .

٢٤٤. المحصول في علم أصول الفقه،للإمامالأصولي المفسر فخر الدين بن عمر بن الحسين الرزاي ، دراسة وتحقيق الدكتور طه جابر فياض العلواني ،مؤسسة الرسالة،مصر،(د.ت).

٢٤٥. المحكم والمحيط الأعظم ،أبو الحسن علي بن إسماعيل(ابن سيده) (ت ٤٥٨هـ)، تح:عبد الحميد الهنداوي،مطبعة دار الكتب العلمية،بيروت،ط١،٢٠٠٠م.

٢٤٦. مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر الرزاي(ت٦٦٦هـ) ، دار الرسالة،الكويت،(د.ط)، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢م.

٢٤٧. مختصر المنتهى الأصولي،ابن الحاجب،مطبعة كوردستان العلمية،مصر،١٣٢٦هـ.

٢٤٨. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن محمود النسقي(ت٧١٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).

٢٤٩. المدخل إلى علم المنطق ،علاء الجعفري،منشورات فرهاد،ط١، ٢٠٠٨م.

٢٥٠. المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ،ط٢ ، (د.ت).

٢٥١. المستصفى في علم الأصول،أبو حامد محمد بن محمد الغزالي(٥٠٥هـ)، تح: حمزة بن زهير حافظ، (د.ن)، ١٤١٣هـ .

٢٥٢. المستقصي في أمثال العرب،أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)،دار الكتب العلمية،بيروت،ط٥،١٩٨٧م.

٢٥٣. مسندالشافعي،الشافعي محمد بن إدريس(ت٢٠٤هـ)،دار الكتب العلمية ،بيروت،(د.ت).

٢٥٤. مشكل أعراب القرآن، مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)،تح: د. حاتم الضامن ،بغداد،١٩٧٥م.

٢٥٥. مصباح السالكين، شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم البحراني(ت٧٦٩هـ) عني بتصحيحه عدة من الأفاضل وقوبل بنسخ موثوق بها من منشورات النصر(د.ت).

٢٥٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي الفيومي : أحمد بن محمد بن علي المقري(ت٧٧٠هـ)،مطبعة البابي الحلبي،مصر،(د.ت).

٢٥٧. المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض أحمد القوزي، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض،ط١، ١٩٨١م.

٢٥٨. المطالع السعيدة شرح السيوطي على ألفيته المسماة بالفريدة في النحو والتصريف والخط،تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ)،تح: د.طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية،١٩٨١م.

٢٥٩. المطول ،سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني(ت٧٩٢هـ)،تح:أحمد عزو،دار أحياء التراث العربي ،بيروت،ط١،٢٠٠٤م.

٢٦٠. معاني الحروف والصفات، الرماني(ت٣٨٤هـ) ، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة،ط٢، ١٩٨١م.

٢٦١. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧هـ)، تح: محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت،ط٢، ١٩٨١م.

٢٦٢. معاني النحو ، السامرائي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة،ج١ ،ج٢ ،ج٣ ،ج٤ ، ١٩٨٦م ، ١٩٨٧ م، ١٩٩١م

٢٦٣. المعاني في ضوء أساليب القرآن،الدكتور عبد الفتاح لاشين،دار المعارف،القاهرة،ط٣،١٩٧٨م.

٢٦٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن،السيوطي،تح:علي محمد البجاوي،دار الثقافة العربية،مصر،(د.ت).

٢٦٥. معجم ألفاظ القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ط٢ ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

٢٦٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب،مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد، ١٩٨٣م.

٢٦٧. المعجم المفصل في علوم البلاغة،دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت).

٢٦٨. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس : أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ،تح: عبد السلام محمد هارون،دار الفكر،(د.ت).

٢٦٩. المعجم الوسيط:إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار،المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،تركيا،ط٢،(د.ت).

٢٧٠. معجم لغة الفقهاء، محمد رواسيس قلعة حجي ،وحامد صادق قنبنجي، دار النفائس ، بيروت، ط١،١٩٨٥م.

٢٧١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ،القاهرة، ٢٠٠٥ م .

٢٧٢. مفاتيح الغيب،الرازي، دار الكتب العلمية، طهران،(د.ت).

٢٧٣. مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي، (ت ٦٢٦هـ)، تصحيح :أحمد سعد علي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، القاهرة ، ١٩٣٧م.

٢٧٤. المفردات في غريب القرآن،، الراغب الاصبهاني : الحسين بن محمد بن المفضل (ت٥٠٢ هـ) ، تح : محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ، (د.ط)،١٩٦١م.

٢٧٥. المفصل في صنعة الأعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، تح: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٢٧٦. المفصل في علم العربية:أبو القاسم محمودبن عمر الزمخشري(٥٣٨هـ)،مطبعة دار الجيل،بيروت(د.ت).

٢٧٧. المفضليات:المفضل بن محمد بن يعلى المفضل الضبي،تح:أحمدمحمد شاكروعبد السلام هارون،(د.ن)،(د.ت).

٢٧٨. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن،د. نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ،ط٥ ، (د. ت) .

٢٧٩. المقتصد في شرح الإيضاح(الجرجاني)، عبد القاهر الجرجاني،تح:د. كاظم بحر مرجان،دار الرشيد للنشر،بغداد ،١٩٨٢م.

٢٨٠. المقتضب،تأليف أبي العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ)،لجنة أحياء التراث الإسلامي،القاهرة،ط٢،١٩٩٤م.

٢٨١. مقتنيات الدرر، الحائري: مير سيد علي الطهراني(ت١٣٤٠هـ)، مطبعة دار الكتب الإسلامية، طهران،١٣٣٧هـ.

٢٨٢. مقدمة في أصول التفسير ، ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم(ت٧٢٨هـ)، تح:د. عدنان زرزور،دار القرآن الكريم، الكويت،ط١،١٩٧١م.

٢٨٣. المقرر في شرح منطق المظفر،رائد الحيدري،ذوي القربى،قم،ط٥، ١٤٣٢هـ.

٢٨٤. من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس،مكتبة الأنجلو المصرية،مصر،ط٤، ١٩٩٧م.

٢٨٥. من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة، مصر، ٢٠٠٥م.

٢٨٦. من بلاغة النظم العربي(دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) عبد العزيز المعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت،ط٢،١٩٨٤م.

٢٨٧. المناقب للخوارزمي، موفق بن أحمد(ت٥٦٨هـ)، النجف، (د.ت).
٢٨٨. المنصف من الكلام على مغني ابن هشام(حاشية الشميني): تقي الدين أحمد بن محمد الشميني(ت٨٧٢هـ)، المطبعة البهية المصرية، مصر، ١٣١٥هـ.
٢٨٩. المنطق التوجيهي،أبو العلا العفيفي،مطبعة لجنة التأليف والترجمة،القاهرة،١٩٣٨م.
٢٩٠. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،حبيب الله الخوئي(ت١٣٢٤هـ)،تح:علي عاشور،دار أحاء التراث العربي،بيروت، ط١،٢٠٠٨م.
٢٩١. منهاج البلغاء وسراج الأدباء للقرطاجني: حازم بن محمد(ت٦٨٤هـ)، تح: محمد حبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية،تونس،١٩٦٦م.
٢٩٢. المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي،د.عبد الصبور شاهين،مؤسسة الرسالة ،بيروت،١٩٨٠م.
٢٩٣. الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى المالكي(ت٧٩٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط١،١٤٢٢هـ.
٢٩٤. المواقف من علم الكلام، لعضد الله القاضي بن عبد الرحمن بن أحمد الإيجي(ت٧٥٦هـ)،عالم الكتب ،بيروت(د.ت).
٢٩٥. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب،باقر شريف القريشي، مطبعة دار الحسنين للطباعة والنشر،ط١،١٤٢٢هـ.
٢٩٦. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي للتهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د.رفيق العجم، تح: علي دجروح ، نقل النص الفارسي إلى العربية د. عبد الله الخالدي ، الترجمة الأجنبية د. زيناتي، مكتبة لبنان ، بيروت،ط١، ١٩٩٦م.

٢٩٧. موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب،عبد الله الأزهري(ت٦٥٠هـ)،تح:عبد الكريم مجاهد،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط١،١٩٩٦م.

٢٩٨. ميزان الأصول،علاء الدين شمس النظر أبوبكر محمد بن أحمد السمرقندي(ت ٥٣٩هـ)،دراسة وتحقيق وتعليق:د.عبد الملك عبد الرحمن السعدي،مطبعة الخلود،ط١، ١٩٨٧م.

٢٩٩. الميزان في تفسير القرآن :محمد حسين الطباطبائي (ت ١٩٨٤ م) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت،ط١ ، ١٩٩٧ م .

٣٠٠. نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، د.أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد،١٩٨٤م.

٣٠١. النحو القرآني قواعد وشواهد، د.جميل أحمد ظفر، مكتبة مكة المكرمة،ط٢،١٩٩٨م.

٣٠٢. النحو الوافي، عباس حسن، انتشارات ناصر خسرو، قم طهران،ط١، (د.ت).

٣٠٣. النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري، حميد سمير، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠٥م.

٣٠٤. نظرات في علم البيان، د. محمد عبد الرحمن الكردي، مطبعة السعادة، (د.م)، ١٩٨٠م.

٣٠٥. نقد الشعر، قدامة بن جعفر(٣٣٧هـ)، تح: د. كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط٣، ١٩٧٨م.

٣٠٦. النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله سلام، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.

٣٠٧. نهاية السول في شرح منهاج الأصول، للقاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر للعلامة ابن الحسن علي بن محمد بن الحسين البزدوي ، مطبعة عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٦ هـ.

٣٠٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: أبو السعادات ، المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ) ، تح : طاهر الراوي ، ومحمود محمد الطناحي ، مؤسسة اسماعيليان، ط ٤ ،١٣٦٤هـ.
٣٠٩. نهج البلاغة(ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية) د.صبحي الصالح،بيروت،ط١،١٩٦٧م.
٣١٠. نهج البلاغة : شرح محمد عبده، مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت ، ط١،٢٠١٠م .
٣١١. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع:جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي(ت٩١١هـ)،تحقيق وشرح د.عبد العال سالم مكرم،مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٩٢م.
٣١٢. الواضح في علم العربية،أبو بكر الزبيدي الأشبيلي النحوي(ت٣٩٧هـ)،تح: د. عبد الكريم خليفة،(د.ت).

ثانياً : الأطاريح والرسائل الجامعية

٣١٣. الأداء البياني في خطب الحرب في نهج البلاغة، نجلاء عبد الحسين عليوي الغزالي، رسالة ماجستير ، كلية الآداب/ جامعة الكوفة، ٢٠٠٢م.
٣١٤. أساليبالتأكيدفينهجالبلاغةدراسةدلالية،أصيلمحمدكاظمالموسوي،كليةالتربية جامعةالقادسية،٢٠٠٢م
٣١٥. أسلوب التفصيل بعد الإجمال وأغراضه في القرآن الكريم، هاني خضر مصطفى أبو خضر، أطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين ، ٢٠١٢.
٣١٦. أسلوب الشرط في نهج البلاغة دراسة نحويةرسالة ماجستير،يسرى خلف سمير ، كلية الآداب/المستنصرية،٢٠٠٩.

٣١٧. التقديم والتأخير في نهج البلاغة دراسة نحوية أسلوبية، رافد ناجي وادي الجليحاوي، كلية التربية، بابل، ٢٠٠٩م.

٣١٨. التوابع في نهج البلاغة، دراسة نحوية دلاليةرسالةماجستير ، وداد حامد عطشان السلامي، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الكاظم محسن الياسري، كلية الآداب/ جامعة الكوفة ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٣١٩. التوكيد في القرآن الكريم(دراسة نحوية)، ستار علي ياسين (رسالةماجستير)، إشراف د. محمد عبد اللطيف عبد الكريم، كلية التربية/ الجامعة المستنصرية، ١٩٩٩ م.

٣٢٠. الجملة التفسيرية في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، أطروحة دكتوراه، كريم ذنون داوود سليمان الحريثي، كلية الآداب الموصل،بإشراف الأستاذ طلال الطوبجي، ٢٠٠٥م.

٣٢١. الجملة الخبرية في نهج البلاغة،دراسة نحوية، رسالة ماجستير قدمها علي عبد الفتاح الشمري، كلية التربية /جامعة بابل: ٢٠٠١.

٣٢٢. الحذف صوره ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، هادي شندوخ حميد السعيدي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٤.

٣٢٣. قراءةعبداللهبنمسعود،رسالةماجستير،عبداللهحسنأحمد،كليةالآدابـجامعةالموصل،بإشرافالأستاذالدكتورطارقعبدعونالجنابي: ١٩٨٧.

٣٢٤. المصادر والمشتقات في معجم لسان العرب، رسالة تقدمت بها خديجة زيارة عنيزان الحمداني إلى مجلس كلية التربية- ابن رشد/ جامعة بغداد لنيل درجة الدكتوراه.

٣٢٥. المصطلح اللغوي عند ابن خالويه(رسالة ماجستير) دراسة نحوية: صباح حسين محمد، مقدمة إلى كلية الآداب / جامعة الموصل، ١٩٧٧م، بإشراف الأستاذ الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم.

٣٢٦. الموصول وصلته في نصوص نهج البلاغة، دراسة وصفية تحليلية، ميسم عبد الحسن حيدر العقابي، كلية التربية للبنات،جامعة /بغداد،٢٠١١م.

ثالثاً: البحوث المنشورة

٣٢٧. دور الشيخ الطوسي في علوم الشريعة الإسلامية ،ثامر هاشم العميدي (بحث) ، مجلة تراثنا ، تصدرها مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث / العدد ٥٥ ، ١٤١٩ هـ .

٣٢٨. المصطلح الكوفي، مجلة التربية والعلم،د.محيي الدين توفيق، كلية التربية/جامعة الموصل،ع١،١٩٧٩م.

٣٢٩. معانيالمضارعفيالقرآنالكريم،للأستاذحامدعبدالقادر،مجلةمجمعاللغةالعربية ،ج١٣،لسنة ١٩٦١،القاهرة

٣٣٠. من روائع الحديث النبوي الشريف،د.عبد المجيد السعيد النوتي،بحث منشور على موقع الانترنيت:http:uquedusuLpage ar113642.

The College of Education – Aben Rushed
Department of Arabic Language

Whole and in detail approach rhetoric analytical study

Thesis by
Suhail Muhammad Hussien
To the Council of Faculty of Education-Aben Rrushed-Baghdad University

Adviser
PHD Abdul Rahman Al-Lami

٢٠١٤

In the name of Allah the most gracious the most Merciful

Praise be to Allah who gave everything and then guidance, then pray the messengers of hand-picked for the slaves, especially the last of the prophets and apostles Abu al-Qasim Al Mustafal Muhammad (peace be upon him)

…….After

Which Mulls moral life of Imam Ali (as) finds from writers who have good taste, and intellectual activity steep, and the mind of creative innovation, and intelligence excessive mixed sense of aesthetic wonderful that leads to the wording verbal selected the word is a building block will only be correct by , as well as features that strongly influence his imagination and representation, The best proof of this book (approach rhetoric), which includes the wonders of rhetoric and the oddity of eloquence, and jewels Arabic, and the most important speech in religion and the world that does not exist in any society, as it was Amir Al Moumnin lawmaker eloquence and its supplier, and the basis of rhetoric, and it (as) appeared aimed, took rhetoric laws of the Imam, and exemplified based on all the speakers, preachers and rhetoricians used his words ,mounted to an admiring his words, Al Jahed said(D 255H), In one of his essays that are (the value of each person is as improve it), succumbed to her to say (if it did not stand in this book – Al Bayan wa Al Tabyein - but on this call, we will find a virtuous with sufficiently, and is delinquent at end, and the best speech was a few independent of means for in large, meaning in the apparent intonations, Allah Almighty

arrayed Majesty, and gave him the wisdom of light depending on the intention of the owner and great piety, if it was an honest meaning, pronunciation eloquent and he was just away from the vices, and his reputation is good and not smirk, Stirred hearts like rain in the precious soil, and when the call to explain these conditions, and who says it carried out this epithet, God gave to reconcile and give them the support that does not deserve him optimize the release of the mighty, not amazing for him to understand the . minds of illiterate) 2

Researcher merely relying on the words of Professor Amin Nakhleh some people asked him to made election of a hundred words of the Imam (as) saying (you asked me to choose your words hundred words of (as) want them out in the book, not in the hands now of the books of literature, which is due to in such a purpose However, a few of which certain categories Angel rhetoric (approach) (Alnahej) Moved my finger in the pages of the book, I swear to God I do not know how to choose your hundred words of hundreds, it's not words, it's jewels if you try to took one word like you took the ruby from rubies, I did my and hands carrying gems, and my eyes sink into the gloss I did not how to exit out of metal rhetoric in one word, my confusion start with choosing the word it's very difficult, if you took this hundreds words, and remember it's Glimpses of light)1 This writer and previous literary in their opinions about the approach rhetoric texts, that just the sense of the contents the creativity in the Alawi speech, and the ability to express abstract ideas in a wonderful rhetorical that(the study of Alawis curriculum rhetoric

are two kinds if he Has a sound mind or Carries a sense of sophisticated)2
The importance of this book (approach rhetoric) and his place in eloquence and the statement, So that gave me the motivation taken the field applied to study the subject(Whole and in detail approach rhetoric analytical study). The cause of optional to this topic as I said before, the great importance of this book because this text had high rhetoric and eloquence
It has been proved without doubt this words of Amir Almomenin ALI (as) , the man knew his eloquence, as Abn Abi Alhadeed said (What can I say in a man Affiliated to him all the virtues, Belongs to him all .sect ,he is the head of the virtues and sources)3
It was clear to me that the matter has not been writing about it before, Independently, I found nuggets and fragmentary or parts articles on the subject, Did not focus on this topic an integrated manner did not refer to the magnificence of art, So I had to explain the statement style of (Whole and detail) This is a huge intellectual artistic creativity, It's the greatest science- this science of the lord- of his speech(as) I quote, we took from him, for him the endless, and we start for him……his speech (as)(under the speech of the lord, up the speech of the human)4, the people learn from him rhetoric and writing , I swear to Allah he made the .Law eloquence nobody ales)5
Required by the nature of the study to be five chapters, introduction and smooth, and follow the end research , then I wrote the most important sources of the .research

In the preamble

I m talking about the differences That characterized all of the scholars of the language, grammar, rhetoric, the commentators , the fundamentalists, and the people of Logic, Identified in the concept of the whole, it seems ،clear that the variation seeing in this concept

The first chapter

(The title is (Significance in the whole scope of the term

.Comprises ten sections for pronunciation

.The first section: Significance in the indefinite article

.(The second section: Significance in the defined in (el

.The third section: Significance in the well-defined

.The fourth section: Significance in the name connected

.The fifth section: Significance in the pronouns actions

.The sixth section: Significance in the prefer verbs

.The seventh section: Significance in the verbs

. The eighth section: Significance in the exception

The ninth section: : Significance in the Islamic .pronunciation

The tenth section: : Significance in the strange .question

Chapter two, I m talking about (How stampings) , it .took five sections

The first section: Significance in the (Sentence without .increase)

The second section: Significance in the (the increase of .(sentence

The third section: Sentence requirement (Sentence .(requirement

The fourth section: Sentence requirement (sentence .(telling and composition

The fifth section: Sentence requirement (question sentence, negative sentence, Exclamation points sentence)

Chapter three: I m talking about the speech about .(rhetorical search). I divided to five section

The first section: Sentence requirement detailing in (adding, separation and divided)

The second section: sentence requirement and detailing (in overall simile)

The third section: sentence requirement and detailing (in eloquent simile)

The fourth section : sentence requirement and detailing (in draping and folding and Publishing)

The fifth section : sentence requirement and detailing (in Pun or illusion)

Chapter four, I m talking about(Detail the scope of the .term in the singular) I divided to six section

(The first section : sentence detailing with (diluted ANN

The second section : sentence detailing with (graphical MAAN)

The third section : sentence detailing with (Separation conscience)
The fourth section : sentence detailing with (the detailed of AMMA)
The fifth section : sentence detailing with (preference, they have two parts, single preference and the percent preference)
The sixth section : sentence detailing with (the wildcard, they have two kinds The wildcard of all and The wildcard inclusion)
Chapter five, I m talking about (Significance in detail .the scope of stampings), and they have four section
The first section : sentence detailing with (the connection with sentence)
The second section : sentence detailing with (sentence for all instead)
The third section : sentence detailing with (sentence of requirement)
The fourth section : sentence detailing with (text synthesizer separate)